هيئة أمناء الموسوعة

- i. د/ محمد الأحمدي أبو النور (وزير الأوقاف المصري الأسبق)
 - أ. د/ أحمد عمر هاشم (رئيس جامعة الأزهر الأسبق)

أ/ أسهاء زغلول

- i . د/ عبد الله عبد العزيز المصلح (الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة)
 - أ. د/ نبيل السمالوطي (أستاذ علم الاجتماع ـ جامعة الأزهر)
 - أ. د/ محمد محمد داود (أستاذ علم اللغة ـ جامعة قناة السويس)

رؤساء الأقسام العلمية

قسم العقيدة الإسلامية	قسم الشريعة الإسلامية
أ. د/ محمد ربيع الجوهري	أ. د/ عبد المجيد محمود
أ. د/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور	أ. د/ محمد نبيل غنايم
أ. د/ محمد السيد الجليند	
أ. د/ عبد الله عبد الحميد سمك	
قسم القرآن وعلومه	قسم الحديث وعلومه
أ. د/ أحمد يوسف سليهان	أ. د/ محمد الأحمدي أبو النور
أ. د/ محمد إبراهيم شريف	أ. د/ أحمد عمر هاشم
قسم اللغة	قسم التاريخ الإسلامي
أ. د/ محمد كمال بشر	أ. د/ يسري أحمد زيدان
أ. د/ عبد الصبور شاهين	أ. د/ عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح
أ. د/ محمد محمد داود	
7.~ #H	

فريق العمل

المشرف العام ورئيس التحرير: أ. د/ محمد محمد داود

أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية الآداب _ جامعة قناة السويس

المنسق العام: د. جمال فوزي محمد عمار

قسم التاريخ الإسلامي - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

أ. صفوت علي صالح

باحث دكتوراه في علم اللغة التطبيقي _ جامعة لانكستر

أ. المراجعون

المؤهسل

أستاذ مساعد بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم _ جامعة القاهرة

مدرس بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

مدرس بقسم النحو بكلية دار العلوم _ جامعة القاهرة

أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر

مدرس العقيدة بكلية الدعوة _ جامعة الأزهر

أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مدرس بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دارالعلوم _ جامعة القاهرة

أستاذ علم اللغة بجامعة الأزهر

مدرس بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

مدرس بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

مدرس بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

عميد كلية دار العلوم _ جامعة القاهرة

مدرس بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم _ جامعة القاهرة

أستاذ علم اللغة المساعد بجامعة الأزهر

الاسم

أ. د/ أحمد قوشتي عبد الرحيم

د/ أمير فتوح عبد العليم

د/ تامر عبد الحميد أنيس

أ. د/ جمال فاروق جبريل

د/ حبيب الله حسن أحمد

أ. د/ حسين عبد الغنى سمرة

د/ خالد فؤاد السيد أبو العلا

أ. د/ عبد الفتاح أبو الفتوح

د/ علي عبد القادر عثمان

د/ فوزي عبد الرازق عبد القادر

د/ محمد سلامة أبو خليفة

أ. د/ محمد صالح توفيق

د/ محمد على دبور

أ. د/ محمد متولي منصور

د/ محمد محمد حسن

أ. د/ محمود محمد عمارة

أ. د/ مريم إبراهيم هندي

د/ هاشم عبد الراضي محمد

مدرس بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة عميد كلية أصول الدين الأسبق

أستاذ مساعد بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة مدرس بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

أحمد حسن شحاتة شحاتة

أحمد حمودة موسى محمد

أحمد عطية صابر

أحمدمحمودمحمد

أيمن عيد السيد السعدني

جمال عبد النعيم عبد الحافظ حمودة

جمعة محمد جمعة الوديني

خالد فراج ميزار

سيد جمال حسن على

عاصم غريب حسين عبد العظيم

عبد الرحمن ربيع سيد محمد

عبد الرحمن عبد الحميد هنداوي

عبد الرزاق محمد عبد الرحمن

عرفة حلمي كامل عبد الرازق

عصام عبد العزيز عبد الله رضوان

علاء محمد مصطفى الباز

على عبد الفتاح محمد عبده

كامل محمد أنور سعيد

محمد أحمد عبد السلام السنوطي

محمد محمد فايد

محمد مجاهد مهدی حسن

محمد محمد عمر دنش

ب-المحررون

معيد بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة مدرس مساعد بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

معيد بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

مدرس مساعد بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

باحث ماجستير بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مدرس مساعد بقسم النحو بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

باحث ماجستير بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

باحث ماجستير بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

معيد بقسم النحو بكلية دار العلوم _ جامعة القاهرة

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

معيد بقسم النحو بكلية دار العلوم _ جامعة القاهرة

معيد بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

معيد بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم _ جامعة القاهرة

مدرس مساعد بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ليسانس اللغة العربية _ جامعة الأزهر

باحث دكتوراه بقسم البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مدرس مساعد بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

باحث دكتوراه بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

ليسانس الدعوة الإسلامية _ جامعة الأزهر

مدرس بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

معيد بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

محمود أحمد جبر الطبلاوي مراد على تدغوت مصطفى محمد حسين ممدوح رمضان أحمد منصور سعد السحيمي هاني صبري أحمد إمباي هاني مسعود طه مناوي هشام زغلول عبد الفتاح على وليد محمود خير الله يوسف محمد يوسف السيد الشافعي مدرس مساعد بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

باحث ماجستير بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة باحث دكتوراه في علم الحديث بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة مدرس مساعد بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة مدرس مساعد بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دارالعلوم - جامعة القاهرة دكتوراه في علم اللغة من كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة باحث ماجستير بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة باحث ماجستير بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة مدرس مساعد بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

ج.الباحثون

أحمد عبد الحميد أمين هيكل أكرم إبراهيم عبد العال حمودة رامى السيد عفيفي إبراهيم ربيع فراج ميزار رضا جمعة سعد حسن عيد محمد ذكى محمد محروس عبد الكريم محمود مبروك محمود عبد الوهاب أحمد على

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة باحث ماجستير بقسم الشريعة بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

د ـ مساعدو الباحثين

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة ليسانس دار العلوم - جامعة القاهرة باحث ماجستير بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة باحث ماجستير بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

أحمد عبد العظيم عبد السلام سامح محمد الشامي سليهان محمد محمد سليهان عيسى عبد الحميد عبد الجيد محمد قشطة عرفان عبد الدايم أحمد عيد صبحي خالد

ليسانس دار العلوم - جامعة القاهرة

باحث ماجستير بقسم النحو بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

ليسانس الآداب والتربية، قسم اللغة العربية ـ جامعة جنوب الوادى

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

باحثة ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب _ جامعة القاهرة

ماهر محمد الحوفي

مبروك يونس عبد الرؤوف

محمد إبراهيم إمام محمد

محمود رجب إسهاعيل عبد الباسط

محمود محمد عبد الحميد

مصطفى فؤاد مسعود

نرمين محمود محمد على

ه. الصف على الحاسب

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

بكالوريوس نظم ومعلومات إدارية

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

معهد فني تجاري

المعهد العالى للدراسات التعاونية

أخصائي برمجة آلية

بكالوريوس إدارة صناعية

أحمد عبد العزيز رضوان

أحمد محمد إمام

تسنيم مجدي محمود

دعاء محمد محمود عبد الباسط

رضوى عيد عبد الجواد محمد

عادل على على محمد غضنفر

محمود محمد محمد إمام

و. حسابات وسكرتارية

بكالوريوس تجارة _ جامعة القاهرة.

ليسانس الآداب، قسم الجغرافيا - جامعة القاهرة.

طارق سعيد محمد حيدر

منى محمد المهدى

ز ـ مكتبة

ليسانس آداب، قسم وثائق ومكتبات ـ جامعة القاهرة.

إسهاعيل مصطفى حسين

المُحَتَّويَاتْ

1	
Y	فريق العمل
V	المُحَمَّوَاتِ
10	مقدمة الشرف العام على الموسوعة
TY	قالوا عن الموسوعة
٤٥	المقدمة العامة لموسوعة القرآن
٥٣	
المحور الأول	
شبهات وافتراءات على الله ﷺ	
بات تتعلق بقضية الألوهية والوحدانية	أولا: شبو
٧٣	 الشبهة الأولى
	دعوى اتِّخاذ الله ﷺ الولدَ
V٦	• الشبهة الثانية
	دعوى أن الملائكةَ بناتُ الله ﷺ
A¥	• الشبهة الثالثة
لبعوضة والذباب منقصةمن قدره	دعوى أن في ضرب الله الأمثال بالشيء المُحتقَركا
AV	• الشبهة الرابعة
	ادِّعاء أنَّ بين الله والجِنَّة نسبًا
AA	• الشبهة الخامسة
	إنكار تفرد الله على بالألوهية والوحدانية

سلام: الرد على الافتراءات والشبهات	بيان الإ
الشبهة السادسة	•
أن الله ﷺ هو المسيح ابن مريم	الزعمرأ
الشبهة السابعة	•
بعث والمُعاد وإحياء الخلق يوم القيامة مرةً أخرى واعتبارُ ذلك أسطورةً وسحرًا	إتكارُال
الشبهة الثامنة	•
ن الأصنام والأوثان آلهة تشفع عند الله ﷺ وتقرِّب إليه	ادِّعَاءِ أَرْ
الشبهة التاسعة	•
نوهيَّة الْعِجْل	دعوىأا
الشبهة العاشرة	•
نتَّمروذبن كنعان أنه يستطيع الإحياء والإماتة	ادعاء ال
الشبهة الحادية عشرة	•
اج بالقَدَر على الإشراك بالله وعدم الهداية	الاحتج
ثَانيًا : افتراءات وشبهات على الله ﷺ في غير قضية الألوهية	
الشبهة الثانية عشرة	•
_ يهود أن الله ﷺ فقير وبخيل وهم أغنياء	
الشبهة الثالثة عشرة	
الله يأمر بالفحشاء	فرْيَة أن
الشبهة الرابعة عشرة	
هود والنصاري أنهم أبناء الله ﷺ وأحباؤه	
الشبهة الخامسة عشرة	
يهود أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس	
الشبهة السادسة عشرة	
 والنار لن تمسَّ اليهود والنصاري إلا أيامًا معدودة	
الشبهة السابعة عشرة	
ه لن يدخل الجنة إلا من كان على مِلَّة اليهود أو النصاري	
له لا، بلاحًا ، الحِنْهُ الا مَنْ كَانْ عِلْدَ، عِلْمُ الْبِعُودَ أَهُ النَّصَارِي،	د حدوی را پر

المحور الثاني

التشكيك في القرآن الكريم

1 8 ٣	• الشبهة الثامنة عشرة
	ستنكار إنزال القرآن مُنَجَّمًا وعدم إنزاله جُملةً واحدة
180	• الشبهة التاسعة عشرة
	دعوى اختلاف القرآن في أحكامه وتناقض معانيه
\ £ \	• الشبهة العشرون
	دعوى أن القرآن سحرٌ مبين أتى به محمدﷺ
101	• الشبهة الحادية والعشرون
	دعوى أن القرآن أساطير الأولين وقصص السابقين
108	• الشبهة الثانية والعشرون
بوإلا شاعر أوكاهن	دعوى أن ما جاء به محمدﷺ ما هوإلا شعر وأضغاث أحلام وما ه
۲۰۱	• الشبهة الثالثة والعشرون
	دعوى أن القرآن افتراه محمدٌ ﷺ من عند نفسه
١٦٨	• الشبهة الرابعة والعشرون
	دعوى أن محمدًا ﷺ تعلُّم القرآن من رجل أعجمي
١٧٠	• الشبهة الخامسة والعشرون
الكفريفيره	دعوى اليهود أنه يكفيهم الإيمان بما أنزل عليهم، ولا يضرهم
1٧٥	• الشبهة السادسة والعشرون
	الزعم أن كتابَ أهل الكتاب خيرُ الكتب، ونبيَّهم خيرُ الأنبياء
	• الشبهة السابعة والعشرون
	دعوى استطاعة الإتيان بمثل القرآن
1∨9	• الشبهة الثامنة والعشرون
باء والمستضعفون	دعوى أن القرآن لوكان خيرًا ما سبق إلى الإيمان به العبيد والإه

المحور الثَّالث

شبهات تتعلق بالتشريعات والأوامر

أولا: شبهات تتعلق بالاعتراض على تشريعات الله ﷺ

1AY	 الشبهة التاسعة والعشرون
	دعوى أن البيع مثل الربا
199	• الشبهة الثلاثون
	دعوى اليهود استحالة وقوع النسخ عقلا ونقلا وإنكارهم لجوازه
۲۰۶	• الشبهة الحادية والثلاثون
	استنكار تحويل القبلة
Y•9	• الشبهة الثانية والثلاثون
	الاحتجاج بفتنة النساء للقعود عن الجهاد
Y11	• الشبهة الثالثة والثلاثون
علون فيها ما يشاءون	استنكار النهي عن التطفيف أو البخس لأن الأموال ملك الأفراد يف
تراض على أوامر الله ﷺ	ثانيًا. شبهات تتعلَّق بالاء
Y 1 0	• الشبهة الرابعة والثلاثون
	دعوى أن خيريَّة إبليس على آدم في الخلق تمنعه من السجود له
Y 1 V	 الشبهة الخامسة والثلاثون
	استنكار الإنفاق على الفقراء لأن الله لوشاء لأطعمهم
عاهليَّة باطلة	ثالثًا. مزاعمج
Y14	 الشبهة السادسة والثلاثون
	دعوى أن الأولاد يجلبون الفقر والإملاق على آبائهم
YYŸ	• الشبهة السابعة والثلاثون
	ادّعاء أن ما في يطون الأنعام خالص للذكور ومحرم على الاناث

المحور الرَّابع

شبهات تتعلّق بقضية الإيمان والكفر

الشبهة الثامنة والثلاثون	•
نافقين أن المؤمنين بالرَّسول ﷺ سُفهاء	دعوی ال
الشبهة التاسعة والثلاثون	•
نارمكة أن الإيمان بمحمدﷺ يَتْبَعُه عدمُ الأمان	دعوىكة
الشبهة الأربعون	•
الهُدَى في اتِّباع ما عليه اليهود والنصارى	دعوى أن
الشبهة الحادية والأربعون	•
بهود أن الكافرين أهدى سبيلا من المؤمنين	ادعاءالي
الشبهة الثانية والأر بعون	•
اتباع الأرذئين للرسل يعوق إيمان الناس بهم	دعوىأن
الشبهة الثالثة والأربعون	•
رَغَد العيش وسَعَة المنازل دليلٌ على صحَّة الدين والمعتقد ورضا الرب ﷺ	دعوىأن
الشبهة الرابعة والأربعون	•
النِّفاق والمداراة بين المؤمنين والكافرين هو عيُن الإصلاح	دعوى أن
الشبهة الخامسة والأربعون	•
كتفاء بماكان عليه الآباء والأسلاف من معتقدات وعبادة ولاحاجة لمعتقدات أو شعائر جديدة	دعوىالا
الشبهة السادسة والأربعون	•
هود أن عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ، سببه نزول جبريل الطِّيِّة بها	ادِّعاء الي
الشبهة السابعة والأربعون	•
سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام أفضلُ من الإيمان بالله والجهاد في سبيله	ادّعاء أن
الشبهة الثامنة والأربعون	•
ليق الإيمان على رؤية الله علانيةً	دعوی تع

المحور الخامس

شبهات تتعلق بالأنبياء والرسل

أولا. شبهات عامَّة في حقِّ الأنبياء والرُّسل جميعًا

Y07	 الشبهة التاسعة والأربعون
السماء	دعوى تعليق الإيمان بما جاء به النبي ﷺ حتى يُنزِّل آيات من
Y7Y	 الشبهة الخمسون
ذاب وقيام الساعة	دعوى تعليق الإيمان بالرسل حتى يتحقق ما وعدوا به من الع
۲٦٥	• الشبهة الحادية والخمسون
	تعليق الإيمان بالرَّسول ﷺ حتى ياتي بقربان ٍتاكلُه النَّار
Y7Y	• الشبهة الثانية والخمسون
	دعوى أن عدم الإتيان بالآباء الموتى دليلٌ على كذب الرُّسل
Y79	• الشبهة الثالثة والخمسون
رسول لهم.	ادعاء المشركين أن سبب امتناعهم عن الإيمان هو عدم مجيء
YV1	 الشبهة الرابعة والخمسون
	دعوى التشاؤم والتطيُّر من الرُّسل وأتباعهم ودعوتهم
YV0	 الشبهة الخامسة و الخمسون
	اتِّهام الأنبياء والرُّسل بالجنون والسِّحْر والكذب والافتراء
YVV	 الشبهة السادسة والخمسون
	دعوى الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعضهم
۲۸۰	 الشبهة السابعة والخمسون
	إنكاربشريَّة الرَّسولﷺ والتَّعجُّب من إرسال رسول من البشر
خاصَّة بانبياء بعينهم	ثانيًا. شبهات
براهيم الطيخة	1.1
۲۸۳	• الشبهة الثامنة والخمسون
	دعوَى أن إبراهيم الني كان يهوديًّا أو نصرانيًّا وكذلك أبناؤه

الشبهات التي تولى القرآن الرد عليها	
٧. موسى الطّيمة	
الشبهة التاسعة والخمسون	•
وسى وهارون عليهما السلام بالسحر	اتهام
٣. عيسى الطيخ	
الشبهة الستون	•
تل المسيح الطَّيْعَانِ	دعوی قا
الشبهة الحادية والستون	•
المسيح وأمّه إلهان مع الله على الله الله الله الله الله الله الله ال	دعوىأز
الشبهة الثانية والستون	•
ريم عليها السلام بالزِّنا	اتِّهام م
3. acal 蒙	
الشبهة الثالثة والستون	•
الة محمد ﷺ وبعثته	إنكاررس
الشبهة الرابعة والستون	•
نبيﷺ بأنه ساحر	اتِّهامرال
الشبهة الخامسة والستون	•
نبي ﷺ بالجنون	اتهامرال
الشبهة السادسة والستون	•
محمدًا ﷺ وأصحابه يستحلُّون القتال في الأشهر الحُرُم	دعوىأن
الشبهة السابعة والستون	•
النبي ﷺ أُذُنّ يصدِّق كل ما يقال له	ادعاءأن
الشبهة الثامنة والستون	•
الله ﷺ هجر نَبِيَّه ﷺ وقلاه	دعوىأن
الشيهة التاسعة والستون	•

دعوى أن النسخ يبين افتراء الرسول ﷺ

	يان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات
٣٢٦	• الشبهة السبعون
	نكار إنزال الكتب من السماء، وإنكار الوحي والرسالة
۳۲۸	• الشبهة الحادية والسبعون
	عمراليهود أن سبب عدم إيمانهم بالنبي ﷺ هوكون قلوبهم غُلْفًا
rr	• الشبهة الثانية والسبعون
	ستنكار اختصاص الرسول ﷺ بإنزال الذِّكرِ عليه من بين النَّاس
r~~	ئصاد، والم احع



مقدمة المشرف العامر على الموسوعة

أ. د/ محمد محمد داود

الدين والإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الله ورسوله سيدنا محمد، رحمة الله للعالمين، وبعد:

فبيان الحقائق _ بالأدلة الصحيحة والحجج المنطقية _ مهمة سامية، ينهض لها العلماء وأهل الفكر؛ دعمًا للحوار الإيجابي بين الأفكار والآراء والعقائد، وتقويةً لمساحة الودِّ والتآلف والأخوَّة بين أهل الإيمان مسن كل ديسن، وتجليةً للمشترك الإنساني العام الذي تلتقي عنده الأديان السماوية.

ولقد أكد الباحثون والعلماء حقيقة مهمة، وهي أن الأديان السماوية اجتمعت عند جملة من الحقائق، أهمها:

الدين هاديًا للإنسان:

جاء الدين هاديًا للإنسان: لعقله وقلبه، وعونًا من الخالق للمخلوق؛ ليُعَرِّفَه بحقيقته وحقيقة ما حوله من مخلوقات، ومنزلته بين هذه المخلوقات، وتحديد دوره في هذه الحياة، وتبصرة الإنسان بأن من وراء هذه الحياة الدنيا الفانية حياة باقية هي حياة الآخرة، فيها الجزاء والثواب والعقاب، فيها تحقيق العدل بين الخلائق.

ومقاصد الشريعة الخمسة في الإسلام خير مثال لذلك، فقد حرص الإسلام كُلَّ الحرص على حفظ ما يُعْرَفُ بالكليات الخمس: حِفْظ النَّفْس، وشُرِعَ لهذا الغرض القِصاص، وحِفظ الدِّين، ولهذا شُرِعَ حَدُّ الرِّدَّة، وحِفظ العقل الذي شُرِعَ له حَدُّ الخمر، وحِفظ النَّسْل وله شُرِعَ حَدُّ الزِّنا، وحِفظ المال، ومن أجله شُرِعَ حَدُّ السَّرقة، ولحماية هذه كُلِّها شُرعَ حَدُّ الخِرَابة.

وجاء الدين هاديًا للإنسان بإرشاده إلى الأخلاق الكريمة والعلاقات الودودة، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا فِسَالَهُ مِن فِسْاَةٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا فِسَالَهُ مِن فِسَاَةٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا فِسَاكُمْ مِن فَرْمَ عَلَى الْفَسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَنِ وَمَن لَمْ يَتُبُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظّلِامُونَ اللهُ يَتَايُّهَا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِن الطّنَ إِنْ اللَّهُ وَلا يَعْسَمُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَاللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا مَا اللّهُ مَا مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا مَا اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مَا اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَا الللّهُ مَا اللّهُ الللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا

وفي الكتاب المقدس: «وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ القَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ » (متى: ١١ ـ ٢٩).

الدين قوة إيجابية في الحياة:

الدين قوة إيجابية تحفز على تحقيق مغزى استخلاف الإنسان في الأرض، وإعباره لها، وسَـيْرهِ في مناكبها حتى يُحصّل رزقه المادي وهو القوت، ورزقه المعنوي وهو اكتشاف المجاهل وتجلية الغوامض وتوسيع آفاق الفكر الإنساني، وإشباع نهمه إلى العلم والمعرفة في كافة الميادين.

والدين قوة إيجابية تُحدِثُ في حياة الإنسان تحولًا في قلبه وعقله وسلوكه، فيتجلّى هذا التدين نظامًا ونظافة وحبًّا وتسامحًا، واحترامًا لحقوقِ الآخرين، وإحساسًا بوحدة بني الإنسان؛ فلقد أحدث الدِّين اعتدالًا في حياة البشر، حين أخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتَا فَأَحَيَيْنَكُهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ عَلَى اللهُ الل

فالتدين الحق خروج بالإنسان عن كل الصفات السلبية إلى الصفات الإيجابية، خروج من الظلمات إلى النـور، قال تعالى: ﴿ السَّرَطِ الْمَالِينَ لَلْمُعْرِيرِ الْمُعَيدِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل (الرابِعُلُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

ومن هنا كان ربط الإسلام بين الدين والأخلاق، فليس الإيهان مجرد كلمات تُقَالُ أو عبادات تُؤَدَّى وحَسْبُ، إنها هو السُّمُوُّ الرُّوحيُّ إلى مكارم الأخلاق، قال الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۚ إِلَى مَكَارِم الأخلاق، قال الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۚ إِلَى مَكَارِم الأخلاق، قال الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ اللَّهُ فَذَالِكَ ٱلَذِى يَكُونُ اللَّهُ عَلَى طَعَامِ ٱلْمِشْكِينِ ۚ إلله (الماعون).

والعبادات في الإسلام لها أثرها الكبيرُ في سلوك الإنسان، قبال تعبالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّكَلُوةَ تَنَهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْسَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (العنكبوت: ٥٤)، وقال ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » (١٠).

وهذا ما أقرَّتُه كل الأديان السهاوية وأكدته مرارًا وتكرارًا، جاء في الكتاب المقدس: «طُوبَى لِلمساكينِ بـالرُّوح، لأنَّ لهم ملكوتَ السهاوات. طوبى لِلحَزانَى، لأنَّهم يَتَعزَّون. طوبى لِلوُدَعـاء، لأنَّهم يَرثـون الأرض. طـوبى لِلجِيـاع والعِطاش إلى البِرِّ، لأنَّهم يُشْبَعون. طوبى للرُّحماء، لأنَّهم يُرحمون. طوبى للأنقيـاء القلـب، لأنَّهم يعـاينون الله. طـوبى لِصانعِي السَّلام، لأنَّهم أبناء الله يُدْعَونَ. طُوبى للمَطرودينَ» (متى ٥: ٣-١٠).

والتدين حب وألفة وأخوة ولين وتسامح يدفع أصحابه إلى مزيد من الرحمة؛ وفي القرآن الكريم قال الله تعـالى: ﴿ فَيِمَا رَحْمَةٍ مِّنَٱللَّهِ لِنِنَ لَهُمَّ وَلَوْكُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

والله تعالى هو الرءوف الرحيم الودود القريب الحنَّان المنَّان، اللطيف بعباده، العليم بما يُصلحهم، فأرسل إليهم رُسُلَه صلوات الله وسلامه عليهم، وكان خاتمهم محمد ﷺ: ﴿ رَحْمَةُ لِلْعَكَمِينَ ﴿ الانبياء).

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الصوم، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، (٤/ ١٣٩)، رقم (١٩٠٣).

الدين دعوة إلى اليسر:

جاء في القرآن وصفًا للحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَاءَ كُمْ رَسُوكُ مِنَ أَنفُسِكُمْ عَزِيزُ عَلَيْهِ مَا عَنِيتُ مَا عَلَيْتُ مُ مِاللَمُ قَمِنِينَ كَرَءُ وَقُلُ رَحِيمٌ ﴿ التوبة)، وهذه دعوة كريمة لليسر والتيسير والبعد عن العنت والمشقة. وفي السنة النبوية قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الدين يُسْرٌ ، ولن يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غَلَبه ﴾ (١).

ولمَّا بلغه عن عثمان بن مظعون وبعض الصحابة أنهم يصومون الدهر فلا يفطرون، ويقومون الليل فلا ينامون، ولمَّا بلغه عن عثمان بن مظعون وبعض الصحابة أنهم يصومون الدهر فلا يفطرون، ويقومون الليل فلا ينامون، وأنهم أرادوا الترهُّب واعتزال النساء، غضب على وقال: «أنتم الذين قُلْتُم كذا وكذا، أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّي وأرقُد، وأتزوَّج النساء، فَمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي (٢).

وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فشكا إليه أنه لا يحضر صلاة الفجر خلف معاذ بن جبلٍ ﴿ لأنه كان يطيل الـصلاة، فغضب رسول الله ﷺ ونبه معاذًا قائلًا: «أفتَّانٌ أنت يا معاذ؟ اقرأ بسورة كذا وسورة كذا»(٢).

ولقد كان النبي ﷺ الأسوة والقدوة في الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَكُ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَكَمِينَ ﴿ الْأَسِاءُ).

والنبي ﷺ يقول: «ما كان الرفق في شيء إلَّا زانه، وما نُزعَ الرِّفق من شيء إلَّا شانَه» (٤٠)، وكان دأبه ﷺ اليسر في كل أموره، تقول السيدة عائشة _رضي الله عنها _ : «ما خُيِّر النبي ﷺ بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثبًا» (٥٠). وقال ﷺ مخاطبًا الأمة كلها: «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا» (٢٠).

وكما دعانا الله تعالى إلى اليسر والتيسير والتبشير والرِّفق واللِّينِ، دعانا إلى التسامح وحسن التعايش والحوار، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأَنْنَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَفَى آبِلَ لِتَعَارَفُواً إِنَّ أَكُمْ عِندَ اللهِ أَنْقَىنَكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمُ خَبِيرُ اللهِ (الحجرات).

وخاطب رسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِٱلَتِي هِى ٱَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَشْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِى ٱَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، عَذَوَةٌ كَأَنَهُ، وَلِيُ مَا اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِل

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الإيهان، باب: الدين يسر، (١/ ١١٦)، رقم (٣٩).

٢. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، (٩/ ٥)، رقم (٦٣ ٥٠).

٣. إسناده قوي: أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: إعادة الصلاة، رقم (٢٤٠٠).

٤. صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: البر والإحسان، باب: الرفق، رقم (٥٥١).

٥. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، (١٢/ ٨٨)، رقم (٦٧٨٦).

٦. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (١/ ١٩٦)، رقم
 (٩٦).

وفي الكتاب المقدس، جاء في الإصحاح السادس: «لكنّي أقولُ لكم أيَّها السَّامعُون: أَحِبُّوا أعداءكم، أَحسِنُوا إلى مُبغِضيكم، ٢٨ بارِكُوا لاعنيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسيتُون إليكم. ٢٩ مَن ضربكَ على خَدِّكَ فاعرِضْ لـه الآخَـر أيضًا، ومَن أَخذَ رداءكَ فلا تمنعه ثوبكَ أيضًا. ٣٠ وكلُّ مَن سألكَ فأعطِه، ومَن أخذ الذي لك فلا تُطالبه».

الدين دعوة إلى فعل الخيرات:

لا نكاد نجد في القرآن الكريم آية تدعو إلى الإيهان دون أن تقرن بين الإيهان والعمل الصالح، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّكُوةَ وَءَاتُوا ٱلرَّكُوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِهِمْ وَلاَ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْرَنُونَ لَهُمْ يَحْرَنُونَ اللهُ عَالى: ﴿ وَلِكُلِّ وَجَهَةُ هُو وَلاَ هُمْ يَحْرَنُونَ اللهِ اللهِ اللهِ التسابق والتنافس في الخير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ وَجَهَةُ هُو وَلاَ هُمْ يَحْرَنُونَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى كُلُو شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى كُلُو شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى كُلُو شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَى كُلُو شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى كُلُو شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَى كُلُو شَيْءٍ قَدِيرٌ اللهُ ا

وفي الكتاب المقدس: «حِدْ عن الشَّرِّ، واصْنَعِ الخيرَ. اطْلُبِ السَّلامة، وَاسْعَ وراءها» (مزامير ٣٤: ١٤).

الدين دعوة إلى العلم والتفكر والتأمُّل والتدبر:

كان أول ما نزل من القرآن الكريم دعوة إلى العلم والتعلُّم، وهو قول الله تعالى: ﴿ أَقُرَأُ بِالسِّهِ رَبِّكَ ٱلّذِي خَلَقَ ﴿ العلقِ والتفكُّر العلقِ وَالتفكُّر وَنَ عَلَقٍ ﴾ (العلق)، وما أكثر الآيات الداعية إلى إعمال العقل والتفكُّر والتفكُّر والتأمُّل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَعَلَكُمْ مَتْقَلُونَ ﴿ البقرة)، وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَكُمْ مَتْقَلُونَ ﴿ البقرة)، وقد التأمُّل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَعَلَكُمْ مَتْقَلُونَ ﴿ البقرة)، وقد التأمُّل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَعَلَكُمْ مَتْقَلُونَ ﴿ البقرة)، وقد التأمُّل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَعَلَكُمْ مَتْقَلُونَ ﴿ البقرة) وقد التأمُّل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَعَلَكُمْ مَتَعْقِلُونَ ﴿ البقرة) وقد الله الله المتدح القرآن الكريم المؤمنين بأنهم: ﴿ الّذِينَ يَذَكُرُونَ اللّهَ قِيكُمّا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السّمَونَتِ وَاللّهُ اللهُ ال

الدين دعوة إلى الجمال:

وتدبَّر قول النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»(١).

١. صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الإيهان، باب: تحريم الكبر وبيانه، (٢/ ٤٨٣)، رقم (٢٥٩).

الدين دعوة إلى حسن الخُلق:

وأمر عباده المؤمنين بالصفح الجميل والعفو وكظم الغيظ، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَآءِ وَالضَّرَآءِ وَالضَّرَآءِ وَأَلْضَرَّآءِ وَأَلْفَكُونَ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَّا عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ عَلْ

وفي الحديث الشَّريف عن عُقبة بن عامرٍ على قال: «لَقِيتُ رسول الله على يومًا فَبَدَرتُه فأخذتُ بيده، أو بَدَرَنِي فأخذ بيدي، فقال: يا عقبة، ألا أُخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة؟ تَصِلُ مَن قَطَعَكَ، وتُعطِي مَن فأخذ بيدي، فقال: يا عقبة، ألا أُخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة؟ تَصِلُ مَن قَطَعَكَ، وتُعطِي مَن حَرَمَك، وتعفُو عمَّن ظَلَمَك، ومَن أراد أن يُبسَطَ له في رزقه، ويُمدَّ له في عمره، فليتَّقِ الله وليَصِل ذا رَحِمه (۱). وسُئِلَ عَرَمَك، وتعفُو عمَّن ظَلَمَك، ومَن أراد أن يُبسَطَ له في رزقه، ويُمدَّ له في عمره، فليتَّقِ الله وليَصِل ذا رَحِمه (۱).

ولن تتحقق هذه الرسالة من دون جهادٍ للنفْس وآفاتها، ومجاهدة لشياطين الغواية والأهواء والضلالات، قال تعالى: ﴿ وَٱلذِينَ جَهَدُواْ فِينَا لَنَهُ دِيَنَهُمْ شُبُلَناً وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحَسِنِينَ اللهِ ﴿ وَٱلذِينَ جَهَدُواْ فِينَا لَنَهُ دِينَهُمْ شُبُلَناً وَإِنَّ ٱللهُ لَمَعَ ٱلْمُحَسِنِينَ اللهِ ﴿ وَالعنكِوتِ)، وقبل هذا وبعده: لا بدمن اليقين بأنَّ وراء هذه الحياة حياة أخرى أبدية، وأن الله مُطَّلِعٌ على أفعال البشر، وسيجزيهم بها إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرَّا فَشَرٌ: ﴿ فَكُن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ضَمَلٌ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَدَّا يَرَهُ (الزلزلة) .

وفي الكتاب المقدس: «لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون في طاقة يدك أنْ تفعله. لا تَقُل لـصاحبك: « اذهب وعُدْ فأُعطيكَ غدًا » وموجودٌ عندك. لا تخترعْ شرَّا على صاحبك وهو ساكنٌ لَدَيكَ آمنًا. لا تُخاصِم إنسانًا بدون سببٍ، إن لم يكن قد صنع معك شرَّا » (أمثال ٣: ٢٧ _ ٣٠).

إن التدين السلبي لا يزكي نفسًا، ولا يرتفع بعقل، ولا يحيي ضميرًا، ولا يهذب فطرة.. إنّه عبء علينا.

والإنسان المؤمن الصادق يكون مرآة صادقة لعظمة الأديان، وكلُّ شعائر الأديان إيجابيةٌ، ولها آثارها العميقة في قلوب الناس وفي واقع حياتهم.

١. ذكره البغوي في شرح السنة، كتاب: الرؤيا، باب: تأويل الثياب والفرش، (٦/ ٢٧٦).

٢. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (٤٦٨).

تَأمُّل لرموز الأديان السماوية:

المتأمل لرموز الأديان الثلاثة يرى أن الحكمة رمز لليهودية، والمحبة رمز للمسيحية، والرحمة رمز للإسلام، ويتساءل الإنسان: ماذا لو اجتمعت معاني الحكمة مع المحبة مع الرحمة؟ هل سيصير العالم الذي نعيش فيه ملائكيًّا؟ نعم، لكن فئة من البشر أصروا على الانحراف بهذه المعاني البليغة وهذا السمو إلى العداء والصراع، ويتساءل العقلاء:

- أوليس البشر جميعًا _ على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وثقافاتهم وأديانهم _ ينتمون إلى أصل واحد، إلى أبيهم آدم وأمّهم حوًّاء؟!
 - إذن فلِمَ التقاطع والتدابُر والضغائن والأحقاد؟
- كيف وقد منحنا الله هذه الهبة الإلهيّة العظيمة، ألا وهي نعمة العقل؟ تلك المنحة التي مكّنت الإنسان أن يسود هذا الكون، فاكتشف واخترع، واستطاع أن يجد سُبُلا لتسخير الطبيعة، لتكون طيّعة له، فارتاد الفضاء، وقطع المسافات، وأزال حواجز الزمان والمكان، وصنع الحياة من جديد.
- لقد ميَّز الله الإنسان أيضًا باللغة، التي بها يكون التواصل والتفكير واختزان الخبرات، ونقل التجارب
 والمشاعر ... إلخ. وبهاتين المنحتين أنجز الإنسان إبداعات رائعة.
- وأراد الله على أن يسمو بالإنسان إلى مدارج أعلى وأسمى؛ فبعث الأنبياء _صلوات الله وسلامه عليهم وأنزل الكتب الساوية؛ لتملأ قلب الإنسان نورًا ورحمة ومحبة، والأنبياء والرسل عليهم السلام جميعًا جاءوا لخير البشرية وهدايتها والسمو بها.
- غير أن انحراف الفكر عند المتطرِّفين من أتباع كل دين قد أفسد فطرتهم، وانتكس بالمعاني السامية والغايات العظمى من الدين، فهارسوا الحروب باسم الدين، وأشعلوا نيران العداوة والبغضاء باسم الدين، فأفسدوا علينا نعمة الحياة ونعمة السلام التي مَنَّ الله بها علينا، وأحالوا الحياة إلى صراعٍ ودمار.
- والمتأمِّل للأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، يجد أن رموزها ذات دلالة على مقصودها وغايتها، فالحكمة اليهودية، والمحبة المسيحية، والرحمة الإسلامية لو اجتمعت معًا، لأحالت العالم إلى جنَّة أرضيَّة تنعم بالسلام والتعاون والتواصل.
- إنَّه سلام متميِّز عن سلام المصالح أو سلام الضعف، أو سلام القوة .. إنَّه سلام نابع من داخل النفوس والقلوب .. إنَّه أمان نابع من أعماق القلوب .. ولو اتَّخذ أتباع كل دين أنبياءهم أسوةً وقدوة في الحكمة والمحبة والرحمة لمئوا الحياة أمنًا وأمانًا وبرًّا وعطاءً.
- فالأديان كلها سبل لهداية البشر، والخطأ يكمن في الأفهام المغلوطة، والدين منها بريء .. فمثلًا: الصليب رمز للتضحية والفداء والإيثار والساحة والمحبة في النصرانية _ من وجهة نظر أهلها _ ، لكن تسييس هذا الرمز خرج

به من دائرة النور إلى دائرة الشرِّ ليكون شعارًا للحروب كما نجد ذلك بارزًا في اسم: الحروب الصليبية .. وهذه إساءة للصليب لا يقبلها المتديِّن الحقيقي ولا العقل السليم.

- وفي الإسلام شُرِع القتال لدفع الظلم والعدوان، وليس للهجوم والعدوان على الآخر، ولكن تسييس القتال حوَّله إلى عدوان وإرهاب، وهذه إساءة لدين الرحمة والسماحة (الإسلام).
- إن المتعصِّبين من أتباع كلِّ دين يرتكبون جريمة نكراء حين يجعلون من أفكارهم البشرية دينًا مقدَّسًا،
 والأخطر والأدهَى أنَّهم يرصدون العقوبات على من يخالف هذا الرأي وذلك الفكر.
- وفي غفلة منّا عن المقاصد العظمى من الأديان ورسالات السهاء، نسينا رسالة الإنسان، وسمحنا لطائفة منّا أن تحرمنا نعمة المحبة والرحمة والسلام، فأضاعوا علينا مساحة الودّ بيننا كأسرة إنسانية، ومساحة السمو والنور الربّانية، وغاب عنّا ذلك القبس الإلهي الذي أطلقه الله في قلوبنا، فمزقتنا الصراعات، وفرّقت بيننا العداوات.
 - ولكن البشرية لن تعدم عقلاء يدعون إلى الحكمة والمحبَّة والرَّحمة التي من أجلها جاءت الأديان.
 - كفانا عداءً وكفانا فرقة، ولنتقدَّم _ ولو خطوةً _ على طريق المحبَّة والسلام، رحمة بالأجيال القادمة!

الإسلام يدعو إلى الحوار . . بديلا عن الصراع:

- شاعت في مجتمعنا في الآونة الأخيرة سلوكيات سلبيّة، أثّرت في المناخ العامِّ للمجتمع وثقافته وقيمه، وأحدثت صدعًا في وحدة الأمَّة وتماسكها، ولعلَّ من أخطر هذه السلبيَّات توظيف الدين لخدمة أغراض ومصالح شخصية ودنيوية، واستخدام مبادئه السامية لبثِّ الكراهية والأحقاد، الأمر الذي يتناقض تناقضًا صارخًا مع رسالة الأديان والهدف السامي للأديان كلِّها، ألا وهو حسن التعايش والتآلف والتعارف بين الناس: ﴿ وَجَعَلْنَكُمُ شُعُوبًا وَقَبَا لِللَّهِ الْعَارِفُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ ال
- تُعيدنا هذه الرِّدَّة الثقافية والفكرية إلى عصور الجاهلية والظلمة التي لم يكن لها إطار أخلاقي وروحي ينظم الأفكار والسلوكيات، ويضع لها الضوابط الحاكمة، ولن نجني من ذلك إلَّا المزيد من التدهور والضعف، بل والانهيار، فظنَّ البعض أن أخطاء المسيحية ... كلَّا إن الإسلام، أو أنَّ أخطاء المسيحين تتحمَّلها المسيحية ... كلَّا إن الإسلام والمسيحية دينان سهاويًان، أما التطبيق البشري فهو الذي يمكن أن يتصف بالقصور وأن تقع فيه التجاوزات والأخطاء.

إذا سلَّمنا بهذا المبدأ، كان بإمكاننا أن ننظر إلى الأمر بموضوعية وإنصاف، وأن نُوجِد أرضية صلبة للحوار بين الأديان والحضارات، على أساس متين من الاعتراف بحرية العقيدة، والفصل بين الدين بوصفه منظومة إلهيَّة سامية وبين الأخطاء البشرية في تطبيقها لمبادئ هذا الدين أو ذاك، وأيضًا على أساس من الأخوَّة في الإنسانية، تلك الرابطة التي تربط الناس جميعًا، سواء أهل الأديان السهاوية أو غيرهم برباط القُربَى والمودَّة والاشتراك في التكريم الإلهي للإنسان.

- سيكون الحوار القائم على تلك الأسس بديلًا عن صيحات العدوان والافتراءات والشبهات، التي لم تكسب الإنسانية من ورائها شيئًا، بل خسرت الكثير من طاقاتها وقدراتها وقيمها، بل ومن دمائها، وآخر هذه الصيحات ما يروِّج له الغرب تحت اسم: صراع الحضارات، معيدين الصراعات التاريخية كرَّة أخرى إلى الساحة الدولية، تلك الصراعات الدامية التي صنعها الغرب وأجَّجها باسم الدين، وأبرز مثال لذلك الحروب الصليبية التي رفعت شعار: المسيحية في مواجهة الإسلام.
- وعلى العقلاء والمخلصين في العالم أن يكشفوا كلّ تلك المؤامرات التي اتخذت من الدين ستارًا لمآرب خبيثة، ولن تنطلي على العالم دعايات الغرب المغرضة، ولن يقع في خطيئة توظيف الدين من أجل مصالح شخصية أو لإرضاء مطامع دنيوية، فمثلًا من التوظيف السلبي للدين شعار « الحروب الصليبية »، وفي هذا الشعار إساءة إلى الصليب الذي هو في حقيقته، عند إخواننا المسيحيين، رمز للتضحية والفداء، فكيف حوَّله هؤلاء إلى رمز للحرب والعدوان؟!
- والإسلام يطرح فكرة "حوار الحضارات" بدلًا من "صراع الحضارات" والتعايش السلمي بدلًا من الكراهية، والأخوَّة في الإنسانية بدلًا من العداء والصدام. والتوراة والإنجيل أيضًا يؤكدان نفس الدعوة، جاء في الكتاب المقدس: «طُوبَى لِلمساكينِ بالرُّوح، لأنَّ لهم ملكوتَ السهاوات. طوبى لِلحَزانَى، لأنَّهم يَتعزَّون. طوبى لِلوُدَعاء، لأنَّهم يَرثون الأرض. طوبى لِلجياع والعِطاش إلى البِرِّ، لأنَّهم يُشبعون. طوبى للرُّماء، لأنَّهم يُرحون. طوبى للأنقياء القلب، لأنَّهم يعاينون الله. طوبى لِصانعِي السَّلام، لأنَّهم أبناء الله يُدْعَونَ. طُوبى للمَطرودينَ من أجل البِرِّ، لأنَّهم ملكوت السهاوات. طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كلَّ كلمةٍ شرِّيرةٍ، من أجلي، كاذبينَ. افرحُوا وتهلَّلوا، لأنَّ أجركم عظيمٌ في السهاوات، فإنهم هكذا طَرَدُوا الأنبياء الذين قبلكم» (متى ٥: ٣-١٢).

وذلك هو جوهر الأديان السهاوية كلِّها: التعايش والتعارف والتآلف بين الناس مهم اختلفت الأجناس والأعراق والمذاهب والمعتقدات: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُغَنَّلِفِينَ ﴿ اللَّهُ ﴿ (مرد).

ولو لم يكن ثمة اختلاف لما كان هنـاك ضرورة للـدعوة إلى التعـايش الـسلمي وحـسن الجـوار، والحـوار بـين الحضارات، وإنصاف الآخر.

الإسلام والآخر:

 إِلَيْهِ مِن زَيِّهِ ، وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَتَهِكَٰدِهِ وَكُثْبُهِ ، وَرُسُلِهِ ، لَانْفَرِّقُ بَيْکَ أَحَدِ مِن رُسُلِهِ ، وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ مَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَتَهِ كَذِهِ ، وَرُسُلِهِ ، لَانْفَرِّقُ بَيْکَ أَحَدِ مِن رُسُلِهِ ، وَالْمُومَ اللَّهُ عَالَمُ عَلَيْهُ مَا لَكُ عُفَرَانَكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمُصِيدُ السَّحِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا يَعْفَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاللَّهُ مِن رُسُلِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ وَلَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَمَلَتَهِ كَلِيهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاللَّهُ مِن رَبِّهِ وَمُلَكِهِ مَلْكُومُ وَرُسُلِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاللَّهُ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهِ وَاللَّهُ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهِ مِن رَبِيهِ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهِ مِن رَبِهِ وَاللَّهُ مِنْ أَنْ كُلُوا مِنْ مَا لَهُ مِنْ مُنْ إِلَيْكُ مِن رَبِّهِ مِن رَبِّهُ مِن مُنْ كُولُهُ مَنْ أَلَّهُ وَمُلَكِهِ وَلَا مُعْمَلِكُمُ وَلِي اللَّهُ مِن مُنْ إِلَيْكُ مَا مُعَلِي مِن رَبِهِ مِن رَبِيهِ مِن رَبِي مِن رَبِي مِن رَبِي اللَّهِ مِن رَبِيهِ مِن مُنْ اللَّهُ مِن مُنْ إِنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِن مُنْ اللْمُصِيدُ وَاللَّهُ مِنْ أَنْ أَلِي مُنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مِن مُن مُنْ اللَّهُ مِنْ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِن مُن مُنْ اللِّهُ وَاللَّهُ مُن اللَّهُ مِن مُن اللَّهُ مِن مُن اللَّهُ مِن مُن اللَّهُ مِن مُن مُن اللَّهُ مِن مُن مُنْ أَنْ أَنْ أَلِي مُن مُنْ إِنْ مُنْ مُنْ إِنْ مُنْ مُنْ إِلَيْنِ مُنْ مُنْ مُنْ إِنْ مُنْ مُنْ أَنْ مُنْ مُنْ الْمُونُ مُنْ مُنْ أَنْ مُنْ أَنْ مُنْ مُنْ أَنْ مُنْ مُنْ أَنْ مُنْ مُنْ مُنْ أَنْ مُنْ مُنْ أَنْ أَنْ مُن مُن أ

- ووضح القرآن أن التنوع والتهايز يكون حافزًا للتسابق والمنافسة في طريق الخير، قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْهُمْ شِرْعَةَ وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللهُ لَجَعَلَكُمْ أَمَةَ وَحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوكُمْ فِمَآءَ اتَنكُمْ أَفَا سَيَبِقُواْ ٱلْخَيْرَتِ ﴾ (المائدة: ٤٨).
- كما أكد القرآن الكريم أن التعدد والتنوع للتعارف، والتعارف تعاون وتآلف وتكامل، وليس صراعًا ولا نزاعًا، قال الله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأَنثَىٰ وَجَعَلْنَكُو شُعُوبًا وَقَبَآبِلَ لِتَعَارَفُواْ أَإِنَ أَكُمْ عِندَاللَّهِ أَنقَىكُمْ إِنَّ الله عَلِيمُ خَبِيرٌ الله الله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُو شُعُوبًا وَقَبَآبِلَ لِتَعَارَفُواْ أَإِنَ أَكُمْ عِندَ اللهِ أَنقَىكُمْ إِنَّ الله عَلَيْ خَبِيرٌ الله الله الله عالى: ﴿ يَكَالَيْهُمُ عَندُ اللهِ عَلَيْهُ خَلِيمٌ عَلَيْهُ خَلِيمٌ اللهِ الله على ا
- ومن الحقائق القرآنية الواضحة أن الأفضلية ليست بالتعصب والأماني، وإنها الذي يضع الإنسان في المقدمة عمله النافع الصالح، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلاَ أَمَانِيَ آهْلِ ٱلْكِتَابُّ مَن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجِّزُ بِهِ، وَلا يَجِدُ لَهُ، مِن دُونِ ٱللّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيرًا ﴿ الله الله على الأسباب المؤدية إليها، وتوضح أن إنجاز الطموحات ليس بالأحلام، فلا يستوي عامل وخامل، ولا يستوي كسول ومجتهد.

فالإنسان _إذن _هو الذي يختار مكانه من خلال عمله وعطائه وتضحيته، والمقدمة لن تكون أبدًا إلَّا لمن سلك أسبابها، أما الأدعياء وأصحاب الأماني فقد ردَّهم القرآن إلى الصواب في هذه الآية، حيث جاءت الآية في سياق تباهي أهل كل دين وعقيدة بأفضليتهم على من سواهم، فنزل القرآن حاسمًا في تحديد معيار الأفضلية: إنه العمل.

- ويؤكد القرآن علاقة الود والبر والتعاطف مع أهل الأديان الأخرى المسالمين لنا: ﴿ لَا يَنْهَـنَكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمَ يُقْلِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَدْ يُخْرِجُوكُم مِن دِينَرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّه يُحِبُ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ ﴾ (المنحنة).
- ومنهج القرآن في التعايش السلمي والود في معاملة الآخر يتأكد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَلَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَا عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَى اللَّهُ ع
- والقتال في الإسلام استثناء وليس قاعدة، استثناء تُلجئنا إليه الضرورة حين يُعْتَدى علينا على عرضنا وأرضنا وثروتنا، فأُذِنَ بالقتال لمن ظلم، قال تعالى: ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواً وَإِنَّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ ﴾ (الحج). فالقتال لرفع الظلم ومنع العدوان، وإن جنح المعتدي للسلم أمرنا القرآن بأن نوافق فورًا، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَكُوا لِلسَّلَمِ فَاجْنَحٌ لَمَا وَتَوَكَّلُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُو ٱلسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ ﴾ (الأنفال).

- وأمرنا القرآن أن نتبع الأحسن والأفضل، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَسَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ أَوْلَتَهِكَ ٱلَّذِينَ هَمْ اللَّهُ وَأُولَاتِهِكَ هُمْ أُولُواْ ٱلْأَلْبَبِ ۞ ﴾ (الزمر).
- وفي الإسلام سنَّ رسول الله ﷺ ثلاث سنن جسَّدت رؤية الإسلام للآخر الديني، وكيف أن الإسلام لا
 يكتفي بالاعتراف بالآخر الديني، وإنها يجعله جزءًا من الأمة والدولة، له كل الحقوق، وعليه كل الواجبات:

أُولى هذه السنن ـ نموذجًا للعلاقة بالآخر اليهودي ـ هي الصحيفة التي وضعها رسول الله على عقب الهجرة، والمحاور الأساسية لهذه الصحيفة تدور حول المساواة والعدالة بين النَّاسِ في إطار الأمة الوليدة وبواكير الدولة الجديدة، كما تنص على أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

وثانية هذه السنن ـ نموذجًا للعلاقة بالآخر النصراني ـ هي الوثيقة التي وضعها النبي النصارى نجران عهدًا بين الدولة الإسلامية الوليدة وبين النصارى، وفيها كتب رسول الله الله النجران وحاشيتها، وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض: جوار الله، وذمة محمد رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، ومِلَّتِهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وييَعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، أن أهي جانبهم، وأذبَّ عنهم، وعن كنائسهم وبِيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح .. وأن أحرس دِينَهم ومِلَّتَهم أين كانوا بها أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من مِلَّتي.. لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم عليهم المهدين ما عليهم وفيها عليهم»!

ويظهر لنا واضحًا من نَصِّ الصحيفة اعتراف الإسلام بالآخر، وقبوله، وتكريمه، والاندماج معه، واحترام خصوصياته. [راجع: وثيقة المدينة مع اليهود ووثيقة نصارى نجران في (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) لمحمد حميد الله].

وثالثة هذه السنن _ نموذجًا للعلاقة بأهل الديانات الوضعية _ كانت على عهد عمر بن الخطاب على حين عرض أمر معاملة أصحاب الديانات الوضعية على مستشاريه بالمسجد النبوي فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف الله الكتاب الديانات الوضعية على مستشاريه بالمسجد النبوي فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف الله الكتاب وعُومل أهل أشهد أن رسول الله الله الكتاب عبر تاريخ الحضارة الإسلامية.

- وهناك مواقف لا تحصى لتأكيد أن علاقة الإسلام بالآخر تقوم على السهاحة والعدالة واحترام حقوقه، من ذلك أن القرآن الكريم أكد أن اختلاف الدين لا يجوز أن يكون مدعاة للظلم أو التغابن، وأنه إذا كانت هنالك أطراف معادية وبيننا وبينها خصام، فذلك كله يجب إبعاده عن مقتضيات العدالة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِ مَنَكُ مُ شَنَاكُ لُ قَوْمٍ عَلَى اللهُ الله
- ولطالما احتكم مسلمون وغير مسلمين إلى القضاء الإسلامي، فكانت العدالة تفرض نفسها دون تفرقة بين أطراف النزاع، يشهد لذلك العديد من المواقف العملية في تاريخ الحضارة الإسلامية، من ذلك موقف عمرو بن

العاص عندما كان واليًا على مصر في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أسب اشبك ابن له مع أحد المصريين، وأغراه سلطان أبيه فضرب الرجل، ومصر يومئذ حديثة عهد بالفتح، والمنتظر أن يستكين المضروب لابن القائد الفاتح الذي هزم أكبر دولة في الأرض ورمى بجيشها في البحر الأبيض المتوسط، لكن المجني عليه كان يأنس في الإسلام وحكمه غير هذا الذي نزل به، فأقسم ليبلغن شكواه إلى أمير المؤمنين عمر أب لكن الولد الذي ضربه وجد في هذا حماقة فقال له: افعل، فلن تضيرني شكواك، أنا ابن الأكرمين!

وبينها كان عمر بن الخطاب بين خاصته وعمرو بن العاص وابنه في مجلسه، والمدينة غاصة بالوفود في موسم الحج، قدم المصري المظلوم وقال لعمر: يا أمير المؤمنين، إن هذا _ وأشار إلى ابن عمرو _ ضربني ظلمًا، ولما توعدته بالشكوى إليك قال: افعل، فلن تضيرني شكواك، أنا ابن الأكرمين!

فنظر عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص نظرة استنكار وقال له هذه الكلمة العظيمة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!». ثم توجه إلى الشاكي وناوله سوطه وقال له: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك! لقد أنصف عمر الإسلام بهذا الحكم.

- ومن المواقف العملية التي تؤكد أن الإسلام دين يقوم على السماحة في معاملة الآخر، وعلى احترام أواصر الإنسانية التي تجمع بين بني آدم قاطبة:
- ما رواه البخاري قال: إن النبي ﷺ مرَّت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودى! فقال ﷺ: «أليست نفسًا»
- وروى سفيان عن حماد بن أبي سليهان عن الشعبي أن أم الحارث بن أبي ربيعة ماتت وهي نـصرانية فـشيعها
 أصحاب النبي ربيعة ماتت وهي نـصرانية فـشيعها
- والحق أن الإسلام يوصد كل الأبواب أمام الذين يستهينون بأقدار الآخرين وحقوقهم، ولنتأمَّل ذلك الخطاب القرآني العامَّ لـ «الإنسان»، ولـ «الناس»، ذلك الخطاب الذي يفيض رحمةً وحنانًا: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلإِنسَنُ مَا غَرَكَ بِرَيِكَ الْحَطاب القرآني العامَّ لـ «الإنسان» ولـ «الناس»، ذلك الخطاب الذي يفيض رحمةً وحنانًا: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلإِنسَنُ إِنَكَ كَادِحُ إِلَى رَبِكَ الْحَصَرِيمِ (الانفطار)، ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلْإِنسَنُ إِنَكَ كَادِحُ إِلَى رَبِكَ كَدُّ اللَّهُ مَن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيمًا وَيَسَامُ وَلَيْكَمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَق مِنْهَا رَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيمًا وَيَسَامُ وَشِفَاهُ وَاللّهُ الذّي شَلَة لُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ ۚ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (الله عَلْ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِيكُمْ وَشِفَاهُ وَاللّهُ الذّي اللهُ اللهُ اللهُ الذّي اللهُ اللهُ الذّي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الذّي اللهُ الذّي اللهُ اللهُ الذّي اللهُ الذّي اللهُ اللهُ الذّي اللهُ اللهُ اللهُ الذّي اللهُ الل

وحسب الإنسان من الفخر أن الله تعالى أنزل في كتابه العظيم سورة اسمها "سورة الإنسان"، تبدأ بقوله تعالى:

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الجنائز، باب: من قام لجنازة يهودي، (٣/ ٢١٤)، رقم (١٣١٢).

٢. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب: أهل الكتاب، باب: اتباع المسلم جنازة الكافر، رقم (٩٩٢٦).

﴿ هَلَ أَتَى عَلَى ٱلْإِنسَنِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْعًا مَّذَكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَنَ مِن نُطُفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ ﴾ (الإنسان).

وما علينا إلَّا أن نصغي إلى تلك النداءات الإلهية الكريمة؛ لتكون لنا نورًا وهدَّى وشفاءً وصلاحًا.

لماذا موسوعة بيان الإسلام؟

- يتعرض الإسلام: (القرآن الكريم، الرسول ﷺ، السنة النبوية المطهرة) إلى حشد هائل من المطاعن والشبهات والافتراءات، انطلقت سهامها من جهات شتى، وقد تخصصت بعض الفضائيات في نشر وإشاعة هذه الشبهات، وقام بالأمر نفسه مواقع إلكترونية على شبكة المعلومات الدولية «Net»، وكذلك النشر الورقي في كتب ومطويات... إلخ؛ وقد ترتب على ذلك أن دارت أسئلة عند كثير من الشباب حول هذه الشبهات: لماذا؟ وهل هذا صحيح؟ وأين الحقيقة وسط هذا الضباب الذي يريدون به أن يطفئوا نور الله؟
- وعند مناقشة بعض هذه الشبهات على شاشة بعض القنوات الفضائية، دُعي عالمان إلى الحلقة وكانت عن "الرِّق"، ولم يكن العالمان قد استوفيا الشبهة دراسة وتحضيرًا للرد، وانتهى الأمر بالانفعال وقال أحدهما للمذيعة: "هذا هو الإسلام واللي مش عاجبه يضرب راسه في الحيط ديننا وعاجبنا كده"!
- إن الردود الخاطئة والعجلى تسهم في البلبلة ومط توابع الشبهة، ولا تأخذ مثل هذه الردود بيد المخالف إلى الحق الواضح ليصل الجميع إلى بر الأمان.

الدكتورنبيل لوقا بباوي نادى بفكرة الموسوعة:

ومن شواهد الحق لهذه الموسوعة، أنها عمل علمي طالب به أخ حبيب وباحث علمي مدقق من الإخوة المسيحيين، إنه الدكتور نبيل لوقا بباوي الذي نادى بفكرة الموسوعة في كتابه «عبقرية محمد بلا تعصب أو مجاملة» حيث قال: «صناعة العداء للإسلام ورموز الإسلام ليست وليدة اليوم، ولكنها موجودة منذ ظهور الإسلام، سواء أيام الدعوة المغلقة للإسلام لمدة ثلاث سنوات بعد نزول الوحي على الرسول إفي مكة من عام ١٦٠م إلى ١٦٣م، أو بعد الدعوة العلنية للإسلام بعد ذلك التاريخ، منذ ذلك والإسلام يتعرض لأبشع أنواع الافتراء والإساءة، وسوف

يتعرض الإسلام للإساءة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد تعرض الرسول \$ للإساءة في مكة والمدينة في أول ظهور الإسلام، ورد في سورة (ص): ﴿ وَعَجْوًا أَن جَاءَمُ مُنذِرٌ مِنْهُم وَكَالُ الْكَفِرُونَ هَذَا سَحِرٌ كَذَابُ ﴿ عَلَى الرسول الله المسلم، وليد اليوم ولكنه منذ فجر الإسلام، وسوف تظهر حملات التسكيك في الرسول \$ والإساءة إليه مستقبلًا؛ ولذلك يجب على المسلمين ألَّا يستسلموا لمشاعر الغضب والثورة لمجرد الشورة، بالمظاهرات وإحراق السفارات؛ لأن ذلك لا تؤيده مبادئ الإسلام؛ لأن الإسلام يأمرهم أن يعفوا عند المقدرة ويصفحوا، ولا يتصرفوا تصرفات الجاهلية التي تسيء إلى الإسلام؛ لأن الإسلام يأمرهم أن يعفوا عند المقدرة ويصفحوا، ولا الإسلام ورموزه أصبح استراتيجية ثابتة في الغرب على أساس تفكيك العالم الإسلامي بالتشكيك في عقيدتهم ورسولهم، فلا يجب أن يعطي المسلمون الحجة والأسانيد لأعداء الإسلام بمذه المظاهرات التي تحرق السفارات؛ لأن هناك عدة جهات وخاصة اللوبي الصهيوني في الممالح استراتيجية في العداء بين الدول الإسلامية والدول الغربية وأمريكا؛ لذلك من الخطأ مواجهة العداء وأفعال الإساءة إلى الإسلام بمظاهرات الغضب القاتل وبإشعال الحرائت وأمريكا؛ لذلك من الخطأ مواجهة العداء وأفعال الإساءة إلى الإسلام بمظاهرات الغضب القاتل وبإشعال الحرائت وقتل الدبلوماسين؛ لأن ذلك فغ منصوب للمسلمين يجب ألا ينزلقوا فيه، ويجب عليهم التمسك بالمبدأ الإسلامي ومن وحكيل لمهذا الغشاء المعدائية؛ لأن المسلمين يملكون الحجة في الرد على كل الكتب من خلال التاريخ الإسلامي ومن خلال أقوال الفقهاء المعتدلين، وقبل هذا وذاك من خلال الكتاب والسنة.

وكل ذلك يدفعني لإعادة الاقتراح للمرة العاشرة بضرورة عمل عدة مراكز ومعاهد إسلامية في أوربا وأمريكا ثم بعد ذلك في بقية دول العالم مثل المراكز الاستشراقية في أوربا وأمريكا، ويكون هدف المراكز الإسلامية الرد على كل دعاوى الإفك والكذب والإساءة إلى الإسلام أو رموزه من خلال الإنترنت والكتب والأقلام الصحفية وإنشاء الصحف والدوريات والأبحاث العلمية والندوات والاجتهاعات وورش العمل، ولنبدأ بمركزين أحدهما في أمريكا والآخر في أوربا، ويكون تمويله من أموال الزكاة للأغنياء من المسلمين والدول العربية والإسلامية. فقد شاهدت في أوربا بعض الأغنياء العرب والمسلمين وهم قلة قليلة يعيشون عيشة البذخ في صالات القهار وحانيات الخمر، فأيها أفضل للمسلمين: الدفاع عن الإسلام ورسوله، أم صرف أموالهم في أشياء غير نافعة؟ وهل لدى المسلمين أغلى من الإسلام ورسوله تلاحتى يدافعوا عنه؟ وأنا رغم كوني مسيحيًّا أرثوذكسيًّا أؤمن بديانتي إلى آخر يوم في عمري الإسلام ورسوله تلاحتى عشرة آلاف دولار لإنشاء أحد هذه المراكز الإسلامية في أوربا، من منطلق أنني أومن بديانة سهاوية وهي المسيحية، تدعو للمحبة مع الآخر، وأن ما يربطنا مع المسلمين في مصر هو أكثر من المحبة والأخرة والصداقة، بل هو المصير المشترك، فها يؤذي أخي المسلم يؤذي المسيحي، وما يؤذي المسيحي يؤذي المسلم؛ لذلك قيام قداسة البابا شنودة الثالث بعقد مؤتمر صحفي في شهر أغسطس ٢٠٠٦م وندد بها فعله بابا الفاتيكان بندكت السادس عشر من الإساءة للرسول؛ لأن ما يسيء للمسلمين يسيء للمسيحيين، وما يسيء للمسيحيين يسيء للمسلمين يسيء للمسلمين يسيء للمسلمين المنه عشر من الإساءة للرسول؛ لأن ما يسيء للمسلمين يسيء للمسيحيين، وما يسء للمسيحيين يسيء للمسلمين».

جهود سابقة مشكورة:

- تمت الإفادة من جهود علمائنا في الرد على الشبهات قديمًا وحديثًا.
- ومن جهود القدماء ما جاء في ثنايا كتب التفسير، وما جاء مستقلًا في كتب متخصصة نذكر منها:
 - الرد على ابن الراوندي الملحد ـ للجاحظ.
 - مشكل القرآن ـ لابن قتيبة الدينوري.
 - التمهيد، إعجاز القرآن ـ لأبي بكر الباقلاني.
 - تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار.
 - الرد الجميل للإمام أبي حامد الغزالي.
- وفي العصر الحديث تتابعت الجهود نافعة مشكورة، بين فردية وجماعية، نـذكر منها ـ على سبيل المشال لا الحصر _ كتاب "حقائق الإسلام وأباطيل خصومه" لعباس العقاد، وكتاب "شبهات حول الإسلام" لمحمـ قطب، والجهود المشكورة لعلمائنا كالشيخ محمد الغزالي والدكتور عبد العظيم المطعني، والجهود المشكورة لـ د. محمـ د عـمارة، د. يوسف القرضاوي، وغيرهم كثير. ومن نتائج الجهود الجماعية المجلد الذي نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لمجموعة علماء بإشراف د. محمد حمدي زقزوق، تحت عنوان "حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين".
- على أن الميدان أمام هذا الهجوم الموسع على الإنترنت والفضائيات والكتب جعل الحاجة ماسة إلى عمل
 علمي متكامل يغطى مختلف ميادين الاشتباه، يقوم به أفْرِقةٌ من العلماء في شتى التخصصات.
 - من هنا جاءت فكرة موسوعة: "بيان الإسلام.. الرد على الافتراءات والشبهات".
- وبعد لقاءات مع كبار العلماء من تخصصات مختلفة، ومناقشة منهج الموسوعة، تم تحديد هذا المنهج، والذي يتركز في البيان التالي:

معيار الشبهة:

- هي كل زعم أو ادّعاء أو افتراء يتضمّن طعنًا أو تشكيكًا في كل ما يوصف عن حقّ بأنه إسلامي، من حقائق ومبادئ وثوابت وأصول.
- وبتطبيق هذا المعيار المحدِّد لنطاق الشبهة؛ يخرج من الاعتبار كلُّ ما من شأنه أن يكون مجرد سبِّ أو قذفِ أو تطاول، وكذلك الاختلاف (أو ما يبدو اختلافًا) بين المذاهب الإسلامية، بالإضافة إلى ما يُعتبر نقدًا لسلوك المسلمين (لأنها استثناءات ينبغي ألا نعممها)، فضلًا عما يُعدُّ من قبيل التساؤلات الدينية والاستفتاءات الفقهية، وحتى التفسير الخاطئ أو الفهم القاصر لبعض النصوص أو قضايا الدين... كل هذا كانت تُخرجه مراحل الفرز والتصنيف وغيرها عند تحكيم المعيار.

منهج الموسوعة في الرد:

تقوم هذه الموسوعة على المنهج العلمي الذي يعتمد على مناقشة الأفكار، والحرص على الدليل الصحيح المقنع، ويمكن تحديد ملامح منهج الرد في المحاور التالية:

- ١. بيان فكرة الشبهة.
- ٢. بيان فكرة أو أفكار الرد عليها.
- ٣. البدء بالمنهج العقلي في الرد؛ لأن المخالف في الأعم الأغلب لا يؤمن بقرآن أو سُنَّة.
- ٤. إلحاق الرد النقلي بعد التأسيس العقلي له، والرَّبط بينهما بعبارة: وهذا الذي استقر لدى العقلاء يلتقي مع هدي القرآن والسنة، كما في...
 - ٥. ثم نختم بخلاصة مركزة بعد التفصيل.

منهج التكشيف والإحالات بالموسوعة:

من مميزات هذا العمل الكبير تكشيفه وفهرسته وتزويده بشبكة الإحالات الموضعية، وذلك من خلال ثلاثة كشافات، هي:

الأول: الكشاف الشجري لعناوين الشبهات:

وفيه رُتِّبت عناوين الشبهات ترتيبًا علميًّا منطقيًّا حسب ورودها في متون الأجزاء، وتم إعداد هذا النوع من الكشافات ليتعامل به القارئ للبحث عن عناوين بذاتها، وللتعرف على محتوى كل جزء من خلال تصفُّح هذا الكشاف الوجهي (الذي يحتل وجه كل جزء)، بالإضافة إلى الكشاف الشجري (الشامل لكل عناوين الشبهات الواردة في الموسوعة) مرتبةً وفق ترتيب الأجزاء التي تتضمنها، بحيث يُنتُ على المحور العام الذي تندرج تحته الشبهة، ثم رقم الشبهة في الجزء متبوعًا بعنوان الشبهة، ورقم الصفحة التي وردت فيها.

الثاني: الكشاف الموضوعي للقضايا:

يغطي هذا الكشاف جميع القضايا التي عولجت في الموسوعة؛ حيث يستطيع الباحث الحصول على جميع القضايا ذات الصلة في الموسوعة بأكملها، مجموعة تحت رأس موضوع واحد يُسمَّى الكلمة المدخلية أو المحورية أو البحثية أو المفتاحية (وهي أبرز كلمة تشترك فيها القضايا ذات الصلة من حيث المفهوم أو المضمون أو المحتوى)، وقد رُتَّبت هذه الكلمات المدخليَّة حسب الجذر اللغوي لها، فقضايا التوحيد مثلا يجدها الباحث في حرف الواو، وقضايا الاجتهاد يجدها الباحث في حرف الجيم، وهكذا، وأُدرِجتْ تحت كل كلمة مدخلية أو محورية من هذه الكلمات مجموعةُ القضايا المتعلقة بها، مصحوبةً بمسارها المحدَّد في الموسوعة (رقم الجزء الذي وردت فيه / يليه رقم الشبهة التي وردت فيه / يليه رقم وجه الإبطال الذي عولجت فيه القضية).

الثالث: الكشاف الموضوعي للآيات القرآنية:

ويختلف هذا الكشاف من حيث الغرض والتنفيذ عما يهائله من كشافات الآيات والأحاديث؛ فليس الغرض منه تجميع الآيات التي وردت فيها، فذلك أمر بعيد؛ وإنها الغرض منه هو رصد الآيات التي تتعلق بشبهة ما، كأن تكون محلًا للشبهة أو استدلالًا عليها (من وجهة نظر مثيريها). ثم إنه يختلف في التنفيذ أيضًا؛ لأنه حتمًا سيتضمن الإشارة إلى الشبهة أو القضية التي تدور حولها الشبهة، ومسارها في الموسوعة، إلى جانب رقم الآية واسم السورة. وبمطالعة هذا الكشاف يستطيع الباحث الحصول على جميع الشبهات أو القضايا التي تتعلق بآيةٍ ما أو بآيات سورةٍ ما.

أسلوب الإحالات:

نأتي في ختام هذا العنصر إلى ميزة من مميزات الموسوعة، وهي أسلوب الإحالات الدقيق المحكم، الذي يسربط بين القضايا ذات الصلة ربطًا قويًّا يجعل الباحث ملمًّا بجميع أطراف القضية بفضل ما يتيحه نظام الإحالة من مطالعة زيادات وتفاصيل أكثر؛ بغية التسهيل على القارئ في ربط القضايا المتشابهة بعضها ببعض.

وقد كانت الإحالات موزعة على أربعة أنواع، هي:

- إحالة من شبهة إلى شبهة.
- إحالة من شبهة إلى وجه.
- إحالة من وجه إلى وجه.
- إحالة من وجه إلى شبهة.

كما اتبعت الإحالة صيغة ثابتة موحَّدة هي:

இ في قضية كذا (ويُنصُّ على عنوان القضية) طالع: الوجه كذا (ويُنص على رقم الوجه) من السبهة كذا (ويُنص على رقم البنهة).
 (ويُنص على رقم الشبهة) من الجزء كذا (ويُنص على رقم الجزء وعنوانه).

منهج التوثيق والتخريج بالموسوعة:

ينقسم التوثيق والتخريج بالموسوعة إلى ثلاثة أنواع:

- 1. التوثيق الخلالي، ويتم تطبيقه خلال المتن (ومن هنا أُطلق عليه التوثيق الخلالي)، والغرض منه:
- تخريج الآيات القرآنية بذكر: (السورة: ورقم الآية)، والاكتفاء باسم (السورة) فقط إذا تضمنت الآيات المدرجة أرقامَها، معتمدين على مصحف المدينة للنشر الإلكتروني.
- تخريج النقول من الكتاب المقدس بذكر (السّفْر أو الإنجيل ورقم الإصحاح، ورقم الفقرة) معتمدين على:
 ترجمة فاندايك بستاني المأخوذة من أصول الأغاني العبرية واليونانية.

- توثيق النصوص والنقول المستأنس بها في المتن بإحدى الصيغ التقريرية، مثل: ويؤيد هذا ما ذهب إليه فلان في كتابه كذا، ويُذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب (مع الإشارة أو عدم الإشارة له في الحاشية السفلية وفق نوع النقل).
 - ٢. توثيق الحواشي، ويُنفَّذ في الحاشية السفلية، ويحتوي على:
- البيانات الببليو جرافية للمصدر، وتذكر وفق الترتيب التالي: عنوان الكتاب، اسم المؤلف، دار الطبع، مكان الطبع، الطبع، الطبع، الطبع، الطبعة، تاريخ الطبع هجري/ ميلادي، رقم الصفحة. (مع بداية الترتيب العددي لكل صفحة، ومراعاة الفاصلة بين البيانات عدا التاريخ الهجري والميلادي فيُقصل بينها بالشرطة المائلة.

ويُراعى هذا عند أول ورود للمصدر، ويُكتفى بالإشارة إلى (عنوان الكتاب، اسم المؤلف، مرجع سابق، رقم الصفحة) كلما ورد المصدر في الجزء نفسه مسبوقًا بغيره. مع شيء من الاختلاف في البيانات الببليوجرافية وفق نوع المصدر (كتاب، مجلة، رسالة، بحث، صحيفة...).

تخريج الأحاديث النبوية والآثار:

لقد تم وضع منهج دقيق متكامل لتخريج الأحاديث النبوية والآثار، ويمكن تلخيص هذا المنهج في النقاط الآتية:

- يتم ذكر (الكتاب، الباب، رقم الحديث في الكتب المطبوعة).
 - الاعتباد على البخاري ومسلم أولًا.
- يوضع الحكم على الحديث قبل التخريج التفصيلي؛ ليتأكد القارئ والباحث بطريقة سريعة من حكم الحديث.
- يؤخذ الحكم على الحديث _ ما عدا أحاديث البخاري ومسلم _ من الشيخ الألباني في الكتب التي حققها مثل "السلسلة الصحيحة... إلخ" أو الأرنؤوط في "صحيح ابن حبان و مسند أحمد بن حنبل"، أو بتعليقات الهيثمي في كتابه "مجمع الزوائد"، أو الذهبي في "التلخيص على مستدرك الحاكم"، أوحسين سليم أسد في "سنن الدارمي ومسند أبي يعلى"، أو الشوكاني في "نيل الأوطار"، أو ابن حجر في "تلخيص الحبير".
- عدم التعويل مطلقًا على الحديث الضعيف، فإذا وجد الضعيف فعلينا إيجاد البديل الصحيح، أو ما في معناه من الصحيح.
 - باقي الكتب ـ بعد ذلك ـ يُتبع فيها الترتيب التاريخي في إيراد كتب التخريج.
 - يدخل البخاري في الترتيب التاريخي إذا ذُكر الحديث في كتابه "الأدب المفرد".
 - الالتزام بالراوي الأعلى قوة.
- إذا جاءت الرواية بأكثر من راوٍ نذكر الراوي الذي سنأخذ منه الحديث في سياق ما قبل الحديث _ وليس غيره إذا تعددت الروايات _ ونذكر التخريج التابع لراوي الرواية.

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات ______

- الاطمئنان إلى أن الحديث لم يذكر في الكتاب إلا مرة واحدة.
 - الاكتفاء بكتابين + الحكم.
- الاعتماد على اللفظ الموجود إن كان صحيحًا، والمعنى عند الأقوى.
- إذا جاءت الرواية عند البخاري مطابقة للمكتوب على الورق وعند مسلم بنسبة ٩٠٪ بمعناها نقول: عند مسلم "بنحوه"، إلا إذا اتفق راوي الحديث عند مسلم والبخاري في ذلك نخرج الحديث مع عدم ذكر "بنحوه"، أما إذا جاء لفظ مسلم مغايرًا للمكتوب على الورق بلفظ مختلف نكتب في نهاية التخريج: "بلفظ: كذا".
- ٣. التوثيق الببليوجرافي، ويُنفَّذ في قائمة المصادر والمراجع التي اعتُمد عليها في الموسوعة بأكملها. وفيه يتم توثيق المصادر والمراجع وفق الطريقة الآتية: (عنوان الكتاب، اسم المؤلف، دار الطبع، مكان الطبع هجري/ ميلادي مع مراعاة الترتيب الألفبائي للمصادر والمراجع).

الإجراءات التنفيذية للموسوعة:

مر العمل بالمراحل التالية:

- ١. مرحلة التخطيط وتحرير المنهج والمعايير والضوابط التي تحفظ لموسوعة "بيان الإسلام" سمة العلمية،
 والوسطية، ومنطق الحوار والرد الجميل الذي يحترم الآخر ويحب له الخير.
 - ٧. مرحلة جمع مادة الشبهات من مصادرها المختلفة (إلكترونية/ ورقية/ فضائية... إلخ).
 - ٣. مرحلة التصنيف (عام داخلي فرعي).
 - مرحلة جمع الردود من مظانها وحصر الجهود السابقة في الرد (قديمًا وحديثًا).
 - o. مرحلة تحرير الرد النهائي حسب المنهج المحدد للموسوعة المبين تحت عنوان « منهج الموسوعة في الرد ».
 - الصف على الحاسوب والتنسيق الآلي.
 - ٧. المراجعة الأولى والتدقيق المنهجي والتثبت من توثيق النقول وتوحيد أسلوب التحرير.
 - ٨. المراجعة الثانية والإقرار العلمي للردود من قبَلِ هيئة العلماء المراجعين، كل في تخصصه.
- ٩. إعداد كشاف القضايا الفكرية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكلمات المفتاحية للموسوعة،
 وإنجاز الفهارس والإحالات.
 - ١٠. المراجعة الثالثة، وقام بها كبار العلماء في كل تخصص.
 - ١١. الإخراج النهائي، وتجهيز النسخة الورقية للطبع.
- هذه هي المراحل الأساسية التي مر بها العمل بالموسوعة (النسخة الورقية)، وكل مرحلة لها تفصيلات كيفية أخرى.

الالتزام العلمي للموسوعة:

- الأسلوب الحجاجي والترابط الفكري المتبع في الكتابة: مع تجنب الصبغة المقالية في إيراد المعلومات، والبعد عن نغمة الهجوم والشدة في رد الفعل؛ كي يتميز هذا العمل بأسلوب علمي منطقي في الحجاج والحوار وعرض وجهات النظر وتحليلها وتفنيدها، والانطلاق من المسلمات والنقاط المشتركة أو المتّفق عليها، ثم إثارة الأسئلة التي تقلب الحجة، والاستئناس بشهادات المنصفين والإحصاءات الواقعية والأحداث التاريخية والحقائق العلمية والنصوص الدينية... إلخ، مما يقوي الحجة ويقيم الدليل ويبطل الزعم أو الادعاء.
- الوسطية الفكرية: لا يكاد الباحث أثناء قراءة هذا العمل يلمس تحيُّزًا لفكر بعينه، أو صدَّى لمذهب بذاته، أو صبغةً لتوجُّهٍ ما، وإنها النصيب الأكبر والحظ الأوفى للوسطية والاعتدال. ولا يخفى أن هذا العمل للأمة بأجمعها، لا لطائفةٍ أو تيارٍ أو مذهبٍ أو جماعة. وعلى هذا فالمعيار الذي احتكمنا إليه هو الوسطية والاعتدال والإجماع وما اتفق عليه العلماء الثقات، دون التطرق لما يوصف بأنه محل اختلاف أو اجتهاد فردي بين العلماء، خاصة المسائل العقدية أو المذهبية أو الفقهية التي يحلو للبعض إثارتها بين الحين والآخر لأسباب لا تخفى على ذي بصيرة. ومن هنا فكل مسلم اتًا كان توجهه ـ سوف يجد في هذه الموسوعة ما يتفق فيه مع غيره، وكما قال أكثر علمائنا عمن تفضلوا بإقرار هذا العمل واعتهاده: هذا تميز محمود وتوحيد للقراء على اختلاف ميولهم وتوجهاتهم الفكرية على عملٍ واحد.

إلى مَن تُوجَّه هذه الموسوعة؟

- كل مسلم ومسلمة من الشباب، والمثقفين؛ لذلك روعي سهولة الأسلوب.
- الخطباء، والوعاظ، وعموم الدعاة إلى الله تعالى؛ لتكون مرجعية لهم إذا ما طلب منهم بيان موقف الإسلام من شبهة ما.
 - أصحاب الديانات السهاوية؛ لعرض حقائق الأمور بين أيديهم.
 - كل باحث يرغب في معرفة حقيقة الإسلام خالصةً مَّا أُلْصِقَ به من شبهات وافتراءات.

أقسام الموسوعة وعناوين الأجزاء:

تشمل موسوعة "بيان الإسلام" ثلاثة أقسام: (القرآن، الرسول، السنة).

أولا: القرآن

تم إخراج هذا العمل في أحد عشر مجلدًا، تشتمل على تسعة عشر جزءًا، بالإضافة إلى مجلد للفهارس، تمَّ ترتيبها على النحو الآتي:

المجلد الأول: الجزء الأول: الشبهات التي تولى القرآن الرد عليها.

المجلد الثاني: الجزء الثاني: شبهات حول ما تُوهِّم من أخطاء لغوية في القرآن.

المجلد الثالث: الجزء الثالث: شبهات حول التاريخ الإسلامي (١) (ما قبل الإسلام - إسلام الصحابة - هجراتهم - عالمية الإسلام وانتشاره - خلافة أبي بكر).

الجزء الرابع: شبهات حول التاريخ الإسلامي (٢) (خلافة عمر _الفتنة الكُبرى _الخلافة الأُموية _الخلافة العباسية).

الجزء الخامس: شبهات حول النظم الحضاريّة في الإسلام.

المجلد الرابع: الجزء السادس: شبهات حول العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد (الألوهية _ الربوبية _ الأساء والصفات).

الجزء السابع: شبهات حول الإيمان والتدين (الإيمان بالغيب _ القضاء والقدر _ الفرق والمذاهب الفكرية). **الجلد الخامس: الجزء الثامن:** شبهات حول مقارنة الأديان.

المجلد السادس: الجزء التاسع: شبهات حول الأنبياء والرسل (١) (من آدم الطِّين إلى موسى الطِّين).

الجزء العاشر: شبهات حول الأنبياء والرسل (من داود الله إلى محمد ﷺ).

المجلد السابع: الجزء الحادي عشر: شبهات حول سلامة القرآن وتمامه.

الجزء الثاني عشر: شبهات حول عصمة القرآن وكماله.

المجلد الثامن: الجزء الثالث عشر: شبهات حول العبادات والمعاملات الاقتصادية في الإسلام.

المجلد التاسع: الجزء الرابع عشر: شبهات حول العلاقات الدولية في الإسلام (الجهاد _ الرق والتسري _ العلاقات السلمية).

الجزء الخامس عشر: شبهات حول السياسة الجزائية في الإسلام (الحدود والعقوبات ـ القصاص والدية ـ التعزيرات).

المجلد العاشر: الجزء السادس عشر: شبهات حول أصالة التشريع الإسلامي وعدم تبعيته.

الجزء السابع عشر: شبهات حول مرونة التشريع الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان وحال.

الجلد الحادي عشر: الجزء الثامن عشر: شبهات حول المرأة وحقوقها في الإسلام.

الجزء التاسع عشر: شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام.

المجلد الثاني عشر: الجزء العشرون: فهارس.

الجزء الحادي والعشرون: فهارس.

ثانيًا. الرسول

تم إخراج هذا العمل في ثلاثة مجلدات، تشتمل على ستة أجزاء، بالإضافة إلى مجلد للفهارس، تـمَّ ترتيبهـا عـلى النحو الآتي:

المجلد الأول: الجزء الأول: شبهات حول حياة النبي ﷺ الخاصة (نسبه ومولده - حياته الخاصة).

الجزء الثاني: شبهات حول أخلاق النبي ﷺ.

المجلد الثاني: الجزء الثالث: شبهات حول عقيدة النبي ﷺ وعصمته ومعجزاته.

الجزء الرابع: شبهات حول دعوة النبي ﷺ وتبليغه الوحى.

المجلد الثالث: الجزء الخامس: شبهات حول نبوة النبي ﷺ وعلاقته بأهل الكتاب.

الجزء السادس: شبهات حول تشريعات النبي على وسياسته وجهاده.

المجلد الرابع: الجزء السابع: فهارس.

ثالثًا. السنة

تم إخراج هذا العمل في سبعة مجلدات، تشتمل على اثني عشر جزءًا، بالإضافة إلى مجلد للفهارس، تـمَّ ترتيبها على النحو الآتي:

المجلد الأول: الجزء الأول: شبهات حول مصدر السنة وحجبتها.

الجزء الثاني: شبهات حول تدوين السنة والوضع فيها.

المجلد الثاني: الجزء الثالث: شبهات حول عدالة الصحابة (١) (الطعن في أبي هريرة).

الجزء الرابع: شبهات حول عدالة الصحابة (٢).

المجلد الثالث: الجزء الخامس: شبهات حول الأئمة والرواة.

الجزء السادس: شبهات حول دواوين السنة.

الجزء السابع: شبهات حول قضايا الإسناد والمتن.

المجلد الرابع: الجزء الثامن: شبهات حول أحاديث العقيدة (١) (الإلهيات).

الجزء التاسع: شبهات حول أحاديث العقيدة (٢) (النبوات).

المجلد الخامس: الجزء العاشر: شبهات حول أحاديث العقيدة (٣) (السمعيات).

المجلد السادس: الجزء الحادي عشر: شبهات حول أحاديث الفقه (١) (العبادات)

المجلد السابع: الجزء الثاني عشر: شبهات حول أحاديث الفقه (٢) (المعاملات وأبواب أخرى).

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات __________________

المجلد الثامن: الجزء الثالث عشر: فهارس.

الجزء الرابع عشر: فهارس.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجزي القائمين عليه خير الجزاء، ﴿ رَبَّنَا لَقَبَّلُ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجزي القائمين عليه خير الجزاء، ﴿ رَبَّنَا لَقَبُّلُ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قالوا عن الموسوعة

العلماء الذين راجعوا الموسوعة، كتب كل منهم تقريرًا يُعبِّر عن رؤيته لها

• الأستاذ الدكتور/ الأحمدي أبو النور .. وزير الأوقاف الأسبق، كتب يقول:

هذه الموسوعة عمل علمي منهجي جاء في أوانه؛ لأن الواقع يتطلبه بشدة، وفَّق الله القائمين عليه، وجعله في ميزان حسناتهم.

• الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم .. أستاذ الحديث وعلومه، ورئيس جامعة الأزهر الأسبق، كتب يقول:

إن موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات" من أقوى الموسوعات وأهمها وأبلغها، اضطلع بها وقام على إنجازها عالم جليل، وداعية مخلص نبيل، وزميل فاضل وَدُود، ألا وهو فضيلة الأستاذ الدكتور محمد داود، جزاه الله كل خير على هذه الجهود العلمية في خدمة الإسلام والقرآن والسنة النبوية.

إنها حقًّا جهود تُذكر فتُشكر، وهي_بلا شك_تعتبر أكبر الموسوعات وأقواها، وتتسم بطابع علمي دقيق، ومَنْحًى ديني عميق لم تُسبق إليه.

وتكاد هذه الموسوعة أن تستوعب أكثر الشبهات _إن لم يكن كلها _بالرُّدود البليغة الرائعة، وتجلية الحقائق الناصعة التي تنتصر لدين الله، وترد عن حمى الحديث النبوي الشريف كل الشبهات، وتدرأ عنه كل الافتراءات التي افتراها أصحاب الأهواء الجامحة، وأعداء السنة النبوية، ومَن لفَّ لفّهم وسار على منوالهم.

وانطبق على من اضطلع بهذه الموسوعة هذا البيان: (يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

ولقد جاءت هذه الموسوعة جديدة في منهجها، مستوعبة كل المجالات العلمية، ومُطَوِّفة بكل الفروع الدينية ببحوث مستفيضة، واستيعاب يَجِل عن النظير، فهي لم تُسْبَق في ابتكارها واستيعابها.

وتأتي هذه الموسوعة في توقيت حساس، وفي منعطف خطير تمر به أمتنا الإسلامية وعالمنا الإنساني بأسره، الذي يشهد هجهات شرسة على دين الله، وعلى كتاب الله، وعلى سنة رسول الله على .

وأخذت هذه الهجمات طرقًا شتى، ووسائل متنوعة، منها ما هو مسموع، ومنها ما هـو مَرئي، ومنها مـا هـو مَحتوب، وتناولت الهجمات في عدوانها الآثم سائر فروع العلم، فكانت كالجيش العَرَمْرَم الـذي ينتشر في كـل زمـان ومكان، يريد أن يأتي على الأخضر واليابس، لا يبقي ولا يذر.

فشاء الله تعالى أن يُقيّض للدفاع عن دينه وكتابه وسنة نبيه على من ينافح ويجاهد ويرد عدوان المعتدين، وشاء الله تعالى أن تخرج هذه الموسوعة لتكون أبلغ دفاع، وليتحقق بها الانتصار الحقيقي للهدي الرباني وللحديث النبوي،

وللكتاب والسنة وعلوم الإسلام.

لقد جاءت هذه الموسوعة مُعلنةً أن نأخذ ما أتانا به رسول الله ، وأن ننتهي عما نهانا عنـه كـما قـال رب العـزة تعالى: ﴿ وَمَا ٓءَانَكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُـدُوهُ وَمَا ٓهَمَا مُنْهُ فَأَننَهُوا ﴾ (الحشر: ٧).

وقد وضَّح الرسول ﷺ وجوب الأخذ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وقال ﷺ: «تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي» (١)، فبيَّن ﷺ أن في التمسك بالكتاب والسنة النجاة من الضلال والفتن، ما ظهر منها وما بطن.

ومن أعظم صور الجهاد في الدفاع عن الإسلام والقرآن والسنة هذه الموسوعة العظيمة التي تعتبر بحق موسوعة عالمية متبحّرة، تدفع الباطل وتدمغه فإذا هو زاهق، وتُعلي الحق وترفعه؛ لأن الحق أحق أن يُتبَع. فجزى الله كل الخير والمثوبة من قام على هذا العمل الإسلامي التاريخي، فضيلة الدكتور محمد داود، وبالله التوفيق.

الأستاذ الدكتور/ كمال بشر .. الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، كتب يقول:

يتعرض القرآن الكريم في الآونة الأخيرة لهجمة شرسة، اتخذت في سبيل تحقيق غرضها وسائل متعددة؛ ما بين كتب مُؤلَّفة، ومواقع على الشبكة العنكبوتية، وندوات ومؤتمرات، وأقراص مدمجة (CD) وغيرها.

ومن بين الشبهات التي أثاروها شبهات لغوية حول بعض المسائل اللغوية في القرآن الكريم، التي قد تَخْفَى على بعضهم، فوقعوا في تَوَهُّمٍ وصل بهم إلى أحكام غير صحيحة، ومن هنا كان الواجب على أهل الذكر النظر في هذه الادعاءات وبيان وجه الحق فيها.

ولقد وُضع في الحسبان مراعاة حال متلقِّي هذه الموسوعة من عامة المثقفين، فتم ترتيب الشبهات بحسب ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم؛ تيسيرًا على طالب معرفة الحق في هذه الشبهة أو تلك دون عناء في البحث، وتحقيقًا لهذا التيسير رأينا أن نخصص لكل شبهة ردًّا مستقلًّا بها، ولعل هذا النهج الذي اتبعناه في تفنيد هذه الشبهات يُوحِي بشيء من التكرار في بعض المسائل، وبخاصة في المسائل قريبة الصلة فيها بينها.

وربها يرى بعضهم منهجًا آخر في المعالجة، بحيث تُجمع الظواهر اللغوية وتُصنَّف إلى مجموعات بحسب الباب الذي تنتمي إليه، وتُعالج كل مجموعة تحت بابها؛ اختصارًا للعمل وتفاديًا للتكرار، على نحو ما صنع ابننا الدكتور محمد داود في كتابه "كهال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم"(٢).

ومهما يكن من أمر فقد اقتضى التيسير على القارئ ترتيب الشبهات بحسب ترتيب الآيات والسور في القرآن، ولا بأس بذلك.

١. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب: العلم، رقم (٣١٩)، وصححه.

٢. وقد نصحتُ أن يُوضَع هذا المؤلَّف مختصرًا في نهاية هذا الجزء.

لقد قمت بمراجعة هذا العمل الذي بين أيديكم مراجعة دقيقة حتى استوى على هذه الصورة التي نرجو أن تحقق الفائدة المرجوة، وأن تكون وافية لإزالة الشبهات من عقول من توهموها، مع الإشارة _ أحيانًا _ إلى شيء من بلاغة الكلام وفصاحته.

وفي الختام أقرر أن هذا العمل عمل علمي جاد يفيد العامة والخاصة على حد سواء، والله الموفق.

• الأستاذ الدكتور/ محمود محمد عهارة .. أستاذ بجامعة الأزهر، كتب يقول:

تعليق على موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات":

بعد الانتهاء من قراءة جزء من الموسوعة أُسجِّل انطباعاتي على النحو التالي:

أولًا: الجهد المبذول مشكور ومأجور إن شاء الله تعالى، ومن ورائِه غيرة محمودة على الإسلام ورسوله.

ثانيًا: الذين نسجوا هذه الشبهات غير مسترشدين، ولا يستسلمون للحق بعد ما تبين، ولكن هناك قطاع عريض يقدم رِجلًا ويؤخِّر أخرى، ولسوف يدخل الإسلام، وهنا قطاع من المؤمنين قد تنطلي عليهم شبهات الخصوم، فكانت هذه الموسوعة تنبيهًا لهم.

ثالثًا: ولأن سَدَنَة هذه الحملة المغرضة لا يؤمنون بالقرآن ولا بالسنة، فلا بد من بيانٍ ما يؤكد الثقة بهذا القرآن الكريم، وبهذه السنة المطهرة، والتي جاهد علماؤنا في سبيلها حق الجهاد، فصارت عصيَّة على الرد، موثوقًا بها في تقرير ما نحن بصدد تقريره، والله الموفق.

الأستاذ الدكتور/ محمد نبيل غنايم .. أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة سابقًا، كتب يقول:

لقد اطَّلعت وراجعت الجزء السادس عشر من موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات"، وقد وجدته عملًا علميًّا كبيرًا، يعتمد على التحليل والدليل، ويعرض الأفكار في سهولة ويُسْر، ويوثِّق الأقوال من مصادرها.

ولم أجد فيه من الأخطاء إلا نادرًا؛ لأنه رُوجِع من قبل، وهذا دليل على العناية والاهتمام بهذا العمل الكبير؛ لذا فإني أشكر جميع القائمين عليه، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور/ محمد داود، وجميع مساعديه، وأدعو لهم بدوام التوفيق.

الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد مدكور.. أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة سابقًا، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كتب يقول:

اطلعت على موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات"، وسعدت بذلك؛ لأنني وجدت فيها عددًا من المزايا التي ترفع من قدرها، وتُعْلِي من مكانتها، ومن هذه المزايا:

التتبُّع الدقيق للشبهات التي تجد من يرددها ويكررها، ثم الجهد العلمي في الرد عليها، بما يدحضها، ويجلِّي

حقائق القرآن حولها، ثم إنها تتميز باستخدام المنهج العقلي المنطقي في الرد، بها يظهر الطابع العقلي للأدلة القرآنية، التي قد يظن بعض الناس أن براهين القرآن مجرد براهين شرعية، على حين أنها براهين شرعية عقلية، تقوم بها حجة الإسلام في كل عصر على الخلق أجمعين.

ثم هي تقدم حقائق القرآن في لغة رصينة دقيقة، تتميز إلى جانب ذلك بالوضوح والسلاسة، وهذا مما يزيدها مقدرة على الإقناع.

يضاف إلى هذا كله أنها تخاطب جمهورًا عريضًا من القراء، وهي _بها فيها من براهين صالحة لإقناع العلماء والباحثين، وبها فيها من وضوح وتبسيط للمعارف _قادرة على مخاطبة المثقفين من غير المتخصصين دون صعوبة أو تعقيد.

أسأل الله للقائمين عليها، والكاتبين لموضوعاتها، وللمشرفين على إنجازها _ أن يرزقهم الله جميعًا الأجر الجزيل على ما قاموا به من جهد طيب مبارك، وأن يتقبل عملهم خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتهم يوم يلقونه، وقد حملوا حقائق الإسلام إلى الخلّق، وردوا عنه كيد الكائدين، وتأويل الغالين، وشبهات المبطلين، والشكر لله ثم لهم، وزادهم الله توفيقًا وقبولًا إنه سميع قريب.

● الأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم .. أستاذ ورئيس قسم أصول اللغمة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ جامعة الأزهر، كتب يقول:

بعد الاطلاع على موسوعة "بيان الإسلام الرد.. على الافتراءات والشبهات". القيِّمة أُسجل الآتي:

لقد اتضح أنها عمل علميٌّ جادٌٌ وموفَّق، ولقد بذل فيه القائمون والباحثون جهدًا طيبًا متميزًا بجِدٍّ وإخلاص. ندعو الله أن يكون في ميزان حسناتهم؛ وذلك حيث تتبعوا الشبهات الباطلة التي تُوجَّه إلى عصمة القرآن الكريم وكماله، وفنَّدوها بالأدلة الساطعة، والبراهين الواضحة، والحجة القاطعة؛ مما يعد ردًّا عمليًّا وعلميًّا مقنعًا على هـؤلاء المرجفين والحاقدين، الذين لا يعرفون مواطن العظمة والجمال والكمال للغة القرآن الكريم، ولا يعرفون ولا يـدركون الإعجاز اللغوي بهذا الكتاب المعجز الذي تحدَّى الله به الإنس والجن، فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة واحدة من مثله.

ولقد صِيغَت هذه الموسوعة بلغة عربية صحيحة وبليغة ودقيقة وراقية تتناسب مع عظمة المقصد، ونُبْل الهدف، وشرف الغاية.

فجزى الله خير الجزاء كل من ساهم وشارك في إنجاز هذا العمل الموفَّق، والله وحده الموفِّق والمعين، والهادي إلى سواء السبيل.

الأستاذ الدكتور/ محمد متولي منصور .. أستاذ اللغة العربية كلية اللغة العربية _ جامعة الأزهر، كتب يقول:
 في وقت كشَّر فيه الأعداء عن أنيابهم، وكالوا الاتهامات والطعنات التي توجه إلى القرآن الكريم، مصدر عِزَّة الأمة، وعنوان فخارها، تأتي موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات"، التي قام على إعدادها إخوة

أكارم دفعتهم الغيرة على دينهم إلى الرد على تلك الشبهات ردًّا علميًّا مدعومًا بالأدلة النقلية والعقلية، التي تدحض تلك الشُبه، وتُبيِّن أسبابها وعِلَلها، في غير حَيْف أو جَوْر، أو اعتداء على فكر الآخر، وهذا لَعَمْري هو منهج الإسلام الذي علَّمنا إياه قوله سبحانه: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةُ وَجَدِلْهُم بِٱلْتِي هِي أَحْسَنُ إِنَّ رَبِّكَ هُو الذي علَّمنا إياه قوله سبحانه: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةُ وَجَدِلْهُم بِٱلْتِي هِي أَحْسَنُ إِنَّ رَبِّكَ هُو النحل).

ويعد هذا العمل العلمي الموسوعي _ من وجهة نظري _ من الأعمال الرائدة في هذا المجال، وأبرز ما يميزه أنـه جمع شتات الشُّبه التي أثارها المشتبهون في هذا العمل العظيم، وتكلَّف بالرد عليها في أسلوب سهل، وقول ليِّن.

والله أسأل أن يجزي القائمين على أمر هذه الموسوعة خير الجزاء، وأن ينفع بها، وأن يجعلها في ميـزان حـسناتنا وحسناتهم: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ (الطففين).

• الأستاذ الدكتور/ عبد المجيد محمود عبد المجيد .. أستاذ بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة، كتب بيقول:

تقرير عن جزء: شبهات حول مصدر السنة وحجِّيَّتها من موسوعة "بيان الإسلام.. الردعلى الافتراءات والشبهات".

قد اطلعت على هذا الجزء من الموسوعة الحديثية، وسرَّني ما لمسته من جهد ضخم في جمعها وتصنيفها، ومن عناية ملحوظة في نسخها وإخراجها، مما يَشِي بالدوافع الخلقية والنفسية والدينية والعلمية التي صدر عنها هذا الإتقان؛ مما يؤهلها لأن تأخذ مكانتها بين الموسوعات المهمَّة.

وأتوجه بالشكر إلى الإخوة القائمين على العناية بهذه الموسوعة، كما أتوجه بالدعاء إلى الله تعالى أن يُسدِّد خطاهم، ويبارك في جهودهم، وأن يجعلها في ميزان حسناتهم. ولم أعثر عند قراءتي هذا الجزء إلا على أخطاء قليلة في النسخ، وأخرى أقل منها متعلقة بمسائل علمية، وقمت بتصويبها.

الأستاذ الدكتور/ أحمد يوسف سليمان .. أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة سابقًا، كتب يقول:

قرأت الجزء الثاني عشر من هذه الموسوعة المباركة "بيان الإسلام .. الردعلى الافتراءات والسبهات"، وكان بعنوان "شبهات حول عصمة القرآن وكماله".

وقد اشتمل هذا الجزء على اثنتين وثمانين شبهة، ذكرها مؤلفوه بحَيْدة وموضوعية وتجرُّد، ثم رَدُّوا عليها ردودًا مقنعة لمن يبحث عن الحق، ويَبْغي الوصول إلى الصواب، وقد اتسمت هذه الردود بالرقي في التناول، والنصوع في الاحتجاج، والشمول، كما زادت على ذلك أنها جمعت بين الإيجاز والإطناب والتسلسل، مع التوثيق بالرجوع إلى المراجع الأصلية، والمصادر المتنوعة التي تجمع بين القديم والحديث.

وأعتقد أنها _ الموسوعة _ عندما تكتمل فسوف تسدُّ فراغًا كبيرًا لدى المكتبة الإسلامية المعاصرة، وتـروي ظمـأ

شبابنا المتعطش، وتزوده بها يحمى عقيدته، ويزيده تمسكًا بدينه.

• الأستاذ الدكتور/ محمد صالح توفيق .. أستاذ علم اللغة المقارن، وعميد كلية دار العلوم _ جامعة القاهرة، كتب يقول:

موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات" تتضمن منهجًا علميًّا سليمًا، وتخلو من الأخطاء الطباعية واللغوية إلا ما ندر، وقد صوَّبناها، بالإضافة إلى المراجعات الخاصة بالمقارنات، وما يتصل بالعهد القديم، وقد صوبنا ما جاء فيها، والله الموفق.

• الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم شريف .. أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة سابقًا، كتب يقول:

موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات" هذا العمل _ من أصحابه _ عظيم في بابه؛ من حيث ترصُّدِه لسائر ما شغب به الحانقون على الإسلام وأهله، وكَشْفه لشغب هؤلاء وحقدهم، بروح عالية، وعاطفة مشبوبة، مع تتبُّع علمي موثَّق، وتحليل مناسب لعامة المثقفين من جهة، ولهذه الأعمال الموسوعية التي تلبي رغبات السواد الأعظم من المسلمين من جهة أخرى.

وهو عمل مشكور يستأهل القائمون عليه التقدير والاعتبار، مع حسن الثواب في الدنيا والآخرة.

• الأستاذ الدكتور/ يسري أحمد زيدان .. وكيل كلية دار العلوم للدراسات العليا _ جامعة القاهرة ، كتب يقول:

موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات" موسوعة جديرة بالتقدير والقراءة والاقتناء؛ حيث إنها تتناول أفكارًا مشبوهة وشبهات مغلوطة، روَّج لها أعداء الإسلام، وتبنَّاها بعض المسلمين جهلًا منهم بالحق، وتأثُّرًا بالإعلام المناهض للإسلام الصحيح، ومثال ذلك: الشبهات المثارة حول "خلافة أبي بكر ها"، وحول "بيعة على بن أبي طالب الصديق"، وغير ذلك من شبهات.

وجاءت هذه الموسوعة العلمية في وقتها تمامًا؛ لتجيب عن كل التساؤلات حول الإسلام وتاريخه بكل موضوعية وحيادية، ولِتُزِيل كل لَبْس وسوء فهم عن الإسلام وتاريخه وقضاياه، ولِترُدَّ عن كل شبهة مشارة بالحجة والدليل والبرهان، وما أحوج المسلمين إلى اقتناء هذه الموسوعة وقراءتها.

شكر الله كل القائمين على هذه الموسوعة، وكل المشاركين فيها، وجزاهم الله خيرًا عن الـذَّبِّ عن الإسلام، وكشف شبهات المغرضين وتُرَّهاتهم، وبيان أوهامهم، وانحراف أفكارهم.

• الأستاذ الدكتور/ حسين سمرة .. أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، كتب يقول:

موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات" قمتُ بمراجعة الشبهات التي تُثار حول مكانة المرأة

في الإسلام، والشبهات التي تُثار حول العبادات في الإسلام، وقد عُولجت معالجة موضوعية علمية رصينة، تُنير الطريق أمام طلاب العلم من المسلمين، وتدحض دعاوى المغرضين من المسلمين أو غيرهم الذين لبَّس الشيطان عليهم.

والموسوعة عمل علمي مهم في مجاله، قد قام عليها باحثون متميزون، وقد فنَّدوا كل ما يُثار من شبهات حول المرأة وحول العبادات في الإسلام، فجزى الله القائمين على هذه الأعمال خير الجزاء؛ لأن الأمَّة في أمسً الحاجة إلى مثل هذه الأعمال القيِّمة في موضوعها، السهلة في أسلومها، المدعمة بالأدلة.

فالله أسأل أن يجزي القائمين على هذه الموسوعات خير الجزاء، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وصدقة جارية بعدهم، والله ولي التوفيق.

الأستاذ الدكتور/ أحمد قوشتي عبد الرحيم .. أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية دار العلوم _ جامعة القاهرة، كتب يقول:

قد طالعت هذا العمل الموسوعي الضخم، موسوعة "بيان الإسلام .. الرد على الافتراءات والشبهات"، الذي جاء في أوانه؛ حيث اشتدَّت الهجمة الشرسة على الإسلام؛ عقيدةً وشريعةً ومنهاجًا، وكثر الناعقون بمن لا علم لهم ولا خُلُق، فجاء هذا العمل ليسُدَّ ثغرة كبيرة، وليعطي كل قارئ ومثقف منصف زادًا يعتمد عليه في الردعلى تلك الشبهات وتفنيدها.

وأسأل الله تعالى أن يسدد القائمين على هذا العمل، وأن يجزيهم خبر الجزاء.



المقدمة العامة لموسوعة القرآن

بقلم أ. د/ محمد محمد داود أستاذ بكليتي الآداب والتربية _ جامعة قناة السويس وعميد معهد مُعلِّمِي القرآن الكريم

الحرب على القرآن:

- الحرب على القرآن الكريم قديمة حديثة، بدأت منذ البواكير الأولى لنزول القرآن الكريم، واندلعت نارها مع أول مجابهة مع الوثنية، وسجَّل القرآن الكريم الجولة الأولى من هذه الحرب على القرآن الكريم وقت نزوله، وسيأتي بيانها في مواضع من هذه الدراسة.
- واستمرت المعركة تشتد حينًا وتهدأ حينًا آخر، ومن الهجهات الشرسة التي تعرَّض لها القرآن الكريم زمن الحروب الصليبية تأليف بعض المستشرقين كتابًا بعنوان: دَحْض القرآن الكريم، كها قاموا بترجمة ألفاظ القرآن الكريم وليس معانيه إلى اللغة اللاتينية كمدخل إلى التحريف والتشويه، وماتت كل هذه الجهود وبقي القرآن الكريم مصونًا محفوظًا عن كل سوء.
- والهجمة المعاصرة على القرآن الكريم أشدُّ ضراوةً من كلِّ ما سبق؛ وذلك من خلال الفضائيات ومواقع الإنترنت، بل قام بعض الباحثين الأمريكان بتأليف قرآن مزعوم تحت عنوان "الفرقان الحق"، والمدهش في كل هذا أن القرآن الكريم هو الذي انتصر فكريًّا؛ لأن البَوْن شاسع بين كلام الله الذي جعله الله هداية ورحمة وطمأنينة لمن لاذ وآمن به، وبين تخريف البشر وزيفهم، وسيظل الصراع دائرًا بين الخير والشر.. بين الحق والباطل.. وتلك سُنَّة الله في خلقه.
 - _ وكان للعلماء في كل عصر جهد مشكور في دفع هذه الشبهات ودحض هذه الافتراءات، من أبرزها:
 - ٥ كتاب (الرد على ابن الراوندي الملحِد) للجاحظ (ت ٢٥٥هـ).
 - کتاب (مُشْکِل القرآن) لابن قتیبة الدینوري (ت ۲۷٦هـ).
 - o كتابا (التمهيد، وإعجاز القرآن) لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ).
 - ٥ كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبار (ت ١٥٥هـ).
 - كتاب (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) لعباس محمود العقاد.
 - كتاب (شبهات حول الإسلام) لمحمد قطب.

وغير هذه الكتب كثير، بالإضافة إلى ما تعرَّض له المفسِّرون في كتب التفسير، وبخاصة:

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات _______

- ٥ (معاني القرآن) للفرَّاء (ت ٢٠٧هـ).
- o (الكشاف) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).
- (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) للفخر الرازى (ت ٢٠٤هـ).
 - (روح المعاني) للألوسي (ت ١٢٧٠هـ).
 - (تفسير التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر ابن عاشور .
 - (تفسير القرآن الحكيم: تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا.
 - (مناهل العرفان في علوم القرآن) للزرقاني.

وكذا كتب إعراب القرآن الكريم قديمًا وحديثًا، ومن أبرز هذه الكتب:

- (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج (ت ٣١١هـ).
 - ٥ (إعراب القرآن) للنحاس (ت ٣٣٨هـ).
- ٥ (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري (ت ٦١٨هـ).
- ٥ (إعراب القرآن الكريم) لمحيى الدين الدرويش... إلخ.

وأكثر المطاعن التي تُوجَّه للقرآن اليوم مأخوذة من هذه الكتب ونحوها، غاية ما في الأمر أنهم نقلوا الشبهة وأغفلوا الردَّ عليها، مع المبالغة والتنويع في عرض الشبهة حتى تتعدد الشبهة الواحدة في عشرات الصياغات؛ فيُهيَّأ لك أنك أمام عشرات الشبهات وليس أمام شبهة واحدة، بل زادوا فوق إثارة الشبهات والافتراءات كَيْلَ التُّهم للقرآن ولنبي القرآن سيدنا محمد وللمسلمين، وبطبيعة الحال فإن التهم والشتائم ليست شبهات، والإعراض عنها خير دواء لها.

لماذا الهجوم على القرآن ؟

هناك دوافع كثيرة للهجوم على القرآن، يمكن إجمالها في دافعين:

دافع نفسي: وهو تزييف الحقائق وتحريفها تعبيرًا عن الإخفاق والعجز عن مواجهتها؛ فالعجز عن مواجهة الخصم يتحول _ في الأعم الأغلب _ إلى الافتراء عليه.

كما أن التلبُّس بالصفات السلبية دافع لوصف الآخرين بها درءًا للاتهام، وهو ما يُعرَف عند علماء النفس بـ "الإسقاط"؛ حيث إن الإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد للتخلص من تأثير التوتر الناشئ في داخله؛ ذلك أن الغلبة إنَّما تكون للفكر الأقوى، والإسلام _كما يشهد الواقع _عقيدة وأخلاقًا هو الأقوى؛ فقوته ليست من قوة أتباعه كما في العقائد الأخرى، ولكن قوته ذاتية تتأتَّى من داخله؛ لأنه الحق، لأنه الخير، لأنه السلام والأمن، لأنه الصلة الحقيقية التي لم تتعرض لزيف أو تحريف أو تشويه.

الشبهات التي تولى القرآن الرد عليها

ومن هنا كان إخفاق الغرب على المستوى الفكري والمعرفي _ على الرغم من تفوقه سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا _ دافعًا إلى الخروج عن العقلانية والحوار المنصف، واللجوء إلى القوة وإلى التشويه والإفساد ظلمًّا وعدوانًا.

دافع معرفي: وهو إخفاق الغرب في مواجهة الإسلام فكريًا على الرغم من هزيمة المسلمين سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا في الوقت المعاصر.

ولا يزال الغرب حتى الآن يهارس فكرة إقصاء ونبذ الآخر، بمواصلة الطعن في القرآن وفي نبوة النبي محمد ، في الوقت نفسه ينعت الإسلام بأنه هو الذي يهارس إقصاء الآخر.

الفكر الاستشراقي والهجمة على القرآن:

لعلَّ من الإنصاف الذي أرساه القرآن أن نعلن أن المستشرقين ليسوا سواءً، فمنهم من وقف على الحق وأنصفه، ومنهم من أساء واعتدى.

ومن الفكر الاستشراقي الذي أسهم في الهجمة على القرآن الكريم من خلال الدراسات القرآنية هذه النهاذج التي يظهر من عرضها حجم العداء للقرآن:

(۱) كتاب تيودور نولدكه: (تاريخ القرآن) Geschichte des Qorans، وهـو مـن أهـم الكتـب التـي ألَّفها المستشرقون في تاريخ القرآن الكريم، وقد تأثر به وبنتائجه من جاء بعده، وأصبح هذا الكتـاب إنجيـل المستشرقين في مرجعية الدراسات القرآنية (۱).

۲) کتاب جولد تسیهر بعنوان (۲):

Die Richtungen der Islamtschen Koranauslegnug

٣) كتاب جون وانسيرو بعنوان:

Quranic studies: Sources and methods of scriptural Interpretation دراسات قرآنية: مصادر الكتب المقدَّسة وطرق تفسيرها.

ويُعَدُّ هذا الكتاب من أخطر كتبه؛ حيث تأثر به جانب كبير ممن جاءوا بعده في البحث القرآني أو التاريخ الإسلامي عامة.

ومزاعم وانسبرو التي أثارها في كتابه تهاوت أمام الدراسة العلمية التي قام بها الباحث: سعد بن عبد الله بن عبد الله عبد العزيز الرشيد التي تحمل عنوان "كتابات إسلامية من مكة المكرمة"؛ حيث برهن الباحث على أن النقوش القرآنية التي وُجِدت مكتوبة على الصخور بمكة المكرمة تثبت _بشكل قطعي _فساد نظرية وانسبرو التي تزعم أن القرآن الكريم لم ينتج بمكة.

١. تُرجِم الكتاب إلى العربية.

٢. تُرجِم الكتاب إلى العربية بواسطة د. عبد الحليم النجار، تحت عنوان (مذاهب التفسير الإسلامي).

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات ------

٤) كتاب دون ريتشاردسون بعنوان: Secrets of the Koran : "أسرار القرآن".

والكتاب يخلط بين الدراسات القرآنية والسياسية.

٥) كتاب نيل روبنسون بعنوان:

Discovering the qura'n: A contemporarg Approach to a veiled text

اكتشاف القرآن: مقاربة معاصرة لنص محجب.

٦) كتاب كريستوف لوكسنبورج بعنوان:

Die syro-aramaische Lesart Des Koran, Ein Beitrag zur Entschlusselung der Qur'an sprache قراءة سريانية _ آرامية للقرآن: مساهمة في تحليل لغة القرآن.

وكريستوف هنا في الأعمِّ الأغلب _ اسم مُستعار أو وهمي، وهي ظاهرة شاعت في السنوات الأخيرة في المجوم على القرآن والإسلام؛ وربم كان مردُّها إلى الخوف على المؤلف الحقيقي من رد الفعل الإسلامي ضد المتطاولين على القرآن.

٧) كتاب ابن وراق بعنوان:

Why I am not a muslim?

لماذا أنا لست مسلمًا ؟

ويقدم الكتاب نقدًا لاذعًا وقويًّا ضد الإسلام في منهجيَّة علمية في العرض دون الصدق في المضمون.

وهذا غَيْض من فَيْض، أحببت أن أقف بك أخي القارئ - من خلال هذا العرض السريع - على حجم الهجمة الشرسة على القرآن الكريم، ولا أجد وصفًا أصدق ولا أبلغ في التعبير عن هذه الافتراءات من كلمة العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر: "لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة، أو أن ينازل ضلالًا بهدى، أو أن يصارع باطلًا بحت، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة، بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي جَرْحَى وصَرْعَى لا تقوم لهم قائمة، وينصب في أرجائه عقولًا لا تدرك إلا ما يريد لها هو أن تعرف، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة إنسانية عُرِفت إلى هذا اليوم، كجرائمه في تحطيم الدول وإعجازها مثلًا بمثل، وقد كان ما أراد الله أن يكون، وظفر العدو منًا بها كان يبغي ويريد"(١).

القرآن يزداد تالقًا وقوة في وجه الافتراءات:

من يستعرض تاريخ القرآن الكريم عبر الزمان والمكان يجد أن من بين خصائص هذا الكتاب التي تصل إلى حد الإعجاز: أنه كلما اشتد الهجوم عليه من معارضيه ومنكريه ازداد القرآن تألُّقًا وقوة؛ فحقائق القرآن الخالدة تدحض الزيف والافتراء وكل ما يثيره أعداء القرآن من شبهات... إنه بحق كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ لَا يَأْنِيهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِيدٍ مَنْ مَكِيمٍ جَمِيدٍ (الله عنه).

١. في كلمة عن إعجاز القرآن ضمن مقدمة لكتاب مالك بن نبي "الظاهرة القرآنية"، ترجمة أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين، ص٧١.

وتقوم آيات القرآن على إقناع العقل وطمأنينة القلب، وفَضْح الزيف والافتراء حتى لا يبقى أمام المتمرد إلا أحد أمرين: إما أن يؤمن عن بيِّنة، وإما أن يكفر عن بيِّنة.

والقرآن وحده هو القادر على محاورة المتمرد؛ لأنه خطاب الخالق لخلقه، وهـ و عَمَل أعلـم بهـم، قـال الله تعـالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ ٱلْخَيِيرُ ﴿ اللهِ).

وفي القرآن نهاذج هادية في محاورة المتمرد، من ذلك الحوار القرآني مع النمروذ، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

ولأن القرآن الكريم كتاب هداية: ﴿ هُدُى لِلنَّكَاسِ وَبَيِنَنَتِ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥).. فكل آية، بل كل كلمة، بل كل حرف فيه يحمل سرَّا من أسرار الهداية الربانية التي أو دعها الله في آياته، فإذا مسَّت القلب، وتأملها العقل وجد فيها الملاذ الآمن، والحقيقة الخالدة فأسرع مستجيبًا لهدى الآيات بعد أن ملأه الإيهان والتصديق بها.

وإني لَعَلَى يقين _إيمانًا وعقلًا وتجربةً _ بأن الهجمة المعاصرة على القرآن ستعود لصالح القرآن، كما كانت الغلبة للقرآن في كل الهجمات السابقة، والنصر دائمًا بالنتائج؛ فهي:

أولًا: تلفت الانتباه إلى القرآن الكريم، فتدفع العقول الرشيدة إلى البحث وإلى التأمل، وكلما بَحَثَتْ وتَأَمَّلتْ ازدادتْ قربًا من القرآن؛ لأنه الحق والصدق. لأنه من الله، تنزيل رب العالمين، ليس ككلام البشر الذي كلما تأمله الإنسان أدرك ما فيه من نقص وأصابه الملل، إنه كلام الله.. آياته الهادية المعجزة.. إنه الكمال المطلق، لقد أتوا إلى القرآن متشككين، وما لبثوا أن مست الهداية قلوبهم فعادوا مؤمنين، وتبارك مَن هذا كلامه!

وثانيًا: تُوقِظ المسلمين من غفلتهم أن ينصفوا القرآن من أنفسهم، بعد أن هجروا القرآن عملًا وسلوكًا وأخلاقًا، ويصحِّحوا أحوالهم حتى يكونوا مرآة صادقة لعظمة هذا الكتاب، وتتحقق فيهم الخيرية التي أرادها الله لهم بالقرآن: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

إن إحساس المسلمين بالخطر جعلهم يلوذون بالله، ويزدادون تمسكًا بالقرآن ورجوعًا إليه.

وفي كل الجولات السابقة بين القرآن وشبهات المنكرين وافتراءات الحاقدين كانت الغلبة والهيمنة للقرآن، وذلك بداية من لحظة نزوله ومحاولات الكافرين التشكيك فيه، ومحاولة صرف الناس عن سماعه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَالِيهِ لَعَلَّكُو تَغَلِبُونَ اللَّهُ ﴿ نصلت ﴾ (نصلت).

وكانت المواجهة الحاسمة من الآيات الإلهية التي أقامت هذا التحدي لهم، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمًا زَنَّلْنَاعَلَى عَبْدِنَافَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِّشْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُر صَلِدِقِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

ولَّا لم يفلح فرسان البلاغة في التشكيك لجئوا إلى أسلوب آخر هو أسلوب المساومة، فحاولوا مساومة النبي ﷺ

على أن يبدِّل هذه الآيات ويأتي بآيات تشبع أهواءهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَانُنَا بَيِنَئَتِ قَالَ ٱلَذِينَ لَا يَرْجُونَالِقَاآءَنَا ٱثْمَتِ بِقُرْمَانٍ غَيْرِ هَاذَا ٱلْوَبَدِّلَةُ قُلَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَبُدِلَهُ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيَّ إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَى ۖ إِنِي أَخَافُ إِنَّ أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (الله).

ولقد عصم الله نبيه ورسوله سيدنا محمدًا على من نسيان حرف أو كلمة أو طريقة أداء لآية من آيات القرآن الكريم، وتوضح الآيات أن النبي على كان حريصًا كلَّ الحرص أثناء تلقي القرآن من أخيه جبريل الله على الترديد، حتى جاءه الأمر الإلهي بعدم الاستعجال في ترديد القرآن، فقال تعالى: ﴿ لَا نُحَرِّكُ بِهِ عَلَىالُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ السَّائِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ اللَّهِ عَلَيْنَا جَمَّهُ، وَقُرْءَانَهُ اللهُ (القيامة)، وقال تعالى: ﴿ سَنُقُرِئُكَ فَلَا تَسَى اللهُ الاعلى).

و"لا" هنا نافية وليست ناهية، بدليل إثبات الياء في آخر الفعل المضارع (تنسى)، والمعنى: أننا سنقرئك قراءة من حسنها وعظمتها وبركتها أنك لا يمكن أن تنسى بعدها أبدًا.

لتؤكِّد الآيات لكل متدبِّر أن الدين ليس شأنًا بشريًّا، ليس صناعة عقلية، وإنها هو تنزيل من رب العالمين.

وكان المشركون يعلنون عن عجزهم عن مواجهة القرآن بقولهم: إنه سحر، كما حدث عندما أرسلوا لسان الفصاحة والحكمة عُتبة بن ربيعة إلى النبي ، فلمَّا استمع إلى الآيات ومسَّت الهداية قلبه رجع إلى قريش وأخبرهم: إنه ليس بكلام بشر... فقالوا: سحرك يا أبا الوليد!

وتمر السنون، بل القرون ويتعرض القرآن لحملة أخرى من الإساءة والتشكيك والافتراءات وإثارة السبهات، وذلك أثناء الحملة الصليبية على الشرق الإسلامي، وقام فريق كبير من المستشرقين بالتأليف ضد القرآن.. فألفوا كتابًا بعنوان "دَحْض القرآن"، وقام فريق آخر بترجمة النص القرآني نفسه _ وليس المعاني _ إلى اللاتينية؛ ليكون ذلك خطوة إلى التحريف والتغيير فيه والتبديل، وماتت كل هذه الجهود، وظل القرآن يزداد تألُّقًا وقوة وعظمة.

ناهيك عن الأحاديث المختلَقة والملفَّقة التي دسَّها أعداء الإسلام في السنة النبوية ضد القرآن بصورة مباشرة أو غير مباشرة للإساءة إلى كُتَّاب الوحي، وقد نَبَّه عليها علماء السنَّة وكشفوا زيفها.

وفي واقعنا المعاصر يتعرض القرآن لهجهات شرسة على مستوى الأفراد والمؤسسات العلمية والاجتماعية، بـل وعلى مستوى الأمة والدولة، بإثارة الشبهات وتأليف قرآن مزعوم.

ولعلَّ من المناسب في هذا السياق أن نلفت الانتباه إلى خصوصية من الخصائص التي انفرد بها القرآن الكريم، وهي أنه الكتاب الوحيد من بين الكتب السياوية الذي يحفظه أهله في صدورهم عن ظَهْر قلب، وهذه النسخة الفريدة المحفوظة في الصدور، والتي يتم تناقُلها بين المسلمين تلاوةً عن طريق التلقِّي شفاهةً، هذه النسخة لا يمكن أن تمَسها يد التحريف والتزييف من الأعداء، وهذه النسخة المتفرِّدة في صدور الحَفظة تبطل كل الجهود التي تُبذَل لتحريف نسخة المصحف المكتوبة، وسبحان الله القائل: ﴿ إِنَّا نَحَنُ نَزَلنا ٱلذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَمُؤُدنَ الله المائل.

ومعلوم أن السرَّ في حفظ القرآن الكريم على هذا النحو المعجز لا يعود إلى جهد البشر، ولا إلى مكانة العرب والمسلمين، فقد مرَّت الأمة بأزمات عديدة ومراحل انكسار كالمحنة المعاصرة، ولو كان حفظ القرآن منوطًا ومرتبطًا بهم لذهب القرآن من مئات السنين، وإنها حفظ القرآن على هذا النحو المعجز الخالد يعود إلى رب القرآن. إلى الله رب العالمين. إلى خالق الكون.. عالم السر والعلن.. القادر على كل شيء.. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَعَنُ نَزَّلْنَا ٱلدِّكُر وَإِنَّا لَلهُ لَكُونِطُونَ ﴾.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى هذه الموسوعة (القرآن الكريم في مواجهة الشبهات) ضمن مشروع (بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات)؛ للرد على مثل هذه الافتراءات التي تمسُّ كلام الله تعالى وخير كتبه المنزَّل على خير رسله وعلى خير أمة.

وتم إخراج هذا العمل في أحد عشر مجلدًا، تشتمل على تسعة عشر جزءًا، بالإضافة إلى مجلد للفهارس، رُتِّبت الشبهات فيها ترتيبًا موضوعيًّا، هي:

المجلد الأول: الجزء الأول: الشبهات التي تولَّى القرآن الرد عليها.

المجلد الثاني: الجزء الثاني: شبهات حول ما تُوهِّم من أخطاء لغوية في القرآن.

المجلد الثالث: الجزء الثالث: شبهات حول التاريخ الإسلامي (١) (ما قبل الإسلام _ إسلام الصحابة _ هجراتهم _ عالمية الإسلام وانتشاره _ خلافة أبي بكر).

الجزء الرابع: شبهات حول التاريخ الإسلامي (٢) (خلافة عمر _الفتنة الكُبري _الخلافة الأُموية _الخلافة العباسة).

الجزء الخامس: شبهات حول النظم الحضاريَّة في الإسلام.

المجلد الرابع: الجزء السادس: شبهات حول العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد (الألوهية _ الربوبية _ الأسماء والصفات).

الجزء السابع: شبهات حول الإيمان والتدين (الإيمان بالغيب القضاء والقدر الفرق والمذاهب الفكرية). المجد الخامس: الجزء الثامن: شبهات حول مقارنة الأديان.

المجلد السادس: الجزء التاسع: شبهات حول الأنبياء والرسل (١) (من آدم الطَّيْنُ إلى موسى الطَّيْنُ).

الجزء العاشر: شبهات حول الأنبياء والرسل (من داود الله إلى محمد ﷺ).

المجلد السابع: الجزء الحادي عشر: شبهات حول سلامة القرآن وتمامه.

الجزء الثاني عشر: شبهات حول عصمة القرآن وكماله.

المجلد الثامن: الجزء الثالث عشر: شبهات حول العبادات والمعاملات الاقتصادية في الإسلام.

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات __________________

المجلد التاسع: الجزء الرابع عشر: شبهات حول العلاقات الدولية في الإسلام (الجهاد - الرِّق والتَّسرِّي - العلاقات السلمية).

الجزء الخامس عشر: شبهات حول السياسة الجزائية في الإسلام (الحدود والعقوبات - القصاص والدية - التعزيرات).

المجلد العاشر: الجزء السادس عشر: شبهات حول أصالة التشريع الإسلامي وعدم تبعيته.

الجزء السابع عشر: شبهات حول مرونة التشريع الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان وحال.

المجلد الحادي عشر: الجزء الثامن عشر: شبهات حول المرأة وحقوقها في الإسلام.

الجزء التاسع عشر: شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام.

المجلد الثاني عشر: الجزء العشرون: فهارس.

الجزءالحادي والعشرون: فهارس.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجزي القائمين عليه خير الجزاء، ﴿ رَبَّنَا لَقَبَلُ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ اللَّهِ مَا الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

محمد داود

منهجُ القرآن الكريم في الرَّدِّ على المخالفين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وبعد:

فإن الإسلام يواجه في العصر الحديث _ وبخاصة في العقود الأخيرة منه _ عاصفة عاتية من الأباطيل والافتراءات والمزاعم والدعاوى وحملات التشكيك في كتابه ونبيّه وتاريخه ورجاله وشريعته وعقيدته وأخلاقه وحقائقه وثوابته وشعائره.

ويقصد خصوم الإسلام من وراء ذلك تشويه صورته في أذهان المسلمين أنفسهم وفي أذهان غيرهم، وإثارة الزعزعة والبلبلة لدى معتنقيه وحديثي العهد به من غير العرب، وما ذاك إلا لأنهم يعتبرون الإسلام عدوهم اللدود الذي ينبغي محاربته والقضاء عليه.

ولذا وجدنا أعداء الله على يطعنون في الإسلام من جميع ميادينه؛ فهم يحاولون النيل من شخصية النبي الكريم محمد ، كما يحاولون النيل من تاريخه وحضارته، وهم في سبيل ذلك ينتقون فترات المضعف في التاريخ الإسلامي فيركزون عليها مبرزين الخلافات والنزاعات والخصومات، كما يعمدون إلى تدمير الشخصيات الإسلامية النابغة والأعلام المصلحة البارزة أمثال: أبي هريرة، والشافعي، والغزالي، وابن تيمية، وغيرهم، هذا بالإضافة إلى محاولة إعلاء شأن شخصيات تتفق مع مخططاتهم ورغباتهم، مستغلين ضعف المسلمين الحالي وتخلفهم في ميادين البحث العلمي كافة، وقعودهم عن ركب الحضارة والأخذ بأسبابها، ثم يحاول هؤلاء المغرضون النيل من القرآن الكريم، وذلك عن طريق وصفه بالتناقض والاضطراب، ومخالفته للعقل، والعلم الحديث، وغير ذلك من ترهاتهم.

وما كان اهتمامهم بهذا إلا لإدراكهم أنَّ مصدرَ عزة هذا الدين، وسرِّ تجدده في نفوس المسلمين هو هذا القرآن العظيم، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق على كثرة الرَّدِّ، ولا يزداد به المؤمن إلا إيهانًا ويقينًا؛ إذ هو المعجزة الخالدة ما بقي الليل والنهار، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَكَيْظُونَ اللهِ المِلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ المِلْمُ المُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُ المَالمُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ المَالمُلْمُ المَالمُ اللهِ المِلْمُلْمُ المَالمُلْمُ المَالمُلْمُ

ولًا كانت هذه هي منزلة القرآن الكريم اجتهد أعداء الإسلام في إثارة الأباطيل والمزاعم وحملات التشكيك فيه، وهم يدركون أنَّه بالتشكيك في كتاب المسلمين المقدس عندهم ينسلخ المسلم من إسلامه؛ لأنَّ القرآن هو أساس هذا الدين وأصله الأول ومصدره الرئيس، ولذا كانت الحرب على القرآن هي أخطر الحروب وأشدها وأشرسها، رغم تنوع هذه الحروب على كل ما هو إسلامي، وما ذاك إلا لأنهم يؤمنون بأن ذهاب الأصل يؤدي بالضرورة إلى ذهاب الفروع، كما هو مقرَّر لكل ذي عقل.

ولذا، فمن الضرورات التي أصبحت مُلِحّة الآن أكثر من أي وقت مضى تأسيس علم جديد يقوم على كشف الشبهات ورد الأباطيل، والافتراءات، وتصحيح المفاهيم والأخطاء، إلى غير ذلك.

وهذا العلم لا بد أن يقوم بتحرير الفكر ودراسة المصطلحات المتداولة، وبيان وجهة نظر الإسلام فيها، وإبراز

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات

مفاهيم الإسلام بصورة جليَّة.

وإننا نعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ الإسلام بقوته الذاتية النابعة من القرآن الكريم قادرٌ على كشف الزيف، ودحض الشُّبَه، وإبطال الباطل، وإحقاق الحق.

وها نحن نبين منهج القرآن في حواره مع الآخرين؛ موضحين خصائص المنهج القرآني في دعوته للآخرين، شم أهم القواعد والضوابط والمبادئ التي أرساها القرآن من خلال محاوراته مع خصومه، التي يمكن أن نستضيء بنورها في الردّ على المخالفين الآن من خلال حوارنا الفكري معهم على المستويات كافة.

ولا شك أنّ لغة الحوار هي تلك اللغة التي تسود في الأوساط الفكرية اليوم، وهي من قبل ذلك تمثل جانبًا من منهج القرآن الكريم في دعوة الآخرين إلى مبادئه وأصوله، وللقرآن منهج واضح في حواره مع الآخرين، هذا المنهج ذو خطوات منظمة وقواعد متبعة في مناقشة أيِّ قضية لاكتشاف حقيقتها، وإقامة البراهين على صحتها إذا كانت مجهولة للآخرين، أو مغلوطة في أفهامهم، أو منكورة لديهم.

وهذه الخطوات المنظمة وتلك القواعد المتبعة تتضح في جميع القضايا التي عالجها القرآن مع الآخرين، كقضية التوحيد والعقيدة، والنبوة والرسالة، والإيهان والكفر، ونزول القرآن الكريم، والأحكام التشريعية، ودحض التقاليد الجاهلية.

فالقرآن الكريم يدعو في حواره مع الآخرين إلى النظر والمشاهدة، وإعمال العقل، والتجريب، وجمع الأدلة، وسؤال المتخصصين، والتحرر من الأهواء والميول والجهالات والدعاوى القائمة على الظن، وردّ المزاعم التي لا دليل ولا برهان عليها، والتدبر في حِكم الأمور، وتفهم الحجم والبراهين والأدلة، وضرب الأمثال، والتخلص من التعصب، وقراءة التاريخ والواقع، وترك الغرور والعناد والافتراء، والتركيز في محل النزاع، ونبذ التقليد والمغالطة، واستنباط المعاني والعلل، وبناء النتائج على المقدمات، وغير ذلك من الاستدلالات العقلية.

ويمكننا في هذه السطور القليلة أن نبيّن أهم خصائص منهج القرآن في دعوته للآخرين وحواره معهم، ومن ذلك:

1. الشمول: فقد غذّى القرآن النفس البشرية بكل الأدلة المقنعة الدالة على صدق تعاليمه وأحكامه ومبادئه التي يدعو إليها، حيث غذّى عقلها ووجدانها وأحاسيسها، وضرب لها الأمثال، ونوّع في هذه الأدلة، وكررها للتأكيد، واستعمل البراهين القاطعة، والمنهج التاريخي والنقلي والعقلي والعملي الواقعي، ودحض دعاوى الخصم، وبيّن الحِكم من الأوامر الإلهية، ودعا إلى تدبر آياته بعيدًا عن التعصب والتقاليد البالية والأفكار السابقة، وأوجز في الرد وأبلغ، فكانت أدلته شاملة غنية وافية قيِّمة لا تترك الإنسان إلا مقتنعًا بها يُدْعَى إليه، فها ترك القرآن شاردة ولا واردة إلا وأقام عليها الدليل.

٧. الوضوح: فبالإضافة إلى شمول هذه الأدلة، نجدها واضحة قريبة إلى عقل الإنسان وقلبه؛ حيث لم يسلك

القرآن مسالك الفلاسفة الغامضة الملتوية، ولم يسلك مسالك المتكلمين الجدلية المُشْكِلَة، وإنها جاء بأدلة قريبة للناس جميعًا على اختلاف مستوياتهم وأفهامهم، فأدلته وحججه يسمعها العالم فيخشع، والجاهل فيخضع، والمتعصب فيرجع، وصاحب الفكر السَّوِي فيؤمن، إنها أدلة تعالج النفس الإنسانية فتأخذها إلى الهداية من أقصر الطرق، فلا يستطيع منكر أن يقف أمام القرآن مجادلًا مخاصمًا.

- ٣. الاستقصاء: فالقرآن قد استقصى كل الأدلة على كل قضية يدعو إليها، فلم يترك دليلًا يقنع إلا ذكره، وما ذلك إلا ليربي النفس ويتم لها رشدها وكهالها، فهو يسوق الدليل إثر الدليل والحجة إثر الحجة؛ حتى يقتنع الإنسان كل الاقتناع، ويسلم لما يدعو إليه القرآن، فيسلم وجهه لله على وكأن القرآن بذلك يسدّ على النفس كل منافذ الضلال حتى تستقيم لله على .
- التكرار: وهذا من خصائصه الواضحة، فقد ذكر القرآن كثيرًا من الأدلة بحيث إذا أفلتت النفس من دليل أسرها دليل آخر، وإن هربت من حجة جاءتها حجة أخرى.

وهذه الأدلة حين تتكرر إنها تتكرر بأسلوب مغاير، فإن استمع الإنسان إلى دليل عقلي ما ملكَ عليه عقله، واستمع إلى دليل آخر يختلف في عرضه وطريقته عن الدليل الأول ازداد اقتناعًا، فلا غناء بدليل عن دليل آخر.

وبعد أن بيَّنا أهم خصائص منهج القرآن في حواره مع الآخرين ودعوته لهم يمكننا أن نوضح فيها يلي أهم القواعد والضوابط والمبادئ التي أرساها القرآن الكريم في حواره مع الآخرين، ومناقشته لهم، وهي تزيد على عشرين قاعدة تمَّ استنباطها من خلال الحوار القرآني مع الآخر.

* * * *

قواعد المنهج القرآني وضوابطه في الحوار مع الآخرين

1. رفض الدعاوي الخالية من الدليل وطرح الاتهامات المفتقدة إلى برهان:

هذا مبدأ رئيس قرره القرآن الكريم، ونبّه عليه غير مرة، فالحق في القرآن الكريم هو ما قام عليه الدليل القاطع، والبرهان الساطع، ولا خلاف على هذه القاعدة القرآنية عند أصحاب المنهج العلمي في التفكير، ولذا فإن كل دعوى عارية عن الدليل مردودة، وكل اتهام خالٍ من البرهان هو مجرد زعم وافتراء وباطل لا أساس له، وكل قول لا حجة تؤيده فهو جهالة لا قيمة لها عند أصحاب العقول السليمة، وهكذا يعلمنا القرآن التزام الطرق الصحيحة في الجدل والبحث والمناظرة لإثبات الحقيقة، وهو مبدأ صاغه العلماء بقولهم: "إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مُدَّعيًا فالدليل"، لكن القرآن سبقهم بقوله على (الزمر)، وتبعًا لهذا المبدأ القرآن سبقهم بقوله على نجد القرآن الكريم يرد كل قول لا دليل عليه، وصدق القائل حين قال:

والــــدَّعاوَى مـــا لم تُقِيمـــوا عليهـــا ﴿ بَيِّنــــاتٍ أبناؤهـــــا أَدْعِيــــاءُ

ومن النهاذج الدالة على ذلك ردُّ القرآن على اليهود والنصارى في افتراءاتهم وادِّعاءاتهم حين زعموا أنه لن يدخل الجنة إلا مَن كان على ملتهم، فيقول الله ﷺ: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَرَىٰ تَلكَ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُولِيَّا اللهُ ا

وحين زعموا أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة ثم ينجون منها بعد ذلك، أكد لهم القرآن أن هذا القول لا يمكن التسليم به إلا بعهد من الله على: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَنَا ٱلنَّارُ إِلَّا آتَكَامًا مَعَــدُودَةً قُلْ آَتَخَذْتُمْ عِندَ ٱللّهِ عَهْدًا فَلَن يُغْلِفَ ٱللّهُ عَهْدُهُ أَمْ نَفُولُونَ عَلَى ٱللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة).

وحين ادَّعى المشركون أنهم يستطيعون الإتيان بمثل القرآن، كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ عَالَيْتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَنذَا ﴾ (الانفان:٣١) تحدَّاهم الله ﷺ أن يأتوا بدليل يبين صدق زعمهم بأن يأتوا بمثل القرآن، أو بعشر سور مثله مفتريات، أو بسورة منه؛ فلم يستطيعوا، فصارت دعواهم باطلة، قال ﷺ: ﴿ قُل لَينِ الْمِسَاءَ، الْمُعْمَعِينَ الْإِنسُ وَالْحِنُ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا ﴿ الإسراء)، وقال ﷺ أيضًا: ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةِ مِثْلِهِ ءَوَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِن دُونِ اللهِ إِن كُنْمُ صَلِيقِينَ ﴿ (يونس).

٢. طرح الدعاوى القائمة على الظن والوهم:

وهذا مبدأ قرآني مقرر لا خلاف عليه أيضًا في المناهج العلمية، فكما أن المنهج العلمي لا يرفع الحدس والتخمين والفرض إلى مستوى النظرية، فالقرآن قبل ذلك يؤكد أن الظن لا يغني من الحق شيئًا، ومن هنا يهدم كل دعوى قامت على الظن والخرُص (١١)، ويرفض كل قول لا يرتقي إلى أدنى درجة من العلم.

ومن النهاذج القرآنية الدالة على ذلك ما ردَّ به القرآن على أولئك المشركين الذين اعتذروا عن شركهم بالله على عتجين بالقَدَر، فقال على: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشَرُكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللهُ مَآ أَشْرَكُنَا وَلاَ ءَابَآؤُنَا وَلاَ حَمِّنَا مِن شَيَوْكُواْ لَوْ سَآءَ اللهُ مَآ أَشْرَكُنَا وَلاَ ءَابَآؤُنَا وَلاَ حَمِّنَا مِن شَيْوِكُولُوا لَوْ سَآءَ اللهُ مَآ أَشْرَكُنَا وَلاَ عَرَّمُنَا مِن شَيْوِكُولُوا لَوْ سَآءً اللهُ كَذَب عَن عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا أَن تَنْبِعُونَ إِلاَ الظَنَ وَإِن أَنتُم إِلَا تَخْرُصُونَ الله الله الله الله على العلم (الانعام)، فبين القرآن لهم أن قواعد الدين لا تُبنى على أساس من الخرص الذي هو أضعف الظن، وإنها تُبنى على العلم

١. الخَرْص: الحَدْس والتَّخمين.

اليقيني والحجة الظاهرة، ولذا قال على عقيب ذلك: ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحَبَّمَةُ ٱلْبَلِغَةُ ﴾ (الأنعام: ١٤٩)، وقال ك كذلك: ﴿ وَمَا يَنْتِعُ أَكَثَرُهُمُ لِلّاَظَنَّ إِنَّا اَلظَنَ لا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ ﴾ (يونس)، وقال الله أيضًا: ﴿ إِن يَتَبِعُونَ إِلَّا ٱلطَّنَ وَمَا لَهُ وَمَا لَهُمُ إِلَّا يَفُلُونُ ﴾ (الجانية).

وهكذا يثبت القرآن هذه القاعدة الأصيلة في البحث العلمي، وهو أن الظن لا يرتقي بحال إلى مستوى اليقين.

الناقشة العقلية التي تعتمد على قواعد العقل وبدهياته ومسلماته:

وهذا أيضًا من منهج القرآن وطريقته، فهو يخاطب العقل؛ لأنه هو القاعدة التي ينطلق منها كل إنسان في الوعي عن الله؛ فهو بمثابة الدليل، وبه يكمل العلم والعمل.

ومن ذلك المناقضة، وهي التعليق على المحال، ليكون ما عُلِّق عليه محالًا أيضًا، كقوله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيكَ كَذَّبُواْ يِعَايَننِنَا وَٱسۡـتَكُبْرُواْ عَنْهَا لَا نُفَنَّتُ لِمُمْ أَبَوْبُ ٱلسَّمَآهِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِ سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ (الأعراف: ٤٠).

ومن القواعد العقلية في القرآن أيضًا بناء النتائج على المقدمات، والتسوية بين المتشابهين، والتفرقة بين المختلفين، وأن الشهادة لا تكون إلا عن علم، وأن الفعل لا بدله من موجد، واستعمال القياس العقيلي، واستخدام برهان الخلف، وإلزام الخصم بها يعترف به هو مما هو مشاهد محسوس، والتزام الطرق الصحيحة وقبول النتائج التي تؤدي إليها الأدلة الصحيحة، وغير ذلك مما لا ينكره العقلاء، ومن هنا فلا يستطيع العقل أن يفلت من أسر هذه

القواعد والمسلمات فلا يملك معها إلا التسليم.

ومن النهاذج القرآنية في المناقشات العقلية مع الخصوم ما ردّ الله به على أولئك المفترين عليه كذبًا أنه اتخذ ولـدًا، فبيّن لهم أن الولادة تنشأ عن ازدواج بين ذكر وأنثى من جنس واحد، وهو سبحانه ليس له جنس فيكون له منه زوج، قال على الله عنه ألسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَى يَكُونُ لَهُ, وَلَدُّولَمُ تَكُن لَهُ صَنحِبَةً ﴾ (الانعام: ١٠١).

فكيف يكون له ولد ولم يكن له صاحبة ينشأ الولد من ازدواجه بها؟! ولا معنى للولد إلا ما كان كذلك في عرف كل عاقل من العقلاء، وهكذا تُبنى النتائج على المقدمات.

وأيضًا رد الله على مَن زعموا أن الملائكة بناته فقال: ﴿ أَشَهِ دُواْ خَلْقَهُمْ ﴾ (الزحرف: ١٩)، فهل شاهدوا خلق الملائكة فحكموا عليهم بأنهم إناث؟! كما يقرر القرآن قاعدة أصيلة في المناقشة العلمية وهي أن الشهادة تكون عن علم، قال علم، قال على لسان إخوة يوسف العلا: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ (بوسف: ٨١).

ومن الأدلة كذلك قوله ﷺ: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ، مِنْ إِلَكِهُ ۚ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَىٰمِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (المؤمنون: ٩١)، والمعنى واضح معروف، وهو يسمَّى عند المتكلمين بدليل التهانع.

القياس العقلي: بيان حُكْم أمرٍ غير منصوص على حكمه وذلك عن طريق إلحاقه بأمر معلوم حكمه بالنص عليه في الكتاب والسنة؛
 للاشتراك بينهما في عِلَّة هذا الحكم.

﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَكِ لِمَ تُحَاَّجُونَ فِي إِبْرَهِمَ وَمَا أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَكَةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِوا ۚ أَفَلاَتَعْ قِلُوكَ ﴿ اللَّ عمران).

فكيف يدَّعي اليهود والنصارى أنه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، وإنها كان زمنه الطَّيِّ قبل مجيء اليهودية والنصرانية، وقبل إنزال التوراة على موسى بزمن بعيد، وتلك حجة عقلية بدهية، ولذا قال الله المَّدَ الله الله على موسى في الله على موسى بزمن بعيد، وتلك حجة عقلية بدهية، ولذا قال الله الله الموراة على موسى موسى في الله على الله على

ومن ذلك أيضًا ما ردّ القرآن الكريم به على عُبّاد الأصنام والأوثان التي هي جمادات لا تملك شيئًا؛ قال المحقيقة وَالتَخَدُوا مِن دُونِهِ عَالِهَةً لَا يَعْلَقُون شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرَّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوْة وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيْوة وَلا ينفع، ولا ينصر، ولا ينفع، ولا ينصر، ولا ينفع، وتلك دلالة عقلية؛ لأن من فقد صفات العاقل من السمع والكلام وغير ذلك لا يكون إلهًا، وتلك عين الحجة التي وتلك دلالة عقلية؛ لأن من فقد صفات العاقل من السمع والكلام وغير ذلك لا يكون إلهًا، وتلك عين الحجة التي أقامها نبي الله إبراهيم النفي على قومه في عبادتهم للأصنام؛ حيث قال لهم: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنْعُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنْعُدُونَ فَلَا الْعَامِ النبياء).

٤. الجمع بين العقل والنقل في الرد:

ومن منهج القرآن وطريقته في الرد أيضًا أنه قد يجمع في الرد بين الدليل العقلي والدليل النقلي، ومعلوم لدارسي المناهج النقلي لا يستغني عن التأمل العقلي، والعكس صحيح، فالتعاون بين المناهج حقيقة علمية لا شك فيها، وقد استعمل القرآن ذلك، فأحيانًا يأتي الرد مكتسبًا قوته من الطريقين معًا، طريق العقل وطريق النقل.

ومن النهاذج القرآنية الواضحة في ذلك ردّ القرآن على المشركين الله الله كانوا يطوفون بالبيت عراة _رجالًا ونساء _زاعمين أن آباءهم كانوا كذلك، وأن الله أمرهم بهذا، فبيّن الله الله الله على الفعل فاحشة منكرة، والله لا يأمر بمثل ذلك فكيف تسندون إلى الله ما لا تعلمون؟! وهذا تكذيب لهم من طريقي العقل والنقل.

فمن طريق العقل يتضح أن هذا الفعل من القبائح والفواحش، والله منزه عن الأمر بمثل ذلك؛ لأنه تعالى لا

يأمر بالفحشاء، ولا يأمر بها إلا الشيطان، قال على: ﴿ قُلْ إِنَ اللّهَ لَا يَأْمُمُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (الاعراف: ٢٦)، وقال أيضًا: ﴿ الشَّيْطَانُ يَمِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم مِ إِلْفَحْشَآءِ ﴾ (البقرة: ٢٦٨)، وأما طريق النقل فهو أن ما يسند إلى الله على لا ينبت بمجرد الدعوى، بل يجب أن يُعلم بوحي منه على إلى رسولٍ من عنده، ولم يثبت ذلك، فبطل ما تدَّعون، ولذا قال الله القَعُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لا نَعْلَمُوكَ ﴿ الاعراف، ومن ذلك ردّ نبي الله شعيب الله على قومه الذين كانوا يطففون في الميزان، زاعمين أن أموالهم ملك لهم يفعلون فيها ما يشاءون، وهم راضون فيها بينهم بالبخس، فبين لهم نبي الله أن ما تواطأت عليه العقول الرشيدة وتوافقت عليه الفِطَر السليمة هو إيفاء الناس حقوقهم مما يكال أو يوزن بغير بخس ولا نقص، بحيث يأخذ كل إنسان حقه بالعدل، ومن هنا يمتنع التعدي والظلم، والعداوة، والبغضاء بين الناس، وهذا دليل عقلي لا يختلف عليه العقلاء، قال على لسان نبيه شعيب المعلى: ﴿ وَيَعَوْمِ أَوْفُوا الْمِحْسَاء بين الناس، وهذا دليل عقلي لا يختلف عليه العقلاء، قال على لسان نبيه شعيب العلى (مود).

ثم بين لهم شعيب النص كذبهم فيها ادَّعوا من أن الأموال ملكهم على وجه الإطلاق، فعرفهم ما جهلوه من أن المال مال الله، وأن الله هو الرازق، وما أموالهم إلا رزق الله لهم، فالمال ماله على الحقيقة، وهم مستخلفون فيه فحسب، وهذا يتضح في قوله النص لهم: ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ (مود: ٨٨)، وقوله: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿ الله الله عَلَى الحَفيظ عليكم في أقوالكم والمراقب لكم في تصرفاتكم في أموالكم، فما ينبغي أن تتصرفوا فيها إلا بما يوافق الحق والعدل، والقسط الذي هو مراد الله، أما نقص الناس حقوقهم فهو عين الظلم والفساد في الأرض.

٥. الاستدلال بالمذهب الكلامي الصحيح:

من منهج القرآن وطريقته في الرد على خصومه الاستدلال بالمذهب الكلامي على طريقة المتكلمين الصحيحة. ومن النهاذج القرآنية الدالة على ذلك ما ردّ الله به على الكافرين الذين زعموا أن محمدًا على قد افترى القرآن من عند نفسه، فقال على: ﴿ وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿ اللَّهُ بَا لَيْكِينِ ﴿ اللَّهُ اللهُ عَلَى اللهُ ما لم ينزله لعاجله بالعقوبة، وهذا استدلال بها هو مقرر في المُذهان من أن الله على واسع القدرة والعلم، فلا يقدر أحد على أن يقول عنه كلامًا لم يقله، فلو ادَّعي محمد أن القرآن من عند نفسه ما أقرَّه الله على ذلك ولعاجله بالعقوبة، فعدم هلاكه على عدم تقوُّله ذلك على الله، وبهذا يُتَوصَّل الله النتيجة الحتمية وهي نفي بشرية القرآن، وإثبات كونه منزلًا من عند الله، وهذا الاستدلال معروف عند المتكلمين.

٦. ضرب الأمثال في أثناء الرد لتوضيح الفكرة وتقريبها وإقناع المخاطب:

لضرب المَثَل (١) فوائد عديدة، ومن منهج القرآن وطريقته ضرب الأمثال في حواره مع الخصوم، ومثيري

١. المَثَل: العِبْرة والعِظَة والحُبَّة والدليل.

الشبهات، فمن فوائد ضرب المثل في القرآن الكريم:

- تقريب الفكرة إلى ذهن السامع؛ حيث يتصور الأمر الذي يسمعه كأنه مثال حيٌّ مجسد أمامه في صورة حية ملموسة متحركة؛ فيهتدي إلى الحق ويقتنع بها يقال.
- معرفة العاقل والعالم من غيرهما، فالذين يعقلون الأمثال هم العالمون، قال ﷺ: ﴿ وَيَلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِيبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ ﴿ العنكبوت).
- إن الأمثال تُخرج ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع عليه، وما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بهذه البديهة،
 وما لم تجرِ به العادة إلى ما جرت به العادة، وما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة.
- يستفاد من ضرب الأمثال في القرآن أمور كثيرة، مثل التذكير والترغيب والتنفير والمدح والذم والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المواد للعقل وتصويرها بصورة المحسوس؛ فإن المتمثل كالمصانع الذي يقدر صناعته، وكأن المثل سُمِّي مثلًا؛ لأنه يمثَّل في الخاطر ويثبت معناه في النفس فيظل ماثلًا حاضرًا مؤثرًا.

وإنها يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يهتدون إلى الإيهان وينعمون باليقين الذي جعله الله نورًا للقلوب، وهداية للنفوس، واطمئنانًا للأرواح، فالأمثال أقوم في الوعظ وأقوى في الحجة وأبلغ في الإقناع، قال على الله وَلَقَدُ وَلَقَدُ ضَرَبْنَ اللَّهُ الله الله الله وَمَا لَكُمْ مَثُلِ لَعَلَهُمْ يَنَذَكَّرُونَ الله (الزمر).

والأمثال التي يذكرها الله على القرآن إنها تقرب للنفوس حقائق الهداية، وهي صور ملموسة حية لا يقف منها موقف الشك إلا كل معاند متكبر، والأمثال في القرآن كثيرة متنوعة، فمنها الأمثال الصريحة وهي كثيرة في القرآن، ومنها الأمثال الكامنة، ومنها الأمثال المرسلة التي يصح استعها فيها يشبه ما وردت فيها، وهذه الأمثال بأنواعها توشك أن تكون واقعًا حيًّا يخاطب النفس البشرية فيقودها إلى الحق، ولم تأتِ هذه الأمثال عبثًا أو سُدًى، وإنها لحكم بالغات، وغايات نبيلات، وعبر وعظات، تقود الإنسان إلى الاستسلام لله، والاقتناع بها في كتابه من أوامر ونواه، وأخلاقٍ وأحكام، وعلاج للأمراض، وعبادات وتشريعات، ومعالجة لأدواء النفس، وتهذيب لسلوكها، وتعديل لطرائقها، وبيان للعواقب الوخيمة، وتثبيت لقلوب المؤمنين، وإضلال للكافرين والظالمين، وإظهار لرحمة الله وفضله حتى تستقر المعاني في القلوب، قال قال الله المنه عنه الله النفري من كُلُ مَثُلِ لَعَلَهُمْ يَلَذَكَّرُونَ .

 فإن الله بدأ خلقه من ماء حتى صار أخضر نضرًا ذا ثمر، ثم أعاده حتى صار يابسًا توقد به النار، وهذا استدلال في غاية الوضوح لكل من عقل ذلك المثل.

وهذا مثل في غاية الوضوح، وفيه إشارة إلى سخافة عقولهم، وسفاهة أحلامهم، حيث يدْعون مَنْ هذا حاله.

كما يرد القرآن على هؤلاء المشركين أيضًا _ في القضية السابقة نفسها _ بمثل آخر واضح لا خلاف فيه، وهو يوضح عدم استواء المشرك الذي يعبد الله وحده لا شريك له، قال الله وخرب الله وحده لا شريك له، قال الله وخرب الله مَثَلًا وَبَهُلًا فِيهِ شُرَكاء مُتَشَكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَونِكِانِ مَثَلًا وَالزم: ٢٩)، فالعبد المشترك يتنازع فيه شركاء متشاكسون، والعبد الخالص لا يملكه غير صاحبه، فهل يستوي هذا وذاك؟! وكذلك لا يستوي عند الله من آمن به وحده، ومن أشرك معه آلهة أخرى.

٧. نقض الدعوى جملة وتفصيلا:

من منهج القرآن وطريقته في محاورة الآخر، وبيان خطأ فكرته ومدى كذبه في دعواه أنه يبدأ أولًا بإبطال دعوى الخصم على وجه الإجمال، وهذا ما يسمَّى في علم المناظرة نقضًا إجماليًّا، ثم يرتقي في الرد فيبين خطأ الدعوى على وجه التفصيل، وهذا ما يسمَّى في علم المناظرة نقضًا تفصيليًّا.

ومن هذا تلك النهاذج القرآنية التي توضح ما رد الله به على المشركين الـذين ادَّعـوا أن كشرة الأمـوال والأولاد دليل رضا الرب عَلَىٰ عنهم؛ حيث حباهم بذلك دون غيرهم، وهو دليل غير واقعي، لذا بيّن الله لهم أولًا أنـه عَلَىٰ ربـا ------ الشبهات التي تولى القرآن الرد عليها

ثم بين الله لهم أن الذي يُقرِّب إليه سبحانه هو الإيهان، والعمل الصالح، قال على: ﴿ وَمَا آمُولُكُمْ وَلا آوَلَنكُمْ بِاللَّهِ مَا عَبِلُواْ ﴾ (سبانه)، وهذا ارتقاء في الرد من إبطال تُقرِيّكُمْ عِندنا زُلْفَى إِلّا مَنْ ءَامَن وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُولَئِيكَ لَهُمْ جَزَآهُ الضِّمْفِ بِمَا عَبِلُواْ ﴾ (سبانه)، وهذا ارتقاء في الرد من إبطال الملازمة التي توهموها بين كثرة الأموال والأولاد وبين رضا الرب، إلى الاستدلال على أنهم ليسوا بمحل الرضا عند الله على وهذا نقض تفصيلي لإبطال دعوى الخصم.

٨. الاكتفاء بنفي الادِّعاء دون الاستدلال:

من منهج القرآن وطريقته أنه أحيانًا يكتفي في إبطال دعوى الخصوم بنفي الاتهام، وإنكار الدعوى، وليس هذا الصنيع منه عن عجز عن الاستدلال، أو نكوصٍ عن إقامة الحجة، ولكنه يكتفي بمجرد النفي دون استدلال عليه نظرًا لضعف الدعوى ووهيها، وظهور الحق ووضوحه الذي لا يحتاج معه إلى تقديم دليل، فهو كالشمس في رابعة النهار:

وهكذا اكتفى القرآن بمجرد نفي الدعوى دون استدلال، تاركًا لهؤلاء المشركين _ إن كانوا حقًا منصفين _ فرصة التأمل في حال النبي على معهم، وقد كان يعيش بين ظهرانيهم، فهل وجدوه يتعاطى الشعر أو يهارس الكهانة أو السحر، وهل وجدوا في سلوكه وأخلاقه وأقواله وأفعاله ما ينطبق عليه الجنون، إن أدنى تأمل في حاله معهم كافٍ في تحقق انتفاء تلك الأوصاف الظالمة عنه، ولا يُحتاج في إبطال اتصافه الله بشيء منها إلى أكثر من الإخبار بنفيه؛ لأن دليله المشاهدة، وهو دليل ظاهر لكل ذي سمع وبصر وعقل.

٩. استعمال البلاغة في الرد والإيجاز في الجواب عن شُبَه الخصوم:

فالقرآن كما هو معلوم أعلى نص بلاغي، فهو تنزيل من حكيم حميد، ولذا كان من منهج القرآن في محاوراته مع

١. الكاهن: هنا بمعنى: المُنجِّم.

الخصوم، استعمال أبلغ الردود بأوجز الألفاظ التي تحمل معاني كثيرة ودلالات عميقة.

ومن تلك النهاذج القرآنية الدالة على ذلك ما ردّ الله به على المنافقين الذين اتهموا رسول الله به بأنه أُذُنُ يصدِّق ما يسمعه ويؤمن بها يقال له، فلا يكاد يميز بين ما يُعقل وما لا يُعقل، فرد الله عليهم قائلًا: ﴿ قُلُ أَذُنُ خَيْرِلَكُمُ الله ما يسمعه ويؤمن بها يقال له، فلا يكاد يميز بين ما يُعقل وما لا يُعقل، فرد الله عليهم قائلًا: ﴿ قُلُ أَذُنُ خَيْرِلًا كَمَا (التوبة: ٢١)، وهي عبارة وجيزة تحمل معاني غزيرة، فهو يقول: نَعَم هو أذن، ولكنه نِعْمَ الأذن؛ لأنه أذن خير لا كما تزعمون، فهو لا يقبل إلا الحق وما وافق الشرع، وما فيه المصلحة للخلق، وليس بأذن في سماع الباطل والكذب والنميمة والمراء، فهو لا يلقي سمعه لذلك، وإذا سمعه لا يقبله وإن وكّدوه بأغلظ الأيهان، فهو لا يصدّق ما لا يجوز تصديقه شرعًا أو عقلًا، على العكس من الملوك الذين يتملقهم المنافقون وأصحاب الأهواء والساعون بالوشايات لابعاد الناصحين المخلصين، فلا تغتروا بلطفه على معكم إذ هو لا يواجه أحدًا بها يكرهه، وهذا من كريم أخلاقه وسمح خصاله.

فردُّ القرآن هنا من باب أسلوب الحكيم، فهو في أوله يوافقهم على قولهم: هو أذن، ثم يتبعه بما ينقض عليهم دعواهم، ولا شيء أبلغ من هذا الرد بذلك الوجه؛ لأنه في أوله إطهاع لهم بالموافقة ثم كرُّ على طمعهم بالحسم وإعقابٌ له باليأس منه، ولا شيء أقطع من الإطهاع ثم اليأس يتلوه ويعقبه.

ومن ذلك أيضًا ما ردّ الله به على اليهود الذين امتنعوا عن الإيمان بها جاء به الرسول و لأن جبريل هـ و الذي ينزل عليه بالوحي، وهم يعتبرونه عدوًّا لهم، وادعوا أنه لو كان ميكائيل الذي ينزل على محمد و لآمنوا به، فقال التي يرد مقالتهم الحاقدة: و قُلُ مَن كَاتَ عَدُوًّا لَجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلُهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذِنِ اللهِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْتَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَمُثَمَى لِلمُؤْمِنِينَ اللهُ اللهُ أن هذه من تعلُّلاتهم الغريبة واعتذاراتهم المنكرة، فإن العاقل لا يرفض الهداية التي تأتيه وتنقذه من الضلال، فإن دعوى عداوة جبريل ينبغي ألا تكون مانعة من الإيهان، فمن كان عدوًّا لجبريل فإنه عدو لميكائيل، وعدو للحق، ولكل من يمثله ويدعو إليه، ومن عادى رسولًا فقد عادى جميع الرسل، ومن عادى كتابًا من الكتب المنزلة فقد عاداها جميعًا؛ لأن وظيفة الأنبياء والرسل جميعًا واحدة، وغايات الكتب واحدة، ولذا قال في: ﴿ كَذَبَتَ عَدُولُ السُولِ اللهِ لم كذبوا رسولهم الذي ولذا قال اليهم فقط، لكن الكفر برسول كفر بالرسل جميعًا، وهذا من ضروب إيجاز القرآن وبلاغته التي انفرد بها، وبذلك أبان الله لهم فساد العلة التي اعتذروا بها.

١٠. دعوة الخصم إلى التركيز في القضية محل النزاع والتأمل في حقيقة الأمر وترك التقليد والهوى:

من منهج القرآن وطريقته في المحاورة مع الخصوم التركيز في القضية التي يدور حولها النزاع، والبعد عن الشغب والجدل في موضوعات بعيدة لا تمسّ لب القضية، والتدبر في جوهر ما يدعو إليه، ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المقيت للآباء والأجداد والأفكار التي لا دليل عليها، والقرآن يدعو خصومه أن يلتزموا بهذا المبدأ الذي

يتفق عليه العقلاء، وأصحاب الفطر السليمة، فإن شأن العاقل أن يطلب الحقيقة من دلائلها العقلية.

ومن ذلك أيضًا ردُّ الله على المشركين الذين ادَّعوا أن اتباع الفقراء للأنبياء يعوق إيهان الناس بهم، وأن سعة العيش ورغده دليل على صحة ما عليه هؤلاء من معتقد، وأن الله ما أعطاهم المال إلا لحبه لهم، فبيّن لهم القرآن أن هذه الشبهة الملقاة هي خروج عن محل القضية التي يدعو إليها الرسل، وقد كان حريًّا بهم أن ينظروا في حقيقة ما جاء به الرسول، هل هو حق أو لا، بصرف النظر عن أتباعه من الناس أشرافًا كانوا أو فقراء، ولذا قال نوح على مبينًا جهل قومه في ذلك: ﴿ وَمَا آنًا بِطَارِدِ ٱلذِينَ ءَامَنُوا أَنَّهُم مُلكَفُوا رَبِيم وَلكِي مَ الْركي وَلا منعه دليل الإهانة، وإنها الله يختبر الناس الأغنياء وإيهان بعض الفقراء إلا فتنة، وليس إعطاء المال دليل الكرامة، ولا منعه دليل الإهانة، وإنها الله يختبر الناس بعضهم ببعض، والأولى أن يبحث العاقل في جوهر الدعوة وحقيقتها، وأن يعرف مراد الله من وحيه إلى رسله، ولذا قال عن ﴿ أَوَلَمُ يَعَلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقَدِدُ ﴾ (الزمر: ٥٠)، وقال أيضًا: ﴿ وَمَا آمَوُلُكُم وَلا أَوْلَدُكُم وَلا أَوْلَدُكُم وَلا أَوْلَدُكُم وَلا أَلْقَى إلا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا ﴾ (سبا: ٢٧).

ويحذر القرآن من التقليد واتباع الآخرين دون دليل أو اقتناع، كما يحذر من الميل إلى الهوى بغير علم، وهذا المبدأ القرآني مبدأ علمي لا خلاف عليه، يقول على: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اتّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اَبَاءَنا أَلُوكَ كَا اللهِ اللهِ على اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ على اللهِ اللهِ اللهِ اللهوى بغير علم لا وزن له في ميزان القرآن والعلم أيضًا.

١١. الدعوة إلى تدبر القرآن والنظر في معانيه:

كثيرًا ما نجد القرآن يدعو في حواره مع الآخر إلى النظر في آيات القرآن وتدبر معانيها، وبخاصة ما يتعلق بتلك الافتراءات والأباطيل التي يرمي المشركون بها ذلك الكتاب الكريم، ولو أنهم قرءوا القرآن حق قراءته وتدبروا آياته حق التدبر؛ فإنهم سوف يدركون أنه ليس كلامًا كسائر الكلام، وما هو بقول البشر، وأنه لا اختلاف فيه بل كله ملتئم

لا عوج فيه، وسوف يعلمون حقًا أنه لا يستطيع محمد ولا غيره أن يأتي بهذا القرآن من عند نفسه، ذلك لأن القرآن معجز في أصول العقائد وقواعد التشريع وفلسفة الآداب والأخلاق، وسياسة الشعوب والأقوام، وفنون القول وألوان العِبر في أنواع المخلوقات، وسنن الاجتماع، ونواميس العمران، وضرب الأمثال، وتكرار القصة الواحدة بالعبارات البليغة، وما فيه من العلم الإلهي والخبر عن عالم الغيب والدار الآخرة، والحكاية عن الماضي الذي لم يشهده محمد والإخبار عن خفايا الحاضر، وكون كل ذلك موافقًا للفطرة والعقل، لا اختلاف فيه ولا تناقض، بل هو غاية الغايات وفصل الخطاب.

وهكذا فإن مَن يتدبر القرآن يهتدي إلى كونه من عند الله على، قال على: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرُءَانَ وَلَوَكَانَ مِنْ عِندِغَيْرِ ٱللّهِ لَوَجَدُواْفِيهِ ٱخْذِلَنْفَا كَثِيرًا ﴿ آَكُ النساء ﴾، وقال أيضًا: ﴿ ٱلْحَمَّدُ لِلّهِ ٱلّذِي آنزلَ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِئْبَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿ اللّهِ الذِي اللّهِ الذِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

وقال الله كذلك في مفتتح كتابه: ﴿ ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَبْ فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢)، فاستفتح بهذه الجملة معلنًا فيها التحدي لكل من يقرأ ذلك الكتاب أن يجد فيه ريبًا أو خطأً أو اختلافًا، على عكس عادة كل المؤلفين من البشر الذين يستفتحون كتبهم بالاعتذار عن الأخطاء التي ربها وقعت منهم، والتهاس الأعذار في مثل ذلك، أما القرآن فلا يتطرق إليه شك أو عوج أو بطلان أو تناقض: ﴿ إِنَّهُ لِلَوَلَ فَصُلُ اللهُ وَمَا هُوَ إِلْمَ زَلُونَ ﴾ (الطارق).

وعليه فإن مَن يتدبر القرآن حقًا يتبيّن له الأدلة القاطعة على صدق ما فيه، فهو معجز بإخباره بالغيب، ومعجز بإعجازه العلمي والبياني والتشريعي، ومعجز بسمو معانيه وعلو مراميه، وإيجازه البالغ وفصاحة ألفاظه، وأسراره العلمية، وسلامته عن المعارضة والمناقضة والاختلاف، وظهوره على لسان أمّي لم يدرس العلوم، واشتهاله على السهل الممتنع، وقوة عبارته، وكشوفه التاريخية، وفواصله الحسنى، وطراوته في كل زمان، ومناهجه الإصلاحية، واتساق أغراضه ومعانيه، وسهولة حفظه، وأخذه الخلاب بالعقول والألباب، وقوة حجته وسلامة منطقه، وإعجازه في ترتيب سوره وآياته، وكونه آية باقية ما بقيت الدنيا، وإخباره عن الضهائر، وحسن تخلصه من قصة إلى أخرى، وسلامته من الخرافات والأباطيل، ونزاهته في التعبير، وغير ذلك من وجوه إعجازه.

١٢. قراءة التاريخ والواقع العملي:

من منهج القرآن وطريقته في حواره مع الآخر الاستدلال بالتاريخ وأحداثه ووقائعه، والنظر كذلك إلى الواقع العملي، فإذا لم تُجْدِ الأدلة العقلية مع بعض الناس، ولم تنفع معهم المخاطبات، فإن القرآن يدعوهم إلى قراءة التاريخ وتقليب صفحاته لعلهم يجدون أممًا وشعوبًا كانت أقوى منهم عزة وأشد منعة كفروا بالله على وآذوا رسله وعارضوهم ولم يستمعوا إلى الحق الذي جاءوهم به، فإذا بهم ينزل عليهم سخط الله وتتلاحق عليهم لعناته فها استطاعوا الإفلات ولا الهرب، وإذا هم عبرة للمعتبرين، فالجانب التاريخي في القرآن جانب واضح ومهم جدًّا في حواره مع الآخرين؛

لأن فيه دعوة إلى التأسي بالناجين واتعاظًا بالهالكين، وهو في كل ذلك يحكي أمورًا واقعة، معانيها صادقة، ومفاهيمها معقولة معبّرة، فمن ركَّز على العبر والعظات والأهداف عقب الحوادث، وأفاد من صفحات التاريخ ومراحله وأحداثه، فسوف يصل إلى الحقيقة؛ لأنه ستفيده أحداث التاريخ في واقعه، والتاريخ أكبر معلِّم.

ومن النهاذج القرآنية الدالة على ذلك ما ردَّ به الله على المشركين الذين أنكروا رسالة سيد الرسل وخاتمهم محمد على فقالوا: ﴿ مَا سَمِعَنَا بِهَذَا فِي الْمِلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلّا الْخِلِلَةُ ﴿ قُلْمَا كُنتُ بِدَعَا مِن الرسل والمُوسول على المسول عليهم بذلك، فقال على فقال الله على الرسل والأنبياء وحالهم مع أقوامهم، وكيف كانت يكن أول رسول طرق العالم، فلا يزال التاريخ يخبرنا عن كثير من الرسل والأنبياء وحالهم مع أقوامهم، وكيف كانت لتلك الرسل الغلبة والنصر دائهًا، ولذا أمر الرسول على أن يقول لهم: ما بعثتي ولا رسالتي بالشيء المنكر ولا الأمر المستغرب الذي لا نظير له حتى تستبعدوا بعثتي إليكم؛ فقد أرسل الله رسلا قبلي إلى جميع الأمم ﴿ وَإِن مِنَ أُمَّةٍ إِلّا خَلا المسل والآبات على صدق نبوته.

كها أنهم لما نقموا على رسول الله ﷺ أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق معيرين إياه بذلك، أمرهم الله بقراءة التاريخ فلم يجدوا فيه رسولًا لم يفعل ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلُكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَا كُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَعْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان: ٢٠)، وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ (الانبياء: ٨). ولما علق اليهود إيها نهم بالرسول ﷺ حتى يأتي بقربان تأكله النار، ردّ الله عليهم شبهتهم هذه بأن الرسل قد جاءوهم بالذي طلبوا من قبل، والتاريخ خير شاهد على هذا، ورغم ذلك قتلوهم، وبهذا أبان الله كذبهم وبطلان حجتهم، قال ﷺ: ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلُ مِن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَتِ وَبِاللَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَاتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَلاقِينَ ﴿ (آل عمران).

ولما احتج المشركون على عدم إيهانهم برسول الله على بأنهم إن تبعوه تخطفهم الناس من حولهم، ولم يأمنوا العيش والرزق، بَيَّنَ الله ضعف تعللاتهم هذه، وأمرهم بقراءة تاريخهم جيدًا فصفحاته شاهدة بأن الله قد أمَّنهم بحرمة البيت، ومنع عنهم عدوهم فلم تستحل العرب قتالهم، وكأنَّه يقول لهم: كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبدون غيري، أفتخافون إذا عبدتموني وآمنتم برسولي، أن يتخطفكم الناس؟! فقال على ﴿ أُولَمَ نُمُكِّن لَهُمْ حَرَمًا عَامِنَا يُجْمَى إلَيْهِ ثَمَرَتُ لَقُلْ مَنْ عَرِي القصص).

١٣. بيان الحِكم والمصالح والمقاصد من الأوامر والأحكام والتشريعات الإلهية:

فم اهو واضح من أسلوب القرآن ومنهجه في حواره مع غير المسلمين _ حين يعترضون على أحكام الله وتشريعاته _ أنه يبين لهم الحكمة من ذلك الحُكم والمقصد الإلهي من هذا التشريع، وأن الله لم يُشَرِّعه عبثًا ولم يأمر به سُدًى، وإنها هو لعلة أو حكمة يعلمها من يعلمها ويجهلها من يجهلها، وما من أمرٍ يشرعه الله إلا فيه مصلحة للناس،

فالشريعة الإسلامية مبناها على مصلحة الناس، وكلها خير.

ولما اعترض اليهود على وقوع النسخ وادَّعوا استحالته عقلًا ونقلًا، بين الله أنه قد يُبدِّل حُكُمًا بحكم، وهو عالم بالأول والآخر؛ لأنه يعلم ما يُصلح الناس في وقت وما يصلحهم في وقت آخر، فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها عَلَى مَن عنه لحكمة يعلمها، قال عَنْ: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ مِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَنْ اللهَ اللهَ اللهُ ال

ومن منهج القرآن أيضًا _ فيها يتصل بهذه القضية _ ما يوضحه في كثير من الأحكام والأوامر والتشريعات، أنها مما يبتلي الله بها عباده ليضل قومًا ويهدي آخرين، وهذا مبدأ قرآني قرره القرآن في غير ما موضع من حواراته مع المعاندين لدعوته والصادِّين عنها.

ومن ذلك أمر تحويل القِبْلة وقضية النسخ كها سبق، وكذلك اعتراض المشركين والمنافقين على الأمثال التي ضربها الله في القرآن، فبين الله لهم أن ضرب الأمثال في القرآن ـ صغيرها وكبيرها ـ هو ابتلاء من الله للناس واختبار لهم؛ ليميز أهل الإيهان والتصديق من أهل الضلالة والعناد، فهو هداية لقوم وإضلال لآخرين، قال الله الله الله المنه والتصديق من رَبِّهِم وَأَمَّا الله الله الله الله المنه عنه والمنال المنه والمنه ويعلم أنه ويم والمنه ويوفق الى فهمه، ويعلم أنه من عند الله فيزداد إيهانا، وأما الكافر فيرتاب فيه ويتحيّر وينصرف عن هدي القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزِلَتَ سُورَةً مَن الله فيزداد إيهانا، وأما الكافر فيرتاب فيه ويتحيّر وينصرف عن هدي القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزِلَتَ سُورَةً الله فيزداد إليانا، وأما الكافر فيرتاب فيه ويتحيّر وينصرف عن هدي القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزِلَتَ سُورَةً مَن الله الله فيزداد إليانا، وأما الكافر فيرتاب فيه ويتحيّر وينصرف عن هدي القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنزِلَتَ سُورَةً مَن الله عَنْ الله فيزداد إليانا، وأما الكافر فيرتاب فيه ويتحيّر وينصرف عن هدي القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنزِلَتَ سُورَةً مَن الله ويتحيّر وينصرف عن هدي الله الله قيرة الله فيزداد إليهانا، وأما الكافر فيرتاب فيه ويتحيّر وينصرف عن هدي القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْ الله ويتحيّر وينصرف عن هذي الله المنافرة الله المنافرة الله المنافرة المن المنافرة الله المنافرة المنا

ومن ذلك أيضًا ما اشتبه على كثير من الأمم المكذبة والذي حكاه القرآن غير مرة عنهم حين استنكروا إيهان الضعفاء والفقراء والعبيد بالرسل، وكفر الأغنياء والمترفين والسادة بهم، وبنوا على ذلك أن الحق مع الأغنياء، وأن إعطاء الله المال لهم دليل رضاه عنهم، فبين الله لهم مغالطتهم وخطأهم في معتقدهم، فالغنى والفقر ابتلاء من الله

١٤. اللجوء إلى التحدي المعجز:

كيفية التعامل مع الشبهات المعاصرة:

من خلال تتبُّعنا لمنهج القرآن الكريم في حواره مع الآخرين _ ورده على أباطيل خصومه وافتراءات أعدائه ودعاوى المشككين فيه _ يمكننا بعد هذا أن نرصد أهم أوجه هذا المنهج والتي يمكن الاستفادة بها في حوارنا مع الآخر في هذا العصر، فإن هذا المنهج القرآني الرائع يكشف لنا عديدًا من الطرق التي يمكن أن نتعامل من خلالها مع الشبهات المثارة حول القرآن ونبي القرآن، وكذا ما أثير حول الإسلام عمومًا في عصرنا الحاضر.

وأول ما يجب أن نثبته في نفوسنا جميعًا _ قبل كل شيء وقبل بيان أوجه الإفادة من هذا المنهج _ هو إرساء عقيدة ثابتة من عقائد المسلمين ألا وهي: تنزيه كلام الله على عن هذه المزاعم والافتراءات والأباطيل والحجج الواهية، وهذا مبدأ أساس لا بد أن يكون في أذهاننا وقلوبنا حال ردِّنا على خصوم القرآن والإسلام، في من شبهة يثيرها أعداء الإسلام، وما من حُجَّة يحتجُّون بها عليه إلا وهي داحضة واهية؛ ذلك أن القرآن بريء من كل تناقض، خالٍ من كل اختلاف، منزَّه عن كل نقص وخطأ، سالم من كل عيب، بعيدٌ عن كل شك وارتياب: ﴿ لا يَأْنِيهِ ٱلْبُطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ مَيْدٍ حَمِيهٍ مَيهِ لا نستحيل أن يوجد الباطل في القرآن، أو أن يوجد الاختلاف فيه؛ لأنه

كتاب الله الذي أنزله هداية للناس: ﴿ وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اَخْذِلَاهُا كَثِيرًا الله الذي أنزله هداية للناس: ﴿ وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اَخْذِلَاهُا كَثَابِ الله العصمة، وقد تواترت عشرات الأدلة على أن هذا الكتاب من عند الله على وأنه لا يستطيع إنس ولا جن أن يأتي بسورة من مثله ولو اجتمعوا لذلك، فهذه العقيدة لا بد أن تكون ثابتة بادئ ذي بدء، فهذه القاعدة هي أولى القواعد التي ينبغي أن تكون معلومة عند الرد على تلك الشبهات المثارة حول القرآن، وعليه لا بد أن يكون عندنا يقين تام أن جميع الطعون في القرآن مفتراة مكذوبة، لا أساس لها من الصحة، وإنها هي مخفض افتراء وأضغاث أحلام (١٠)، وأنها أوهن من بيت العنكبوت.

أما القاعدة الثانية من تلك القواعد التي ينبغي أن نعلمها، فتتمثل في أن عدم قدرة بعض المسلمين على الرد على الشبهات المثارة حول القرآن ليس معناه الهزيمة والعجز وثبوت الطعن الموجه للقرآن، فلن تخلو الأرض من قائم لله بحجة، قال على: ﴿ إِنَّا نَعَنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَوَ إِنَّا لَهُ لَكَ فِظُونَ ﴾ (الحجر).

وأما القاعدة الثالثة من القواعد التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع الأباطيل والمزاعم التي تثار حول القرآن، فهي النظر فيها قدمه الأقدمون من سلفنا الصالح من قواعد وضوابط عند الرد على الشبهات والمطاعن المثارة حول القرآن، وذلك من مثل الجمع بين مدلولات النصوص والتوفيق بينها ما أمكن، وتقديم الخاص على العام، فإن تعذر الجمع فالنسخ إن عُلم المتقدم والمتأخر، إلى غير ذلك من قواعد وضوابط، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هذا عن كيفية التعامل مع الشبهات المثارة حول القرآن، أما ما يمكن الإفادة منه من خلال منهج القرآن في حواره مع غير المسلمين وردّه على الخصوم في العصر الحاضر، فيتمثل ذلك في بعض النقاط التالية:

- تكاتف جهود العلماء كافة من نحاة ولغويين وبلاغيين ومفسّرين ومحدِّثين وفقهاء وأصوليين ودعاة ومنطقيين ومؤرخين وأدباء وعِلميين؛ وذلك لأن هذه الشبهات المثارة الآن متنوعة ومتعددة، ولا يمكن أن ينهض فريق واحد بهذه المهمة الكبرى، بل لا بد من وجود فِرَقِ متعاونة في جميع ميادين البحث العلمي والعلوم الإسلامية والعربية، ولا بد من التعاون بينهم والإفادة من تنوع خبراتهم وتضافر جهودهم، وعلينا أن نحذر من الاختلاف في الدين، وأن نتاسك ونتعاون فيها بيننا لنقف صفًا واحدًا لكشف حقيقة هذه الشبهات لجميع الناس.
- على القائمين بهذه المهمة العظيمة _وهي الذود عن كتاب الله والـذبّ عنه _أن يراعوا في ردودهم على الخصوم أن تكون ردودًا موجزة مفحمة مقنعة دامغة قاطعة عملية بعيدة عن التطويل والإطناب، والاستطراد إلا لضرورة، فإن أحداث العصر سريعة متلاحقة، ولا تحتاج إلى مثل ذلك التطويل والإطناب، فليكن الردّ بأيسر سبيل وأوجز عبارة وأدنى إشارة وأقطع حجة، بحيث لا يبقى للخصم جواب، أو مقال أو مجال للأخذ والرد.

١. أَضْغاث أحلام: ما كان مُلتبسًا مضطربًا يصعب تأويله.

وقال أيضًا: ﴿ أُولَتِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَهُمُ التَّهَ فَهُمُ التَّهَ فَهُمُ التَّهِ وَالنَّهَ فَهُمُ اللهِ العقلي ومنهجهم في ذلك، وعلينا أخذ الدروس والعظات والعبر من دعوتهم، ومن ذلك جدال المخالفين بالأسلوب العقلي والحجج المنطقية، والتوكل على الله والثقة بنصره، والردّعن علم وبصيرة وتمرّس ودراسة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ عَلَى اللهُ والثقة بنصره، والردّعن علم وبصيرة وتمرّس ودراسة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ عَلَى اللهُ وَالثقة بنصره، والردّعن علم وبصيرة وتمرّس ودراسة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهُ وَاللّهُ عَلَى اللهُ والثقة بنصره، والدّعم الله عليه الله الله على الله على الله على الله على الله على الله على المعاندين من أقوم الطرق الإقامة الحجة عليهم، فهذا مما يدعم أسلوبنا في الدعوة إلى الله على وإقامة الحجة على المعاندين والمخالفين.

- الإفادة من علوم العصر الحديث، كالطب، والهندسة، والوراثة، والميكانيكا، والفيزياء، والكيمياء، والجغرافيا، والبيولوجيا، وعلوم البيئة، والطب الشرعي، وعلوم الحاسب الآلي ومجالاته، وغير ذلك من العلوم، فمن المعلوم أن العلوم قد تطورت في عصرنا تطورًا هائلًا، وأصبح العلم يشق كل طريق من مجالات الحياة، وتعدّدت جوانب التخصص وتطورت الوسائل العلمية المختلفة، ولذا وجب الإفادة من هذه العلوم ومن تطبيقاتها في كثير من الدراسات، حتى ولو كان أصحابها من غير المسلمين، فإن الحكمة ضالة المؤمن فأنَّى وجدها فهو أحق بها، وإنها يعرف الرجال بالحق، وقد يُجري الله الحق على لسان غير المسلم في أمر ما فينطق به.
- وبالنسبة إلى الشبهات التي أثارها أصحابها اعتراضًا على أحكام الله على وأوامره ونواهيه، فعلينا أن نبين الحِكم من هذه الأوامر والنواهي، وأن نوضح المصالح التي تعود على الناس من هذه الأحكام، والوجوة العقلية من تشريعها للناس، فالشريعة _ شئنا أم أبينا _ نزلت على عقلاء _ فالقضايا كالنسخ، والربا، والحدود، والزواج، والطلاق، والميراث، والإمامة، والحِسبة، والزكاة، والصوم، والقصاص، والحجاب، والجهاد، وكذا كثير من القضايا التي تتعلق بالمرأة ينبغي أن نبين وجه الحكمة فيها والمقاصد الشرعية من ورائها؛ فالشريعة الإسلامية مبناها على مصالح الناس والتيسير عليهم وتحقيق العدالة فيها بينهم، وهي خيرٌ كلها ومصلحةٌ كلها وعدلٌ كلها، ليس فيها ما يخالف العقل ولا الفطرة، بل كل ما فيها مما تواطأت عليه العقول الصحيحة، والفِطَر السليمة.

وبيان هذه الحِكَم والمصالح أمر ضروري، خاصة ونحن نتحاور مع غير المسلمين، فلا يكفي أن نسرد أحكام الإسلام لهم دون بيان أهدافها وسمو غاياتها، وتعداد أوجه مصالحها ونبل مقاصدها.

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات __________________

أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَىٰ وَمَا آهَدِيكُو إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (اللهُ اللهُ اعاد).

ولأجل هذا كله علينا أن نعتمد في حوارنا مع غير المسلمين على الاستدلال العقلي، فإنه أمر يتفق عليه العقلاء ولا ينكرونه.

- الوضوح والشمولية والاستقصاء في الرد، فقرب الدليل إلى عقل الإنسان وقلبه بعيدًا عن الجدل العقيم والسفسطة المملة والتفلسف الغامض، كل ذلك يؤدي إلى الإقناع والتسليم، وكذلك شمولية الرد واستقصاؤه لكل جوانب القضية المتنازع حولها، فكلها تعددت الأدلة وتآزرت فيها بينها حدث التكامل وتم الاقتناع الكامل، ولذا ينبغي تنويع الرد، والجمع بين الردود العقلية، والنقلية، والوجدانية، والعلمية... إلخ. وهذا من صميم منهج القرآن، حيث إن القرآن يراعي الفوارق البشرية بين أفراد الجنس البشري، من حيث الفهم والإدراك والذوق والإحساس، وتلك سنة الله والله في خلقه، ولذا نجد القرآن ينوع بيانه للناس حتى يكون له تأثيره في الناس على حسب ما يشعر به كل واحد منهم من قوة الأداء وسطوة القول وبواعث الإثارة، فمن كان قوي العقل نافذ البصيرة سديد الرؤية دعاه بها يقنعه من الآيات وما يلزمه من مبادئ العقل، ومن كان لوجدانه الغلبة على عقله كان استعمال المنهج الوجداني معه أجدى وأولى في هدايته والوصول إلى قلبه، وهكذا ينوع القرآن في خطابه للآخر من أجل الوصول إلى هدايته بأقرب سبيل، واضعًا في الحسبان اختلاف طاقات الإنسان وقدراته وما بينها من فروق.
- استخدام الأمثال القرآنية الصريحة والكامنة والمرسلة والواقعية والحياتية، والعلمية في الرد، فإن في الأمثال تقريرًا للأفكار وتوضيحًا لها.
 - دعوة غير المسلمين إلى تدبر القرآن والتفكر في معانيه.
- التركيز في القضية محل النزاع وعدم الخروج عنها إلى موضوعات فرعية؛ تـوفيرًا للوقـت وشـحذًا للـذهن و تُعدًا عن التشتت.
- عدم الالتفات إلى المزاعم الناشئة عن الظن والخرص والعناد والغرور، تلك التي لا تستند إلى أدنى دليل،
 فخير ردّ عليها ألا يُردّ عليها؛ لأن في إذاعتها بين الناس تعظيهًا لها وتسييرًا واشتهارًا.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.



المحور الأول

شبهات وافتراءات على الله ﷺ

أولا. شبهات تتعلَّق بقضيَّة الألوهيَّة والوحدانيَّة

الشبهة الأولى

دعوى اتِّخاذ الله ﷺ الولدَ (*)

مضمون الشُّبهة :

وجوه إبطال الشبهة:

الله مُنَزَّه عن اتخاذ الولد، ولا يليق بجلاله

(*) الآيات التي وردت فيها الشُّبهة: (البقرة/ ١١٦، الأنعام/

۱۰۰، يونس/ ۲۸، الكهف/ ٤، مريم/ ۸۸، ۹۱، الصافات/ ۱۵۱، ۲۵، التوبة/ ۳۰، النحل/ ۵۷، الأنبياء/ ۲۲). الآيات التي ورد فيها الردّ على الشبهة: (البقرة/ ۲۱، ۱۱۷، الأيات التي ورد فيها الردّ على الشبهة: (البقرة/ ۲۱، ۱۱۷، الأنعام/ ۲۰، ۱۰۱، يـونس/ ۲۸، النساء/ ۱۷۲، ۱۷۱، الأنعام/ ۳۰، ۵۸، ۹۵، الصافات/ ۱٤۹: الكهف/ ٤، ٥، مريم/ ۳۰، ۳۵، ۱۸ مريم/ ۳۰، الإخلاص/ ۱: ٤، المؤمنون/ ۲۵، الزحرف/ ۲۱، ۱۸، الإسراء/ ۱۱، الأنبياء/ ۲۲، الفرقان/ ۲، الجن/ ۳).

ذلك؛ لانتفاء إمكان المشاركة في الألوهية.

- ٢) كيف يكون لله ولد ولم يكن له زوج ينشأ الولد
 عن ازدواجه بها؟! وكيف يكون له ولد وهو لا كفء
 له، والولد كفء لوالده؟!
- ٣) الله غني عن الولد بذاته فلا حاجة له إلى الولـد
 كحاجة المخلوقين.
- ٤) ليس هناك دليل ولا برهان لأولئك المفترين
 على دعواهم.
- لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى من يـشاء،
 وما جعل ذلك إليهم.

التفصيل:

أولا. الله ﷺ منزَّه عن الولد:

يُشْرِكُونَ اللهُ المؤمنون)، وقال ﷺ: ﴿ هُوَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المؤمن اللهُ المؤمن رَبِّ المُتَحَنَّ رَبِّ المُتَحَنَّ رَبِّ المُتَحَنَّ رَبِّ المُتَحَنَّ رَبِّ المُتَحَنَّ رَبِّ المُتَحْدَنِ وَاللَّهُ اللهُ الزحرف).

وكلمة ﴿ سُبْحَكِنَهُ ﴾ التي تكررت في الآيات السابقة تفيد التنزيه مع التعجب مما ينافيه، فالذي يعرف الله ﷺ حق المعرفة ينبغي ألّا يصدر عنه مثل هذا القول الذي يفيد بأن لله عَلَىٰ جنسًا يهاثله _حاشا لله _ فإن قائل ذلك لا يكون على أدنى علم بالله ركال، وإنها يكون زاعمًا فيه المزاعم، وظانًّا فيه الظنون بغير الحق، فإنه سبحانه لا جنس له فيكون له ولد منه، وهذا الولىد الـذي نـسبوه إليه كل لا بد أن يكون من العالم العلوي وهو السهاء، أو من العالم السفلي وهو الأرض، ولا يصلح شيء منهما أن يكون مجانسًا له ﷺ؛ لأن جميع ما في الـسهاوات والأرض ملك له، قانتٌ لعزته وجلاله، خاضع لقهره مسخَّر لمشيئته، فإذا كانوا سواء في كونهم مسخَّرين لـــه بفطرتهم، منقادين لإرادته بطبيعتهم واستعدادهم، فلا معنى حينئذ لتخصيص واحمد منهم بالانتساب إليم وجعله ولدًا مجانسًا له عَلَى، قال الله الشاني ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي ٱلرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿ ﴿ اللَّهُ المربم). نعم، إن له ﷺ أن يختص مَن شاء مِن خلقه بما شاء، كما اختصَّ الأنبياء _ عليهم السلام _ بالوحي، ولكن هـذا التخصيص لا يرتقي بالمخلوق إلى مرتبة الخالق، وفي هذا ردٌّ على اليهود والنصاري في دعواهم أن عزيرًا أو المسيح ابن لله؛ إذ كيف يكون ولدًا لله، وهو لا يخلو إما أن يكون في السهاوات أو في الأرض، ولله ملك ما فيهما، ولو كان كما يزعمون لم يكن كسائر ما في السهاوات والأرض من خلقه وعبيده من حيث ظهور

آيات الصنعة الربانية فيه.

ثانيًا. كيف يكون لله ولد ولم يكن له زوج ينشأ الولد عن ازدواجه بها؟! وكيف يكون له ولد وهو لا كفء له، والولد كفء لأبيه؟!

فكيف يكون له ولد وهو المبرع لكل شيء؟! والحال أنه لم يكن له زوج ينشأ الولد من ازدواجه كل بها، ولا معنى للولد إلا ما كان كذلك، وإنها صدور جميع الكائنات السهاوية والأرضية عنه صدور إيجاد إبداعي، فهو خلق كل شيء خلقًا ولم يلده ولادة، فها خرقتم له من الولد مخلوق له لا مولود منه، فإن خرجتم عن وضع اللغة وسميتم صدور المخلوقات عنه ولادة، فكل ما في السهاوات والأرض يكون من ولده، وحينئذ يفوتكم ما أردتم من تخصيص بعض المخلوقات بهذه المرتبة تفضيلًا لها على غيرها، ولا يقول أحد منهم بهذا، وعلى هذا فآية سورة الأنعام السالفة فيها استدلال على نفى الولد من وجوه:

١. أن من مبدعاته ﷺ السهاوات والأرضين، وهي

مبرَّأة عن الوصف بالولادة لاستمرارها وطول مـدتها، فهو أَوْلَى بأن يتعالى عنها.

٢. أن الولد هو ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين،
 والله ﷺ منزَّه عن المجانسة.

٣. أن الولد كفء للوالد، ولا كفء له سبحانه؛
 وذلك لوجهين:

- أن كل ما عداه ﷺ مخلوق فلا يكافئه.
- أنه ﷺ عليم بكل شيء، وغيره ليس كذلك
 بالإجماع.

ثَالثًا. الله ﷺ غني بداته عن الولد:

وذلك لأن كل ما في الوجود من العالم العلوي والسفلي مِلْكُ وعبيدٌ له، لا يحتاج منها إلى شيء، ويحتاج إليه كل شيء، ولا يشبهه أو يجانسه منها شيء، قال الله تعالى: ﴿ سُبَحَننَهُ وَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِ السّمَوَتِ وَمَا فِ الْأَرْضِ ﴾ (يونس: ٢٨)، فالإنسان قد يحتاج إلى الولد لأمور؛ منها بقاء ذِكْره به وبذريته، ومنها أنه قوة وعصبة له يعتز به هو وعشيرته، ومنها أن وجوده زينة له في داره يلهو به في صغره، ويفاخر به أقرانه في كبره، ومنها أنه يحتاج إليه ربا لقضاء مصالحه وقضاء ومنها أنه يحتاج إليه ربا لقضاء مصالحه وقضاء والله عند عجزه أو فقره، والله عند عجزه أو فقره، والله عند عن كل شيء بذاته لذاته؛ أزلًا وأبدًا.

رابعًا. بطلان دعوى هؤلاء المفترين لعدم قيام دليل عليها:

إن الدعوى الخالية من الدليل والعارية عن البرهان زعم وافتراء باطل لا أساس له من الصحة، وفي هذا من الجهل ما فيه، فهؤلاء المفترون ليس عندهم أي أثارة

من دليل أو برهان أو سلطان أو حجة على ما يـدّعون، فلا دليل من علم أو وحي إلهي أو عقل يعارض تنزيـه الله عَلَى وغناه المطلق عن الولد وغيره، قال عَلَى: ﴿إِنَّ عِندَكُم مِّن سُلُطَن إِبَهٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعَلَّمُونَ اللَّهُ اللهِ (يونس)، وهذا استفهام تبكيت وتوبيخ على ما يزعمون بسبب الجهل والكفر، وفي هـذا دليـل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وافتراء، وبهذا ردَّ الله عليهم دعواهم هذه في مواطن عدة من كتابه، ثم أمرهم الله بأن يجيئوا ببرهان يكون مستندًا إلى كتاب منزل من السماء يبين صدق ما ادَّعوه، فقال ﷺ: ﴿ فَأْتُواْ بِكِنْكِمُ إِن كُنتُمُ صَادِقِينَ ﴿ ﴿ السَّالَ اللَّهِ السَّاعَاتِ)، ولا يمكنهم أن يأتوا بشيء من ذلك دون شك؛ لأنه لا يستند إلى عقـ ل ولا علم، بل لا يجوزه العقل بالكلية، وما هو إلا كذب عظيم، قال ﷺ: ﴿ مَّا لَهُم بِهِ عِنْ عِلْمِ وَلَا لِآبَابِهِمَّ كُبُرَتْ كَلِمَةُ تَغْرُجُ مِنْ أَفْرَهِ فِيمَ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۞﴾ (الكهف)، وقال ﷺ: ﴿ لَقَدْجِنْتُمْ شَيْعًا إِذًا ١٠٠٠ ﴾ (مريم)، وقال أيضًا: ﴿ أَلآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۗ ۞ وَلَدَاللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكُذِبُونَ ﴿ الصَّا ﴾ (الصافات).

خامسًا. استحالة إرادته ﷺ للولد:

بيَّن الله عليه لاصطفى مَن شاء مِن عباده، وما جعله على تقوَّلوه عليه لاصطفى مَن شاء مِن عباده، وما جعله على اليهم، ولكنه سبحانه منزَّه عن الولد، وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال، وإنها قصد تجهيلهم فيها ادَّعوه وزعموه، قال على في الوَّرَادَ اللهُ أَن يَتَخِذَ فيها الاَّصَطفَى مِمَا يَحُدُ أَيُّ مُا يَشَاءً شُرَّ اللهُ الْوَحِدُ الشرط مستحيل وقوعه الفي المُن وقوعه المُن ا

لقصد المتكلم، فجوابه ممتنع لامتناع شرطه، فتنزه وتقدس سبحانه أن يكون له ولد، وهو قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

الخلاصة:

- الله ﷺ منزَّه عن اتخاذ الولد، ولا يليق بجلاله
 ذلك؛ لانتفاء المشاركة في الألوهية.
- المشاهد والمعقول أن الولد ينشأ عن ازدواج بين ذكر وأنثى من جنس واحد، والله ليس كمثله شيء حتى يكون له منه زوج.
- المولى الله الاكف اله، وهو غني عن الولد
 بذاته، فلا حاجة له إلى الولد كحاجة المخلوقين إليه.
- لو أراد الله أن يتخذ ولدًا الصطفى مَن يشاء،
 وما أوكل ذلك إلى هؤ لاء الجاحدين.

AGEN KA

الشبهة الثانية

دعوى أن الملائكة َ بناتُ الله ﷺ ^(*)

مضمون الشبهة:

ادَّعـى المشركون أن الملائكـة بنـات الله، فجعلـوا الملائكة الـذين هـم عبـاد الـرحمن إناثًـا، ثـم عبـدوهم

(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (النحل/ ٥٧، الزخرف/ ٥١، ١٦، ١٩، الأنبياء/ ٢٦، الطور/ ٣٩، الأنعام/ ١٠٠). الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الإسراء/ ٤٠، النحل/ ٥٠، ١٠، الصافات/ ١٤٥، ١٥٧، الزخرف/ ١٦، ١٩، ٢٠، الأنبياء/ ٢٦، ٢٩، الطور/ ٣٩، النجم/ ٢٢).

من دون الله. قال ﷺ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ سُبْحَنَدُهُ مَا يَشْتَهُونَ ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ (النحل)، وقال ﷺ: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَعَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللّ

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) الله ﷺ لا ولد له أصلا، وهو مُنزَّه عن ذلك.
- ٢) المشركون لا يرضون البنات لأنفسهم فكيف يجعلونها لله؟!
- ٣) جعلهم الملائكة بنات الله هو كفر مبين بنعمة
 الله، وسوء أدب مع الله.
- ٤) جعلهم الملائكة بنات الله يتناقض مع إقرارهم بالربوبية لله تعالى.
- ه ليشهد المشركون خلق الملائكة، فكيف يحكمون بأنهم بنات الله؟!
- ٦) ليس للمشركين حجةٌ ولا دليلٌ على ما يدَّعون ويزعمون، وإنها يتبعون الظن والتقليد الأعمى للآباء.
- الملائكة عباد لله ﷺ مُكرَمون وله طائعون، ولم
 يأمروا أحدًا بعبادتهم من دون الله.

التفصيل:

أولا. الله لا ولد له أصلا، وهو منزَّه عن ذلك:

لقد اجتمع على ضلالة أن الله اتخذ ولدًا ثلاث فرق: اليهود والنصارى ومشركو العرب؛ فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب: الملائكة إناث وهن بنات الله، وقد سبق أن بيّنا رد القرآن على اليهود والنصارى وكيف فنّد مزاعمهم وأدحض شبههم، وهنا نعرض كيف فنّد الله تعالى شبهة مشركي العرب وزعمَهم أن الملائكة بنات

وحين يعرض القرآن قولهم بلفظ ﴿ أَتَّخَذَ اللّه وَلِدًا ﴾ فإن هذا تعريض بالاستهزاء بهم وسخرية ، فكلامهم غير ملتئم ؛ حيث إنهم أثبتوا ولدًا لله ، ويقولون اتخذه الله ، والاتخاذ: الاكتساب، وهو ينافي الولدية ؛ إذ الولدية تولُّد بدون صنع ، فإذا جاء الصنع جاءت العبودية لا محالة ، وهذا التخالف هو ما يعبر عنه في علم الجدل بفساد الوضع ، وهو أن يستنتج وجود في علم الجدل بفساد الوضع ، وهو أن يستنتج وجود الشيء من وجود ضده كما يقول قائل: القتل جناية عظيمة فلا تكفّر مثل الردة ، وهذه حجة أولى أن تكون عليهم .

وأصل هذه المقالة بالنسبة إلى المشركين ناشئ عن توغلهم في جهالة، وبالنسبة إلى أهل الكتاب ناشئ عن توغلهم في سوء فهم الدين، وذلك حين توهموا أن التشبيهات والمجازات حقائق؛ فقد ورد وصف الصالحين بأنهم أبناء الله على طريقة التشبيه، وورد في إنجيل النصارى وصف الله تعالى بأنه أبو عيسى وأبو الأمة، فتلقفته عقول لا تعرف التأويل ولا تؤيد اعتقادها بواضح الدليل فظنته على حقيقته!

وقوله عن شنيع هذا القول، وفيه إشارة إلى أن الولدية نقص بالنسبة لله وإن كانت كمالًا في الشاهد؛ لأنها إنها كانت كمالًا في الشاهد من حيث إنها تسد بعض نقائصه عند العجز والفقر

وتسد مكانه عند الاضمحلال، والله تعالى منزَّه عن جميع ذلك، فلو كان له ولمد لآذن بالحدوث وبالحاجة إليه.

وكيف يتخذ الله ولدًا وكل ما في السهاوات والأرض من بديع صنعه، والكل خاضع لعظمته والأرض من بديع صنعه، والكل خاضع لعظمته والأرض من بديع صنعه وهذه حجة أخرى على انتفاء الولد؛ لأن الخضوع من شعار العبيد، أما الولد فله إدلال على الوالد؛ وإنها يبرُّ به ولا يُقنت، فكان إثبات القنوت كناية عن انتفاء الولدية بانتفاء لازمها لثبوت مُساوي نقيضه (۱).

ثانيًا. المشركون لا يرضون البنات لأنفسهم، فكيف بهم يجعلونها لله؟!

هذا الادّعاء هو من قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، فقد جعلوا الملائكة الذين هم عباد السرحمن إناثًا، وجعلوها بناتٍ لله، ثم عبدوها معه، فأخطئوا خطأً كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، فنسبوا إليه في الولد ولا ولد له، ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد في نظرهم وهو البنات، وهم لا يرضون هذا القسم لأنفسهم، ولهذا أنكر عليهم القرآن يرضون هذا القسم لأنفسهم، ولهذا أنكر عليهم القرآن ذلك الافتراء في غير موضع، ومن ذلك قوله في ذلك الافتراء في غير موضع، ومن ذلك قوله في (النحل)، وقوله في أيضًا: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكُرُولَهُ ٱلأَنْقُ اللهُ يَلِكُ النجم).

فه ولاء المشركون يختارون لأنفسهم الذكور، ويأنفون من البنات التي نسبوها إلى الله ركان ولذا فإن

۱. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تـونس،

د. ت، مج۱، ج۱، ص۲۸۶ بتصرف.

القرآن يحكي عنهم حالهم هذه إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى، يقول الله وَجَهُهُ مُسَودًا يقول الله وَجَهُهُ مُسَودًا وَهُو كَظِيمٌ الله وَجَهُهُ مُسَودًا وَهُو كَظِيمٌ الله وَالْمُشِرَ بِالله وَالله وَهُو كَظِيمٌ الله وَالله والله والل

والقرآن يرد على هؤلاء المفترين قائلًا لهم: أفمن تكرهونه هذه الكراهية وتأنفون منه لأنفسكم تجعلونه لله؟! فبئس الحكمُ ما حكمتم، وبئست القسمةُ هذه القسمة الجائرة، ﴿ تِلْكَ إِذَا قِسَمَةٌ ضِيزَى الله النجم)، فلو اقتسمتم أنتم و مخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت جائرة باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة؟!

كما ردَّ القرآن عليهم توهمهم هذا بأن بيَّن لهم أن المرأة ناقصة يُكمَّل نقصها بلبس الحُلي منذ أن تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عييَّة لا تستطيع الانتصار، فهي ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما شابهه؛ ليجبر ما فيها من نقص، كما قال أحد شعراء العرب:

وما الحَلْيُ إلا زينةٌ من نَقِيصَةٍ

يُتَممُ مِن حُسْنٍ إذا الْحُسْنُ قَلصَّرَا

وأمَّا إذا كانَ الجَهالُ مُسوَفرًا

كَحُسْنِكِ لَم يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُسزَوَّرَا فهل مَن كان شأنها كذلك تُنسب إلى الله العظيم؟! قال عَلَىٰ منكرًا عليهم هذه القسمة: ﴿ أَوْمَن يُنَشَّوُّا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿ الرَّحْرِف).

ثالثًا. جعلهم الملائكة بنات الله كفر مبين بنعمة الله وسوء أدب مع الله ﷺ:

إذا كان الله تعالى متخذًا أبناء، فها له يتخذ البنات ويصطفيهم هم بالبنين؟! وهل يليق أن يزعموا هذا الزعم لله والله في حين أنهم يستنكفون ولادة البنات لهم ويستاءون من ذلك: ﴿ وَإِذَا بُشِرَ أَحَدُهُم بِالْأَنْقَ ظَلَ وَجَهُهُ، مُسْوَدًا وَهُوكَظِيمٌ ﴿ وَإِذَا بُشِرَ أَحَدُهُم بِالْأَنْقَ ظَلَ وَجَهُهُ، مُسْوَدًا وَهُوكَظِيمٌ ﴿ وَإِذَا بُشِرَ النحل).

أَمَا كان من اللياقة والأدب ألّا ينسبوا إلى الله مَن يستاءون هم إذا بُشِّروا به حتى ليسودَّ وجه أحدهم من السوء الذي يبلغ حدًّا يجلّ عن التصريح به فيكظمه وهو يكاد يتميز من هذا السوء؟!

أما كان من اللياقة والأدب ألّا يخصوا الله بمن يُنشًا في الحلية والدَّعة والنعومة، فلا يقدر على جدال ولا قتال، بينها هم _ في بيئتهم _ يحتفلون بالفرسان والقوَّالين البلغاء من الرجال؟!

إنه يأخذهم بمنطقهم ويخجلهم، فكيف ينتقون ما يكرهون وينسبونه إلى الله؟! فهلاً اختراروا ما يستحسنونه وما يسرّون له فينسبونه إلى ربهم إن كانوا لا بد فاعلين (١)، وهذا كفر بنعمة الله بَيِّن لا شبهة فيه،

ا. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط١٦، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٥، ص ٣١٨١ بتصرف.

قال ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّإِنسَكَ لَكَفُورٌ مُّبِينُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

رابعًا. جعلهم الملائكة بنات الله يتناقض مع إقرارهم بالربوبية لله ﷺ:

إن ما يدعيه هؤلاء المفترون من أن الملائكة بنات الله يتناقض مع ما يقرُّون به، فالمشركون مقرُّون بـأن الله خالق الأشياء كلها، ومع ذلك جعلوا له على شركاء في الألوهية، فكيف يستقيم أن يكون المخلوق إلماً؟! كما جعلوا لله بنات، والبنوة تقتضي الماثلة في الماهية، وكيف يستقيم أن يكون لخالق الأشياء كلها بنات؟! فهن لا محالة مخلوقات له ﷺ، فإن لم يكنّ مخلوقات لزم أن يكنَّ موجودات بوجـوده، فكيـف يكـنَّ بناتـه؟! وإلى هـذا التناقض أشار القرآن، فقال ١٠٠ ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ، مِنْ عِبَادِهِ جُزِّءًا ﴾ (الزخرف: ١٥) أي: من مخلوقاته. فهم جمعوا بين اعتقاد حدوث الملائكة وهو مقتضى أنهـا عبــاد الله، وبين اعتقاد ألوهيتها وهو مقتـضى أنهــا بنــات الله؛ لأن البنوة تقتضى المشاركة في الماهية.. وبعــد هــذا الإبطــال النظري اليقيني لمعتقدهم الفاسد يسوق القرآن الكريم دليلًا جدليًّا بدهيًّا يدحض ما زعموا، قال تعالى: ﴿ أَمِر ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُمْ بِٱلْبَذِينَ ٣ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجُهُدُ. مُسَّودًا وَهُوَ كَظِيمُ ﴿ اللَّهُ اللَّالَّا لَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

فإذا بطل معتقدهم أن الملائكة بنات الله؛ لأنه ينافي الكمال الذي تقتضيه الألولهية، أنكر عليهم أن يجعلوا الإناث المكروهة عندهم أبناء الله(١١).

وعليه فإن الملائكة عباد الله ونسبة بنوتهم له كلك معناها عزلهم من صفة العبودية، وتخصيصهم بقرابة خاصة بالله، وهم عباد كسائر العباد، ولا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم، وكل خلق الله عباد له(٢).

خامسًا. لم يشهد المشركون خلق الملائكة الكرام، فكيف يحكمون بأنهم بنات الله ؟!

فالرؤية حجة ودليل يليق بصاحب الدعوي أن يرتكن إليه، وما يملك هؤلاء أن يزعموا أنهم شهدوا خلق الملائكة، ولكنهم يشهدون بهذا ويدَّعونه فليحتملوا تبعة هذه الشهادة التي لم تكن عن حضور ومشاهدة: ﴿ سَتُكُنُّ شَهَدَ بُهُمْ وَيُسْتَلُونَ ﴾.. ثم يتابع القرآن هذه الفِرْيَة وما يصوغونه حولها من جدل واعتذار: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّمْنَ مُا عَبَدُنَهُم مَّ مَا لَهُم لِلْكَ مِنْ عِلْمِ إِنْ هُمُ إِلَا يَخْرُصُونَ مَا عَبَدُنَهُم مَّ مَا لَهُم لِلْكَ مِنْ عِلْمِ إِنْ هُمُ إِلَا يَخْرُصُونَ مَا عَبَدُنَهُم مَّ مَا لَهُم

إنهم يهربون حين تحاصرهم الحجج، وتتهافت بين

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١،
 ج ٢٥، ص١٧٦: ١٧٩ بتصرف.

۲. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣١٨١.

أيديهم الأسطورة؛ فيحيلون على مشيئة الله، يزعمون أن الله راضٍ عن عبادتهم للملائكة، ولو لم يكن راضيًا ما مكَّنهم من عبادتهم ولمنعهم من ذلك منعًا! وهذا القول احتيال على الحقيقة، فإن كل شيء يقع في هذا الوجود إنها يقع وفق مشيئة الله، هذا حق؛ ولكن من مشيئة الله أن جعل للإنسان قدرة على اختيار الهدى، أو اختيار الضلال وكلَّفه اختيار الهدى ورضيه له ولم يرضَ له اختيار الكفر والضلال، وهم حين يحيلون على مشيئة الله إنها يخبطون خبط عشواء؛ فهم لا يوقنون بأن الله أراد لهم أن يعبدوا الملائكة (۱)، والقرآن في هذا إنها ينظر لنهج علمي سديد، ويضع قاعدة علمية لا يختلف عليها أحد، وهي: طرح الدعاوى القائمة على الظن والخرص. وبذلك هَدَمَ هذه الدعاوى لأنها غير مبنية على علم ويقين.

سادسًا. المشركون ليس لديهم حجة ولا دليل على ما يدعون ويزعمون:

لقد أنكر القرآن على هؤلاء المفترين ما زعموه من أن الملائكة بنات الله، فقال الله المنابي أصطفى البنات على المسحانة على السحانات، والمعنى: أي شيء يحمله سبحانه على أن يختار البنات دون البنين؟! كما قال الله الفائم والمنين والمنتذ من المالتيكة إنتا إلى المنات المنات في المالتيكة إنتا إلى المنات المنات الله المنات على ما يدًعون، فهل يستندون في ذلك إلى كتاب منزّل من السهاء عن الله تعالى أنه اتخذ مما يخلق بنات؟! فإن ما يقولون لا يمكن تعالى أنه اتخذ مما يخلق بنات؟! فإن ما يقولون لا يمكن

فمن أين يأتيهم اليقين وهم إنها يتبعون الأوهمام والظنون؟! ولذا يستنكر الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ أَمْ ءَانْيْنَاهُمْ كِتَنَبًا مِن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (الزخرف)، فهل عندهم من كتاب يستندون إليه في دعواهم، ويستمسكون بها فيه من حقائق، ويرتكنون إليه في عبادتهم؟! وهكذا يسد عليهم الطريق من هـذه الناحية، ويوحي إليهم كذلك أن العقائد لا يُخبط فيها خبط عشواء، ولا يُرتكن فيها إلى ظن أو وهم؛ إنها تُستسقى من كتاب من عند الله يستمسك به من يؤتاه.. وعند هذا الحد يكشف عن سندهم الوحيد في اعتقاد هذه الأسطورة المتهافتة التي لا تقوم على رَوِيَّة، ومزاولة هذه العبادة الباطلة التي لا تستند إلى كتاب، قال تعالى: ﴿ بَلُ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَاجَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتَرِهِم مُهَتَدُونَ اللهِ (الزخرف)، وهي مَقُولةٌ تدعو إلى السخرية فضلًا عن أنها متهافتة لا تستند إلى قـوة، إنهـا مجرد المحاكاة ومحض التقليـد بــلا تــدبر ولا تفكــر ولا حجة ولا دليل، وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو منساق، فلا يسأل إلى أين يمضي، ولا يعرف معالم الطريق! فلا بد من تدبر وتفكر ثم اختيار

١. المرجع السابق، ص٣١٨٢.

مبني على الإدراك واليقين(١).

سابعًا. الملائكة عباد لله مكرمون وله طائعون:

إن الملائكة هم عباد لله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الخضوع طائعون قولًا وفعلًا، قال ﷺ: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونِ الله يَسْبِقُونَهُ. بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ اللهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَكُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۞ وَمَن يَقُلُ مِنْهُمَّ إِنِّ إِلَنَّهُ مِّن دُونِهِ ـ فَنَالِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّدَّ كَنَالِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ ﴿ ﴾ (الأنياء). ففي هذه الآيات رد بليغ على هؤلاء المشركين ببيان حقيقة الملائكة وطبيعتهم، فهم ليسوا بنات الله كما يزعمون: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ عند الله، لا يقترحون عليه شيئًا تأدبًا وطاعة وإجلالًا، وإنها يعملون بأمره لا يناقشون، ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضاه الله ورضي أن يقبل الشفاعة فيه، وعلم الله بهم محيط، وهم بطبيعتهم خائفون من الله مشفقون من خشيته ـ على قربهم وطهارتهم وطاعتهم التي لا استثناء فيها ولا انحراف عنها، وهم لا يدَّعون الألوهية قطعًا، ولو ادَّعوها _ جدلًا _ لكان جزاؤهم جزاء مَن يدعى الألوهية كائنًا مَن كان، وهو الخلود في جهنم، فذلك جزاء الظالمين الذين يدَّعون هذه الدعوى الظالمة الحائدة عن كل حق في هذا الوجود! وهكذا تبدو دعوى المشركين في صورتها هذه واهية مستنكرة مستبعدة، لا يدَّعيها أحد، ولو ادَّعاها لذاق جزاءها الأليم! كما يتبين للوجدان مشهد الملائكة وهم طائعون

لله، مشفقون من خشيته، بينها المشركون يتطاولون ويدَّعون (٢)!

و بعد أن بيَّن لهم القرآن حقيقة الملائكة، وأن عبادتهم من دون الله ضلال وكفر، وأنهم _أي هـؤلاء المشركين _ إنها يتبعون الظن ولا يستندون إلى برهان من وحي أو دليل من علم، وهم يعلمون ذلك كله ويقرّون به في دواخلهم، كما بيَّن لهم أن اتباع الآباء وتقليدهم بلا دليل ليس بحجة... بعد ذلك كله أوعدهم القرآن بأن الله سيواجههم يوم القيامة بالملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله؛ فتتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم لهم، فالملائكة لم يأمروا هؤلاء المشركين بعبادتهم من دون الله، وما كان ينبغي للملائكة أن يتخذوا من دون الله أولياء، وهم أخوف الخلق لله وأعبدهم له عَلَى؛ قال عَلَى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونِ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِى هَنَوُلآءِ أَمْ هُمْمَ صَكُوا السَّهِيلَ اللهِ قَالُوا سُبْحَنكَ مَاكَانَ يَلْبَغِي لَنَا ۚ أَن نَّتَخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآ ۚ وَلَكِكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابِكَآءَ هُمْ حَقَّى نَسُوا ٱلذِّكَرَ وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا ۞ ﴾

والاستفهام في قوله الله عالمت أضلاتم أضللتم استفهام تقريري للاستنطاق والاستشهاد، والمعنى: النتم أضللتموهم أم ضلوا من تلقاء أنفسهم دون تضليل منكم؟ فيتبرءون من عبادتهم لهم، ويشهدون عليهم بكفرانهم نعمة الله وإعراضهم عن القرآن، وتكذّبهم الملائكة فيما نسبوه إليهم من أنهم أمروهم بالضلالات؛ حيث قالوا: (شبّكنك ، وهو تعظيم بالضلالات؛ حيث قالوا:

٢. المرجع السابق، ص٣١٨٢ بتصرف.

لله تعالى في مقام الاعتراف بأنهم ينزهون الله عن أن يدَّعوا لأنفسهم مشاركته في الألولهية.

كما قال على: ﴿ وَيَوْمَ يَعْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَعُولُ لِلْمَلَيْكَةِ الْمَلَيْكَةِ الْمَلَيْكَةِ الْمَلَكِمْ عَلَيْكُمْ الْمَعْدُونَ الْحَالُولُ اللّٰبَحْدُنَكَ أَنت وَلِيْتُنَا مِن دُونِهِمْ بَلَى كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنِّ أَكِمْ أَلَيْمُ بَهِم وَلِيْتُنَا مِن دُونِهِمْ بَلَى كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنِ أَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنِّ أَكَثُرُهُم بَهِم مُوْمِنُونَ اللّٰهِ (سَا)؛ أي: إنها هم يتولون السيطان؛ إما بعبادته والتوجه إليه، وإما بطاعته في اتخاذ شركاء من دون الله، وهم حين عبدوا الملائكة إنها كانوا يعبدون السيطان في الحقيقة، وذلك بطاعتهم له.. وهكذا المسيطان في الحقيقة، وذلك بطاعتهم له.. وهكذا كياصرهم القرآن من كل وجه ويبين لهم ضلالهم من كل ناحية؛ حتى لا يُبقي لمعذرتهم عذرًا (۱۱).

الخلاصة:

- الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولم يشهد
 المشركون خلق الملائكة حتى يحكموا عليهم بكونهم
 إنائًا.
- المشركون يأنفون من إنجاب البنات ولا يرضونها لأنفسهم، فكيف يجعلونها لله ﷺ!
- الملائكة أجسام نورانية، ولا يستطيع البشر رؤيتهم، وهم عباد لله تبارك وتعالى مكرمون، وله طائعون.
- إن كون المخلوق عبدًا ينافي دعوى كونه إلما أو
 ابن إله أو جزءًا من إله؛ فلا يصح عقلًا أن يجتمع
 المقامان ـ العبودية والألوهية ـ في ذات واحدة.

AND BUS

الشبهة الثالثة

دعوى أن في ضرب الله الأمثال بالشيء المُحتقَر كالبعوضة والذباب منقصةمن قدره (*) ®

مضمون الشبهة :

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) الله خالق كل شيء وهو أعلم بخلقه.
- ٢) الأمثال التي ضربها الله ﷺ تحمـل الكثـير مـن
 الحِكَم والمواعظ ومنها:
- ابتلاء من الله للناس لتمييز المصدقين من المكذبين.
 - تقريب الفكرة إلى ذهن السامع.
 - تمييز العالمين الذين يعقلونها من غيرهم.
 - الاتعاظ والاعتبار.
 - ٣) في الأشياء التي يُظنُّ أنها تافهة حِكَمٌ عظيمة.

١. المرجع السابق، ص١ ٢٩١ بتصرف.

^(*) الآيات التي ورد فيها الـرد عـلى الـشبهة: (البقـرة/ ٢٦، العنكبوت/ ٤٣، الحج/ ٧٣، الحشر/ ٢١).

[®] في "ضرب الأمثال في القرآن الكريم" طالع: الشبهة السادسة، من الجزء الثاني عشر (عصمة القرآن وكماله).

التفصيل:

أولا. الله خالق كل شيء وهو أعلم بخلقه:

لقد أنكر المشركون والمنافقون واليهود على الله على ضربه الأمثال بالمحقَّرات كالذباب والعنكبوت، محتجين بأنه لا يليق بالله على ضرب الأمثال بهذه الأشياء الحقيرة.

وقد دحض الله شبهتهم هذه، وأوضح أنه لا يستحي أن يُمثّل بأي شيء صغيرًا كان أو كبيرًا؛ لأن الله على خالق كل شيء، ولله في خلقه شئون، وهو أعلم بمن خلق: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُو اللَّطِيفُ الْخَيِدُ ﴿ اللّهِ) وَهُو اللَّطِيفُ الْخَيدُ ﴿ اللّهِ) فيجعل ما شاء من المنفعة والفائدة فيها شاء ومن شاء من خلقه، ويضربه مثلًا للناس يهتدون به، وليس هذا نقصًا في جانب الألوهية فيستحيي من ضربه مثلًا، بل إن من الكهال والفضل أن يجعل الله في المخلوقات بل إن من الكهال والفضل أن يجعل الله في المخلوقات الضعيفة والمحتقرة في العرف كالبعوض وغيره فوائد ومنافع.

قال الله تعالى رادًا عليهم زعمهم وادِّعاءهم هذا: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسَتَخِيء أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة: ٢٦)، والبعوضة هي صغيرة البَق، والمراد بـ ﴿ فَمَافَوْقَهَا ﴾؛ أي: ما هو أكبر منها، وقيل: ما دونها في الصغر.

ومعنى الآية: إن الله تعالى لا يترك ضرب المشل بالبعوضة، تَرْكَ مَن يستحي أن يتمثل بها لحقارتها؛ أي لا يستصغر شيئًا يضرب به مثلًا، ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة؛ فهو كها لا يَسْتَنْكِف (١) عن خلقها،

لا يستنكف عن ضرب المثل بها، والأمر ليس مقصورًا على البعوض فحسب، فقد ضرب الله المشل بالناب والعنكبوت أيضًا وذلك في قوله: ﴿ يَتَأَيُّهُا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسَتَعِعُواْ لَمُو إِلَى اللّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَن مَثَلٌ فَاسَتَعِعُواْ لَهُ إِلَى اللّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَن يَعْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ أَن وَإِن يَسْلُبُهُمُ اللّهُ بَاللّهِ لَن يَعْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ أَن وَإِن يَسْلُبُهُمُ اللّهُ بَاللّهِ لَا يَعْلَمُونَ اللّهِ لَا يَسْتَنْقِدُوهُ مِنْ أُن اللّهِ اللّهُ اللّهُولَ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

وغير ذلك من أمثال الكتاب العزيز، في استنكره السفهاء وأهل العناد والمراء، واستغربوه _ من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبًا بها المثل _ ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، فالتمثيل إنها يُصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وتقريب المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثّل له عظيمًا كان المتمثّل به مثله، وإن كان حقيرًا كان المتمثّل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل، إلا أمرًا تستدعيه حال المتمثّل له، ومن ثَمَّ يعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية، ألا يعمل الخور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف مثل له بالظلمة والمالية بالظلمة من المثل اله بالظلمة من المثل اله بالظلمة.

وهذا كله معلوم لدى القوم ولكنه العجز والعناد؛

١. يَسْتَنْكِف: يمتنع أَنْفَةً وحَمِيَّة واستكبارًا.

٢. أَبْلَج: بيِّن سافر، وفي المثل: الحق أبلج والباطل لجلج.
 ٣. محاسن التأويل، القاسمي، دار الحديث، القاهرة، ط١،
 ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٠٧٠.

إذ إن الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن، فلما عجزوا عن معارضة النظم سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما يُنزَّه عنه كلام الله؛ ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله، وذلك بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين، وبذر الخصيب في نفوس المشركين والمنافقين.

واستنكار ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وغير ذلك من الأشياء المحقَّرة إنها كان على لسان اليهود والمشركين؛ فاليهود قالوا ذلك حسدًا وحقدًا ومكابرة وتجاهلًا؛ لأنهم كانوا أشد المعاندين، وقد شاع بينهم التشاؤم والغلوُّ في الحذر من مدلولات الألفاظ، لذلك قال مَنْ فَنَا يُضِلُ بِهِ إِلَّا الْفَنسِقِينَ الله اللهود، وأما يَضُمُونَ عَهْدَاللهِ اللهود، وأما يَضُمُونَ عَهْدَاللهِ اللهود، وأما مشركو العرب، فقد استنكروا ذلك مع علمهم بوقوع مثله في كلام بلغائهم، كقولهم: أجرأ من ذبابة، وأسمع من قُراد، وأطيش من فراشة، وأضعف من بعوضة. وما ذلك إلا مكابرة ومعاندة، فإنهم لما غُلبوا بالتحدي وعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله تعلقوا في معاذيرهم بهذه السفاسف، والمكابر يقول ما لا يعتقد، والمحجوج المبهوت يستعوج المستقيم ويخفي يعتقد، والمحجوج المبهوت يستعوج المستقيم ويخفي الواضح (۱).

ثانيًا. فوائد ضرب الأمثال في القرآن:

ابتلاء الناس لتمييز المصدقين من المكذبين:
 يوضح الله گل أن ضرب الأمثال في القرآن صغيرها

وكبيرها، إنها هو ابتلاء من الله للناس واختبار لهم؛ ليميز أهل الإيهان والتصديق من أهل الضلالة والكفر، فهو إضلال لقوم وهداية لآخرين، قال على: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعَلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ عَامَنُوا فَيَعَلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ حَكَفُرُوا فَيَعُولُونَ مَاذَا آزادَ الله بِهنذا مَثَلاً يُضِلُ بِهِ عَرُولًا وَيَهْدِي بِهِ عَكِثِيرًا وَمَا يُضِلُ بِهِ عَلِيلًا وَمَا يُضِلُ بِهِ عَلِيلًا الفَنسِقِينَ اللهُ (البقرة).

فالمثل إذا جاء في كتاب الله على ازداد به المؤمن هداية وتوفيقًا وإيهانًا بإذن الله؛ حيث يصدِّقه المؤمن ويعلم أنه من عند الله، وأما الكافر والمنافق والفاسق، فإذا ضرب الله على المثل ارتاب فيه وتحير وتردّد في أمره واعترض، فينصرف عن القرآن؛ فيصرف الله قلبه عنه، كما قال على الشهاد في المركوف عن القرآن؛ فيصرف الله قلوبهم بأنهم كما قال على المنافقين واليهود وقبح ما نطقوا به؛ إذ هو ضلال المنافقين واليهود وقبح ما نطقوا به؛ إذ هو ضلال وفسق.

Y. تقريب الفكرة إلى ذهن السامع: بحيث يتصوّر أن هذا الأمر الذي يسمعه كأنه مجسَّد أمامه، فالأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة تستقر في الـذهن إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم.

ومن ذلك ما ضربه الله مثلًا لحال المنفق رياءً؛ حيث لا يحصل من إنفاقه هذا على شيء من الثواب،

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١،
 ج١، ص٣٥٧: ٣٥٩ بتصرف.

فقال الله : ﴿ فَمَشَلُهُ ، كَمَثَلِ صَفُوانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ ، وَابِلُّ فَتَرَكَهُ ، صَلْدًّا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَاكَسَبُواْ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

2. ومن فوائد المشل أيضًا أنه يُضرب للعظة والتذكرة: فالأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله الله من ذكر الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، قال والقد صَرَبْنَا لِلنَّاسِ في هَذَا القُرُّءَانِ مِن كُلِّ مَثَلِ لَعَلَهُمْ مَن ذَكر الأمثال، واستعان بها الداعون إلى الله في كل بكثير من الأمثال، واستعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، كما يستعين بها المربون

ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، كما يعدونها من وسائل التربية؛ حيث استخدامها في الترغيب أو التنفير، وفي المدح والذم(٢).

فالمثل في كلام رب العالمين ليس نقصًا في جانبه والله والكلية تُعرض للذهن مجملة مبهمة؛ فيصعب عليه أن المعاني يعل بها وينفذ فيها فيستخرج سرَّها، والمثل هو الذي يفصّل إجمالها ويوضح إبهامها، فهو ميزان البلاغة وقسطاسها ومشكاة الهداية ونبراسها (الله والله والمداية ونبراسها).

ثَالثًا. في الأشياء التي يُظن أنها حقيرة وتافهة حِكَم عظيمة:

إن الله لا يضرب المثل بشيء تافه أو حقير كما يظن هولاء بنظرهم القاصر، ولو أنهم تفكروا في هذا المخلوق الضعيف لأبصروا فيه طلاقة قدرة الله تعالى المخلوق الضعيف لأبصروا فيه طلاقة قدرة الله تعالى التي لا حدود لها؛ ولبيان ذلك علينا أن ننظر إلى المشل الذي ضربه الله في قوله على الله والله يَسْتَغيء أن يضرب مشكل منا بعوضة فيل: هي صغيرة البق، وتطلق أيضًا على فالبعوضة قيل: هي صغيرة البق، وتطلق أيضًا على الناموس المعروف عند الناس، والبق حيوان صغير شديد اللسع منتن الرائحة، ضعيف جدًّا قد يُقتل بمجرد اللمس، ويكون بجدران بعض الدور وفي بمجرد اللمس، ويكون بجدران بعض الدور وفي فرشها، وإذا ضُغط عليه بضاغط انفجر دمًا، وهو من عجيب خلق الله عليه بضاغط انفجر دمًا، وهو من

١. مباحث في علوم القرآن، منّاع القطّان، مكتبة وهبة، القاهرة،
 ط١٤٢٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٨١.

٢. المرجع السابق، ص٢٨٣.

۳. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٧،
 ج١، ص٢٢٧ وما بعدها.

أرجل وأربعة أجنحة وذنب وخُرطوم مجوَّف، وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية، "فكان يجب أن يفطنوا إلى أن هذه البعوضة دقيقة الحجم خَلْقها معجزة؛ لأن هذا المخلوق الدقيق وضع الله في فيه كل الأجهزة اللازمة له في حياته.. فالحق على حينها ضرب المثل بالبعوضة فها فوقها؛ أي: بها هو أقل منها حجمًا أراد أن يلفتنا إلى دقة الخلق.. فكلها لطف الشيء وصغر حجمه احتاج إلى دقة الخلق..

"فالله رب الصغير والكبير، وخالق النحلة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل: إنها معجزة الحياة.. معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا الله، على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، إنها الأمثال أدوات للتنوير والتبصير، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب وما من شأنه الاستحياء من ذكره، والله جلّت حكمته يريد اختبار القلوب وامتحان النفوس"(٢).

وعلى الرغم من أن الله على قد مثّل بالذباب _ وهـ و من أضعف مخلوقاته، فإن الإنسان يعجز عـن مقاومته والانتصار منه لو سلبه شيئًا، قـال على: ﴿ وَإِن يَسَلَّبُهُمُ اللّٰهُ بَالَٰ اللّٰهُ الذباب مستحيل شأنه شأن خلق الجمل والفيل؛ لأن الذباب هو الآخر يحتوي شأن خلق الجمل والفيل؛ لأن الذباب هو الآخر يحتوي

على ذلك السر المعجز، سر الحياة فاستوى في استحالة خلقه مع غيره؛ ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الحقير؛ لأن العجز عن خلقه يلقيي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل، وذلك دون إخلال بالحقيقة في التعبير. وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب.. ثم يخطو القرآن خطوة أوسع في إبراز ضعفهم المزري: ﴿ وَإِن يَسُلُبُهُمُ اللَّهُ ال

ثم انظر مثلًا إلى الأموال الطائلة التي تنفق في مكافحة هذه البعوضة وغيرها مما هو أصغر حجمًا منها، ومع ذلك لم يستطع المسئولون بأجهزتهم وأموالهم ووسائلهم القضاء عليها، فهل بعد ذلك ينكر هؤلاء

٣. المرجع السابق، ج٤، ص٢٤٤٤ بتصرف.

١. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم،
 القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص ٢١١ بتصرف.

لقرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٠٥ بتصرف.

المنافقون والمشركون واليهود ضرب الأمثال في القـرآن الكريم؟!

الخلاصة:

- المولى رجم هو الخالق لكل شيء، وهو أعلم با يُصْلِح هذا الخلق وما يفسده، وفي خلق الأشياء التي يُظن أنها حقيرة وتافهة حكم عظيمة.
- الأمثال التي ضربها الله ﷺ في القرآن تحمل
 الكثير من الحِكم والمواعظ، ومن ذلك:
- الاتعاظ وتقريب الفكرة وتمييز العالمين الذين يعقلونها من غيرهم.
- تمييز أهل التصديق من أهل التكذيب ساعة ابتلاء الله للناس.
 - بيان طلاقة قدرة الله ﷺ التي لا حدود لها.

AND DES

الشبهة الرابعة

ادِّعاء أنَّ بين الله والجِنَّة نسبًا (*)

مضمون الشبهة:

لمَّا قال المشركون: إن الملائكة بنات الله، قال لهم أبو بكر الله فمن أمهاتهن؟! قالوا: بنات سروات الجِنّ. وزعمت طائفة أخرى منهم أن الله الله هو وإبليس أخوان! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، قال الله وَجَعَلُوا بَيْنَهُ, وَبَيْنَ الْجُنّةِ نَسَبًا ﴾ (الصافات: ١٥٨).

وجه إبطال الشبهة:

الجِنُّ يعلمون كذب المشركين في دعواهم؛ فانهم يشهدون الحساب ويحضرون العذاب، والله عَلَّ منزَّه عن كل نقيصة.

التفصيل:

الجن يعلمون كذب المشركين في دعواهم:

هناك بعض الآراء لأهل التأويل في معنى النسب الذي أخبر الله على أن المشركين جعلوه له سبحانه، فقال بعضهم: هو أنهم _يقصد المشركين _قالوا: إن الله وإبليس أخوان. وقال بعضهم: هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله. والجنَّة هي الملائكة، وقالوا: إن الله تزوج من الجن فخرج منهما الملائكة. وقدرد الله عليهم دعواهم هذه بأن أعلمهم أن الجَّنة أنفسهم يعلمون أنهم سوف يشهدون الحساب ويحضرونه، وهم يعلمون كذب المشركين في افترائهم على الله، وسوف يجازون على ذلك بالإحضار للعذاب، والإحضار إذا أطلق فالمراد به العذاب؛ ولذا فهم يتبرءون من هذه النسبة، لما يعلمون من أنهم من أهل السعير، لا من عالم الأرواح الطاهرة، فيا بال هؤلاء المشركين يَهْرِفون (١) بما لا يعرفون؟! قال على الله عَلَمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (الصافات)، فالمراد بالجنَّة هنا هم الشياطين وليس الملائكة كما يرى بعضهم؛ إذ إن خلق الملائكة من نور لا من نار كالجن، والملائكة معصومون ولا يتناسـلون ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة بخلاف الجن(٢).

۲۱).

١. يَهْرِف: يهذي ويَخْلِط في كلامه.

التأويل، القاسمي، مرجع سابق، ج٨، ص١١٣٠.
 بتصرف.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (الصافات/ ١٥٨).

الآيتان اللتان ورد فيهما السرد على السبهة: (السافات/ ١٥٩،

ولعل ظاهر العلم في الآية حاصل للجِنَّة فيا مضى، ويجوز أن يكون من استعمال الماضي في موضع المستقبل لتحقيق وقوعه، كقوله على: ﴿ أَنَّ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ (النحل:١)، أي: ستعلم الجِنَّة ذلك يوم القيامة، والمقصود أنهم -أي هؤلاء المشركين _ يتحققون ذلك ولا يستطيعون دفع العذاب عنهم؛ فقد كانوا يعبدون الجن لاعتقاد وجاهتهم عند الله بالنسب الذي توهموه لهم، ولو كان بينهم وبين الله نسب، أو كانوا شركاء له في وجوب الطاعة لما عذَّهم.

ويُتبع الله على حكاية قولهم الباطل بها يتضمن تنزيه على السبوه إليه، فقال: ﴿ سُبْحَنَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ وَهُ الصافات)، فعجيب أن يخطر أمر مثل ذلك على بال ويحدَّث به نفسًا، فضلًا عن أن يجعله معتقدًا ويتظاهر به مذهبًا، وهو تنزيه يوحي بتسفيه أحلامهم وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم، فلا نسبة تقتضي النسب بوجه ما فضلًا عن استحالة ذلك عقلًا(1).

الخلاصة:

إن زعم المشركين أن هناك نسبًا بين الله والجِنّة هو مجرد هذيان منهم لا دليل عليه، والجِنّة أنفسهم يعلمون كذب هؤلاء المشركين، وسيتبرءون منهم يوم القيامة، فلو كان بينهم وبين الله نسب لدفعوا عن أنفسهم وعن أتباعهم العذاب: ﴿ سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَىٰ عَمّاً يَقُولُونَ عُلُواً كِيرًا مَهَا ﴾ (الإسراء).

AN THE

الكشاف، الزنخشري، الدار العالمية، بيروت، د. ت، ج٣، ص ٣٥٥ بتصرف.

انشبهة الخامسة

إنكار تفرد الله ﷺ بالألوهية والوحدانية (*)

مضمون الشبهة:

ينكر المشركون تفرد الله على بالألوهية والوحدانية، ومن ثم فهم يعبدون أوثانًا وأصنامًا زاعمين أنها تقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده، كما أنهم يعلنون تعجبهم من وجود إله واحد تكون له العبادة وحده خالصةً. قال على حاكيًا عنهم قولهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهُ لَهُ إِلَهَا وَحِدًا إِلَى اللهِ وَمَعْبُدُونَ هَدُا لَشَيْءُ عُجَابٌ ﴿ أَنَ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ مَن دُونِ ٱللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ مَن دُونِ ٱللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفعُهُمْ وَيقُولُونَ هَدُولَا يَنفعُهُمْ وَيقُولُونَ هَدُولَا يَنفعُهُمْ وَيقُولُونَ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفعُهُمْ وَيقُولُونَ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا ينفعُهُمْ وَيقُولُونَ .

وجها إبطال الشبهة:

لقد عالج القرآن هذه المسألة من طريقين:

1) بيان الأدلة العقلية على وجود الله الله وأنه وحده هو الخالق المدبر لهذا الكون، وتحت هذا البيان وجه بعض الأسئلة للعقل البشري ليفكر ويتدبر ويستدل على وجود الخالق الله ومنها:

• هل يمكن أن يوجد هذا الكون بغير خالق؟!

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ٢٨، ١٦٢، ٥٨، ١٠٥) آل عمران/ ١٨، الأنعام/ ٥٠، ١٨، الإخلاص/ ١: ٤، الأحقاف/ ٤: ٦، الرعد/ ١٦، ٣٣، الحجر/ ١٠، ٢٠، ٢٢، ١١٠ النحال ٧٣، ٧٤، الإسراء/ ٥٥، ١٥، الكهف/ ١٥، ١٥، النحار ٢٢، ٢٠، مريم/ ٨٢، طه/ ٥٠، ٥٠، ١٥، ٥٥، الحج/ ٧٧، المؤمنون/ ٢١، ١٩، ١٩، الفرقان/ ٣، فاطر/ ١٣، ١٤، ١٤، ١٤، النمر/ ٢٩، الطور/ ٣٥، ١٧، الأعراف/ ١٩٠؛ ١٩٠).

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (مريم/ ٨١، الفرقان/ ٣. ص/ ٥، طه/ ٤٩، ٥١).

- هل يمكن أن يدبر شئون هذا الكون الضخم
 إلا إله قادر حكيم؟!
- هل يمكن أن يكون لهذا الإله شريك في الملك أو شريك في التدبير؟!
- هل آيات القدرة المبثوثة في أرجاء الكون تشير إلى أن هذا الإله يمكن أن يعجز عن أمر من أمور الخلق أو التدبير أو الرزق أو الإحياء أو الإماتة أو البعث أو الجزاء؟!

ويمكن أن نجيب عن هذه الأسئلة باختصار كالتالي:

- لا يمكن لهذا الكون الهائل أن يوجد بغير خالق؛ فالصنعة تدل على الصانع والأثر يدل على المسير، أفلا يدل هذا النظام الكوني الهائل الدقيق على الخالق على الخالق المائل الدقيق على الخالق المائل الدقيق على الخالق المائل الدقيق على الخالق المائل الدقيق على المائل الدقيق المائل الدقيق المائل الدقيق المائل الدقيق المائل الدقيق المائل الدقيق على المائل الدقيق المائل الدقيق على المائل الدقيق الدقيق
- لا يمكن أن يدبر شئون هذا الكون الضخم إلا إله قادر حكيم، فإنه لو لم يتصف بطلاقة القدرة التي لا حدود لها لعجز عن إيجاده فضلا عن تدبيره وتسيره.
- لا يمكن أن يكون لهذا الإله شريك في الملك
 أو شريك في التدبير؛ لأن تعدد الآلهة يؤدي إلى
 اختلال الكون وفساد نظامه.
- آيات القدرة في الكون دلائل واضحات على
 أن الله لا يعجزه شيء.
- ٢) بيان الأدلة على بطلان عبادة غير الله، وعجز أولئك الشركاء عن أن يملكوا لأنفسهم نفعًا ولا ضرَّا، فكيف ينفعون غيرهم أو يضرونهم؟! وتحت هذا يبين القرآن أن هذه الآلهة المدَّعاة:

- لا تملك شيئًا من السماء والأرض.
- لا تسمع دعاء، ولا تضر ولا تنفع، ولا تقدر على خلق بعوضة أو ذبابة.
- يصنعها الإنسان، فكيف يعبد ما صنعت يداه؟!
 - لا يخشى منها ولا يبالي بها الإنسان.
- ليس للمشركين دليل ولا كتاب يأمرهم بعبادة هذه الأنداد.

التفصيل:

لعل هذه الشبهة أكثر الشبه تردادًا وتكرارًا في القرآن من جانب المشركين، فهم ينفون عن الله الألوهية والوحدانية، ويقولون لرسول الله على حكى القرآن عنهم: ﴿ أَجَعَلَ أَلْأَ لِمَا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءُ عُجَابُ أَنَّ الله المحكى القرآن عنهم: ﴿ أَجَعَلَ أَلْأَ لِمَا وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءُ عُجَابُ أَنَّ الله الكافرين في كل عصر وزمن، ففرعون يقول لموسى وهارون عليهما السلام -: ﴿ قَالَ فَمَن رَبُّكُما يَعُوسَى (الله عَلَى الله الكافرين في والنمروذ يقول لإبراهيم النا مَن حاجّه في ربه: ﴿ أَنَا أُحْمِ، وَالْمِوذ يقول لإبراهيم النا عن حاجّه في ربه: ﴿ أَنَا أُحْمِ، وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة:٢٥٨).

والمشركون يعبدون من دون الله على أصنامًا وأوثانًا وملائكة يستنصرون بها لتكون لهم عنزًا وشفعاء يشفعون لهم، قال الله على: ﴿ وَاتَّغَذُواْ مِن دُونِ اللهِ عَلَى اللهِ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ عَنْ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

أولا. بيان الأدلة العقلية على وجود الله تعالى، وأنه وحده هو الخالق المدبر لهذا الكون:

والقرآن في ذلك يخاطب الإنسان كله: وجدانه وعقله؛ إذ يعرض له الأدلة ويناقشه فيها، ويوقظه للتفكير المنطقي السليم الذي يؤدي إلى فهم حقيقة الألوهية وإدراكها والاقتناع بها، ومن ثم وجوب الإيهان بالله الواحد دون شريك (١) ومن ذلك:

1. أثبت القرآن الربوبية والألوهية لله كال عن طريق سؤال وجهه لهؤلاء المشركين الذين ينفون ذلك، فقال من في أم مُمُ الْخَلِقُونَ الله فقال المن في أم مُمُ الْخَلِقُونَ الله فقال ألم في أم خُلِقُوا مِن عَير مُوجِد؟! أم هم الطور)، والمعنى: أو جدوا من غير مُوجِد؟! أم هم أو جدوا أنف سهم؟! والجواب لا هذا ولا ذلك، بل الله كالله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورًا. فهذه الآية تحمل أكبر تحد للعقل البشري الضال خلال التاريخ.. وكأنها نزلت للضالين اليوم الذين ينكرون وجود الله ويلجّون في الغي والإلحاد.

إن الذين يلجّون في الضلال إلى هذا الحد لا ينكرون وجود الله في الحقيقة؛ حيث لا يمكن للفطرة _مها ضلت _ أن تنكر وجود الخالق؛ ولكنهم _لسبب من الأسباب _يكابرون ويتظاهرون بالإنكار... إن الفطرة

لا يمكن أن تنكل أبدًا عن الشهادة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِيّنَهُم وَأَشْهَدَهُم عَلَى آنفُسِهِم آلسَتُ بِرَيّكُم فَالُوا بَنَى شَهِدَنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِينَمَةِ إِنَّا كُنّا عَنْ هَلَا غَنِفِلِينَ ﴿ الْأَعِرَافِ)، إنها الذي يحدث أن الإنسان الضال يكابر في هذه الحقيقة؛ لأنه لا يريد أن يخضع لله، ولو أقرّ علانية بوجود الله للزمه أن يطيعه وأن يعبده، وهو _ لأمر من الأمور _ لا يريد، وبدلًا من أن يبدو مقصرًا وناكلًا _ باعترافه _ فإنه "يتفلسف" فيدّعى أنه لا يؤمن بوجود الله أصلًا!

وكيف يمكن للفطرة أن تنكل عن الشهادة والكون حولها _ بكل ما فيه _ يحاصرها ويردّها إلى الحقيقة؟! كيف تواجه أمر الخلق؟! كيف تحل المشكلة إن لم تقرّ بوجود الله؟! كيف إذن تَمَّ هذا الخلق الذي تدركه الحواس ولا سبيل إلى إنكاره؟! كيف تَمَّ خلق السياوات والأرض والقمر والنجوم والكواكب... وكل ما على الأرض من شيء بها فيه الإنسان نفسه؟!

كيف تم خلق هذا الكون بغير خالق؟! هكذا من العدم؟! ثم كيف انتظم بعد أن تَمَّ؟! ثم كيف حافظ على نظامه كل تلك الملايين من السنين، التي لا يحصيها العقل البشري، دون أن يحدث في نظامه خلل أو اضطراب؟!

هل يتم ذلك كله بغير خالق؟! هل يتقبل العقل هذا القول، حتى وإن ضل هذا العقل وسار في الظلمات؟! ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِشَى المَّمُ الْخَلِقُونَ ﴾؟! أمَّا إنهم هم الخالقون فأمر لم يزعمه أحد من المضلين، بقي السؤال الأول بغير جواب: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِشَى الله أحد من الله اللجم المسكت، الذي لا يملك أحد من السؤال الملجم المسكت، الذي لا يملك أحد من

١. ركائز الإيمان، محمد قطب، مرجع سابق، ص٤٣ بتصرف.

المكابرين أن يرد عليه بالإيجاب.

٢. جاء القرآن بدليل عقلي يثبت الألوهية والوحدانية لله عَلِيَّا، ومؤداه أنه لو قُدّر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بها خلق، وتكون النتيجة عندئـذ عـدم انتظام الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، فكل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال، قـال ﷺ: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِ خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَوُتِ ﴾ (اللك: ٣)، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض، قال على: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَيْهُ إِذَا لَّذَهَبُ كُلُّ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ "سُبَّحَننَ ٱللَّهِ عَمَّايَصِفُونَ اللَّهِ (المؤمنون)، وقد ذكر المتكلمون هذا المعنى وعبروا عنه بـدليل التمانـع، وهو أنه لو فُرض صانعان فصاعدًا، فأراد واحد تحريك جسم، وأراد الآخر سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والخالق لا يكون عاجزًا، ويمتنع اجتماع مرادهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا

١. المرجع السابق، ص٥٦: ٥٨ بتصرف.

من فرض التعدد فيكون محالًا، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكنًا؛ لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهورًا.

هل يمكن أن تنتظم إذا تعددت الإرادة التي تهيمن عليها والسلطان الذي يسيرها؟! أليس من المحتمل أن واحدًا من الآلهة يريد أن تطلع الشمس من المشرق وآخر يريدها أن تطلع من المغرب؟! فكيف يصير الأمر عندئذ؟!

هل ينضبط شيء حينئذ في الكون كله؟ هل يستقيم الأمر، أم يصبح الكون فوضى تتصادم فيه الأفلاك وتتعارض، وتتصادم فيه الإرادات المشرفة عليه وتتعارض، ويصبح كالعقد المنفرط لا يجمعه نظام؟! ومن أجل ذلك يخاطب القرآن العقل فيقول له:

عَمَّا يَصِفُونَ (٢٠٠٠) ﴿ (الأنبياء).

ولا يكتفي القرآن بذلك، بل يمضي مع العقل البشري خطوة أخرى في المناقشة، فيعرض أمامه هذه المحقيقة ليتدبرها: لنفرض _ جدلًا _ أنه كان مع الله آلهة أخرى فكيف يكون الموقف؟! والحقيقة أنه لو كان في الكون عدد من الآلهة ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ فِي الكون عدد من الآلهة ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَابَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ شُبْحَن الله عَمَا يَصِفُون سَلَا الله عَمَا يَصِفُون سَلَا الله عَمَا يَصِفُون الله عَمَا يَصِفُون الله الله المؤمنون).

فإذا تصورنا أن كل إله يخلق جزءًا من الخلق، فهل يعقل أن ينزل عن خلقه لإله آخر؟ أو أن المعقول والبدهي أن يتشبث بخلقه ويستحوذ عليهم، ويحاول أن تكون له السيطرة؟! وعندئذ يحدث نزاع على السيطرة بين هذه الآلهة المفترضة.. كل يتشبث بكلمته زاعيًا أنه هو الأعلى وهو الأحق.. فهل يستقر حال الكون على هذه الحال؟! وهل يبدو متناسق الحركة، متناسق الصنع، متناسق التدبير؟!

والعقل البشري مكلف بأن يفكر ويتدبر، فها دام الإنسان قد سلَّم _ أو ينبغي له أن يسلِّم _ بأن الأرض لله، والساوات لله، والملكوت لله، والتدبير لله، فهاذا بقي إذن من عمل تقوم به تلك الآلهة الأخرى المزعومة؟!

وطالما أن الكون في سيره لا يبدو عليه الخلسل والاضطراب، بل يظهر فيه الاتساق الكامل والانضباط، فإن ذلك يدل على وحدة السيطرة التي تدبر شئونه وترعاه (١).

٣. يؤكد القرآن الكريم أن الله هو المستقل بخلق
 الأشياء كلّها وهو مدبرها ومقدرها وحده، ليس معه

ويدلل القرآن على وجود الله على وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده؛ حيث أخرج الناس من العدم إلى الوجود، فقال على: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِأَللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٨)، وقال أيضًا: ﴿ هَلْ أَنَّ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْتًا مَّذَكُورًا ۞ ﴾ (الإنسان)؛ وهذا ما احتجَّ به المؤمن على صاحبه الذي كفر بالله في قصة صاحب الجنتين؛ حيث قال له: ﴿ أَكُفَّرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّبِكَ رَجُلًا 🖤 لَنكِنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ١٠ ﴿ الكهف ، وهذا إنكار منه وتعظيم لما وقع فيه صاحبه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين، فكيف يجحد الإنسان ربه، والأدلة على وجوده ظاهرة جلية يعلمها كل فرد من تلقاء نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وجد، وليس وجوده من نفسه ولا مستندًا إلى شيء من المخلوقات؛ لأنها جميعًا بمنزلته، فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهـ و الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، ولهذا قال لـه المؤمن: ﴿ لَكِنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَقِيٓ أَحَدًا ۞ ﴾ (الكهف)، والمعنى: فأنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية؛ لأنه لا شريك له.

في ذلك شريك، أما الذين اتخذهم المشركون أولياء من دونه فهم عبيد أمثالهم لا يملكون شيئًا، ولا أشهدهم الله خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم ولا كانوا إذ ذاك موجودين أصلًا، قال على: ﴿ مَّا أَشْهَدتُهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَخِذَ المُضِلِينَ عَضُدًا (الله الله الكهف).

١. المرجع السابق، ص٤٦: ٥٠ بتصرف.

ومن الأدلة الظاهرة على قدرة الله تعالى وسيطرته واستقلاله بالخلق ما حاج به إبراهيم الكيل النمروذ حينا أنكر ألوهية الله ووجوده، فأثبت له إبراهيم الكيل أن الدليل على وجوده بي هو حدوث هذه الأشياء بعد عدمها وأنه يحيي ويميت، ولمّا موه النمروذ في الجواب وادّعى أنه يحيي ويميت طالبه إبراهيم الكيل بالإتيان بالشمس من المغرب كما يفعل الإله المقتدر، فظهر عند ذلك عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلّذِي حَاجَ إِبْرَهِمَ مَ فِي رَبِهِ المقام، قال أَن المُلك إذ قال إبرههم رَي الله يكي ويميث وأنه الله المقتدري على المكابرة في هذا المقام، قال أنا أخيء وأميت قال إبرهم من المغرب في رَبِه وأله المقتري في مَن الله المقام فا الله المقام، قال أنا أخيء وأميت قال إبرهم من المنسوق فأت بها مِن المغرب في مؤت الله يكأني والشهري المقام المناه المؤت الله المقام، فالمناه المقام المناه المؤتم الظاهم المناه المؤتم الظاهم المناه المؤتم الظاهم المناه المؤتم الظاهم المؤتم الظاهم المناه المؤتم الظاهم المؤتم المؤتم الظاهم المؤتم المؤتم الظاهم المؤتم الظاهم المؤتم الظاهم المؤتم الظاهم المؤتم المؤتم الطبي المؤتم المؤتم المؤتم الظاهم المؤتم المؤت

فلو تأمل الإنسان بعقله هذه الآيات المبثوثة في

الكون وفي النفس لأصابه العجب والذهول من كل آية من هذه الآيات المعجزة التي يدل كل منها على وجود الخالق على وقدرته المعجزة التي لا تقف عند حد.

قال قال المُحْدَدُ وَالْكُمْدُ لِلّهِ وَسَلَمُ عَلَى عِبَادِهِ اللّهِ الْمُحَدُّ الْمَا يُشْرِكُونَ اللّهَ اَمَاءُ فَأَنْ المَسْمَنَ اللّهَ عَرَا اللّهَ اللّهُ عَلَى السّمَنَونِ وَالْأَرْضَ وَالْرَلُ لَكُمْ مِن السّمَاءِ مَاءً فَأَنْ اللّهِ عَمَلَ اللّهُ مَعَ وَمُعَلَ الْمَرْضَ فَرَارًا وَجَعَلَ المَا مُمْ مَعَ اللّهُ عَلَى اللّهُ مَعَ اللّهُ وَلِيكُ الْمَعْمَ لَا يَعْلَمُونَ اللّهُ اللّهُ مَعَ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَمَا اللهُ عَمَا اللهُ عَمَا اللهُ عَمَا اللهُ اللّهُ اللّهُ عَمَا اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ ا

ثانيًا. الطريق الثاني الذي اعتمده القرآن لإثبات تفرد الله على بالألوهية هوبيان عجز هؤلاء الشركاء:

لقد اتخذ القرآن عدة طرق عقلية يشهد بها العقل والواقع المحسوس الملموس _أمام القوم _وكلها تثبت عجز هذه الآلهة ومن ثم بطلان عبادتها من دون الله تعالى، ومن هذه الأدلة:

١. أن الأصنام والأوثان والملائكة وغيرها من
 الآلهة التي يدعوها المشركون من دون الله لا تملك من

இ في "الأدلة على وجود الله" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثانية، من الجزء السابع (الإيهان والتدين).

السهاوات والأرض شيئًا، وما الأصنام والأوثـان إلا جمادات لا أرواح فيها، فهي لا تسمع دعاءً، ولا تجيب طلبًا، قال ﷺ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةِ فِ السَّمَوْتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمَّ فِيهِمَا مِن شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرِ ٣ وَلَا نَنفَعُ الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا نظير له، ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، أمَّا الآلهـة التـي يـدعونها مـن دونه فهي لا تملك شيئًا، لا استقلالًا ولا عـلى سبيل الشركة، كما قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن فِطْمِيرٍ الله ﴿ (فاطر)، وليس الله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديـه، وهـو سـبحانه لعظمتـه وجلالـه وكبريائه لا يجترئ أحد أن يـشفع عنــده ﷺ في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة، كما قال على: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ ۚ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۦ ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقال أيـضًا: ﴿ وَكُم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيِّعًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآهُ وَيَرْضَى اللَّهُ اللَّهِ (النجم).

وقال أيضًا: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْسَمِعُواْ مُعَاءَكُمْ وَلَوْسَمِعُواْ مَا السَّتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيْمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ (ماطر: ١٤)، فهذه الآلهة التي تدعونها من دون الله لا تقدر على شيء مما تطلبونه منها، قال ﷺ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَعْلَقُ شَيْئًا وَهُمْ يُعْلَقُونَ إِلَى وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصَرًا وَلَا يَعْدَلُمُ مَيْعُولُمُ مَا يَعْدُونَ لَكُمْ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُدَى لَا يَتَبِعُوكُمْ الْفَلَاكُ لَا يَتَبِعُوكُمْ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمُ اللهُ اللهُ

تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادُ أَمْثَالُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ اللهُ أَلَهُمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمَّ لَهُمْ أَيْدِ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمُ لَهُمْ أَيْدُ وَالْأَرُونِ اللهِ اللّهِ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

وقال ﷺ أيضًا: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمَّتُهُ مِن دُونِهِ عَلَا يَمْلُكُوكَ كَثَفُ مِن دُونِهِ عَلَا يَمْل يَمْلِكُوكَ كَثَفَ الضَّرِ عَنكُمْ وَلَا غَوْيلًا ۞ أُولَيْهِ اللَّينَ يَدْعُوكَ يَبْنَغُوكَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَخَافُوكَ عَذَابَهُ ﴿ ﴿ الإسراء ﴾ .

٢. أخبر الله ﷺ عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله لا تقدر على خلق جناح بعوضة؛ فهم خلوقون لا يملكون لأنفسهم ضرَّا ولا نفعًا، فكيف يملكون ذلك لعابديهم؟!

قال ﷺ: ﴿ وَأَتَّخَاذُواْ مِن دُونِهِ عَالِهَةً لَا يَغْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُغْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرَّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتَاوَلَا حَيَوْةً وَلَانْشُورًا (الله قان)، فالذي لا

يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا من ذلك لا يصحُّ أن يكون الماً؛ ولذلك نبَّه الله على عقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها؛ فبيَّن أنه لو اجتمع جميع ما يعبدون من الأصنام والأنداد على أن يخلقوا ذبابًا ما قدروا على ذلك، ولذا قال على في الحديث الصحيح: "قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخَلْقِي، فليخلقوا ذَرَّة أو ليخلقوا حَبَّة أو شَعِيرة"(١)؛ ولذا قال الله على: وَمَن أَظلم مَن ذهب يمثلُ فأستَوعُوا لَهُ إِن الله على: وَمَن أَظلم مَن ذهب على ولذا قال الله على: ومن أظلم من ذهب على ولذا قال الله على: ومن أظلم من ذهب على ولذا قال الله على: ومن ألله لن يَعْلَقُوا ذُبَابًا وَلُو اجْتَمَعُوا لَهُ إِن الله على الله على الله الله على الله على الله على الله على الله على الله على الله الله على الله الله على الله الله والمناب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْلُبُهُمُ الذُبابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنقِدُوهُ مِنْ أَلْ الله الله وأحقرها، قال من أله الله وأله والله والله وأله الله وأله الله وأله الله وأله الله وأله الله وأله وأله الله وأله والله والله والله والله والله والله وأله وأله الله وأله وأله الله وأله وأله وأله وأله وأله وأله والله وال

٣. بين الله على أن هذه الآلهة من الأصنام والأوثان ونحوها قد صنعها الناس بأيديهم، فكيف يعبد الإنسان ما صنعت يداه؟! إن ذلك لشيء عجاب! وهذه الحجة آتاها الله على إبراهيم العلى على قومه حين قال لهم:

﴿ أَنَعَبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ وَالسَّا الله عَلَيْ وَرَدَ مَفْحَم.

(الصافات)، وتلك حجة قاطعة ورد مفحم.

ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَلَا أَنفُسُهُمْ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ

وهم يخلقون الله ولا يستطيعون هم نصرا ولا انفسهم المرافقة المنهم المرافقة المنهم المرافقة المنهم المرافقة المنهم المرافقة المنهم المنهم المنهم أخراك أنهم المنهم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة (٥٦٦٥)، واللفظ للبخاري.

يَضُرُونَ إِنَّ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُدَىٰ لَا يَتَبِعُوكُمْ عَلَيْكُونَ وَمِ اللَّهِ عَبَادُ أَمْنَالُكُمْ أَنْ اللَّهِ عَبَادُ أَمْنَالُكُمْ أَنَّ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسَتَجِيبُوا دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْنَالُكُمْ أَنْ اللَّهُمْ الْرَجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ اللَّهُمْ الرَجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ اللَّهُمُ الرَجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ اللهُمْ الرَجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ اللهُمْ اللهُمْ الرَجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ اللهُمْ اللهُمُ اللهُمُونَ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُونَ اللهُمُ اللهُمُولِ اللهُمُولِ اللهُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُ اللهُمُمُ اللهُمُمُ اللهُمُ

فالإله الذي ينبغى أن يؤمن به الإنسان ويعبده هو الإله الخالق، فها بال هؤلاء المشركين يسركون آلهة لا تخلق شيئًا وهي ذاتها مخلوقة، يصنعها الناس بأيديهم ثم يجعلونها آلهة؟! هل في ذلك منطق يقبله العقل أو تقبله فطرة سوية؟! ثم يستطرد السياق فيشرح حال هذه الأصنام التي يعبدها المشركون، فهي لا تستطيع نصر أنفسها إذا اعتدى عليها معتد فضلًا عن أن تنصر غيرها، وهي لا تسمع لو دعاها أحد، فسواء عليك أحدَّثتها أم لم تحدثها فالنتيجة واحدة، ثم يقرر القرآن حقيقة هذه الآلهة المدعاة، فهم ﴿عِبَادُ أَمْثَالُكُمْ ﴾، فهل لهذه المخلوقات أرجل أو أيد أو أعين أو آذان، لتمشى أو تبطش أو تبصر أو تسمع؟! فلأي شيء يا تُرى يعبدها أولئك العابدون، وهم يرونها أمام أعينهم بهذا العجز المزري؟! ثم يتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ بأن يتحداهم أن يضرّوه بأصنامهم تلك _وقد كانوا يهددون الرسول ﷺ بأن تلك الآلهة المزعومة ستصيبه

هذه الحجة نظير ما احتج به نبي الله هود النَّا على قومه عاد، فقد قال الله على لسانه: ﴿ قَالَ إِنِّ أَشْهِدُ وَلِهِ وَاشْهَدُوۤا أَنِّ بَرِى ۗ مُ مِعَا تُشْرِكُونَ ﴿ مَا دُونِهِ وَكَيدُونِ اللّهِ وَاشْهَدُوۤا أَنّى بَرِى ۗ مُ مِعَا تُشْرِكُونَ ﴿ مَا مُعَلَّاتُ عَلَى اللّهِ رَقِي وَرَيِّكُم ﴾ جَمِيعًا ثُمّ لَا نُنظِرُونِ ﴿ فَلَ اَقْعُوا شُرَكآا عَلَى اللّهِ رَقِي وَرَيِّكُم ﴾ (هود)، ومثل ذلك قوله على: ﴿ قُلِ اَدْعُوا شُركآا عَكُم مُم كَيدُونِ فَلَا لُنظِرُونِ ﴿ الْأَعْرَافِ)، أي: استنصر وا بها عليّ في لا تؤخّروني طرفة عين وأجهدوا جهدكم؛ وليذا قيال تؤخّروني طرفة عين وأجهدوا جهدكم؛ وليذا قيال بعدها: ﴿ إِنَّ وَلِيْتِي اللّهُ ٱلّذِي نَزَلَ الْكِنْكِ مُ وَهُوَ يَتَوَلّى بعدها: ﴿ إِنَّ وَلِيتِي اللّهُ ٱلّذِي نَزَلَ الْكِنْكِ مُ وَهُوَ يَتَوَلّى اللّهُ اللّذِي نَزَلَ الْكِنْكِ مُ وَهُوَ يَتَوَلّى اللّهُ الّذِي نَزَلَ الْكِنْكِ مُ وَهُوَ يَتَوَلّى اللّهُ اللّذِي نَزَلَ الْكِنْكِ مَا وَهُوَ يَتَوَلّى اللّهُ اللّهُ اللّهِ يَزَلَ الْكِنْكِ مُ وَهُو يَتَوَلَّى اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الّذِي نَزَلَ الْكِنْكِ أَلَا وَهُو يَتَوَلّى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّه

أَلْصَلِعِينَ ﴿ اللهِ الأعرافِ)، أي: فهو حسبي ونصيري وإليه ألجأ، وهو وليي في الدنيا والآخرة وفي كل صالح.

 و. يطالب القرآن هـؤلاء المشركين الـذين عبـدوا هذه الأنداد من دون الله أن يذكروا مَـن الـذي أمـرهم بهذا وأرشدهم إليه، ومَن ذا الذي دعاهم إلى عبادة غير الله؟! أم أن ذلك شيء اقترحوه من عند أنفسهم؟! وهل يملكون دليلًا أو سلطانًا أو حجةً بَيِّنة على ما يقولون، أو أنهم وجدوا كتابًا من الكتب المنزلة على الأنبياء _عليهم السلام _ يأمرهم بعبادة الأصنام والأوثان؟! يقول ﷺ في ذلك: ﴿ ٱنْتُونِي بِكِتَنْبِ مِن قَبْلِ هَنْذَآ أَوْ أَثْرَةِ مِّنْ عِلْمِ إِن كُنتُمْ صَلِدِقِينَ ﴿ الْأَحْنَافِ)، وقال أيضًا: ﴿ أَمْ لَمُمْ سُلَرٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلَطَنِ مُّبِينٍ ﴿ الطور)، أي: فليأتِ الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما يعبدون، وليس لهم سبيل إلى ذلك؛ فليسوا على شيء، ولا دليل لهـم؛ ولـذا قال ﷺ في موضع آخر على لسان أصحاب الكهف وهم يتحدثون عن قومهم المشركين بالله، قالوا: ﴿ هَتَوُلآءِ قَوْمُنَا التَّخَذُوا مِن دُونِهِ ٓ اللَّهَ أَمَّ لَوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانِ بَيْنِ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ١٠٥٠ ﴾ (الكهف)، أي: هلَّا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلًا واضحًا صحيحًا! ولكنهم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك.

والدَّعَاوَى ما لم تُقيمُ وا عليها

بَيِّناتٍ أبناؤها أَدْعِياءُ

الخلاصة:

هل يمكن أن يوجد هذا الكون الهائل بغير

١. ركائز الإيمان، محمد قطب، مرجع سابق، ص٦٧، ٦٨.

خالق؟ وهل البشر في هذا الكون مخلوقون أم خالقون؟

- إذا استحال وجود الكون بغير خالق، فهل نتصور أن يكون قد وجد بأكثر من إله؟ فضلًا عن أن هذه الآلهة من صنع البشر؟!
- الأصنام والأوثان لا تملك شيئًا من أمر نفسها،
 فكيف تملك أمر الشفاعة عند الله لمن يعبدونها؟!

AGE:

الشبهة السادسة

الزعم أن الله ﷺ هو المسيح ابن مريم (*) ®

مضمون الشبهة :

وجوه إبطال الشبهة:

- هذه الدَّعوى من أكبر الأدلة على ضلال النصاري.
- ٢) إقرار المسيح الطّين نفسه بالعبودية لله ﷺ في مهده ويوم القيامة، مما يدل على إفكهم.
- ٣) المسيح التي رسول الله يأكل الطعام، فكيف يكون إلما؟!
- ٤) لا أحد يقدر على منع الله أن يُهلك المسيح وأمَّه ومَن في الأرض جميعًا.
- الخوارق التي حدثت مع عيسى التي كانت
 بإذن من الله تعالى لتصديق نبوته، ولم تكن من صنع
 عيسى التي وذلك على لسانه في القرآن.
- ٦) مثل عيسى الطّي في معجزة خلف كمثل
 آدم الطّي ، ولم يقل أحد بألوهية آدم الطّي .

التفصيل:

أولا. هذه الدَّعوى دليل على ضلال النصارى:

هذه الدَّعوى من فضائح أهل الكتاب من النصارى، فقالت فرقة منهم وهي اليَعقُوبيَّة (۱): إن مريم ولدت إلما، وقالت المَلكانيَّة (۱): إن الله ﷺ حلَّ في عيسى التَّكِيلُ واتَّحد بذاته، وقد ردَّ الله عليهم بقول عيسى التَّكِيلُ: ﴿ يَبَنِي ٓ إِسْرَهِ يلَ اعْبُدُوا الله مَليهم وَرَبَّكُمُ اللهُ عَلَيهم النَّكُمُ وَرَبَّكُمُ اللهُ عَلَيهم النَّالُ اللهُ عَلَيهم النَّالُ اللهُ عَلَيهم النَّالُ اللهُ عَلَيهم النَّالُ اللهُ عَلَيه اللهُ عَلَيهم النَّالُ اللهُ عَلَيه اللهُ عَلَيه النَّالُ اللهُ النَّالُ اللهُ النَّالُ اللهُ عَلَيه اللهُ عَلَيه اللهُ عَلَيه النَّالُ اللهُ اللهُ عَليه اللهُ عَلَيه اللهُ عَلَيه اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ ا

^(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (المائدة/ ٧٧، ٧٧). الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (المائدة/ ١٧، مريم/ ٣٠، آل عمران/ ٥٩، ٦٤).

[®] في "أكذوبة ألوهية عيسى" طالع: الشبهة السابعة والثانين، من الجنزء العاشر (الأنبياء والرسل ٢). وفي "إبطال القرآن الكريم لاعتقاد النصارى ألوهية عيسى ومريم" طالع: الشبهة الحادية والستين، من هذا الجزء. وفي "تهافت الاستدلال بخلق عيسى للطير على ألوهيته" طالع: الشبهة الثامنة والثانين، من الجزء العاشر (الأنبياء والرسل ٢).

اليَعقُوبيَّة: فِرْقة من النصارى، وهم أتباع يعقوب البَراذِعي الذي عاش في الشام في القرن السادس الميلادي، ويقولون باتحاد اللاهوت والناسوت، ويُعْرَفون بـ "أصحاب الطبيعة الواحدة".
 الملكانية: فرقة أخرى من النصارى، وهم أتباع ملك الروم، وهم يقولون: إن الله اسم لثلاثة معان، وإن المسيح لـه طبيعتان: طبيعة بشرية وطبيعة إلهية (ناسوت ولاهوت).

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارِ الله المائدة)، فالحال أن سيدنا المسيح هو الذي ردّ عليهم بهذه المقالة، فكيف يدّعون الألوهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم؟! وتلك حجة قاطعة على فساد قول النصارى؛ وذلك لأنه الطّين لم يفرق بين نفسه وبين غيره، وأنه عبد من عباد الله على ولذا كان أول شيء نطق به الطّين حين تكلّم في المهد أن قال: ﴿ إِنّي عَبْدُ اللّهِ ءَاتَانِي الْكِئنَبُ وَبَعَلَنِي نَبِياً الله أو ابن وَمَم يقل: إِني أنا الله أو ابن الله، بل أثبت عبوديته الخالصة لله، والنبوة لنفسه.

ثانيًا. إقرار المسيح السِّيلًا نفسه بالعبودية لله عنا:

إن الله عَلَىٰ يوم القيامة سيسأل المسيح على رءوس الأشهاد بحضرة من اتَّخذه وأمه إله ين من دون الله، فيقول له عَلَىٰ وهو أعلم بالجواب: ﴿ عَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ التَّخِذُونِ وَأَلِي إلَهَ يَن وي دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ أَن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ أَن تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ أَن تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ أَن تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَيْمُ الفّيُوبِ الله مَا أَمْ رَبّي بِعِي آنِ اعْبُدُوا اللّه رَبّي وَوَبُكُمْ وَكُنتُ مَا عَلَيْمِ مَا فِي نَفْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَيْمُ اللّهُ مَن وَرَبّيكُمْ وَكُنتُ مَا عَلَيْمٍ مَا فَي نَفْسِكَ أَنِكَ أَنتَ عَلَيْمُ اللّهُ مَا أَمْ رَبّي بِعِي أَن اعْبُدُوا اللّهَ رَبّي وَوَبّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْمٍ مَا فَي نَفْسِكَ عَلَيْمٍ مَن عَلِيهِمْ قَلْمًا لَوْقَيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرّقيبَ عَلَيْمٍ مَا فِي نَفْسِكَ عَلَيْمٍ مَا فَي نَفْسِكَ عَلَيْمٍ مَن عَلَيْمٍ مَا فَي نَفْسِي وَلاَ أَمْ رَبّي بِعِيمً فَلَمّا وَقَيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرّقيبِ اللّهُ عَلَيْمٍ مَا فَي نَفْسِ عَلَيْمٍ مَا فَلُهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَتُ عَلَى كُلُولُ مَن عَلِي مَن عَلَيْمٍ مَا فَي اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَعْتُهُمْ وَلَيْ مَنْ عَلَى كُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا عَلَى كُنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَكُولُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَل

وقد ورد في "التحرير والتنوير": "قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَنْعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنّاسِ ﴾ قولٌ يقوله يوم القيامة، وهذا مبدأ تقريع النصارى بعد أن فرغ من تقريع اليهود، فتقريع النصارى هو المقصود من هذه الآيات التي تبدأ من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرّسُلُ فَيَقُولُ مَاذَا أَجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنّكَ أَنتَ عَلّامُ الْفُيُوبِ (المائدة: ١٠٩)، فالاستفهام هنا كالاستفهام

في قوله تعالى للرسل: ﴿ مَاذَاۤ أُجِبَتُمْ ﴾، والله يعلم أن عيسى الطّيخ لم يقل ذلك، ولكن أُرِيد إعلان كذب مَن كفر مِن النصارى.

والمعنى أنه إن لم يكن هو قائل ذلك فلا عذر لمن قاله؛ لأنهم زعموا أنهم يتبعون أقوال عيسى وتعاليمه، فلو كان هو القائل لقال: اتخذوني وأمي، ولذلك جاء التعبير بهذين اللفظين في الآية، والمراد بالناس: أهل دينه..

وجواب عيسى العَيْنَ بقوله: ﴿ سُبَحَننَكَ ﴾ تنزية لله تعالى عن مضمون تلك المقالة، وكانت المبادرة بتنزيه الله تعالى أهم من تبرئته نفسه على أنها مقدمة للتَّبرِّي؛ لأنه إذا كان يُنزِّه الله عن ذلك، فلا جَرَم أنه لا يأمر به أحدًا..

ثم برَّأ نفسه النَّيْنَ، فقال: ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ أَنَّ أَقُولَ مَا لِيَسُ لِى بِحَقِي ﴾، فجملة: ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ أَنَّ أَقُولَ ﴾ مستأنفة؛ لأنها جواب السؤال، وجملة: ﴿ سُبَحَننَكَ ﴾ تمهيد، وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ لِي ﴾ مبالغة في التبرئة من ذلك؛ أي: ما يوجد لديَّ قول ما ليس لي بحق، فاللام في قوله: ﴿ مَا يَكُونُ لِي ﴾ للاستحقاق؛ أي: ما يوجد حق أن أقول. وذلك أبلغ من: "لم أقله"؛ لأنه نفى أن يوجد استحقاقه ذلك القول.

والباء في قوله: ﴿ بِحَقِّ ﴾ زائدة في خبر ﴿ لَيْسَ ﴾ ؛ لتأكيد النفي الذي دلَّت عليه ﴿ لَيْسَ ﴾ . وقد أفاد الكلام تأكيد كون ذلك ليس حقًّا له بطريق المذهب الكلامي ؛ لأنه نفى أن يُباح له أن يقول ما لا يحق له ، فعلم أن ذلك ليس حقًّا له وأنه لم يقله لأجل كونه

كذلك، فهذا تأكيد في غاية البلاغة والتَّفنُّن.

ثم ارتقى الطّين في التّبرؤ فقال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ, فَقَدُ عَلِمْتَهُ, ﴾، فالجملة مستأنفة؛ لأنها دليل وحجة لمضمون الجملة التي قبلها، فكانت كالبيان، فلذلك فُصِلَت، فاستدل على انتفاء أن يقوله بأن الله يعلم أنه لم يقله؛ وذلك لأنه يتحقق أنه لم يقله، فلذلك أحال على علم الله تعالى، وهذا كقول العرب: يعلم الله أني لم أفعل، كها قال الحارث بن عباد:

لم أَكُونُ مِن جُناتِها عَلِمَ الله

وأنِّي لِسحَرِّها اليسومَ صالِ

ولذلك قال: ﴿ تَعَلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾، فجملة: ﴿ وَلَمْ مَا فِي نَفْسِي ﴾، فجملة: ﴿ وَلَا كُنتُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ بيان لجملة الشرط: ﴿ إِن كُنتُ مَا أَعَلَمُ وَفَقَدٌ عَلِمْتَهُ, ﴾، فلذلك فُصِلَت.. والمعنى هنا: تعلم ما أعلمه؛ لأن النفس مَقرُّ العلوم في المتعارف.

وقوله: ﴿ وَلا آعَكُمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ اعتراض نشأ عن ﴿ تَعَلَمُ مَا فِي نَفْسِى ﴾ لقصد الجمع بين الأمرين في الوقت الواحد وفي كل حال، وذلك مبالغة في التّنزيه، وليس له أثر في التّبرؤ والتّنصُّل؛ فلذلك تكون الواو اعتراضية. وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَنُمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ عِلَّة لقوله ﴿ تَعَلَمُ مَا فِي نَفْسِى ﴾؛ ولذلك جيء بـ "إن" المفيدة التعليل، وقد جمع فيه أربع مؤكدات وطريقة حصر؛ فضمير الفصل أفاد الحصر، وإن وصيغة الحصر، وجمع الغيوب، وأداة الاستغراب.

وبعد أن تبرَّأ عيسى الطَّيِّة من أن يكون أمر أمَّته بــا اختلقوه، انتقل فبيَّن أنه أمرهم بعكس ذلك حسبها أمره

الله تعالى، فقال: ﴿ مَاقُلْتُ لَمُمْ إِلَّا مَا آَمَرَتَنِي بِدِيدٍ ﴾، فقوله: ﴿ مَاقُلْتُ لَمُمْ إِلَّا مَا آَمَرَتَنِي بِدِيدٍ ﴾، فقوله: ﴿ مَاقُلْتُ لَمُمْ إِلَّا مَا أَمَرَتَنِي بِدِيدٍ ﴾، الخواب الأول، وهو ﴿ مَا يَكُونُ لِي آَنَ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي الجواب الأول، وهو ﴿ مَا يَكُونُ لِي آَنَ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَتِي ﴾، إلا أنه صرح هنا بها قاله؛ لأن الاستفهام عن مقاله، والمعنى: ما تجاوزت فيها قلت حدَّ التبليغ لما أمرتني به.

و ﴿ آَنِ ﴾ مُفسَّرة لـ ﴿ أَمَرْتَنِى ﴾؛ لأن الأمر فيه معنى القول دون حروفه، وجملة ﴿ أَعَبُدُوا اللّهَ رَبِي وَرَبّكُمْ ﴾ تفسيرية لـ ﴿ أَمَرْتَنِى ﴾. واختير ﴿ أَمَرْتَنِى ﴾ على "قلت لي" مبالغة في الأدب.

ثم تبرًا الكليم من تبعتهم، فقال: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِم اللهِ عَلَيْهِم اللهِ عَلَيْهِم اللهِ اللهِ الله الله الله الله ورقيبًا يمنعهم من أن يقولوا مثل هذه المقالة الشنعاء، والمعنى: أنك لما توفيتني قد صارت الوفاة حائلًا بيني وبينهم، فلم يكن لي أن أُنكِر عليهم ضلالهم؛ ولذلك قال: ﴿ كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم اللهُ مَا المقصر؛ أي: كنت أنت الرقيب لا أنا؛ إذ لم يبقى بيني وبين الدنيا اتصال، والمعنى أنك تعلم أمرهم وترسل إليهم من يهديهم متى شئت. وقد أرسل إليهم عمل عمدًا الله وهداهم بكل وجوه الاهتداء، وأقصى وجوه الاهتداء، وأقصى وجوه الاهتداء إبلاغهم ما سيكون في شأنهم يوم القيامة (١).

ثَالثًا. عيسى السِّيلاً عبد مخلوق كان يأكل الطعام:

أكد القرآن الكريم أن عيسى الطِّكِين رسول قد خلت من قبله الرسل، وأنه عبد مخلوق من عباد الله، وأمّه

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٤،
 ج٧، ص١١٢: ١١٧ بتصرف.

فمن كان حاله كذلك فهل يكون إلمًا؟! وهل يكون إلمًا من يحتاج إلى الطعام ليقوم به بدنه؟! إن الإله الحقَّ غنيٌّ عن جميع الأشياء، لا يحتاج إلى شيء، وليس كمثله شيء، ومن أحسن ما قيل في ذلك، ولله دَرُّ قائله:

أَعُبَّادَ المَسِيحِ لنا سُوالٌ

نُرِيدُ جَوابَده مِسمَّن وَعساهُ إِذا مساتَ الإلدهُ بِسصُنْعِ قَسومٍ

أَمساتُوهُ فَهَسلْ هسذا إلسهُ؟! ويسا عَجَبًا لِقَبْرِ ضَمَّ رَبًّا

وأَعْجَبُ مِنهُ بَطْنٌ قَدْ حَواهُ أَقَامَ هُناكَ تِسْعًا مِنْ شُهورٍ

لَدَى الظُّلُهاتِ من حَيْضٍ غِـذاهُ ويَأْكُـلُ ثُـمَّ يَـشْرَبُ ثُـمَّ يَـأْتِي

بِـــلازِمِ ذَا فَهَـــلْ هَـــذَا إِلَــهُ؟! تعـالى اللهُ عـن إِفْـكِ النَّـصارَى سَبُــسْأَلُ كُلُّهــم عَـــاً افْــتَرَاهُ

إن الله على إذا أراد أن يهلك المسيح ابنَ مريمَ وأمَّه، ومَن في الأرض جميعًا، فلا يملك أحد أن يتدخل في إرادة الله على وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه على من ذلك

خامسًا. معجزات المسيح السلا حدثت بإذن الله على:

لقد وضح القرآن على لسان عيسى الطيئة أن تلك المعجزات التي حدثت معه الطيئة كانت بإذن الله ولم يكن لعيسى فيها أي دخل سوى أنها جرت على يديه، قال على على لسان سيدنا عيسى الطيئة: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَيْنَ قَالَ عَلَى لَا اللهِ عَلَى السان سيدنا عيسى الطيئة: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَيْنَ إِسْرَهِ مِلَ أَنِي قَدْ حِثْ تُكُم بِنَايَة مِن رَبِّكُمْ أَنِي اَخْلُقُ لَكُم مِن الطيئة وَأَبْرِي اللّهِ مَن الطين كَهَيْتَة الطّير فَانفُحُ فِيهِ فَيكُونُ طَيراً بِإِذِنِ اللّهِ وَأَبْرِيكُ الْأَخْرُونَ فِي يُتُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ وَأُنْبِيتُكُم بِمَا تَأْكُونَ وَمَا تَذَخِرُونَ فِي يُتُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ وَأُنْبِيتُكُم بِمَا تَأْكُونَ وَمَا تَذَخِرُونَ فِي يُتُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ وَالْبَيْتُكُم بِمَا تَأْكُونَ وَمَا تَذَخِرُونَ فِي يُتُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ مِن اللّهِ وَالْمِيتُونِ اللّهِ اللّهَ وَالْمِيعُونِ اللّهَ مَنْ مَنْ مَن مَن مَن اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّه مَن اللّه مَن اللّه وَاللّه مُن اللّه مَن اللّه مَن اللّه مَن اللّه مَن الله مَن اللّه مَن اللّه مَن اللّه مَن الله مَن اللّه مَن الله مُن الله مَن الله مُن الله مَن اله مَن الله مَن الله مَن الله مَن الله مَن الله مَن الله مِن الله مَن الله مَن الله مَن الله مَن الله مَن الله مَن الله مُن الله م

فقد حرص القرآن الكريم على أن يذكر على لسان المسيح الطّيّة ـ كما هو مقدر في غيب الله عند البشارة لمريم، وكما تحقق بعد ذلك على لسان عيسى الطّيّة _ أن كل خارقة من هذه الخوارق التي جاءهم بها إنها هي من عند الله، وذكر ﴿ بِإِذْنِ اللّهِ بعد كل واحدة منها

تفصيلًا وتحديدًا؛ ولم يدع القول يتم إلا وذكر في نهايته ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ زيادة في الاحتياط.

وفى نهاية الآيات يقول السيلان في الله رأت الله رأت المران المراق المراق

سَادسًا. مثل عيسى الطَّيْلا كمثل آدم الطَّيْلا:

بيّن القرآن الكريم حقيقة سيدنا عيسى العَيْنَ، فقال الله الكَرَمُ خَلَقَهُ، فقال الله الله الكَرَمُ خَلَقَهُ، من رُرَابِ ثُمَّ قَال لَهُ كُن فَيكُونُ الله الله عمران). إن كانت ولادة عيسى عجيبة حقًّا بالقياس إلى مألوف البشر، فأية غرابة فيها حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشر؟! وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون ويجادلون حول

عيسى - بسبب مولده - ويصوغون حوله الأوهام والأساطير بسبب أنه نشأ من غير أب؛ فهؤلاء أنفسهم يقرُّون بنشأة آدم من التراب، وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني... دون أن يصوغوا حول آدم الأساطير التي صاغوها حول عيسى... ودون أن يقولوا عن آدم: إن له طبيعة عيسى... ودون أن يقولوا عن آدم: إن له طبيعة ذاته العنصر الذي به ولد عيسى من غير أب؛ إنه عنصر النفخة الإلهية في هذا وذاك، وما هي إلا الكلمة: وحقيقة الإلهية في هذا وذاك، وما هي إلا الكلمة: تتجلى بساطة هذه الحقيقة ... حقيقة عيسى وحقيقة آدم وحقيقة آدم وصوضوح، حتى ليعجب الإنسان ويتساءل: كيف ثار ووضوح، حتى ليعجب الإنسان ويتساءل: كيف ثار الخدل حول هذا الحادث وهو جارٍ وفق السنة الكبرى، سنة الخلق والنشأة جيعًا، وهذه هي طريقة "الذكر

الخلاصة:

وكأنها اليسر الميسور(٢).

• القول بألوهية المسيح من أكبر الأدلة على ضلال النصارى؛ وذلك لأن كلام المسيح الكلام ودلائل بشريته المؤكدة تنفى هذا الزعم من الأساس.

الحكيم" في مخاطبة الفطرة بالمنطق الفطري الواقعي

البسيط، حتى في أعقد القضايا فتبدو بعد هذا الخطاب

• إقرار المسيح الطَّيْ نفسه بالعبودية لله الحَيْلُ في مهده ويوم القيامة ينفي هذا الادعاء؛ لأنه لا يتفق مقام الألوهية مع مقتضيات البشرية والإقرار بالعبودية لله.

٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٤٠٤،
 ٢٠٥.

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٩٩٥،
 ٢٠٠ يتصرف.

ق "إنكار عقيدة البعث في الفكر الإلحادي" طالع أيضًا: الشبهة التاسعة، من الجزء السابع (الإيمان والتدين). وفي "تعلُّل المشركين في إنكار البعث بعدم رجعة آبائهم إلى الدنيا" طالع: الشبهة الثانية والخمسين، من هذا الجزء.

- المسيح الطّن رسول الله يأكل الطعام، فكيف يكون إلها؟
- لا أحد يقدر على منع الله ﷺ أن يهلك المسيح وأمّه ومَن في الأرض جميعًا، فمصيره هو وأمه وكل مخلوقات الله ﷺ بيد الله وحده.

AND BUKE

الشبهة السابعة

إنكارُ البعث والمَعاد وإحياء الخلق يومر القيامة مرةً أخرى واعتبارُ ذلك أسطورةً وسحرًا (*) ®

مضمون الشبهة:

ينكر الدَّهرِيُّون (١١) ومَن وافقهم من مُشْركي العـرب

(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (سبأ/ ٣، ٧، ٢٩، ٣٥، التغابن/ ٧، يونس/ ٥٥، الملك/ ٢٥، ق/ ٣، ١٥، المدخان/ ٥٦، الجاثية/ ٢٤، ٢٢، يس/ ٤٨، ٤٨، الصافات/ ٢١، ١٧، ٥٦، الحسجدة/ ٢٠، ٢٨، النمل/ ٢٧، ١٨، ١٢، المؤمنون/ ٥٣، ١٣، ٢٨، ٣٨، الأنبياء/ ٣٨، مريم/ ٢٦، الكهف/ ٣٦، الإسراء/ ٤٩، ١٥، ٩٨، النحل/ ٣٨، الرعد/ ٥، هود/ ٧، الشعراء/ ٤٩، ١٥، ٩٨، النحل/ ٣٨، الرعد/ ٥، هود/ ٧، الشعراء/ ١٣٨، الواقعة/ ٤٧، ٤٨، النازعات/ ١٠، ١١). الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (سبأ/ ٣، يونس/ ٥٠، ١٥) التغابن/ ٧، سبأ/ ٨، ٣٠، الجاثية/ ٢٦، الإسراء/ ٥، ٢٥، ١٠ الواقعة/ ٤٩، ٥٠، الحج/ ٥، ١٧، الشوري/ ١٨، الصافات/ ٩٩، النحل/ ٢٨، المسجدة/ ٢٩، ٢٠، الأنبياء/ ٣٩، ٢٠، مريم/ ٢٧، الكهف/ ٢١، ٢١، ١١ وم/ ٢٧).

ق "إنكار عقيدة البعث في الفكر الإلحادي" طالع: الشبهة التاسعة، من الجزء السابع (الإيهان والتدين). وفي "تعلُّل المشركين في إنكار البعث بعدم رجعة آبائهم إلى الدنيا" طالع: الشبهة الثانية والخمسين، من هذا الجزء.

الدَّهرِيُّون: جمع دَهْري، وهو المُلْحِد الذي لا يؤمن بـالآخرة،
 ويقول ببقاء الدنيا، أو بأن العالم موجود أزلا وأبدًا ولا صانع له.

البعث والمعاد، ويؤيد هذا بعض الفلاسفة فيُنكرون البُداءة والمعاد، ويعتبرون إحياء الخلق مرة أخرى من قبيل الأسطورة والخرافة، كما زعمت طائفة أخرى أن البعث يكون للأرواح دون الأجساد. قال على وَقَالُوا مَا هِمَ إِلّا حَيَانُنَا الدُّنِا نَمُوتُ وَخَيَا وَمَا يُهُلِكُنَا إِلّا الدَّهُرُ وَمَا لَهُمُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِ إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُونَ اللَّهِ (الجانية).

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) البعث حقيقة مؤكدة ومحددة بأجل معدود.
- ٢) الذي قدر على بدء الحياة قادر على إعادتها.
- ۳) القادر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما
 هو دونه.
- ٤) قدرته شاعلى تحويل الخلق من حال إلى حال دليل على قدرته على البعث والإحياء بعد الإماتة.
- و) قصة من أنكر البعث خير دليل على قدرة الله
 تعالى على البعث والنشور يوم القيامة.
- ٦) إحياء بعض الأموات في هذه الحياة دليل
 واقعى على قدرته كل على البعث.
- ٧) ضرب المثل بإحياء الأرض بالماء وكذلك دورة
 النبات؛ للاستدلال على صحة البعث.
- ٨) حكمة الله وعدله يقتضيان بعث العباد للجزاء والحساب.
 - ٩) اتفاق جميع الأنبياء على الإخبار بالمعاد.
 - ١٠) ضلال منكري البعث؛ حيث لا دليل لهم.

التفصيل:

هذه شبهة داحضة أكثر المشركون مقولتها، وهي من أكثر مزاعمهم وشبههم تردادًا وتكرارًا في القرآن، فهم

الأول: الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدَّهريَّة الطبائعية، ومثلهم الشُّيوعيُّون (1) في عصرنا، وهؤلاء ينكرون صدور الخلق عن خالق؛ فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالق أصلًا. وهؤلاء ناقشهم الله ﷺ أولًا في وجود الخالق ووحدانيته _كها سبق أن بيَّنا _ شم يأتي بعد ذلك إثبات المعاد؛ لأن الإيهان باللهاد فرع الإيهان بالله.

الثاني: الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم

 الشَّيوعيُّون: هم من يعتنقون المذهب الشُّيوعي، مذهب كارل ماركس، وهو نظام اجتهاعي وسياسي واقتصادي يقوم على الإنتاج الجهاعي وإشاعة المِلْكِيَّة وإزالة الطبقات الاجتهاعية، وأن يعمل الفرد على قَدْر طاقته ويأخذ على قَدْر حاجته.

يكذِّبون بالبعث والنشور، ومن هـؤلاء العـرب الـذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَيِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ ۖ ﴾ (لقهان). فهم مع اعترافهم بوجود الخالق ﷺ ينكرون البعث والنشور يوم القيامة، وقد حكى القرآن عنهم ذلك، حيث قالوا: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَبًّا وَءَابَآؤُنَّا أَبِنَّا لَمُخْرَجُونَ اللهُ لَقَدْ وُعِدْنَا هَلَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَنَدَآ إِلَّآ أَسَطِيرُٱلأَوۡلِينَ ﴿ اللَّهُ ﴿ النَّمَلِ). وهـؤلاء يـدُّعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم _ في الوقت نفسه _ يـدَّعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم! وهم الذين ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه لا يعجزه شيء، ومن هـؤلاء طائفـة مـن اليهـود يُـسَمُّون "الصَّادوقيُّون"(٢) يزعمون أنهم يؤمنون بتوراة موسى، وهم يكذِّبون بالبعث والنشور والجنة والنار!

الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع السهاوية من النصارى، وهؤلاء هم الذين يعتقدون أن الذي يُنعَم أو يُعَذَّب يوم القيامة إنها هو الروح فحسب، وقال بقولهم كثير من الفلاسفة والفرق الضالة (٢).

وقد رد القرآن على هؤلاء المنكرين للبعث المكلِّبين

الصَّادوقيُّون: جماعة قليلة العدد نسبيًّا، ولكن معظمها كان من المثقَّفين والأعيان، واسمها مشتق من صادوق رئيس الكهنة في أيام داود وسليان عليها السلام وقد حصروا تعليمهم في الكتاب المقدس فقط، زاعمين أن حرف الناموس المكتوب وحده هو المُلْزم، وينكرون القيامة.

٣. القيامة الكبرى، د. عمر سليان الأشقر، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٢٦، ٦٢، ٨٤ بتصرف.

بالمعاد ما زعموه في غير موضع من آياته بالأدلة والبراهين القاطعة المثبتة للبعث والنشور، ومن ذلك:

أولا. بين القرآن الكريم أن البعث حقيقة مؤكدة ومحددة بأجل معدود:

لقد نوَّع الحق الله أساليب الإخبار عن تلك الحقيقة، فتارة يجزم المولى ﷺ بوقوع ذلك اليــوم ومــن ذلك قول على: ﴿ إِنَّ ٱلسَّكَاعَةَ ءَالِيَةُ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (ط: ١٥)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآنِينَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (غافر: ٥٩)، وقوله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَكُونَ لَآتِ وَمَآ أَنتُهُ بِمُعْجِزِينَ ﴿ الْاَنعَامِ ﴾ (الأنعام)، وقوله: ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقُ 🕥 🛊 (الـذاريات)، وفي بعض الأحيان يخبر عـن اقترابـه، ومنه قوله ﷺ: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ, بَعِيدًا ۞ وَنَرَنَهُ قَرِيبًا ۞ ﴾ (المعارج)، وقوله: ﴿ أَقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَأَنشَقَ ٱلْقَكُرُ اللَّهُ ﴾ (الفمر)، وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى عــلى وقوعــه ومجيئــه، ومنــه قولــه تعــالى: ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَكُمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصَّدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿ ﴾ (النساء)، أو يأمر رسوله بالإقسام عـ لى وقوع البعث وتحققه، وذلك في معرض الردعلي المكذبين به المنكرين له (۱).

ومن ذلك قوله على: ﴿ وَيَسْتَنَانُ وَنَكَ أَحَقُ هُو ۗ قُلُ إِي وَرَقِيَ إِنَّهُ لَحَقُ هُو ۗ قُلُ إِي وَرَقِيَ إِنَّهُ لَحَقُ هُو اللّهِ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿ وَقَالَ ٱلّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا وَنظير هذه الآية قوله على: ﴿ وَقَالَ ٱلّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا السّاعَةُ قُلُ بَلَى وَرَقِي لَتَأْتِينَا كُمُ عَلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ (سا: ٣)، ويؤكد القرآن أن يوم القيامة يوم محدد لا يُزاد في موعده ويؤكد القرآن أن يوم القيامة يوم محدد لا يُزاد في موعده

١. المرجع السابق، ص٦٣: ٦٦ بتصرف.

٢. المرجع السابق، ص٦٦ بتصرف.

ثانيًا. ومن الأدلة العقلية المفحمة التي برهن بها القرآن على البعث والمعاد أنه استدل على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:

نشاهد كل يوم حياة جديدة تخلق: أطفال يولدون، وطيور تخرج من بيضها، وحيوانات تلدها أمهاتها، وأسهاك تملأ البحر والنهر، يرى الإنسان ذلك كله بأم عينيه، ثم ينكر أن يقع مثل ذلك مرة أخرى بعد أن يبيد الله هذه الحياة. إن الذين يطلبون دليلًا على البعث يغفلون عن أن خلقهم على هذا النحو أعظم دليل على ذلك، فالقادر على خلقهم ابتداءً، قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى (٢).

وقد أخبر الله عَلَىٰ أن الإنسسان نفسه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته، قبال عَلَىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَنُ اللهِ اللهِ عَلَىٰ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

ويبرهن على بالبداءة على الإعادة، يعني أنه على قد خلق الإنسان ولم يَكُ شيئًا، أفلا يمكنه على إعادته ثانية وقد صار شيئًا موجودًا؟! قال على: ﴿ أَوَلَا يَذَكُرُ الْإِنسَانُ أَنَا خَلَقَنَهُ مِن فَبَلُ وَلَمْ يَكُ شَيْعًا اللهِ المربم).

وهذا بيان لهؤلاء، مفاده أن الذي قدر على البدء قادر على الإعادة، وهذا بطريق الأولى والأحرى، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللّهُ يُحْيِيكُو ثُمْ يُمِيثُكُو ثُمْ يَجْمَعُكُو إِلَى يَوْمِ الْقِينَةِ لَكُورَ ثُمْ يَمِيثُكُو ثُمْ يَجْمَعُكُو إِلَى يَوْمِ الْقِينَةِ لَكُورَ بَهُ يَعْمِيكُو ثُمْ يَجْمَعُكُو إِلَى يَوْمِ الْقِينَةِ كَالِكُورَ مُن يَجْدُورُ ثُمَ يَعْمِيكُو فَهُو قادر على إعادة الأبدان بعد من العدم إلى الوجود، فهو قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها، قال الله في: ﴿ وَهُو اللّهِ يَبْدُونُ الْمَخْلَقُ ثُمُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ الله

ويدنكرنا القرآن في موضع آخر بالخلق الأول للإنسان، فآدم خلقه الله من تراب؛ فالقادر على جعل التراب بشرًا سويًّا، لا يعجزه أن يعيده بشرًا سويًّا مرة أخرى بعد موته، كها يذكرنا بخلقتنا نحن ذرية آدم، فإنه خلقنا من سلالة من ماء مهين، تحول هذا الماء فأصبح نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم تحولت إلى مضغة.

إلى أن نفخ فيها الروح وجعلها إنسانًا سويًّا، فالقادر على الخلق المشاهَد المعلوم قادر على إعادته وإحيائه بعد موته، قال على : ﴿ يَكَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَبِّ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّن ثُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلقَةٍ ثُمَّ مِن نُطَفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلقَةٍ ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلقَةٍ النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَبِّ مِّنَ عَلقَةٍ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُم مِّن ثُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطَفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلقَةٍ النَّابِينَ لَكُمْ وَنُقِيرُ فِي الْمَدَّ مِن مُنْ عَلَةً مِن اللَّهُ وَنُقِيرُ فِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّةُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّه

وَرَبَتْ وَأَنْكَبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجَ بَهِيجِ ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَتَّ وَأَنَّهُ اللّهَ هُوَ الْحَتَّ وَأَنَّهُ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءِ قَلِيرٌ ﴿ فَأَنَّ السّاعَةَ الْحَتَّ وَأَنَّهُ السّاعَةَ عَلَيْكُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿ اللّهَ عَلَى كُلُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿ اللّهَ عَلَى مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿ اللّهَ عَلَى مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿ اللّهِ اللّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿ اللّهَ اللّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿ اللّهَ اللّهَ اللّهَ عَلَى اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

ثَالثًا. ومن الأدلة القوية في هذا الصدد ما ساقه القرآن دليلا للعقل أن يتفكر فيه، إذ بيّن أن من جملة خلقه تعالى ما هو أعظم من خلق الناس؛ فالقادر على خلق الأعظم لا شك قادر على خلق ما هو دونه:

لقد نبَّه الله على كل مَن له عقل _ يعي به _ على قدرته على إعادة الخلق مرة أخرى، وذلك بدليل أنه خلق السهاوات والأرض، فقدرته على إعادة الخلق أسهل من خلقه السماوات والأرض، قال تبارك وتعالى: ﴿ لَحَلُّقُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ (غافر: ٥٧)، وقــال ﷺ: ﴿ أُوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَلِمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَلْدِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْتِى ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (الأحقاف: ٣٣)، وقال أيضًا: ﴿ أُولَمْ يَرُواْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَعْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّارَيْبَ فِيهِ ﴾ (الإسراء: ٩٩)، وقال أيضًا: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَلدِرٍ عَلَىٰ أَن يَعَلَقَ مِثْلَهُمْ بَكَيْ وَهُوَ الْخَلَّةُ ٱلْعَلِيمُ اللَّهُ ﴾ (بس). ويوضح ذلك قـول ابن تيمية بعد أن ساق هذه النصوص -: "فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"(٢).

١. المرجع السابق، ص٦٧.

٢. المرجع السابق، ص٦٨.

رابعًا. ومن ردود القرآن على منكري البعث ما بينه الحق تعالى برهانًا للعقل البشري أن يتدبره من أن قدرته تعالى على تحويل الخلق من حال إلى حال لا يعجزها إعادة الخلق بعد المات:

إن تقلب العباد: موت فحياة فموت فحياة، دليل عظيم على قدرة الله التي تجعل النفوس تخضع لعظمته وسلطانه، ولذلك يقول على: ﴿ كَيْفَ تَكُفُرُونَ بِاللّهِ وَكَنْتُمْ أَمُواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُعِيدِكُمْ ثُمَّ يُعِيدِكُمْ ثُمَّ يُعِيدِكُمْ ثُمَّ يُعِيدِكُمْ ثُمَّ يُعِيدِكُمْ ثُمَّ إليّهِ وَرُجُعُونَ (١٠) ﴿ (البقرة) (١٠).

خامسًا. ساق القرآن بعض أدلة البعث في معرض الرد على واحد من مكذبي المعاد:

يحكي القرآن عن أحد هؤلاء المشركين المستَبعِدين البعث _ وهو العاص بن وائل _ حين جاء إلى النبي ﷺ وفي يده عَظْم رميم وهو يفتُه ويَذُرُوه في الهواء،

ويقول: يا محمد، أيبعث الله هذا بعد ما أَرَمَ ؟! قال ﷺ:
"نعم يبعث الله هذا، يُميتك ثم يُحييك ثم يدخلك نار
جهنم"، قال: فنزلت الآيات: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِسْكَنُ أَنَا
خَلَقْنَهُ مِن نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيحُ مُّبِينٌ ﴿ آَلَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

ونزلت في هذه القصة الآيات الأخيرة من سورة يس، وفيها يقول الحق عَلَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَانُ أَنَّاخَلَقْنَاهُ مِن نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيدٌ مُبِينٌ اللهِ وَضَرَبَ لَنَامَثُلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحِي ٱلْعِظْامَ وَهِيَ رَمِيتُ ﴿ اللَّهُ السَّا ﴾ (بس)، فهذا المشرك ضرب لله مثلًا ونسي أنه خلقه من نطفة، فلم يهتد إلى أن ذلك أعجب من إعادة عظمه ﴿ أَنَعِينَا بِٱلْخَلْقِٱلْأَوَّلِ ﴾ (ق: ١٥)، ولذاقال كلل جوابًا على ســــــــــــاله المتهافت: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيَّ أَنشَأَهَاۤ أَوَّلَ مَرَّوٍّ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمُ ﴿ ﴿ إِس)، أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وتفرقت وتمزقت، ثم ضرب الله له مثلًا آخر وهو الشجر الأخـضر الـذي يوقد منه النار، فالله بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا ذا ثمر وينع، ثـم أعـاده إلى أن صـار حطبًا يابسًا توقد به النار، وكذلك هو فعَّال لما يـشاء، قادر على ما يريـد، لا يعجـزه شيء، قـال ﷺ: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ ٱلشَّجِرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُ مِنْهُ تُوقِدُونَ (استدلالًا آخر على إعادة القرآن استدلالًا آخر على إعادة الأجساد بخلق السهاوات والأرض بما فيها من الكواكب السيَّارة، والجبال، والبحار، والرمال، وما بين

١. المرجع السابق، ص٦٩، ٧٠.

صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة يس (٣٦٠٦)، وصححه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ذلك، قال ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِدٍ عَلَىٰ أَن يَعَلَقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ ﴿ اللهُ ﴾ (س).

ففي هذه القصة نلاحظ أن الله المسلام من الأدلة ما يكفي لإقناع هذا المشرك وغيره بحقيقة البعث والمعاد؛ إذ احتج بالإبداء على الإعادة، ثم بقدرته على تحويل الخلق من حال إلى ضده، ثم أكد ذلك بأن القادر على على خلق الأعظم قادر من باب أولى على خلق الأيسر منه، فسبحان من يقول للشيء كن فيكون، فملكوت كل شيء بيده، وكل إليه راجع، قال المسلام وهي رَمِيهُ الله وَضَرَبُ لنا مَثَلًا وَنَبِي خَلْقَةٌ قَالَ مَن يُعْيِ الْمِعْظِم وَهِي رَمِيهُ الله وَقَلْ الله وَعَلَى الله وَهَى رَمِيهُ الله وَقَلْ الله وَلَهُ وَلَا الله وَقَلْ الله وَقَل

سادسًا. إحياء بعض الأموات في هذه الحياة دليل واقعي على قدرته ﷺ على البعث والنشور يوم القيامة:

لقد ذكر القرآن الكريم عددًا من القصص التي أحيا الله فيها بعض الأموات في هذه الحياة الدنيا، وكذلك ما أيّد الله به بعض رسله من إحياء الموتى على أيديهم، وفي كل ذلك أعظم دليل على قدرته تعالى على البعث والنشور، فحدثنا القرآن عن الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، فتعجب من إحياء الله لها بعد موتها وقد كان مؤمنًا لا شاكًا، ولكن الله أعلمه ذلك

وحدثنا عن أصحاب الكهف الذين ضرب الله على آذانهم في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين، ثم قاموا من

رقدتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة، قدال تعدالى: ﴿ ثُمَّ اللهُ مُعَنْنَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُ لَلْحُرْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِبِنْتُواْ أَمَدُا اللهُ ﴾ (الكهف)، وقدال أيسضًا: ﴿ وَلَبِنُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِأْنَةِ سِينِينَ وَأَزْدَادُواْ تِسْعًا اللهُ (الكهف).

وحدثنا عن قوم موسى الطَّيْنَ، هؤلاء الذين قالوا له: ﴿ لَن نُوْمِنَ لَكَ حَقَىٰ نَرَى اللّهَ جَهْرَةً ﴾ (البقرة: ٥٥)، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، شم بعثهم الله بعد موتهم هذا، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتُكُمُ ٱلصَّعِقَةُ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ اللهُ عُمَّ بَعَمْنَكُم مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَكُمْ تَشَكُرُونَ اللهِ البقرة).

وحدثنا عن قتل بني إسرائيل قتيلًا واتِّهام كل قَبِيل القبيل الآخر بقتله، فأمرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة، فذبحوها بعد أن تعنتوا في طلب صفاتها، ثم أمرهم بعد ذبحها أن يضربوا القتيل بجزء منها، فأحياه الله وهم ينظرون فأخبر عمَّن قتله، قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا أَضَرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعْمِى اللهُ أَلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَاينتِهِ لَعَلَّكُمْ وَالبقرة).

سابعًا. ومن الأدلة التي ساقها القرآن على البعث أنه لفت نظر الناس إلى ذلك حين ضرب المثل بإحياء الأرض بما ينبته فيها من النبات بعد نزول الماء:

- قال ﷺ: ﴿ فَأَنظُرْ إِلَىٰ ءَاثَدِ رَحْمَتِ ٱللّهِ كَيْفَ
 يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْي ٱلْمَوْتَى ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ ﴿ ﴾ (الروم).
- وقال: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي آرَسَلَ الرِّيَحَ فَتُثِيرُ سَعَابًا فَسُقَنْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتِ فَأَخْيَنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ ٱلنُّشُورُ (١) ﴾ (ناطر).

- وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَنْهِ عِهِ أَنَكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَشِعَةً فَإِذَا الْأَرْضَ خَشِعَةً فَإِذَا الْمَرْفَ عَلَيْهِ الْمَاتَ الْمَرْقَ أَمْ أَنَّ اللَّذِي آخَياهَا لَمُحْي ٱلْمَوْقَةً إِنَّا اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ اللهِ المِسلة).
- وقال ﷺ: ﴿ وَاللَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرِ
 فَأَنشَرْنَا بِهِ عَبْلَدَةً مَّيْـتًا كَذَلِكَ تُحْرَجُونَ ﴿ اللَّهِ ﴿ (الزحرف).

والمعنى المراد من هذا كله هو: الاستبصار والاستدلال؛ أي: استدلوا بذلك على أن مَن قدر عليه قادر من باب أولى على إحياء الموتى، وهذا من قبيل الاستدلال بالشاهد على الغائب(١).

ثَّامنًا. ومن أهم الأدلة الناصعة التي ذكرها القرآن على البعث أنه بيّن الحكمة منه :

إن الحكمة والعدل يقتضيان بعث العباد يوم القيامة الحساب؛ إذ إن الخلق يصبح عبثًا وباطلًا إذا لم يكن هناك يوم آخر يُبعث فيه الناس، ويُحاسبون على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا؛ أي أن الحياة تصبح عبثًا، وخلق السهاوات والأرض يصبح باطلًا لو كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف، قال في : ﴿ أَفَحَسِبْتُمُ أَنَّما لَانَا المَا وَالَّا لَا تُرْجَعُونَ اللَّهِ الله الوريان (٢).

وقال أيضًا: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَيِعًا ۗ وَعَدَ اللّهِ حَقًا ۚ إِنّهُ يَبْدَوُا الْفَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ, لِيَجْزِى اللّذِينَ ءَامَنُوا وَعَدُوا الصَّلِحَتِ إِلْقِسْطِ وَالّذِينَ كَفُرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ جَيهِ وَعَذَابُ أَلِيمُ بِمَا كَانُوا يَكُفُرُونَ ﴾ (بونس)، فحكمة الله وعدله يقتضيان أن يبعث عباده ليجزيهم بها قدموا، إن خيرًا

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي،
 بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١٤، ص٤٥ بتصرف.
 ٢. ركائز الإيان، محمد قطب، مرجع سابق، ص٣٨٧.

فخير، وإن شرًّا فشر، فالله خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يعبدونه به، فمن العباد من استقام على طاعته، وبذل نفسه وماله في سبيل ذلك، ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله وطغى، أفيليق بعد ذلك أن يموت الصالح والطالح ولا يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؟! ﴿ أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا لَكُو كَيْفَ تَعَكّمُونَ ﴿ أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ مَا لَكُو كَيْفَ مَعَكُمُونَ ﴿ أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَعَيْرُونَ ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَعْبَرُونَ ﴿ اللهِ المَعْمَدُ فِيهِ لَمَا تَعْبَرُونَ ﴿ اللهِ المَعْمَدُ فِيهِ لَمَا تَعْبَرُونَ ﴿ اللهِ المَعْمَدُ فِيهِ لَمَا تَعْبَرُونَ اللهِ المَعْمَدُ فِيهِ لَمَا تَعْبَرُونَ ﴿ اللهِ المُعْمَدُ فِيهِ لَمَا تَعْبَرُونَ اللهِ المُعْمَدُ اللهِ المُعْمَدُ وَلِيهِ لَمَا تَعْبَرُونَ اللهِ المُعْمَدُ وَلِيهِ اللهِ المَعْمَدُ اللهِ اللهِ المُعْمَدُ وَلَيْ اللهُ المُعْمَدُ وَلَيْ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ اللهُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ اللهُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ اللهُ المُعْلَقِ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ اللهُ اللهُ المُعْمَدُ المُعْمَدُ اللهُ المُعْمَدُ اللهُ المُعَلَّمُ المُعَلِي المُعْمَاعِمُ المُعْمُ المُعْمَاعُونُ المُعْمَاعُ المُعْمُ

فنحن نشاهد في حياتنا الدنيا ظالمين ظلوا على ظلمهم حتى لحظة الموت، ومظلومين ظلوا مظلومين ظلوا مظلومين الله آخر حياتهم، أفيكون هذا عدلًا وحكمة إن كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف؟! وأين هو العدل والظالم لم يُقتص منه والمظلوم لم يُقتص له؟! وأين هي الحكمة في خلق حياة تجري أحداثها على غير مقتضى العدل، ثم تنتهي على هذه الصورة؟!

أيكون من الحق أن الذين أجابوا داعي الله فآمنوا به واستقاموا على طريقه، يعيشون ويموتون في الهوان والذل كأنهم هم المغضوب عليهم، وأن الذين لم يستجيبوا لله ولم يؤمنوا به يعيشون ويموتون هانئين منعمين كأنهم هم الذين نالوا رضوان الله؟!

كلا بغير شك. ولا يجوز ذلك في حق الله. لا يجوز في حق عدالته وحكمته الله أن تكون الأمور على هذه الصورة، وإلا تكون الحياة عبثًا لا معنى لها ولا حكمة فيها... لذلك جاء هذا السؤال الإنكاري:

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ إِنَّ الْعَلَمِ).

حاشا لله أن يكون ذلك، إنها ذلك ظن الذين كفروا، فهم الذين يظنون أن الأمر سواء، وأنه لا حساب ولا عقاب، فكأنهم يقولون: إن الله خلق السهاوات والأرض باطلاً، كلاً: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلًا ذَلِكَ ظَنُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن ٱلنَّارِ الله عَمْكُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَكِمُوا الصَّلِحَتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلدِّينَ كَالمُفْسِدِينَ فِي ٱلأَرْضِ آمْ نَجْعَلُ ٱلمُتَقِينَ كَالْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ آمْ نَجْعَلُ ٱلمُتَقِينَ كَالْمُفْسِدِينَ فَي اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنْافِقِ فَي اللهُ ال

فقد نزلت هذه الآية في كفار قريش الذين كانوا ينكرون البعث، ولكن العجيب أن الجاهلية المعاصرة تنتج نهاذج تنطبق عليها الآية الكريمة تمامًا، ومن هؤلاء: سارتر الوجودي (٢) المُلْحِد، الذي يقول: إن الوجود كله عبث وكله باطل، وإن حياة الإنسان لا معنى لها ولا حكمة فيها: ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ النَّيْنَ كَفَرُواً فَوَيْلُ النِّينَ كَفَرُواً فَوَيْلُ .

تاسعًا. ومن الأدلة على البعث ما ذكره القرآن من اتضاق جميع الأنبياء على الإخبار بالمعاد: فالإيمان بالقيامة والجنة والنار من أصول الإيمان التي يشترك الأنبياء جميعًا وأتباعهم الصادقون في معرفتها والإيمان بها:

فقد أخبر القرآن الكريم عن هؤلاء الأشقياء أهل النار الذين يقرون بأن رسلهم أنذرتهم باليوم الآخر،

القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص٧٥، ٧٦.

الوجودي: القائل بمذهب الوجود أو الوجودية، وهو مذهب فلسفي يرى أن الوجود سابق على الماهية، وأن الإنسان حرٌ يستطيع أن يصنع نفسه، ويتخذ موقفه كما يبدو له؛ تحقيقًا لوجوده الكامل.

٣. ركائز الإيهان، محمد قطب، مرجع سابق، ص٣٩٠.

ق "اقتضاء فكرة "العدالة" لعقيدة البعث" طالع: الوجه الثاني، من الشبهة التاسعة، من الجزء السابع (الإيمان والتدين).

قال تعالى: ﴿ تُكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ ٱلْفَيْظِ كُلُمَا ٱلْفِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمُ خُرَنَئُهَا آلَة يَأْتِكُو نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَلَ ٱللهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي صَلَالِكِيرِ ۞ وَقَالُوا لَوْكُنَا مَا نَزَلَ ٱللهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي صَلَالِكِيرِ ۞ وَقَالُوا لَوْكُنَا نَشَمُعُ أَوْ نَغْقِلُ مَا كُنَا فِي آصَعَنِ ٱلسّعِيرِ ۞ ﴿ (اللك)، وقال نَشَمُعُ أَوْ نَغْقِلُ مَا كُنَا فِي آصَعَنِ ٱلسّعِيرِ ۞ ﴿ (اللك)، وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمُرًّ حَتَى إِذَا تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلّذِينَ كَعَمُووا إِلَى جَهَنَّمَ رُمُرًّ حَتَى إِذَا مَن الله مَ خَزَنَاهُمَ ٱللّهَ يَأْتِكُمُ رُسُلُ مَن الله عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمُ مَ اللّه عَلَى اللّه عَلّه وَلِي اللّه عَلَى اللّه عَلْمُ عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلْهُ عَلَى اللّه عَلْمُ عَلَى اللّه ع

وهذا الذي قررته الآيات السابقة بينه الله على في غير موضع من كتابه، فقد أخبر الحق الله أن مقتضى عدله وحكمته ألا يعذب أحدًا لم تبلغه الرسالة ولم تقم عليه الحجة، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ عَليه الحجة، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿ رُسُلًا مُبَشِرِينَ وَقال أيضًا: ﴿ رُسُلًا مُبَشِرِينَ وَمُنذِدِينَ لِنَكَّلا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بُعَدَ الرُسُلُ وَكَانَ وَمُنذِدِينَ لِنَكَّلا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بُعَدَ الرُسُلُ وَكَانَ الله عَمِينَ اللّه عَنْ عَمِيزًا حَكِيمًا ﴿ وَاللّه عَلَى اللّه عَلْمَا عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى الل

كما ذكر القرآن الكريم أنه ما من نبي من الأنبياء إلا أنذر قومه يوم القيامة وأخبرهم بالبعث والنشور من أجل الجنزاء والحساب، وذلك حين قص قصص الأنبياء في القرآن الكريم (١).

عاشــرًا. يؤكــد القــرآن الكــريم في أكثــر مــن موضــع أن المنكرين للبعث والمعاد لا يستندون إلى دليل ولا يقيمــون على دعواهم تلك أي برهان :

ويؤكد القرآن أيضًا في أكثر من موضع أن هؤلاء المُستبعدين المعاد والقيامة والبعث يعيشون في الوهم والضلال البعيد، قال على: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَم بِهِ عِنْهُ أَنْ بِلَ اللّهِ يَكِذِبًا أَم بِهِ عِنْهُ أَنْ بِلَ اللّهِ يَكِذِبًا أَم بِهِ عِنْهُ أَنْ بِلَ اللّهِ يَكِذِبًا أَم بِهِ عِنْهُ أَنْ بِلَ اللّهِ يَكُوبُونَ فِي الْعَدَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ عِنْهُ أَنْ اللّهِ يَنَ اللّهِ يَنَ اللّهِ يَعْدِ الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله على إحياء الموتى بطريق الأولى.

الخلاصة:

- الموجد للشيء بعد العدم قادر على إعادة بعثه بعد فنائِه؛ فالقادر على الخلق من عدم قادر على إعادة الخلق بعد إفنائه.
- المنكر للبعث والمعاد وإحياء الخلق يـوم القيامة
 يعيش في الوهم والضلال، فالأمثلة على ذلك متعـددة،
 والأدلة كثيرة، ومن ذلك إحياء الله كالله المرض بعـد

القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص٧٧: ٨١ بتصرف.

موتها ببعض الأمطار يسقطها عليها.

• هناك بون كبير بين حقيقة البعث والمعاد وبين الأسطورة والسحر، ولقد شاهد بعض البشر - في فترات مختلفة من التاريخ - عودة الحياة إلى الجثث الهامدة، وجاء القرآن بقصص من ذلك، كقتيل بني إسرائيل، وكالذي مرَّ على قرية، ومن ذلك أيضًا قصة إبراهيم الطيخ والأربعة من الطير، وإحياء عيسى الطيخ للموتى بإذن الله عَلَى الله المحتى بإذن الله المحتى المحتى المحتى المحتى بإذن الله المحتى المحتى المحتى المحتى بإذن الله عَلَى الله عَلَى الله المحتى بإذن الله عَلَى الله عَلَ

ad bu

الشبهة الثامنة

ادًعاء أن الأصنام والأوثان آلهة تشفع عند الله ﷺ وتقرّب إليه (*)

مضمون الشبهة :

(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (يونس/ ١٨، الزمر/ ٣).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (يونس/ ١٨، الزمر/ ٣، الرعد/ ١٦، الإسراء/ ٤٣،٤٢).

وما ملك. تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

وجوه إبطال الشبهة:

- عبادة غير الله مخترعة، والشرك حادث في الناس.
- ٢) هذه الآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا.
 - ٣) المخلوقات جميعًا خاضعة لله ﷺ.
- ٤) لـوكان مع الله آلهـة ـكا زعـم المشركون ـ
 لتقربوا إليه وعبدوه.
 - ٥) الله عَلِن منزَّه عن الشريك.

التفصيل:

أولا. عبادة غير الله مخترعة، والشرك حادث في الناس:

إن الذي حمل المشركين على عبادة الأصنام هو عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله و نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا، أما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به، كها كانوا يعبدون هذه الأصنام أيضًا لتقربهم إلى الله منزلة عنده، قال و حاكيًا عنهم هذا القول: ﴿ وَالَّذِيبَ اللَّهُ مَنْ لَهُ عَنْدُهُ أَوْلِيكَ مَا وَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ لَهُ عَنْدُهُ أَوْلِيكَ مَا يَعْبُدُهُمُ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّهِ وَزُلْفَى ﴾ (الزمر: ٣)، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجُوا في جاهليتهم: لبيك لا يقولون في تلبيتهم إذا حجُوا في جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك.

وهذه الدَّعوى هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل _ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين _ بردِّها والنهي عنها، فكان من أهداف الرسل الدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له،

وتوضيح أن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن به الله ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه، قال الله والقد بَعَثْنَافِي كُلِ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّنغُوتَ ﴾ (النحل: ٣١)، وقال أيضًا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوْجِى إِلَيْهِ أَنَّهُ وَلاَ إِللهَ إِلّا أَنَا فَأَعْبُدُونِ * (الأنبياء).

ثم أخبر الله على أن هذا الشرك حادث في الناس بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام إلا أنهم تفرقوا واختلفوا، قال على: ﴿ وَمَا كَانَ السَّاسُ إِلَّا أَمْهُم وَكُولَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ الل

ثانيًا. هذه الآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا :

لقد أنكر الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره ظانين أن شفاعة تلك الآلهة تنفعهم عند الله، وأخبر على أن هذه الآلهة المزعومة لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئًا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولن يكون هذا أبدًا، قال على ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ مَن مُونِ اللهِ مَا لاَ يَعْمُرُهُمُ مَ وَلا ينفعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُولُآءِ شُفَعَوُنَا عِند اللهِ عَلَم في السَّمَواتِ وَلا في اللهِ عَلَم في السَّمَواتِ وَلا في الدَّرْضِ ﴿ ربوس: ١٨). والمعنى: أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض.

وقال ﷺ أيضًا: ﴿ قُلْ أَفَا أَغَذْتُم مِن دُونِهِ ۚ أَوَلِيآ اَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرَّأَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ لِأَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرَّأً قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ شَتَوِى ٱلظَّفُرَتُ وَٱللَّهِ مُنْكَافًا لِلَّهِ شُرَكآ اللَّهُ أَكُن كُونَ اللَّهُ مَنْكُولُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَنْ وَهُو ٱلْوَحِدُ ٱلْفَقَارُ اللَّهُ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُو ٱلْوَحِدُ ٱلْفَقَارُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعُلِيْمُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ اللَّهُ اللْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمُ ال

فبيَّن ﷺ أن هذه الآلهة التي اتخذوها من دونه أولياء يعبدونهم لا تملك لأنفسها _ولا لعابديها بطريق الأولى _نفعًا ولا ضرَّا، ولا تُحصِّل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرة، فهل يستوي مَن عبد الله وحده لا شريك له؛ فهو على نور من ربه، ومَن عبد هذه الآلهة مع الله فهو في الظلمات ليس بخارج منها؟!

وقوله على الله المحملوا يله شركاء خلقوا كخلقه فتشبه المحلق عليم الله المحملوا المسركون مع الله المح النظر الرب وتماثله في الخلق؟! أخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من الله أم من غيره؟! وليس الأمر كذلك؛ فإنه سبحانه لا يشابهه شيء ولا يهاثله، ولا نِدّ له ولا وزير ولا ولد، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا، وإنها عبد هولاء المشركون معه آلمة هم معترفون أنها مخلوقة من مخلوقاته وعبيد له، ولهذا نزّه الله على نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم، فقال تعالى: ﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ ﴿

ثَالثًا. المخلوقات جميعًا خاضعة لله ﷺ:

لقد أكد القرآن أن المخلوقات جميعها خاضعة لله لا يجرؤ أحد منها أن يشفع عنده إلا بإذنه، فالملائكة المقربون في السهاوات وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا أن يأذن لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيها أحبه الملوك وكرهو، قال في المن ألله عند مأن ذَا الله عند مؤلاء عند مأن أرتضى في البقرة: (٥٥)، وقال أي المن المن المن المن المناه المن المناه المن المناه ال

المشركين السفاعة منهم أمر في غاية الجهل حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضرر في الحال.

رابعًا. لوكان مع الله آلهة . كما زعم المشركون ـ لتقربوا إليه وعبدوه:

ومن ردود القرآن أيضًا على هؤلاء المشركين قول تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ عَالِمَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَّا بَنَعَوَّا إِلَّى ذِي أَلْعَرْشِ سَبِيلًا (الله الله الله عني : قل يا محمد له ولاء المشركين الزاعمين أن لله شريكًا من خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفي: لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تُعبد لتقرِّب إليه وتشفع لديه ـ لكان أولئك المعبودون يعبدون الله ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقُرْبَي، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونـه، ولا حاجـة لكـم إلى معبـود يكـون وساطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بـل يكرهه ويأباه، وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه، ووجه الاستدلال أنكم جعلتموهم آلهة، وقلتم: ما نعبدهم إلا ليكونسوا شفعاءنا عندالله، فلو كانوا آلهة كما وصفتم إلهيتهم، لكانوا لا غنى لهم عن الخضوع لله، وذلك كاف لكم بفساد قولكم؛ إذ الإلهية تقتضي عدم الاحتياج، فكان مـآل قـولكم أنهـم عباد لله مكرمون عنده، وهذا كافٍ في تفط نكم لفساد القول بإلهيتهم. والابتغاء على هـذا ابتغاء محبـة ورغبـة كقوله ﷺ: ﴿ فَعَن شَآةَ أَتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ١٠٠٠ ﴾ (المزمل)؛ فالسبيل على هذا المعنى مجاز عن التوسل إليه والسعى إلى مرضاته.

ويحتمل أن يكون المعنى المراد بالسبيل سبيل السعي

إلى الغلبة والقهر، أي: لطلبوا مغالبة ذي العرش وهو الله تعالى، وهذا كقول عليه: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ، مِنْ إِلَا إِذَا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَامِ بِمَا خَلَقَ وَلِعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ (المؤمنون: ٩١)، أي: لتغالبوا وسعى بعضهم إلى بعض بالغزو؛ إذ العادة في أهل السلطان أنهم يطلبون توسعة سلطانهم ويتألبون على السلطان الأعظم ليسلبوه ملكه أو بعضه، وكثيرًا ما ثارت الأمراء والسلاطين على ملك من الملوك وسلبوه ملكه، فلو كان معه آلهة لسلكوا عادة أمثالهم... وذلك يفضي إلى اختلال العالم لاشتغال مدبريم بالمقاتلة والمدافعة على نحو ما يوجد في مِيثُولوجيا اليونان(١) من تغالب الأرباب وكيد بعضهم لبعض؛ فيكون هذا في معنى قولـه ﷺ: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِمُ أَوْ إِلَّا اللَّهُ لَفُسَدَتًا ﴾ (الأنياء: ٢٧)، وهو الدليل المسمى بدليل التهانع في علم أصول الدين، فالسبيل على هذا المعنى مجاز على التمكن، والظفر بالمطلوب، والابتغاء على هذا ابتغاء للمكانة، فيكون عن عداوة وكراهة (٢).

خامسًا. الله ﷺ منزَّه عن الشريك:

وفي ختام تفنيده الله لمزاعم هؤلاء المشركين نَّزه الله تعالى نفسه عما يدَّعي هؤلاء فقال: ﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًا كَبِيرًا الله ﴾ (الإسراء)... شم يرسم السياق للكون كله بما فيه ومَنْ فيه مشهدًا فريدًا، تحت العرش، حيث يتوجه الكون كله إلى الله يسبح له ويجد إليه

الميثُولوجيا: علم الأساطير والخرافات المتصلة بالآلهة وأنصاف الآلهة عند شعب من الشعوب.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٧،
 ج١٥، ص١١، ١١٢ بتصرف.

الوسيلة: ﴿ تُسَيِّحُ لَهُ ٱلسَّمَوْتُ ٱلسَّبَعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ مِجَدِهِ وَلَكِن لَا نَفْقَهُونَ تَسَبِيحُهُمُّ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِى الْمُعْلِيلُ الْمُعْلِى الْمُعْلِمِ الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِى الْمُعْلِمِ الْمُ

وإنه لمشهد كوني فريد، حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر، كل حبة وكل ورقة، كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شجرة، كل حشرة وكل زاحفة، كل حيوان وكل إنسان، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء.. ومعها كل سكان الساء.. كلها تسبح الله تعالى وتتوجه إليه في علاه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَشَعُهُمُ ﴾ لا تفقهونه لأنكم محجوبون بصفاقة الطين، تشيعهُم ﴾ لا تفقهونه لأنكم محجوبون بصفاقة الطين، ولأنكم لم تتسمعوا بقلوبكم، ولم توجهوها إلى أسرار الوجود الخفية، وإلى النواميس التي تنجذب إليها كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتتوجه بها إلى خالق النواميس، ومدبر هذا الكون الكبير..

﴿ إِنَّهُ مُكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ وذكر الحلم والغفران هنا بمناسبة ما يبدو من البشر من تقصير في ظل هذا الموكب الكوني المسبح بحمد الله، بينها البشر في جحود وفيهم من يشرك بالله، ومن ينسب له البنات، ومن يغفل حمده وتسبيحه، والبشر أولى من كل شيء في هذا الكون بالتسبيح والتحميد والمعرفة والتوحيد، ولولا حلم الله وغفرانه لأخذ البشر أخذ عزيز مقتدر ولكنه

يمهلهم ويذكرهم ويعظهم ويزجرهم ﴿ إِنَّهُ. كَانَ حَلِيمًا عَفُورًا ﴾ (١).

الخلاصة:

- الأصل أن الناس كانوا على الفطرة السليمة شم
 حدث فيهم الشرك فبعث الله في كل أمة رسولًا ليردهم
 إلى فطرتهم وهي الإيهان والتوحيد.
- الواقع يشهد بأن هذه الآلهة التي عبدها الناس
 لا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا فضلًا عن أن تملكه
 لعابديها.
- كل من في السهاوات والأرض خاضع لله ولا يملك أحد لأحد بشرًا ولا نفعًا ولا يشفع أحد لأحد عند الله إلا بإذنه تعالى.
- الله تعالى منزه عن الشريك، ولو كانت هناك
 آلحة مع الله _كما يدّعي هؤلاء _ فليس لهم إلا أن يتقربوا
 إلى الله ولا يتخذوا عنده الشفعاء والوسطاء.

الشبهة التاسعة

دعوى ألوهيَّة العِجْل ^(*)

مضمون الشبهة :

لما أنقذ الله بني إسرائيل من فرعون، مروا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى التلخ أن يجعل لهم

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٢٣٠،
 ٢٢٣١.

^(*)الآية التي وردت فيها الشبهة: (طه/ ٨٨).

الآيتان اللتان ورد فيهما الرد على الشبهة: (طه/ ٨٩، ٩٠).

إلمّا كإله هؤلاء، فردهم وبين لهم ضلال ذلك. شم افتتنوا بجيرانهم الذين يعبدون البقر، مما دفع السامري في غياب موسى أن يصنع لهم عجلا له منافذ، إذا دارت الريح أخرجت صوتًا كخوار البقر، فكان إذا خار سجدوا له، وإذا خار رفعوا رءوسهم، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى، فأحبوه وعكفوا على عبادته. قال في ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوارُ فَقَالُوا هَلَا آ إِلَهُ صُلَى فَلَيْنِي ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ وقال عَمالَ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلْهُ عَلَى اللهُ عَلَى ال

وجوه إبطال الشبهة:

انتكاس فطرة بني إسرائيل وشغفهم الدائم
 بعبادة إله مجسد أمامهم هو الذي أوقعهم في عبادة
 العجل.

۲) العجل لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم فكيف يكون إلها؟

٣) شواهد الحال أكدت عجز العجل عن رعاية عابديه، أو نصرة صانعه من غضب الله، أو حتى حماية نفسه من الحرق والنسف، فلا إله إلا الله الواحد الأحد.

التفصيل:

أولا. انتكاس فطرة بني إسرائيل وشغفهم الدائم بعبادة إله مجسد أمامهم هو الذي أوقعهم في عبادة العجل:

بين القرآن الكريم أن طبيعة بني إسرائيل المنحرفة، وفطرتهم المُنتكِسة عن البراءة التي فطر الله عليها الإنسان ـ ذلك هو الذي أوقعهم في عبادة العجل، فلقد

قصّ علينا القرآن أن بني إسرائيل عاشوا في العذاب طويلًا، في ظل الوثنية الفرعونية، عاشوا يقتل فرعون أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فإذا فتر هذا النوع البشع من الإرهاب الوحشي، عاشوا حياة الذل والسخرة والمطاردة على كل حال، ففسدت نفوسهم، وفسدت طبيعتهم، والتوت تصوراتهم، وامتلأت نفوسهم بالجبن والذل من جانب، وبالحقد والقسوة من الجانب الآخر، وهما جانبان متلازمان في النفس البشرية حيثا تعرضت طويلًا للإرهاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا فِسَاءَهُمَّ إِنَّهُمْ مَنْ المُفسِدِينَ اللهُ القصص).

وبهذه المعجزة انتهت مرحلة تخليص بني إسرائيل من حياة الذل والهوان والنكال، والتعذيب بين فرعون وملئه، وإنقاذهم من أرض الذل والقهر إلى الصحراء الطليقة في طريقهم إلى الأرض المقدسة، ولكن القوم اشرابت أنفسهم إلى الوثنية والشرك بمجرد أن رأوا قومًا يعكفون على أصنام لهم، وتخلخلت عقيدة التوحيد التي جاءهم بها موسى المنت لله الواحد.

قال عَلَىٰ: ﴿ وَجَنُوزُنَا بِبَنِي إِسْرَ عِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوَّا عَلَى قَوْمِ

يَعَكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِ لَهُمْ قَالُواْ يَنْمُوسَى اَجْعَل لَنَآ إِلَيْهَا كُمَا لَمُمْ ءَالِهَةُ قَالَ إِنَّكُمْ فَوَمَّ جَهَلُونَ ﴿ إِنَّ هَتَوُلاَ مُتَكُرُّمَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ قَالَ اَغَيْرَ اللّهِ اَبْغِيكُمْ وَيَطِلُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ قَالَ اَغَيْرَ اللّهِ اَبْغِينَكُمْ إِلَيْهَا وَهُو فَضَلَكُمْ عَلَى الْعَنلَمِينَ ﴿ قَالَ اَغَيْرَ اللّهِ اَبْغِينَكُمْ إِلَيْهَا وَهُو فَضَلَكُمْ عَلَى الْعَنلَمِينَ ﴿ قَالَ الْعَنْدَابِ اللّهُ يَقْلُلُونَ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ اللّهُ اللّهُ الْعَذَابِ اللّهُ يُقَلِلُونَ الْمَنافَعَ عَلَى الْعَنامَ عُلَيْهُ أَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

فهذه طبيعة القوم المنحرفة، بها ترسّب فيها من ذلك التاريخ القديم، إن العهد لم يَطُلُ بهم منذ أن كانوا يُسامون الخسف في ظل الوثنية الجاهلية عند فرعون ومنذ أن أنقذهم نبيهم وزعيمهم موسى الخي باسم الله الواحد رب العالمين الذي أهلك عدوهم، وشق لهم البحر، وأنجاهم من العذاب الوحشي الفظيع الذي كانوا يسامونه، إنهم خارجون للتو واللحظة من مصر ووثنيتها.

ولكن ها هم أولاء ما إن يجاوزون البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين، عاكفين على أصنام لهم، مستغرقين في طقوسهم الوثنية، وإذا هم يطلبون إلى موسى - رسول رب العالمين الذي أخرجهم من مصر باسم الإسلام والتوحيد - أن يتخذ لهم وثنًا يعبدونه من جديد ويطلبون ممن.. من موسى أن يتخذ لهم بنفسه آلمة، ولو أنهم اتخذوا لهم آلهة لكن الأمر أقل غرابة من أن يطلبوا إلى رسول رب العالمين أن يتخذ لهم آلمة.. فغضب موسى الني لربه وقال قولته التي تليق بهذا الطلب العجيب: قال: ﴿ إِنَّ مُتَوَلِّمٌ مُتَحَلِّمٌ مُتَوالًا مُم مُنا العبادة وضلال هؤلاء ﴿ إِنَّ هَتَوُلاّءَ مُتَكِرًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم بين لهم فساد هذه العبادة وضلال هؤلاء ﴿ إِنَّ هَتَوُلآءَ مُتَكِرًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم يتعجب من

غبائهم، وجهلهم وحماقتهم المزرية إذ كيف يطلب لهم إلما غير الله وهم في نعمته وفضله يتقلبون؟ ويدذّكرهم في الوقت ذاته بمعجزة نجاتهم التي ما تزال حاضرة في أذهانهم وأعصابهم، ولقد كانت هذه المنّة وحدها كفيلة بأن تذكر وتشكر ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهُا وَهُو فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَلَيينَ اللّهُ اللهَ .

ثم يتركهم موسى الكيلا ويمضي ليقات ربه بعد أن استخلف عليهم هارون، وهو نبي أيضًا حتى لا يضلوا، ويوصيهم بعبادة الله وحده والدوام عليها، ولكنها طبيعة بني إسرائيل التي ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوي عن الطريق، والتي ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية في التصور والاعتقاد، والتي يسهل انتكاسها كلما فتر عنها التوجيه والتسديد والأخذ بالشدة: ﴿ وَالمَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَلُمِينَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ مُلِيّمِهِ مَسِيلًا لَهُ خُوارُ أَلَدٌ يَرَوا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيمِمْ سَكِيلًا المُعْدِيمَ مَسِيلًا اللهُ وَالاعراف. (الأعراف) (۱).

إنه الاستعباد والذل الطويل في ظل الفرعونية الوثنية الذي كان قد أفسد طبيعة القوم، وأضعف استعدادهم لاحتمال التكاليف والصبر عليها، والوفاء بالعهد والثبات عليه، وترك في كيانهم النفسي خلخلة واستعدادًا للانقياد والتقليد المريح، فما يكاد موسى يتركهم في رعاية هارون ويبعد عنهم قليلًا حتى تتخلخل عقيدتهم كلها وتنهار أمام أول اختبار (٢).

لقد راودوا نبيهم من قبل أن يجعل لهم إلمّا يعكفون

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٦٤:
 ١٣٧٣ بتصرف.

٢. المرجع السابق، ج٤، ص٢٣٤٦.

عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وثنيين يعكفون على أصنام لهم، فصدهم نبيهم عن ذلك الخاطر وردهم ردًّا شديدًا، فلما خلوا إلى أنفسهم ورأوا عجلًا جسدًا من الذهب _ لا حياة فيه كها تفيد كلمة جسد _ صنعه لهم السامري، وهو رجل من السَّامِرة (١) كان يرافقهم أو واحد منهم، واستطاع أن يجعله بهيئة بحيث يخرج صوتًا كصوت خُوار الثِّيران.. لما رأوا ذلك العجل الجسد طاروا إليه، وتهافتوا عليه حتى قال لهم السامري: ﴿ هَٰذَاۤ إِلَهُ كُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ ﴾ (ط٥:٨٨) الذي خرج موسى لمقياته معه؛ فنسي موسى موعده معه، ربها لزيادة الليالي العشر الأخيرة في الميقات التي لم يكن القوم يعلمونها، فلم زاد عن الثلاثين ولم يرجع قال لهم السامري: لقد نسى موسى موعده مع إلهه فهذا إلهه _ ولم يتذكروا وصية نبيهم لهم من قبل بعبادة ربهم الذي لا تراه الأبصار_رب العالمين _ولم يتدبروا حقيقـة هـذا العجل الذي صنعه لهم واحد منهم، وإنها لصورة زرية للبشرية تلك التي كان يمثلها هـؤلاء القـوم، صـورة يعجب منها القرآن الكريم، وهو يعرضها على المشركين في مكة، وهم يعبدون الأصنام (٢).

ثانيًا. العجل لا يضر ولا ينفع فكيف يكون إلهًا؟

هل يجيبهم هذا العجل إذا سألوا، وهل يخاطبهم إذا تكلموا؟ وهل يملك لهم نفعًا أو ضرًّا في دنياهم أو أخراهم؟ فقال الله في أفلا يَرَوْنَ ألا يَرَجِعُ إليَهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمُ ضَرَّا وَلاَ نَقعًا الله في (ك).

وإذا كان هذا حاله فكيف يكون إلما، ألا يتدبر هولاء القوم ويعقلون ما يعتقدون، ويفهمون ما يقولون، فالله تعالى الذي أهلك فرعون وملأه الطغاة ونجى بني إسرائيل من العذاب على أيدي فرعون وجنده هو الذي يضر وينفع، ويثيب ويجزي، ويعطي ويمنع.

وأمّا هذا العجل المصنوع فشواهد الحال تشير إلى عجزه وعدم تحركه فهو عاجز أن ينفع أو يضر، فكيف تعتقدون ألوهيته، وتلك دلالة عقلية؛ لأن من فقد صفات العاقل من السمع والكلام كيف يكون إلمّا؟! إنهم يثنون عليه ويُمجِّدونه ويدعونه وهو ساكت لا يشكر لهم ولا يعدهم باستجابة، وشأن الكامل إذا سمع ثناء أو تلقى طلبة أن يجيب، وأما الصوت الذي كان يخرج من العجل فإن الذي صنع لهم العجل كان عارفًا بصناعة الحيل التي كانوا يصنعون بها الأصنام، حيث يجعلون في أجوافها وأعناقها منافذ كالزمَّارات تخرج منها أصوات إذا أطلقت عندها رياح بالكير ونحوه، ولذا قال ابن عباس - رضي الله عنها -: لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دُبُره فيخرج من فمه فيسمع له صوت (٣).

٣. ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١٨) في تفسير قوله ؟
 ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ كُلِيِّهِ مَ عِجْلًا جَسَدًا لَلهُ خُوارٌ ﴾
 (الأعراف: ١٤٨).

السَّامِرة: قـوم يـشتركون مـع اليهـود في بعـض العقائد،
 ويخالفونهم في بعضها.

٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٧٣.

وهذا الإرشاد الذي أمر الله به هؤلاء الضالين هو عَين الحجة التي أقامها إبراهيم الطّيّلاً على قومه في عبادتهم الأصنام حيث قال لهم: ﴿ فَكَالَ أَفَتَعْبُدُونَ عِن دُونِ اللّهِ مَا لا يَنفَعُ كُمْ شَيْنًا وَلا يَضُرُّكُمْ اللّهِ أَفِي مَن دُونِ اللّهِ أَفَلاَتَعْقِلُونَ اللّهِ الْفَلاَتَعْقِلُونَ اللهِ اللّهِ اللهِ عَلَية اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ الله

فالمقصود هنا بقوله ؟ ﴿ أَفَلاَ يَرُونَ أَلَا يَرَجِعُ إِلَيْهِمُ وَلَا وَلاَ يَمْلِكُ لَمُ مَنَّ وَلاَ نَفْعًا ﴿ أَفَلاَ يَرُونَ أَلَا يَرَجِعُ إِلَيْهِمُ وَلاَ وَلاَ يَمْلِكُ لَمْ مَنَّ وَلِم ويستجيب له على عادة يكن عجلًا حيًا يسمع قولهم ويستجيب له على عادة العجول البقرية، فهو درجة أقل من درجة الحيوانية، وهو بطبيعة الحال لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا في أبسط صوره، فهو لا ينطح ولا يرفس ولا يدير طاحونة ولا ساقية، جسد لاحياة فيه ولا روح، فكيف نسوا رجم الذي أنقذهم من أرض الذل وعكفوا عليه في بلاهة فكر وبلادة روح (١).

﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيّهِ مَرَعِجُلا جَسَدًا لَمُ خُوارٌ أَلَدٌ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكِلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَكِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَا يَهْدِيهِمْ سَكِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَا الْعُراف). وهل أظلم ممن يعبد خلقا من صنع أيدي البشر، والله خلقهم وما يعبد خلقا من صنع أيدي البشر، والله خلقهم وما يصنعون؟! وكان فيهم هارون، فلم يملك لهم ردًّا عن هذا الضلال السخيف، وكان فيهم بعض عقلائهم فلم يملكوا زمام الجهاهير المتدافعة على العجل _ وبخاصة يملكوا زمام الجهاهير المتدافعة على العجل _ وبخاصة

أنه من ذهب معبود إسرائيل الأصيل (٢).

لقد نصح لهم هارون وهو نبيهم كذلك، والنائب عن نبيهم المنقذ ونَبَّهَهُم إلى أن هذا ابتلاء، قال: ﴿ وَلَقَدْ عَن نبيهم المنقذ ونَبَّهَهُم إلى أن هذا ابتلاء، قال: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَنُرُونُ مِن قَبْلُ يَعَوِّمِ إِنّهَا فَيَنتُم بِهِ وَ وَإِنّ رَبّكُمُ الرّحَمْنُ فَانْيَعُونِ وَأَطِيعُوا أَمْرِى ﴿ ﴿ اللهِ اللهِ مَا اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى الجبل، ولكنهم التووا وتملصوا بعد ميعاده مع ربه على الجبل، ولكنهم التووا وتملصوا من نصحه ومن عهدهم لنبيهم بطاعته، وقالوا: ﴿ لَن مَن صحه ومن عهدهم لنبيهم بطاعته، وقالوا: ﴿ لَن مَن صحه ومن عهدهم لنبيهم بطاعته، وقالوا: ﴿ لَن

فرجع موسى إليهم غضبان أسفًا، فسمع منهم حجتهم التي تكشف عن مدى ما أصاب نفوسهم من تخلخل وأصاب تفكيرهم من فساد، فأنَّبهم وقرَّعهم، ثم التفت إلى أخيه وهو في ثورة الغضب يأخذ بشعر رأسه وبلحيته في انفعال وثـورة: ﴿ قَالَ يَكَهَرُونُ مَامَنَعَكَ إِذْ رَأَيْنَهُمْ ضَلُوا اللهُ أَلَّا تَتَبِعَنِّ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي اللهُ ﴿ (طه)، فها كان من هارون إلا أن يُطلعه على تفاصيل الحال كما وقع: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذُ بِلِحِيَقِي وَلَا بِرَأْمِيٓ ۚ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَتِهِ يِلَ وَلَمْ تَرَقُبُ قَوْلِي ١٠٠٠ ﴾ (١٠)، وفي سورة أخرى: ﴿ قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْنُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اللَّهِ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِ رَحْمَتِكُ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّجِينَ ١٠٠٠ ﴾ (الأعراف). ثم طرد السامريُّ وحرَّق العجل الـذي كـانوا يعبدونــه من دون الله ونسفه في اليمِّ، وهكذا انتهت عبادة العجل في بني إسرائيل.

ا. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص٢٣٤٨ بتصرف.

٢. المرجع السابق، ج٣، ص١٣٧٣.

ثَالثًا. شواهد الحال أكدت عجز العجل عن رعاية عابديه، أو نصرة صانعه من غضب الله، أو حتى حماية نفسه من الحرق والنسف:

من الأدلة العملية التي ساقها القرآن الكريم على بطلان عبادة العجل، وأنَّ العبادة ينبغي ألَّا تُصرف إلا لله الواحد القهار: أن بيَّن لهم القرآن ما أكدته شواهد الحال من أن هذا العجل الذي عبدوه لو كان إلمَّا لما عجز عن رعاية عابديه وحمايتهم من غضب الله الذي حرَّ بهم، وكذلك لاستطاع حماية صانعه أو حتى حماية نفسه من الحرُق والنَّسْف.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْحِجْلَ سَيَنَا لَهُمُ عَضَبُ مِن رَبِهِم وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوةِ ٱلدُّنِا وَكَذَلِك بَحْزِي عَضَبُ مِن رَبِهِم وَذِلّةٌ فِي ٱلْحَيوةِ ٱلدُّنِا وَكَالِك بَحْرِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿ الْأَعْرَافِ)، إِنَ الله حكم ووعد.. إِن القوم الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من رجم وذلة في الحياة الدنيا.. ذلك مع قيام القاعدة الدائمة: إِن الذين يعملون السيئات ثم يتوبون يغفر الله لهم برحمته، وإذن فقد علم الله أن الذين اتخذوا العجل لن يتوبوا توبة موصولة، وأنهم سيرتكبون ما يخرجهم من تلك توبة موصولة، وأنهم سيرتكبون ما يخرجهم من تلك القاعدة.. وهذا ما كان.

فقد ظل بنو إسرائيل يرتكبون الخطيئة بعد الخطيئة، ويسامحهم الله المرة بعد المرة، حتى انتهوا إلى الغضب الدائم واللعنة الأخيرة: ﴿ وَكَذَلِكَ جَرِّى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٢).

كل المفترين إلى يوم الدين.. فهو جزاء متكرر كلما تكررت جريمة الافتراء على الله، من بني إسرائيل ومن غير بني إسرائيل.

ووعيد الله للكافرين صادق لا محالة، وقد كتب على

الذين اتخذوا العجل الغضب والذلة، وكان آخر ما كتب الله عليهم أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، فإذا بدا في فترة من فترات التاريخ أنهم يطغون في الأرض، ويستعلون بنفوذهم على الأميين _أو كما يقولون عنهم في التلمود: "الجوييم"! وأنهم يملكون سلطان المال، وسلطان أجهزة الإعلام، وأنهم يقيمون الأوضاع الحاكمة التي تنفذ لهم ما يريدون، وأنهم يستذلون بعض عباد الله ويطردونهم من أرضهم وديارهم في وحشية، والدول الضالة تساندهم وتؤيدهم. إلى آخر ما نراه في هذا الزمان.. فليس هذا بناقض لوعد الله لهم ولا لما كتبه الله عليهم.. فهم بصفاتهم هذه وأفعالهم يختزنون النقمة في قلوب البشر، ويهيئون الرصيد الذي يدمرهم من قلوب البشر، ويهيئون الرصيد الذي يدمرهم من السخط والغضب(۱).

١. المرجع السابق، ص١٣٧٥.

تجنح إلى انحراف(١).

والمقصود أن عبادة العجل لم تنفعهم في شيء، بل أوقعتهم في غضب الله ووعيده الذي تحقق، فلو كان هذا العجل إلما لحماهم من الله ولأنقذهم من غضبه، ولكنه صنم لا يضر ولا ينفع.

ومن جملة ما استدل به القرآن الكريم على بطلان عبادة العجل وأكدته شواهد الواقع العملي أيضًا: أن هذا العجل عجز عن حماية صانعه _السامري _من غضب الله، أو حتى حماية نفسه من الحَـرْق والنَّـسْف، "فقد أعلن موسى الطُّيِّكُ السامريُّ بالطرد من جماعة بني إسرائيـل مـدة حياتـه، ووكـل أمـره بعـد ذلـك إلى الله وواجهه بعنف في أمر إله الـذي صنعه بيـده؟ لـيري القوم بالدليل المادي أنه ليس إلهًا، فهو لا يحمي صانعه ولا يدفع عن نفسه: ﴿ قَكَالَ فَأَذْهَبُ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوْةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَكُمْ. وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَىٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۗ لَنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَسِفَنَّهُ. فِي ٱلْيَرِ نَسَفًا ١٠٠٠ ﴿ (طه)، اذهب مطرودًا لا يمسَّك أحدٌ لا بسوء ولا بخير ولا تمسّ أحدًا، وكانـت هذه إحدى العقوبات في ديانة موسى الكلي عقوبة العزل وإعلان دَنَس المُدنَّس، فلا يَقْرَبه أحد ولا يَقْـرَب

أما الموعد الآخر فهو موعد العقوبة والجزاء عند الله، وفي حَنَق وعنف أمر أن يُهْوَى على عجل الذهب فيُحرَّق ويُنْسَف ويلقى في الماء، إنها غَضْبَة لله ولدين الله، حيث يُستحبُّ الحزم وتَحْسُن الشدة.

ثم يُعلِن موسى حقيقة العقيدة: ﴿ إِنَّكُمْ آللَّهُ كُمُ ٱللَّهُ

ٱلَّذِي لَآ إِلَهُ إِلَّا هُو ۗ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ لَا الْمُ

الخلاصة:

- افتتان بني إسرائيل بعبًاد البقر من قوم السامري
 كان جهلًا وارتدادًا منهم عن شريعة نبي الله تعالى
 موسى الطَّنِينُ فضلًا عن شغفهم الدائم بعبادة إله مجسَّد
 أمامهم.
- قابل موسى الطّيّل هذا الافتتان بوصفهم بأنهم قوم يجهلون وأن هذه الآلهة لا تنفع ولا تنضر وهي سبب الخسران والضياع في الدنيا والآخرة.
- العجل الذي صنعه السامري لا يملك نفعًا ولا ضرًا، فكيف يكون إلهًا؟!
- تحطيم موسى الطّيِّلا للعجل ونسفه في اليم دليل على بطلان هذه العبادة؛ لأن العجل لم يستطع الدفاع عن نفسه فضلًا عن الدفاع عن عابديه.

الشبهة العاشرة

ادعاء النَّمروذ بن كنعان أنه يستطيع الإحياء والإماتة ^{(*)®}

مضمون الشبهة :

ادّعي النمروذ بن كنعان _عنادًا ومكابرة _ لنفسه أنه

١. المرجع السابق، ص١٣٨٦.

٢. المرجع السابق، ج٤، ص٢٣٤٩ بتصرف.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ٢٥٨).

الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ٢٥٨).

[®] في "عاجّة إبراهيم للنمروذ" طالع: الشبهة الثامنة عشرة، من الجزء التاسع (الأنبياء والرسل١).

يحيي ويميت، وذلك عندما أنكر عليه إبراهيم الطيخ تألفه، ورفض الخنضوع له قائلًا: ﴿ رَبِّي الَّذِى يُعْي، وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، فأتى النمروذ برجلين وأمر بقتل أحدهما وترك الآخر، وزعم أنه بذلك يحيي ويميت. قال على : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجً إِبْرَهِمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَنهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِمُ مَ رَبِّي اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِمُ مَ رَبِّي اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

وجها إبطال الشبهة:

۱) ضعف حجة النمروذ وتمويهه وهروبه، وعدم فهمه لمقالة إبراهيم الطِّينيُّة.

إفحام إبراهيم للنمروذ وإلزامه الحجة بطلبه
 تغيير مسار الشمس.

التفصيل:

أولا. ضعف حجة النمروذ وتمويهه وهروبه من الحق:

إن هذا الملك - النمروذ - الذي حاج إبراهيم في ربه لم يكن منكرًا لوجود الله أصلًا إنها كان منكرًا لوحدانية الله في الألوهية والربوبية ولتصريفه للكون وما يجري فيه وحده، وهنا كان لا بُدَّ من المواجهة والمحاجة بينه وبين إبراهيم الطيخ وإقامة الحجة في المناظرة، وكان النمروذ قد طلب من إبراهيم دليلًا على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال له إبراهيم: ﴿ رَبِي النَّوى يُعْي، الله يدعو إليه، فقال له إبراهيم: ﴿ رَبِي النَّوى يُعْي، وجود مدوث هذه الأشياء: المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بّد لها من مُوجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إليه وإلى عبادته أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إليه وإلى عبادته

وحده لا شريك له، فعند ذلك قال المُحاجّ وهو النمروذ: ﴿ أَنَا أُحِيء وَأُمِيتُ ﴾، وذلك أنه أُتِيَ برجلين قد استحقًا القتل، فأمر بقتل أحدهما فقتل، وأمر بالعفو عن الآخر فلم يُقتل، فذلك عنده هو معنى الإحياء والإماتة.

وفي الحقيقة هذا ليس جوابًا لإبراهيم الكلي ولا في معنى ما قاله، فإما أنه لم يفهم قول إبراهيم الكلي إذ جوابه منقطع عن الدليل لا يتصل به بالمرة، فإنه أراد أن يكون سببًا للإحياء والإماتة، والكلام إنها هو في الإنشاء والتكوين لا في اتخاذ الأسباب والتوسل في الشيء المُكون، فالمراد بالذي يحيي ويميت الذي يُنشئ الحياة في جميع العوالم الحية من نبات وحيوان وغيرها، ويزيل الحياة بالموت، وإما أنه موّه على قومه مُوْهمًا أنه فاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت، فادّعى لنفسه هذا المقام عنادًا ومكابرة.

ثانيًا. إفحام إبراهيم العِيلًا للنمروذ:

لما رأى إبراهيم التحيين أن النمروذ لم يفهم أن مراده بالذي يحيي ويميت مصدر التكوين الذي يحياكلُّ حي بإحيائه ويموت بقطع إمداده له بالحياة، أو أن إبراهيم التحيين لما رآه ادَّعى هذه المكابرة قال له: ﴿ فَإِنَ اللّهَ يَأْتِي بِالشّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة: ٨٥١) وهذا من إبراهيم في الحقيقة - إيضاحٌ لقوله الأول، أي إذا كنت كما تدّعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذرَّاته وتسخير كواكبه وحركاته، وربي هو الذي يعطي الحياة ويسلبها بقدرته وحكمته، وهو المكون لهذه الكائنات بهذا النظام وهذه السنن الحكيمة

التي نشاهدها عليها، وهو الذي يأتي بالشمس من المشرق فتبدو كل يوم كذلك، فإن كنت إلمّا تحيي وتميت كم تدّعي فأت بها من المغرب وغيرٌ لنا نظام طلوعها، وائت بها من الجهة المقابلة للجهة التي جرت سنته كلّ بظهورها منها، فبُهت الذي كفر وأدركته الحيرة وأخذه الحصر والعي من نصوع الحُجَّة وسطوعها فلم يحر جوابًا؛ لعلمه بعجزه وانقطاعه وظهور عورة جهله وكذب زعمه وادعائه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام، فخرس وقامت عليه الحجة.

وهذا التنزيل على هذا المعنى السابق أحسن مما ذكره بعض الأصوليين والمنطقيين من أن عدول إبراهيم الكين عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقالٌ من دليل إلى دليل أوضح منه، أو أنه جواب آخر، أو أن إبراهيم الكين لما وصف ربه كل بها هو صفة له من الإحياء والإماتة وهو أمر له حقيقة ومجاز -قصد إبراهيم الكين إلى الحقيقة، وفزع النمروذ إلى المجاز وموَّه على قومه، فسلم له إبراهيم الكين تسليم الجدل وانتقل معه من المثال الأول إلى الثاني وجاء بأمر لا مجاز فيه فانقطعت حجة النمروذ ولم يمكنه أن يقول: أنا آتي بها من المشرق؛ لأن ذوي الألباب والعقول يكذّبونه.

وليس الأمر في الحقيقة على ما ذكروا، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني، ويبيِّن ما ادعاه النمروذ في الأول، ومن فهم الآية على الوجه السابق الذي قررناه يعلم أنه لا محل للشبهة التي يوردها بعض الناس على حجة إبراهيم المنفق وهي أنه كان للنمروذ أن يقول له: إذا كان ربك هو الذي يأتي بالشمس من المشرق وهو قادر على ما طالبتني به من الإتيان بها من المغرب فليأت بها يومًا ما، قال بعض المُقلِّدين: ولا يمكن أن يسأل

إبراهيم التيلا ربه ذلك؛ لأن فيه خراب العالم، وقال بعض المرتابين: إنه لو قال له النمروذ ذلك لألزمه، والحقيقة أن النمروذ على طغيانه وغروره قد فهم من الحجة ما لم يفهمه هؤلاء القائلون، فقد فهم أن مراد إبراهيم التيلا أن هذا النظام في سير الشمس لا بد له من فاعل حكيم، إذ لا يكون مثله بالمصادفة والاتفاق، وإن ربي الذي أعبده هو ذلك الفاعل الحكيم الذي قضت حكمته بأن تكون الشمس على ما ترى، ومن فهم هذا لا يمكن أن يقول: اطلب من هذا الحكيم أن يرجع عن حكمته ويبطل سنته، كذلك لا محل لقول بعضهم: لم سكت إبراهيم التيلا عن كشف شبهته الأولى إذ زعم أن ترك القتل إحياء، فقد علمت أن مسألة الشمس قد تشفت ذلك انكشافًا لا يخفى إلا على من تخفى عليه الشمس.

الخلاصة:

- مكابرة النمروذ وعناده وهروبه من حجة إبراهيم الطّي لضعف حجته إذ هو يعلم أنه لا يقدر على الإحياء والإماته إلا الله تعالى، ولو طالبه إبراهيم بإحياء الميت الذي أمر بقتله لما استطاع.
- المعنى المراد من حجة إبراهيم النفي المُفْحِمة للنمروذ هي إعلامه أن هذا النظام في سير الشمس لا بدله من فاعل حكيم، وهذا هو الله كلى، وقد اقتضت حكمته بأن تكون الشمس على ما ترى.



الشبهة الحادية عشرة

الاحتجاج بالقَدَر على الإشراك بالله وعدم الهداية ^{(*) ®}

مضمون الشبهة:

يزعم بعض المشركين أن شركهم بالله قَدَرٌ مكتوب عليهم منذ الأزَل، وأن الله راضٍ عن شركهم؛ إذ لو كان كارهًا لشركهم لما مكَّنهم منه. قال الله في في الله وقال الله عن شيء الله يك أشركُوا لو شاء الله ما عبدنا من دُونِدِه من شيء في أَنْ وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِدِه مِن شيء في النحل: ٣٥).

وجوه إبطال الشبهة:

1) بعث الله الرسل وأمرهم بأن يأمروا الناس بعبادة الله وحده، وليس على الرسل إلا البلاغ المبين، وبذلك أعذرهم الله على ال

- لا حُجّة لهم في مشيئة الله الشرعية ولا الكونية،
 فإن الله لا يرضى لعباده الكفر.
- ٣) ليس للمشركين علم يستندون إليه في دعواهم،
 بل هو العناد والجحود.

التفصيل:

أولا. انتفاء العذر بإرسال الرسل:

اعتذر المشركون عن شركهم محتجين بالقدر: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِ مِدِين

(*) الآيات التي وردت فيها الـشبهة: (النحـل/ ٣٥، الأنعـام/ ١٤٨، الزخرف/ ٢٠).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (النحل/ ٣٥: ٣٧، الأنعام/ ١٤٨، ١٤٩، الزخرف/ ٢٠، الزمر/ ٧).

இ في "الإيهان بالقدر وسلب إرادة العبد" طالع: الـشبهة الثانية
 والعشرين، من الجزء السابع (الإيهان والتدين).

شَيْءِ نَعَنُ وَلا ءَابَآؤنا وَلا حَرَمْنا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٣٥)، أي: من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم مما لم يُنْزِلْ به سلطانًا، فردَّ الله عليهم شبهتهم وأنكر عليهم أشد الإنكار، ونهاهم عنه آكد النهي، إذ بعث في كل أمة الله وينهون عن عبادة ما سواه، قال وينهون عن عبادة ما سواه، قال فَ الله وينهون عن عبادة ما سواه، قال فَ الله وينهون عن عبادة ما سواه، قال فَ الله وينهون عن عبادة ما شواه، قال هم مَنْ حَقَتْ عَلَيْهِ الضَائِلَة الله وينهون عن حَقَتْ عَلَيْهِ الضَائِلَة هم مَنْ حَقَتْ عَلَيْهِ الضَائِلَة هم مَنْ حَقَتْ عَلَيْهِ الضَائِلَة هم النول الله وينهون عن حَقَتْ عَلَيْهِ الضَّلَة الله وينهون النول النول النول النول الله وينهون عن حَقَتْ عَلَيْهِ الشَّلَة الله وينهون عن عبادة ما سواه المَنْ الله وينهون عن عبادة ما سواه المنه الله وينهون عن عبادة ما سواه الله وينهون عن عبادة ما سواه المنه الله وينهون عن عبادة ما سواه المنهون عن عبادة ما سواه الله وينهون عن عبادة ما سواه المنه الله وينهون عن عبادة ما سواه الله الله وينهون عن عبادة ما سواه الله الله وينهون عن عبادة ما سواه الله وينهون عن عبادة ما سواه الله وينهون الله وينهون اله وينهون الله وينهون عن عبادة ما سواه الله وينهون الله

وقال أيضًا: ﴿ وَسَّعُلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا مَن وَبُلِكَ مِن رُسُلِنَا مَن دُونِ ٱلرَّحَمِنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿ الزحرف) ، فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: ﴿ لَوْ شَاءَ ٱللّهُ مَاعَبَدُنَا مِن دُونِهِ وَمِن شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٣٥). ثم إنه على قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل؛ فلهذا قال: ﴿ فَمِنْهُم مَنْ هَدَى ٱللّهُ وَمِنْهُم مَنْ هَدَى الله فَانظُرُوا كَيْف كَانَ عَقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿ النحل وكذّب الله الله الواعها كان من أمر من خالف الرسل وكذّب أي: اسألوا عها كان من أمر من خالف الرسل وكذّب

ثَانيًا. الله ﷺ لا يرضى لعباده الكفر:

مشيئة الله على الشرعية عنهم منتفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسله، وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدرًا فلا حجة لهم فيها؛ لأن الله على خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة، قال على: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَ اللهَ عَنِي عَنكُمُ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُر ﴾ (الزمر:٧).

فالله الله الله قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملوه وما هم إليه صائرون، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشربها أظهر معلومه، فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بها قاموا به من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق، ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعلموها، فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه إعذارًا إليهم وإقامة للحجة عليهم؛ لئلًا يقولوا كيف

تعاقبنا على علمك فينا وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا فلما أظهر علمه فيهم بأفعالهم جعل العقاب في معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار (١).

والمقصود أن إرادة الله التنقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة كما في قوله الله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا القَّمَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ مَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَا وَجِد المَّقَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَجَد من الكفر والفسوق والعصيان تعلقت به مشيئته وما تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، والقسم الثاني من الإرادة: إرادة دينية، فتكون هي المحبة وهي شرعه من الإرادة: إرادة دينية، فتكون هي المحبة وهي شرعه على ألسنة رسله كما في قوله على الرسر: ٧)، وقوله على الكُفُرُ وَإِن تَشَكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ اللهُ (الرسر: ٧)، وقوله على المَحْرَث وَإِذَا تَوَلَى سَعَى فِي الْمُرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهَالِكَ الْمَحْرَث وَالنَسْلُ وَاللّهُ لا يُحِبُ الفسَادَ اللهِ المُسَادَ اللهُ اللهُ (الرسر: ٧)،

وبهذا يتبين له ولاء المحتجين بالقدر على كفرهم بأن فعالهم تقع تحت المشيئة أو الإرادة الكونية القدرية، وأن الله على وإن كان هو الخالق لأفعالهم للمنة، والله قادر على كل ممكن - فهو الذي جعلهم قادرين بقدرته ومشيئته، ولكنه لا يرضى أفعالهم ولا يحبها، فليس كل شيء خلقه الله على رضيه وأحبه، فالله على شاء وجود الكفر والشرك والذنوب والمعاصي، ولكنه أبغضها وكرهها ونهى عباده عنها".

عقيدة أهل السنة والجهاعة، د. أحمد فريد، مكتبة فياض، مصر، ٢٠٠٥م، ص٢٠٠٨.

٢. المرجع السابق، ص٢١٥.

٣. القضاء والقدر، د. عمر سليان الأشقر، دار النفائس،
 الأردن، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٨٢.

ثَالثًا. لا برهان للمشركين يستندون إليه في دعواهم:

والمعنى: قل يا محمد لهو لاء الجاهلين الذين بنوا قواعد دينهم على أساس الخرص، الذي هو أضعف الظن، بعد تعجيزك إياهم عن الإتيان بأدنى دليل أو قول يرتقي إلى أدنى درجة العلم قل لهم: إن لم يكن عندكم علم ما في أمر دينكم، فلله وحده أعلى درجات العلم بها بعثني به من محجة دينه القويم، وهو الحجة البالغة لما أراد من إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

وحاصل هذه الحجة: أنهم يحتجون على النبي الله بأن ما هم عليه لو لم يكن يرضي الله تعالى لصرفهم عنه، ولما يسّره لهم، يقولون ذلك في معرض إفحام الرسول وابطال حكمه عليهم بالضلالة، وهذه شبهة أهل العقول الآفِنة (۱) الذين لا يفرقون بين تصرف الله تعالى بالخلق والتقدير وحفظ قوانين الوجود، وهو التصرف الذي نسميه نحن بالمشيئة وبالإرادة، وبين تصرفه بالأمر وبالنهي، وهو الذي نسميه نحن بالرضا

وبالمحبة؛ فالأول تصرف التكوين، والثاني تصرف التكليف، فهم يحسبون أن تمكنهم من وضع قواعد الشرك ومن التحريم والتحليل ما هو إلا بأن خلق الله فيهم التمكن من ذلك، فيحسبون أنه حين لم يمسك عنان أفعالهم كان قد رضي بها فعلوه، وأنه لو كان لا يرضى لما عجز عن سلب تمكنهم.

ولو كان الأمر كما يتوهمون لكان الباطل والحق شيئًا واحدًا.. فإنهم حين يقولون: لو شاء الله ما أشركنا غافلون عن أن يقال لهم من جانب الرسول ﷺ: لو شاء الله ما قلت لكم إن فعلكم ضلال، فيكون الله على حسب شبهتهم قد شاء الشيء ونقيضه؛ إذ شاء أنهم يشركون وشاء أن يقول لهم الرسول لا تشركوا... وبهذا ظهر تخليط أهل الضلالة بين مشيئة العباد ومشيئة الله؛ فلذلك رد عليهم... بأن هذه المشيئة التي تعللوا بها مشيئة خفية، لا تتوصل إلى الاطلاع عليها عقول البشر؛ فلذلك نعى عليهم استنادهم إليها على جهلهم بكُنْهِها فقال: ﴿ كَذَاكِ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، فـشبَّه بتكـذيبهم تكـذيب الـذين مـن قبلهم؛ (٢) أي كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم، والمقصود فعلوا كفعلهم، فكانت عاقبتهم ما علمتم، فلو كان فعلهم مرضيًا لما أهلكهم الله، فهـ لَّا استدلوا بهلاكهم على أن الله غير راض بفعلهم، فإن دلالة الانتقام أظهر من دلالة الإمهال؛ لأن دلالة الانتقام وجودية ودلالة الإمهال عدمية.."(٣).

⁻⁻⁻⁻

١. الآفِنَة: الناقصة.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٥،
 ج٨، ص١٤٧، ١٤٨، بتصرف.

٣. المرجع السابق، مج٧، ج١٤، ص١٤٨ بتصرف.

الخلاصة:

- المقصد الأسمى من بعث الله على الرسل إلى
 الخلق هو تعريفهم بالله على، وإعلامهم بأنه هو
 المستحق للعبادة، فالله على لا يرضى لعباده الكفر
 والشرك.
- احتجاج المشركين بالقدر على شركهم يتنافى مع مشيئة الله الشرعية الدالة على النهي عن الشرك على ألسنة الرسل.
- المشيئة الكونية تدل على علم الله الأزلى ولا تدل على أمر الله ورضاه بالمعصسية والكفر، فالله على أمر الله ورضاه بالمعصسية والكفر، فالله على يقول: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفُرِ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزم: ٧).

AND EAST

ثانيًا . افتراءات وشبهات على الله ﷺ في غير قضية الألوهية

الشبهة الثانية عشرة

ادِّعاء اليهود أن الله ﷺ فقير وبخيل وهم أغنياء (*) ® مضمون الشبهة:

ادّعى اليهود أن الله فقير وهم أغنياء؛ وذلك أنه لما

(*) الآيتان اللتان وردت فيها الشبهة: (آل عمران/ ١٨١، المائدة/ ٦٤).

الآيات التي ورد فيها السرد على السبهة: (آل عمران/ ١٨١، المائدة/ ٦٤، الإسراء/ ١٠٠).

® في "قول اليهود: إن الله بخيل!" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة الثالثة والثلاثين، من الجزء السادس (العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد).

نزل قوله على الله الله والبقرة الله الله والبقرة الله الله والبير البقرة الله الله والبير البير البير

وجوه إبطال الشبهة:

- آبرؤ اليهود على الله ﷺ ووصفه بما لا يليق بجلاله وعظمته ﷺ.
- ٢) هـذا جهـل مـن اليهـود بمعنـي إقـراض الله واستخفاف منهم بالإسلام ونبيه.
- ٣) الله ﷺ واسع الفضل جزيل العطاء ينفق كيف يشاء، واليهود كُتبت عليهم الذِّلَة واللَّعنة والعدواة ثم لهم العذاب في الآخرة.

التفصيل:

أولا. تجرؤ اليهود على الله ﷺ:

وقعت هذه المجازفة في حق الله الله الله عبر واحد من اليهود مثل فِنْحاص وهو من أحبارهم وعلمائهم، وكذلك من حُبَي بن أخطب؛ زعموا أن الله فقير يسأل عباده القرض، وهو قول عظيم وأذى كثير.

وقد تهددهم الله على وتوعدهم فقال: ﴿ لَقَدَ سَمِعَ اللهُ عَوْلُ اللهِ عَلَيْ وَعَدْ اللهِ عَلَيْ وَعَنْ أَغْنِيا أَهُ سَنَكُتُبُ مَا اللهُ قَوْلُ اللهِ عَران: ١٨١).

فالله قد سمع قول هؤلاء المجازفين، ولم يفته ولم يخف عليه وهو سيجزيهم بها كانوا يفترون، وقوله: فيض عليه وهو سيجزيهم بها كانوا يفترون، وقوله: وسَنَكُتُبُ مَاقَالُوا ﴾ تهديد ووعيد لهم. وقد قال اليهود لعنهم الله هذه المقالة لما نزلت آية الصدقة، وهي قوله على: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنَا فَيُضَلّعِفُهُ، لَهُ وَ البقرة: ٢٤٥).

وقد أرادوا بهذه المقالة التمويه على الضعفاء لا أنهم يعتقدون ذلك، فهم أرادوا تشكيك الضعفاء منهم ومن المسلمين وتكذيب النبي الله أي: أنه فقير على قول محمد الله اقترض منا.

وقوله الله القد المسمع الله الله التعريض علان القول جراءة عظيمة، وإن القصد منها التعريض ببطلان القرآن؛ لأنهم أتوا بهذه العبارة بدون محاشاة،

ولأن الاستخفاف بالرسول وقرآنه إثم عظيم وكفر على كفر؛ ولذلك قال فله : ﴿ لَقَدَ سَعِعَ اللّه ﴾ المستعمل في لازم معناه، وهو التهديد على كلام فاحش؛ إذ قد علم أهل الأديان أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فليس المقصود إعلامهم بأن الله علم ذلك بل لازمه وهو مقتضى قوله: ﴿ سَنَكُتُبُ مَا قَالُوا ﴾ والمراد بالكتابة، إمّا كتابته في صحائف آثامهم إذ لا يخطر ببال أحد أن يكتب في صحائف الحسنات... أو أنه أريد من الكتابة عدم الصفح.. بل سيثبت لهم ويجازون عنه، فتكون الكتابة كناية عن المحاسبة، فعلى الأول يكون في وعيدًا وعلى الثاني يكون تهديدًا (١).

ثانيًا. جهل اليهود لمعنى إقراض الله على:

لقد جهل هؤلاء اليه ود المراد بإقراض الله على فليس معنى إقراض الله أنه محتاج إلى ذلك، بل المراد إقراض الفقراء والمحتاجين والإنفاق في سبيل الله، فقد جاء في الحديث القدسي الجليل: "إن الله على يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن لو عُدْتَه عبدي فلانًا مرض فلم تَعُدْه، أما علمت أنك لو عُدْتَه لوجدتني عنده. يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أُطْعِمُك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تُطْعِمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، استسقيتُك فلم تَسْقِني، قال: يا رب، كيف أَسْقِيك وأنت رب العالمين؟! قال: المستسقيتُك فلم تَسْقِني، قال: يا رب، كيف أَسْقِيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقيتُك فلم تَسْقِني، قال: يا رب، كيف أَسْقِيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣،
 ج٤، ص١٨٣، ١٨٤ بتصرف.

تَسْقِه، أَمَا إنك لو سَقَيْته وجدت ذلك عندي"(١).

فالله على جعل البذل والإنفاق بمثابة الإقراض له، وهو سبحانه غني عن العالمين، له ملك السموات والأرض وما بينها، فلا يحتاج إلى شيء، والغرض من هذا التعبير السابق هو ترغيب الناس في الإنفاق في سبيل الله، قال على: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللّه قَرْضًا حَسَنًا يُصَلّعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ﴾ (التغابن: ١٧)، ولكن اليه ود لجهلهم وسوء أدبهم وسخف قولهم غفلوا عن هذا المعنى.

ولم يأخذوا المسألة بهذا الفهم بل أخذوها بغباء المادة فقالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، ولم يفهم هؤلاء اليهود أن القرض لله هو تَلَطُّف من الحق واستدرار لخنان الإنسان على الإنسان، فقد شاء أن يحترم مجهودك أيها الإنسان، فإن وصلت إلى شيء من المال فهو مالك، ولم يقل الله لك: أعْطِ أخاك، فسبحانه وتعالى تَلَطُّفًا منه مع خلقه يقول: أقرضني؛ ليضمن الإنسان أن ما أعطاه إنها هو عند مليء، لكن أدب بني إسرائيل مع الله مفقود (٢).

فهذا هو طبع اليهود الذين وجدوا في أيديهم المال الله من فضله _ فحسبوا أنفسهم أغنياء عن الله، لا حاجة بهم إلى جزائه ولا إلى الأضعاف المضاعفة التي يعدها لمن يبذل في سبيله _ وهو ما يسميه تفضلًا منه ومنّة إقراضًا له الله وقالوا في وقاحة: ما بال الله يطلب إلينا أن نقرضه من مالنا ويعطينا عليه

الأضعاف المضاعفة وهو ينهى عن الربا والأضعاف المضاعفة؟! وهو تلاعب بالألفاظ ينم عن القحة وسوء الأدب في حق الله لذلك سوف يحاسبهم الله على ذلك، فها هو بمتروك ولا منسي ولا مهمل (٣). ﴿ سَنَكُمْتُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْبِيكَآءَ بِعَيْرِ حَقّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (اللهُ يَمَا قَدَمَت أَيْدِيكُمُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ اللهُ عَلَيْ اللهُ لَيْسَ اللهُ اله

ثَالثًا. الله ﷺ واسع الفضل، ولعنة الله على اليهود:

من المآثم والجرائم التي يحكيها القرآن عن اليهود ذلك النموذج المتمثل في قولهم بأبشع صوره: ﴿ وَقَالَتِ اللَّهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةً عَلَمَتُ أَيدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا كَلَ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (المائدة: ١٤).

وهذا القول: إمّّا أن يكون جرى مجرى التهكم بالمسلمين إلزامًا لهذا القول الفاسد لهم، كها روي أنهم قالوا ذلك لمّا كان المسلمون في أول زمن الهجرة في شدة، وفرض الرسول عليهم الصدقات، وربها استعان باليهود في الديات، وكها روي أنهم قالوه لما نزل قوله: ﴿ مَن ذَا الّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنَا فَيُضُعِفَهُ لَهُ وَأَضْعَافًا وَاللّهُ يَقْمِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ رُبّعُونَ ﴿ اللّهُ مَنْ ذَا اللّهُ يَقْمِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ رُبّعُونَ ﴿ اللّهُ يَقْمِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ رُبّعُونَ ﴿ اللّهُ يَقْمِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ رُبّعُونَ ﴾ (البقرة)، فقالوا: إنَّ ربَّ محمد فقير وبخيل... وإمّا أن يكونوا قالوه في حالة غضب ويأس؛ فقد روي في سبب نزولها أن اليه ود نزلت بهم شدَّة وأصابتهم مجاعة وجهد، فقال فنحاص بن عازوراء هذه المقالة، فإمّا وجهد، فقال فنحاص بن عازوراء هذه المقالة، فإمّا حَبْرهم إلى جميعهم؛ لأنهم يقلدونه ويقتدون به.

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض (٦٧٢١).

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق،
 مج٣، ص١٩١٠.

٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٥٣٦.

عما سيبدو من القوم وعما سيحل بهم، بسبب حقدهم

وغيظهم من اصطفاء الله له بالرسالة، وبسبب ما

تكشفه هذه الرسالة من أمرهم في القديم والحديث:

﴿ وَلَيَزِيدَ كَ كَثِيرًا مِنْهُم مَّا أَنزِلَ إِلَيْكَ مِن زَبِكَ مُطْفِيَنَا وَكُفْرًا ﴾

(المائدة: ٦٤)، فبسبب من الحقد والحسد وبسبب من

افتضاح أمرهم فيها أنزل الله، سيزيد الكثيرون منهم

طغيانًا وكفرًا؛ لأنهم وقد أبوا الإيهان، لا بد أن يستطوا

في الجانب المقابل؛ ولا بـد أن يزيدوا تبجحًا ونكرًا

وطغيانًا وكفرًا، فيكون الرسول رحمة للمؤمنين، ووبالًا

على المنكرين. ثم يحدث الله الرسول عما قدر الله لهم من

التعادي والتباغض فيها بينهم؛ ومن إبطال كيدهم وهو

في أشد سعيره تلهبًا؛ ومن عودتهم بالخيبة فيها يـشنونه

قال عَلَى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَى يَوْمِ

ٱلْقِيَكُمَةً كُلُّمَا ٓ أَوْقَدُواْ نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأُهَا ٱللَّهُ ﴾ (المائدة: ٦٤)، وما

تزال طوائف اليهود متعادية، وإن بدا في هذه الفترة أن

اليهو دية العالمية تتساند، وتوقد نارًا للحرب على البلاد

الإسلامية، ولكن ينبغي ألَّا ننظر إلى فترة قصيرة من

الزمان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة، ففي

أكثر من ألف وثلاثمائة عام، بل من قبل الإسلام،

واليهود في شحناء وفي ذل كذلك وتـشرد، ومصيرهم

إلى مثل ما كانوا فيه مهما تقم حولهم الأسناد، ولكن

مفتاح الموقف كله في وجود العصبة المؤمنة التي يتحقق

من حرب على الجهاعة المسلمة.

وقد ذمهم الله على كلا التقديرين، إذ الأول استخفاف بالإسلام وبدينهم أيضًا، إذ يجب تنزيــه الله عن هذه المقالات، ولو كانت على نيّة إلزام الخصم، والثاني ظاهر ما فيه من العجرفة والتأفف من تـصرف الله، فقابل الله قولهم بالدعاء عليهم وذلك ذم على طريقة العرب(١).

وقولهم: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةً ﴾ من سوء تـصور اليهـود لله، يعللون بذلك بخلهم فالله _ بـزعمهم _ لا يعطي الناس، ولا يعطيهم إلا القليل، فكيف ينفقون؟!

وقد بلغ من غلظ حسهم، وجلافة قلوبهم، ألا يعبروا عن المعنى الفاسـ د الكـاذب الـذي أرادوه وهـ و البخل بلفظه المباشر، فاختاروا لفظا أشد وقاحة وتهجما وكفرًا فقالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةً ﴾، ويجيء الرد عليهم بإحقاق هذه الصفة عليهم، ولعنهم وطردهم من رحمة الله جزاءً على قـولهم: ﴿ عُلَّتَ أَيَّدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾،

ثم يصحح هذا التصور الفاسد السقيم، ويصف الله تعالى بوصفه الكريم وهو يفيض على عباده من فضله بغير حساب: ﴿ بَلِّ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَلَّهُ ﴾، وعطاياه التي لا تكف ولا تنفد لكـل مخلـوق، ظـاهرة للعيان.. شاهدة باليد المبسوطة، والفضل الغامر، والعطاء الجزيل، ناطقة بكل لـسان، ولكـن اليهـود لا تراها؛ لأنها مشغولة عنها باللم والضم، وبالكنود وبالجحود، وبالبذاءة حتى في حق الله، ويحدُّث الله نبيــه

لها وعد الله، فأين هي العصبة المؤمنة اليوم التي تتلقى وعد الله وتقف ستارًا لقدر الله ويحقق الله بها في الأرض ما يشاء؟ ﴿ وَٱلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةُ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأُهَا ٱللَّهُ ﴾. وكذلك كانوا، فهم أبخل خلق الله بالمال.

١. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٤، ج٦، ص٩٤٢.

الخلاصة:

- جهل هؤلاء اليهود المراد بإقراض الله، فليس معنى إقراض الله أنه محتاج إلى ذلك، بل المراد إقراض الفقراء والمحتاجين والإنفاق في سبيل الله، كما دلت على ذلك الآيات والآثار الكثيرة.
- مراد هؤلاء اليهود من ادعائهم هذا، تشكيك ضعفاء الإيمان، وتكذيب النبي ، وضرب المسلمين في عقيدتهم.
- سوء أدب اليهود مع الله ﷺ ونعته بم الا يليق بذاته ﷺ كان من أسباب لعنهم واستحقاقهم غضب الله عليهم.

AND DES

الشبهة الثالثة عشرة

فِرْيَة أن الله يأمر بالفحشاء (*)

مضمون الشبهة:

كان العرب _ ما عدا قريشًا _ لا يطوفون بالبيت في

ثيابهم التي لبسوها مُحتَجِّين بأنهم لا يلبسون ثيابًا عصوا الله فيها، وكانت المرأة تطوف عريانة وتجعل على فرجها شيئًا يستره بعض الستر، وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل، ويحتجون بأنهم وجدوا آباءهم يفعلون ذلك، وفعل آبائهم مستند إلى أمر من الله. قال شي ذلك، وفعل آبائهم مستند إلى أمر من الله. قال ألم وَإِذَا فَمَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَاباءَنَا وَالله أَمْرَنَا بِهَا ﴾ (الأعراف: ٢٨).

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) طريقة تقليد الآباء طريقة فاسدة.
- ٢) الله ﷺ لا يأمر بالفحشاء والقبائح.
- ٣) لم يثبت بطريق العقل أو النقل أن الله أمرهم
 بالفحشاء، أو بأن يطوفوا حول البيت عراة.
- و) إنها حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى والشرك.

التفصيل:

أولا. فساد طريقة تقليد الآباء:

الفاحشة اسم للعمل الذميم، وهي مشتقة من الفحش وهو الكثرة والقوة في الشيء المذموم المكروه، وغلبت الفاحشة في الأفعال الشديدة القبح، وهي التي تنفر منها الفطرة السليمة، أو ينشأ عنها ضرّ وفساد بحيث يأباها أهل العقول الراجحة، وينكرها أولو الأحلام، ويستحي فاعلها من الناس، ويستتر من فعلها مثل البغاء والزنا والوأد والسرقة، ثم تنهى عنها الشرائع الحقة، فالفعل يوصف بأنه فاحشة قبل ورود

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص ٩٣٠.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (الأعراف/ ٢٨).

الآيات التي ورد فيها الرد عـلى الـشبهة: (الأعـراف/ ٢٨، ٢٩، ٣٣، الأنعام/ ١٥١، النحل/ ٩٠).

الشرع، كأفعال الجاهلية؛ مثل السجود للتهاثيل والحجارة وطلب الشفاعة منها وهي جماد، ومثل العُرِي والحج، وترك تسمية الله عند ذبح الذبائح، وهي من خلق الله وتسخيره، والبغاء واستحلال أموال اليتامى والضعفاء، وحرمان الأقارب من الميراث، واستشارة الأزلام في الإقدام على العمل أو تركه، وقتل غير القاتل؛ لا لشيء إلا أنه من قبيلة القاتل، وتحريمهم على انفسهم كثيرًا من الطيبات التي أحلها الله وتحليلهم الخبائث؛ مثل: الميتة (1) والدّم (2).

وقد روي عن ابن عباس أن الفاحشة المذكورة هنا يراد بها طوافهم بالبيت عراة، ويقولون: نطوف كها ولدتنا أمهاتنا، ويتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها، وكان هذا الشيء قد ابتدعوه من عند أنفسهم، فإذا ما سُئلوا عن ذلك أجابوا بأنهم متبعون فيه لآبائهم، ويعتقدون أن آباءهم يستندون في فعلهم هذا إلى أمر من الله وشرع.

وكلام ابن عباس إنها يحمل على أن التعري في الحبج من أول ما أريد بالفاحشة لا قصرها على ذلك، فكأن أثمة السرك قد أعدوا لأتباعهم معاذير عن تلك الأعهال ولقنوها إياهم، وجماعها أن ينسبوها إلى آبائهم السالفين الذين هم قدوة لخلفهم، واعتقدوا أن آباءهم أعلم بها في طي تلك الأعهال من مصالح لو اطّلع عليها المنكرون لعرفوا ما أنكروا، ثم عطفوا على ذلك أن الله أمر بذلك، يعنون أن آباءهم ما فعلوها من تلقاء

لقد رد القرآن اعتذارهم بتقليد الآباء في مواضع عدة، منها قوله ﷺ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ عَدة، منها قوله ﷺ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عَابَآءَنَا أَوْلَوْ كَانَ عَابَا وُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْ تَدُونَ ﴿ البقرة)، وقوله ﷺ: وَإِذَا قِيلَ لَمُمْ تَعَالُواْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابِكَةً فَا أَوْلَوْ كَانَ عَابَا وُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ صَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَالِكَاهُ (المائدة) فطريقة التقليد فاسدة، وهي حجة داحضة.

فأنكر القرآن عليهم ما كان مماثلًا لهذا الاستدلال، وهو كل دليل توكَّأ على اتباع الآباء في الأمور الظاهر فحشها وفسادها(٤٠).

ثانيًا. الله ﷺ لا يأمر بالفحشاء:

وبهذا دحض حجتهم وأنكر عليهم كل دليل استند إلى ما لا قبل للمستدل بعلمه، فإن قولهم ﴿ وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهِمَا ﴾ (الأعراف: ٢٨) دعوى باطلة إذا لم يبلغهم أمر الله بواسطة مبلغ، فإنهم كانوا ينكرون النبوءة فمن أين لهم

المئيّة: حيوان مات حَتْف أَنْفِه، أو عـلى هيئـة غـير مـشروعة،
 وهو مما يَحْرُم أكْله.

٢. الدَّم: الدم المُسال المُراق، وهو حرام لنجاسته.

٣. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٥،
 ج٨، ص٨٢ بتصرف.

٤. المرجع السابق، ص٨٤.

تلقى مراد الله تعالى... فقوله: ﴿ قُلَ إِنَّ اللّهَ لَا يَأْمُنُ اللّهِ اللّهِ أَمْرِهُم بِها؛ أَي بِتلك الله أَمْرِهُم بِها؛ أي بِتلك الفواحش، وهو ردّ عليهم وتعليم لهم، وإفاقة لهم من غرورهم؛ لأن الله متصف بالكمال فلا يأمر بها هو نقص لم يرضه العقلاء وأنكروه، فكون الفعل فاحشة كافي في الدلالة على أن الله لا يأمر به لأن الله له الكمال الأعلى (١).

ثَالثًا. العقل والنقل يرفضان أن تكون الفحشاء من الله تعالى:

في قوله على العقل والنقل، أما العقل فتقريره أن هذا لهم من طريقي العقل والنقل، أما العقل فتقريره أن هذا الفعل لا خلاف بينكم وبيننا في أنه من الفحشاء؛ أي: أقبح القبائح، والله على منزّه بكهاله المطلق ـ الذي لا شائبة للنقص فيه ـ من أن يأمر بالفحشاء، وإنها الذي يأمر بها هو السيطان الذي هو مجمع النقائص، كها قال الله على في الشيطان الذي هو مجمع النقائص، كها قال الله على النقية في الشيطان الذي هو المنافقة وَيَا مُرُكُمُ وَالْفَحْسَاءَ في البقرة: (البقرة: ١٦٨)، وقال الله المنافقة والفحشاء في البقرة: (البقرة: ١٦٩).

وأما طريق النقل فهو أن ما يُسنَد إلى الله تعالى من أمر ونهي لا يثبت بمجرد المدعوى، بل يجب أن يعلم بوحي منه على إلى رسول من عنده ثبتت رسالته بتأييده تبارك وتعالى له بالآيات البينات، وهذا الاستفهام ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ للإنكار المتضمن للتوبيخ، وللرد على المقلّدين، فإنهم باتباع المتضمن للتوبيخ، وللرد على المقلّدين، فإنهم باتباع آبائهم وأجدادهم وشيوخهم في آرائهم وأعمالهم الدينية

غير المستندة إلى الوحي الإلهمي يقولون عملى الله مما لا يعلمون أنه شرعه لعباده.

رابعًا. الله لا يأمر إلا بالفضيلة، والشيطان هو الذي يأمر بالسوء والفحشاء:

بعد أن أنكر الله على عليهم أن يكونوا على علم في هذا الطريق النقلي، وهو من باب السلب والنفي، توجهت الأنفس إلى معرفة ما يأمر الله به من محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق وجميل الخصال، فبينه بطريق الاستئناف، فقال الله على: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِي بِالقِسْطِ ﴾ الاستئناف، فقال الله على: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِي بِالقِسْطِ ﴾ (الاعراف: ٢٩)، أي: العدل والاعتدال في الأمور كلها أي الفضيلة من كل فعل. فالله تعالى أمر بالفضائل وبها تشهد العقول السليمة أنه صلاح محض وأنه حسن مستقيم.

وقد نقل عن ابن عباس: أن القسط قول لا إله إلا الله، وإنها يعني بذلك أن التوحيد من أعظم القسط، وهذا إبطال للفواحش التي زعموا أن الله أمرهم بها لأن شيئًا من تلك الفواحش ليس بقسط (٢) فها أمر الله به يضاد ما هم عليه من اتباعهم لآبائهم وللشرائع التي وضعها لهم عباد أمشالهم، أنزل عليهم لباسًا يواري سوآتهم وريشًا يتجملون به كذلك، ويضاد الشرك سوآتهم وريشًا يتجملون به كذلك، ويضاد الشرك الذي يزاولونه (٢)، ثم قال: ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ صَعُلِ مَسْجِدٍ وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينُ كُمّا بَدَا كُمْ تَعُودُونَ الله الله عَلَى عند كل مسجد تعبدونه فيه، وادعوه وحده مخلصين له مسجد تعبدونه فيه، وادعوه وحده مخلصين له

١. المرجع السابق، ص٨٤.

٢. المرجع السابق، ص٨٤.

٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٨١ بتصرف.

الدين، فلا تشوبوا دعاءكم بأدنى شائبة من الشرك الأكبر أو الأصغر.

ثم يوضح القرآن الكريم أن الكل عائد إلى الله، وفريق فريق هداهم الله؛ لأنهم جعلوا ولايتهم لله، وفريق ضلوا؛ لأنهم جعلوا ولايتهم للشيطان، قال على: ﴿ كُمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿ نَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضّلكلةُ إِنّهُمُ الضّلكلةُ التّحذُوا الشّيطين أولِياء مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنّهُم مُهَ تَدُونَ اللهِ وَيَحْسَبُونَ اللهِ وَيَحْسَبُونَ اللهِ مَهْ تَدُونَ اللهِ وَيَحْسَبُونَ اللهِ وَيَحْسَبُونَ اللهِ مَهْ تَدُونَ اللهِ وَيَحْسَبُونَ اللهِ وَيَحْسَبُونَ اللهِ مَهْ تَدُونَ اللهِ وَالسّيطان لا يأمر إلا الشياطين أولياء من دون الله والسيطان لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر، قال الله على: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالفَحَسَاءَ ﴾ (البقرة: ١٦٩).

خامسًا. أصول المحرمات عند الله ﷺ:

في ختام رد القرآن على هذه الشبهة يبين لهم أصول المحرمات التي حرمها الله حقّا وأنها أمور يزاولونها بالفعل، قال الله في إنّما حرّم رَبّي الفوكوش ما ظهر مِنها وما بطفعل، قال في في الله وما بقير الحرّم رَبّي الفوكوش ما ظهر مِنها وما بطكن وآله أم والبغي يغير الحرق وأن تُشركوا بالله ما لم يُزلّ بهذا هو الذي حرمه الله؛ الفواحش من الأعمال المتجاوزة معصية على وجه الإجمال، والبغي بغير الحق وهو الظلم معصية على وجه الإجمال، والبغي بغير الحق وهو الظلم الذي يخالف الحق والعدل - كما بينها الله أيضًا - وإشراك ما لم يجعل الله به قوة أو سلطانًا مع الله في خصائصه، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون كالذي يقولونه من والتحريم ومن نسبتهم هذا إلى أمر الله بغير علم ولا يقين (۱).

والقَصْر المُفاد من ﴿ إِنَّمَا ﴾ في الآية قَصْر إضافي (٢)، مُفاده أن الله حرَّم الفواحش وما ذُكر معها لا ما حرمتموه من الزينة والطيبات، فأفاد إبطال اعتقادهم، ثم هو يفيد _ بطريق التعريض _ أن ما عدَّه الله من المحرَّمات الثابت تحريمها قد تلبَّسوا بها (٢).

الخلاصة:

- الله ﷺ مُتَّصف بالكهال، فلا يأمر بها هو نقص،
 والفاحشة نقص، وكيف يأمر سبحانه بنقص لا يرضاه
 العقلاء وينكرونه؟!
- المعقول والمعلوم أن ما يسند إلى الله على من أمر
 ونهي لا يثبت بالدعوى، بل يجب أن يعلم بـوحي منه
 سبحانه إلى رسول من عنده مؤيدًا بالآيات والبراهين.
- التوبة هي الإنابة والرجوع إلى الله ﷺ، ومجال ذلك النية والفعل، وليست أمرًا ظاهريًّا بارتداء ثياب أو خلعها.

7. القَصْر: تخصيص شيء بشيء، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَدُ إِلّا رَسُولُ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، ومن وسائله "ما" و "إلا" و"إنها"، والمقصود من القصر الإضافي: أن يكون الأمر المثبت بدلا عن أمر منفي، أو يُراد إثبات الحُكْم لشيء دون آخر، نحو: ما زيد إلا كاتب، فإذا كان المخاطب يعتقد أنه شاعر فأنت تثبت أنه كاتب بدلا من شاعر، وإن كان يعتقد أنه كاتب وشاعر معًا فأنت تنفي بدلا من شاعر، وإن كان يعتقد أنه كاتب وشاعر معًا فأنت تنفي أنه شاعر وتثبت أنه كاتب فقط، والمهم هنا أن ما تنفيه في القصر الإضافي ليس كل ما يمكن نفيه؛ بل ما يعتقد المخاطب ثبوته فقط، ومن ثم فقصر التحريم على الأشياء المذكورة في الآية ينفي التحريم عن الزينة والطيبات، ولا يعني أنه لا يوجد محرمات أخرى.

۳. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٥،
 ج٩، ص٩٩ بتصرف.

١. المرجع السابق، ص١٢٨٣ بتصرف.

تعالى، أما الشيطان فهو الذي يأمر بكل سوء ومنكر.

AND BAS

الشبهة الرابعة عشرة

زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله ﷺ وأحباؤه (*) مضمون الشبهة:

يزعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه؛ لأنهم منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه، وله بهم عناية، وهو يحبهم، ويستدل اليهود على زعمهم بها نقلوا عن كتابهم أن الله على قال لعبده إسرائيل: أنت ابني بكري، وينقل النصارى أيضًا عن كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم. قال على ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَرَى الله الله الله وَأَحِبَتُوهُم ﴾ (المائدة: ١٨).

وجوه إبطال الشبهة:

- ا ردُّ عقلاء اليهود الذين أسلموا على تأويلهم الفاسد المحرَّف.
- ۲) ادعاء التميز والخصوصية على خلق الله لا دليل عليه.
- ٣ لِمَ يعذبكم الله بذنوبكم إن كنتم أبناءه وأحباءه حقًا؟!
- اليهود والنصارى بشر كسائر البشر لا فضل لهم على أحد من خلق الله إنها العبرة بالإيهان والعمل الصالح.

الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (المائدة/ ١٨).

التفصيل:

أولا. رد عقلاء اليهود والنصارى هذا التأويل الفاسد:

هذه شبهة لا دليل عليها، وافتراء لا أساس له من أقوال هؤلاء المتبجّحين من اليهود والنصارى، حيث يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، فهم منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية، ونقل اليهود عن كتابهم أن الله على قال لعبده إسرائيل: "أنت بكري". (التكوين ٤٩: ٣)، ونقل النصارى عن كتابهم أن عيسى الطيخ قال لهم: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي عيسى الطيخ قال لهم: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم". (يوحنا ٢٠: ١٧)، فحملوا هذا على غير وأحد من عقلائهم، وقالوا: هذا يُطلق عندهم على التشريف والإكرام.

وبهذا المعنى كان يستخدم اليهود ـ نخاطبي عيسى ـ لفظة "ابن الله" التي لم تكن غريبة عليهم، بـل شائعة ومستخدمة لديهم بالمعنى الذي ذكرناه، ولـذلك نجـد مثلًا أن أحد علماء اليهود واسمه نثنائيل لما سمع من صديقه فيلبس عن نبي خرج من مدينة الناصرة استنكر ذلك في البداية، لكنه لما ذهب ليرى عيسى بنفسه عرفه عيسى: "فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجـدنا الـذي عيسى: "فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجـدنا الـذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء، يـسوع بن يوسف الـذي من الناصرة. فقال له نثنائيل: أمِن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟ قال له فيلبس: تعالَ وانظر. ورأى يسوع نثنائيل مقبلًا إليه، فقال عنه: «هوذا إسرائيلي حقًا لا غش فيه».

قال له نثنائيل: من أين تعرفني؟ أجاب يسوع وقال له: «قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة، رأيتك». أجاب نثنائيل وقال له: يا معلم، أنت ابن الله، أنت

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (المائدة/ ١٨).

ملك إسرائيل". (يوحنا ١: ٥٥ ـ ٤٩).

ولا شك في أن مقصد نثنائيل _ كإسرائيلي يهودي موحد، عالم بالكتاب المقدس _ من عبارة "ابن الله" هذه لن يكون: أنت ابن الله المولود منه والمتجسّد! ولم يكن قصده: أنت أقنوم الابن المتجسّد من الذات الإلهية!! لأن هذه الأفكار كلها لم تكن معروفة في ذلك الوقت، ولم يتحدث عيسى نفسه عنها، لأن هذه الحادثة حدثت في اليوم الثاني لبعثة عيسى فقط، بل من الواضح في اليوم الثاني لبعثة عيسى فقط، بل من الواضح المقطوع به أن مقصد نثنائيل من عبارته "أنت ابن الله": أنت غتار الله ومُجتباه، أو أنت حبيب الله أو من عند الله، أو أنت النبي الصالح البار المقدس، ونحو ذلك.

هذا، ومما يؤكد ذلك أن لقب "ابن الله" جاء بعينه في الإنجيل، في حق كل بار صالح غير عيسى، كما استعمل "ابن إبليس" في حق الإنسان الفاسد الطالح(١).

ثانيًا. لا دليل للفريقين على دعواهم:

هولاء اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار ميزهم لذاتهم على جميع البشر، فلا يمكن أن يساويهم شعب آخر عنده، وإن كان أصح منهم إيهانًا وأصلح عملًا، وأنهم لا يكونون تابعين لغيرهم في الدين، فلا يصح أن يتبعوا محمدًا والله عربي لا إسرائيلي، والفاضل لا يتبع المفضول بزعمهم، ولا يمكن أن يؤاخذهم الله على الكفر به؛ لأنهم شعبه الخاص يؤاخذهم الله على الكفر به؛ لأنهم شعبه الخاص المحبوب، وهو لا يعاملهم إلا معاملة الوالد لأبنائه الأعزاء والمحب لمحبوبه الخاص، وأما النصارى فيدَّعون أن المسيح فداهم بنفسه وأنهم أبناء الله، بولادة فيدَّعون أن المسيح فداهم بنفسه وأنهم أبناء الله، بولادة

الروح، والمسيح ابنه الحقيقي، ويخاطبون الله على بلقب الأب دائيًا، ويرون أنهم غير محتاجين إلى إصلاح في دينهم ودنياهم، ولهذا رفضوا ما دعاهم إليه النبي من التوحيد الخالص والعمل الصالح(٢).

وهذا الزعم من اليهود والنصارى لا يستند إلى دليل من وحي أو علم أنزله في كتاب بل الموجود في كتبهم البشارة بمحمد في والمعلوم عنهم أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه وأنهم يفترون على الله الكذب وهم يعلمون قال في ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَّكُونَ أَنفُسَهُم بَلِ الله يعلمون قال في ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُونَ أَنفُسَهُم بَلِ الله يُرَكِي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ﴿ الله الكَذَبُ وَكَفَى بِهِ إِنْما مُبِينا ﴿ الله الكَذِبُ وَكَفَى بِهِ إِنْما مُبِينا ﴿ الله الكَذِبُ وَكَفَى بِهِ إِنْما مُبِينا ﴿ الله الكَذِبُ وَكَفَى بِهِ إِنْما مُبِينا ﴿ الله الله الكَذِبُ وَكَفَى بِهِ إِنْما مُبِينا ﴿ الله الله الكَذِبُ وَكَفَى بِهِ إِنْما مُبِينا ﴾ (الساء).

ثَالثًا. الله عَلَىٰ لا يعذب أحباءه:

المناظرة الكبرى، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٧٨، ١٧٨.

۲. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج٦، ص١٦٣.
 ۳. المرجع السابق، ص٥١٩.

ٱلنَّكَارُ إِلَّا أَسْتِكَامًا مَّعْدُودَةً ﴾ (البقرة: ٨٠).

ومعلوم أن المُحِبَّ لا يعذب حبيبه، والأب لا يعذب ابنه، فلستم إذًا أبناء الله ولا أحباءه، وهذا دليل كذبكم وافترائكم، وهذا هو المسمّى عند الجدليين ببرهان الخلف.

رابعًا. التفضيل عند الله تعالى للبشر بالإيمان والعمل الصالح:

ولهذا بين الله لهم أنهم بشر من جملة البشر من خلق الله على وهو الحكم الحكم العدل لا يحابي أحدًا على حساب أحد من خلقه، وإنه ليس لكم ولا لغيركم من طوائف البشر امتياز ذاتي خاص، ولا نسبة ذاتية إليه تعالى؛ لأن جميع خلقه بالنسبة إليه سواء، وهو سبحانه يغفر لمن يعلم أنه يستحق للمغفرة، ويعذب من يعلم أنه مستحق للعذاب، فهو يجزيكم بأعالكم كا يجزي سائر البشر أمثالكم، فارجعوا عن غروركم بأنفسكم، فإنها العبرة بالإيهان الصحيح والعمل الصالح، قال في فإنها العبرة بالإيهان الصحيح والعمل الصالح، قال في ويله مُلكُ السَّمنون والمُرق مَن يَشَاهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاهُ الله المنابق ال

الخلاصة:

اعتقاد اليهود والنصارى التميز والخصوصية
 لذاتهم على خلق الله اعتقاد باطل، لا دليل عليه،
 فالأصل في التميز والتفاضل - عند الله - هو التقوى

والعمل الصالح.

- إذا سلَّمنا جدلًا أن اليهود والنصارى أبناء الله وأحباؤه، أفيعنب والد أولاده ويهلكهم بذنوبهم وخطاياهم، وهو لهم محب وبهم رحيم؟!
- ما استدل به اليهود والنصارى من كتبهم
 المحرفة استدلال خاطئ وتأول فاسد بين المراد منه
 عقلاء هؤلاء وهؤلاء.

AND DES

الشبهة الخامسة عشرة

دعوى اليهود أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس (*) ®

مضمون الشبهة:

يدَّعي اليهود أن الدار الآخرة عند الله خالصة لهم من دون الناس؛ لأنهم أولياء لله، ويدَّعون أنهم على هدى، وأن محمدًا في وأصحابه على ضلالة. قال في في وأن كانت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَاللهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ اللهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ اللهِ ﴿ البقرة).

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) هذه دعوى باطلة لأنها لا دليل عليها.
- ٢) إحجامهم عن تمنّي الموت ـ الذي يوصلهم إلى

١. المرجع السابق، ص٣١٧.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (الجمعة / ٦).

الآيات التي ورد فيها الردعلى الشبهة: (البقرة/ ٩٤، ٩٧، الأيات التي ورد فيها الردعلى الشبهة: (البقرة/ ٩٤، ٩٧)

[®] في "ردّ القرآن الكريم على زعم اليهود والنصارى أن لن يدخل الجنة إلا من تبع ملتهم" طالع: الشبهة السابعة عشرة، من هذا الجزء.

الدار الآخرة ـ دليل كذبهم وبطلان دعواهم.

٣) إحجامهم عن المباهلة (١) لتعلقهم بالحياة
 وخوفهم من سوء عاقبتهم دليل ضلالهم وافترائهم.

التفصيل:

أولا. بطلان دعوى اليهود:

هذه دعوى من دعاوى اليهود الباطلة التي سبقتها وتلتها دعاوى أخرى، منها قولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدَخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (البقرة: ١١١)، وقولهم: ﴿ فَعَنُ أَبْنَكُوا اللّهِ وَأَحِبَتُوهُ ﴾ (المائدة: ١١١)، وقولهم: ﴿ فَعَنُ أَبْنَكُوا اللّهِ وَأَحِبَتُوهُ ﴾ (المائدة: ١٨)، وقولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسّنا النّارُ إِلّا أَسَيامًا مَعَدُودةً ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقولهم: ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَدَرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ (البقرة: ١٣٥)، وهم هنا يزعمون أن الدار الآخرة وهي الجنة خاصة لهم لن يشركهم فيها أحد، وأن نعيمها وثوابها خالص لهم سالم من الشوائب؛ لأنهم أولياء لله من دون الناس، وهذه الحجة الشوائب؛ لأنهم أولياء لله من دون الناس، وهذه الحجة وكل هذا الكلام مرسل، وخبر لا دليل على صحته، بل وكل هذا الكلام مرسل، وخبر لا دليل على صحته، بل

ثانيًا. دليل كذب اليهود:

يقول الله على رادًا عليهم دعواهم: ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِن صحت إِن كُنثُمٌ صَلِيقِينَ ﴿ اللهِ رَاللهِ رَاللهِ أِي: إِن صحت دعواكم وصدق قولكم: إن الدار الآخرة خالصة لكم من دون الناس؛ لأنكم أولياء لله، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتكم، وإنكم شعب الله المختار، فلن

تمسكم النار إلا أيامًا معدودات لا تزيد على أيام عبادة العجل؛ فتمنوا الموت الذي يوصلكم إلى ذلك النعيم الخالص الدائم الذي لا مُنازع لكم فيه ولا مُزاحم لكم ولا مشارك، وإن لم تتمنوا الموت فها أنتم بصادقين؛ إذ لا يعقل أن يرغب الإنسان عن السعادة ويختار عليها الشقاء، وفي هذه حجة عظيمة للمسلمين على اليهود تدفع باطلهم وتزهقه.

ووجه هذه المحاجة أن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من البقاء في هذه الحياة الدنيا لما يصير إليها من نعيم في الآخرة، ولما يتركه من كدر الحياة الدنيا وأذاها، فلو كنتم صادقين معشر اليه ود فيها زعمتم أن الدار الآخرة خالصة لكم والجنة خاصة بكم دون سواكم فتمنوا الموت، وهذه دعوى إلى قضية عادلة لفصل ما بين المؤمنين وهؤلاء من الخلاف، إذ لو كانوا محقين في زعمهم قرب المنزلة من الله فإن ذلك غير ضارهم، ولكنهم في الحقيقة كاذبون في دعواهم فلم من عذاب الله وخوفا من سوء العاقبة، إذ هم يعلمون سوء صنيعهم وقبح أعالهم، وأنهم إن تمنوا الموت هلكوا في الدنيا والآخرة، ولذا قال في ﴿وَلَن يَتَمَنّوهُ البَدْرَة، ولذا قال في ﴿وَلَن يَتَمَنّوهُ البَدِمَ وَاللّهُ عِلَامُ إِلْظَلْمِينَ ﴿ وَلَن يَتَمَنّوهُ البَدْرَة، ولذا قال في ﴿ وَلَن يَتَمَنّوهُ البَدْرَة، ولذا قال في ﴿ وَلَن يَتَمَنّوهُ اللهُ عَلِيمُ إِلْظَلْمِينَ ﴿ وَلَن يَتَمَنّوهُ البَدْرَة، ولذا قال في ﴿ وَلَن يَتَمَنّوهُ اللهُ عَلَيْمُ إِلْظَالْمِينَ ﴿ وَلَن يَتَمَنّوهُ اللهُ عَلَيْمُ إِلْظَالْمِينَ ﴿ وَلَن المِن اللهِ وَلَمْ اللهُ عَلَيْمُ إِلْظَالْمِينَ ﴿ وَلَن اللهُ وَلَمْ اللهُ عَلَيْمُ إِلْظَالُمِينَ ﴿ وَلَنَا عَلَى اللهُ اللهُ وَلَنْ اللهُ وَلَنْ اللهُ اللهُ وَلَنْ يَتَمَنّوهُ اللهُ وَلَنْ اللهُ وَلَنْ اللهُ اللهُ وَلَنْ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَنْ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَنْ اللهُ اللهُ

ثَالثًا. حرصهم على الحياة وإحجامهم عن المباهلة:

ومن ردود القرآن على دعواهم هذه أن دعاهم إلى

١. المُباهَلَة: اجتماع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الكاذب والظالم منًا.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣، ٣٣ بتصرف. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٨٤، ٨٣ بتصرف.

المباهلة وقال لهم: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تأخروا عُلِمَ كذبهم، وهذا كما دعا رسول الله وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعُتوِّهم وعنادهم في المباهلة، فقال في فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاتَكُ مِن ٱلْمِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ مُنْ مَنْ مَا الله عَلَى الله الله عَلَى اله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى ال

فلها رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف، ومثل هذا المعنى السابق، أو قريب منه قول الله على لنبيه: أن يقول للمشركين: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَالَةِ فَلْيَعْدُدُ لَهُ ٱلرَّغْنُ مَدًّا للمشركين: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَالَةِ فَلْيَعْدُدُ لَهُ ٱلرَّغْنُ مَدًّا حَقَّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَا ٱلْعَدَابَ وَإِمَا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُو شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعَفُ جُندًا ﴿ وَإِمَا ٱلسَّاعَةَ فَسَيعَلَمُونَ مَنْ هُو شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعَفُ جُندًا ﴿ وَإِمَا ٱلسَّاعَةُ فَسَيعَلَمُونَ مَن كان فَي الضلالة منا ومنكم زاده الله مما هو فيه ومدّ له في الضلالة منا ومنكم زاده الله مما هو فيه ومدّ له واستدرجه. وكانت المباهلة على هذا النحو بالموت؛ لأن الحياة عند هؤلاء عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء الحياة عند هؤلاء عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، ولهذا قال الله الله وكذه وكانت المباهلة على هذا النحو بالموت؛ مُمَّ أَخْرَصَ مَا النَّاسِ عَلَى حَيَوْقٍ ﴿ وَلَنْجِدَ نَهُمُ أَخْرَصَ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللل

الخلاصة:

• أَمَر القرآن اليهود بتمنّي الموت إن كانوا صادقين

في دعواهم حتى يظفروا بالدار الآخرة.

- عدم وجود دليل على دعواهم هـ و في حـ د ذاتـ ه
 دليل كذبهم وبطلان دعواهم.
- دعوة القرآن اليهودَ إلى المباهلة والمناظرة التي تستأصل الكاذب.
- إحجام اليهود عن المباهلة؛ لتعلقهم بالحياة، وخوفهم من سوء عاقبتهم، هو من الأدلة القوية على كذبهم فيما يدعونه.

30 6k

الشبهة السادسة عشرة

دعوى أن النار لن تمسَّ اليهود والنصارى إلا أيامًا معدودة (*)

مضمون الشبهة:

زعم اليه ود والنصارى كذبًا وافتراءً فيها نقلوه وادعوه لأنفسهم أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة ثم ينجون منها، حيث قالوا: إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنها نُعذَّب بكل ألف سنة يومًا في النار، وإنها هي سبعة أيام معدودة. قال نَهِ: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّكَارُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

وجوه إبطال الشبهة:

١) لم يعهد الله على لليهود والنصاري بها زعموا.

للمزيد انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٣، ص٢٦٦: ٢٦٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٤، ص٤٠ ا بتصرف.

^(*) الآيتان اللتان وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ٨٠، آل عمران/ ٢٤).

الآيات التي ورد فيها الردعلى الشبهة: (البقرة/ ٨٠، ٨٠، آل عمران/ ٢٤، ٢٥).

۲) هذه دعوى بلا علم و لا دليل فهي باطلة.

٣) الجزاء من جنس العمل بلا عنصرية أو تمييز،
 فالخلود في النار للمشركين، والخلود في الجنة للمؤمنين.

غرور اليهود والنصارى في دينهم هـ و الـ ذي
 أدى بهم إلى هذه المقالة المزعومة.

التفصيل:

أولا. افتراء اليهود والنصاري على الله ﷺ بغير علم:

هذا ضرب من ضروب غرورهم وتقوُّهم على الله بغير علم، فهم يزعمون أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة، وهذه الأيام هي بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، فقيل هي سبعة أيام وقيل أربعون يومًا، وقيل غير ذلك، ثم يزعمون أنهم يخرجون من النار بعد ذلك، وقد أخبروا بذلك رسول الله على عندما فتحت خيبر، وأكل رسول الله على من الشاة التي وضعوا له فيها السم، فجمعهم رسول الله الله وسألهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها. فقال النبي على: "اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا"(١).

والمس يعني اللمس الخفيف، أو اقتراب شيء من شيء ولكن لا يحس أحدهما بالآخر إلا إحساسًا خفيفًا لا يكاد يذكر، ولا تكون مدته إلا لحظات، فكيف يكون أياما ذوات عدد؟ وكيف يكون بهذه الهيئة عقابًا على ذنب ارتكب؟!

فاليهود يعتقدون أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، واليهودي سيمكث في النار سبعة أيام، عن كل ألف

ثانيًا. دعواهم بلا برهان أو دليل:

إن هذه الدعوى ليس لها برهان ولا يؤيدها دليل لـذلك كـنَّبهم الله عَلَى بقوله: ﴿ أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا لَمْ اللهُ عَلَى اللهِ مَا لا تَعَلَمُونَ عَلَى الله شيئًا ليكون إلا بوحي منه ليس لكم به علم، إذ العلم بمثله لا يكون إلا بوحي منه يبلِّغه عنه رسله، والقول على الله بغير علم جرأة وافتيات عليه وكفر به، والمعنى أنه لا بد من أحد الأمرين إذ لا واسطة بينهما: إما اتخاذ عهد عند الله، وإما القول على الله بغير علم، وإذا كان الله لم يعهد إليهم فلا يبقى إلا تقوَّهم على الله بغير علم، وبهذا يثبت بطلان يبقى إلا تقوَّهم على الله بغير علم، وبهذا يثبت بطلان دعواهم، وكذب زعمهم الذي زعموا:

والدَّعاوَى ما لم تُقِيمُوا عليها

بَيِّناتٍ أبناؤُها أَدْعِياءُ

۲. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٥٨، ٨٦ بتصرف. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١، ج١، ص٥٧٩، ٥٨٠ بتصرف.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم (٢٩٩٨).

ثالثًا. الجزاء من جنس العمل:

بعد أن أبطل الله دعوى اليهود والنصارى هذه أخبرهم أنه يُعَذّب من أشرك به وكفر برسله في النار خالدًا مخلدًا، فإن الجنة لا يسكنها إلا أهل الإيهان بالله ورسله، قال الله المحال مَن كَسَبَ سَيِتَ مُ وَأَحَطَتَ بِهِ خَطِيتَ تُمُ فَأُولَتِ كَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ صَحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ الْجَنَةِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ الْصَلِحَتِ أُولَتِ كَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ الْمَن كَسَبَ اللَّهُ وَلَتَهِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللللْكُولُ اللَّهُ الللللِلْلَالِمُ اللللللَّهُ الللللْكُلُولُولُ اللللْلَاللَّهُ ا

وبهذا الجواب القاطع والقول الفصل في هذه الدعوى دحضت حجتهم، وهذه صورة كلية من كليات التصور الإسلامي تنبع من فكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان: إن الجزاء من جنس العمل ووفق هذا العمل (1).

رابعًا. غرور اليهود:

لقد ذكر الله أيضًا أن منشأ هذا الافتراء ليس الدليل ولا العلم، وإنها منشؤه الغرور في الدين؛ إذ مثل ذلك الحكم لا يعرف بالرأي ولا الفكر؛ لأنه من أمر الغيب فلا يعرف إلا بوحي من الله، وليس في الوحي ما يؤيده، قال على في في دينهم مّا كانوا يَفْتَرُون الله واغترار (آل عمران)، وهذا إشارة إلى التولي والإعراض واغترار منهم في قولهم الكاذب: ﴿ فَعَنُ أَبْنَتُوا اللّهِ وَأَحِبَتُوم الله عراض منهم في قولهم الكاذب: ﴿ فَعَنُ أَبْنَتُوا اللّهِ وَأَحِبَتُوم الله الله عروالله عروالله عروالله منهم في قولهم الكاذب: ﴿ فَعَنُ أَبْنَتُوا اللّهِ وَأَحِبَتُوم الله الله عير ذلك من أقوالهم (٢).

الخلاصة:

- المس يعني اللمس الخفيف، أو اقتراب شيء من شيء ولكن لا يحس أحدهما بالآخر إلا إحساسًا خفيفًا لا يكاد يـذكر، ولا تكون مدته إلا لحظات، فكيف يكون أيامًا ذوات عدد؟ وكيف يكون بهذه الهيئة عقابًا لذنب ارتكب؟
- ما يعتقده اليهود _ مدة العذاب القليلة _ منشؤه أمران: الأول: تزيين الشيطان لهم هذا الاعتقاد، الثاني: غرور هؤلاء اليهود في دينهم.
- إخبار المولى على السان نبيه الله المشرك والكافر مخلّد في النار؛ وهؤلاء اليهود ليسوا عصاة بل مشركون كافرون، ومن ثم فهم في النار خالدون.

AGES

الشبهة السابعة عشرة

دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على مِلَّة اليهود أو النصارى ^{(*) ®}

مضمون الشبهة:

ادَّعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، وهذه عقيدة الفريقين إلى اليوم. قال الله ﴿ وَقَالُوا لَنَ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَرْكُ ﴾ (البقرة: ١١١).

في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٨٦.
 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١، ج١، ص٥٨١، ٥٨٠ بتصرف.

الجامع الأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٤، ص١٥.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ١١١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١١١: ١١٣).

இ في "رد القرآن على زعم اليهود استثنارهم بالجنة من دون
 الناس" طالع: الشبهة الخامسة عشرة، من هذا الجزء.

وجها إبطال الشبهة:

1) هذه الدعوى من أمانيهم التي لا يدركونها، فلا بُدَّ من الإتيان بالبرهان لإثبات صحة الدعوى؛ لأنه لا يقبل قول بلا دليل.

الجنة متاحة لكل من يعمل لها وليست حِكْـرًا على طائفة دون طائفة والحكم لله بين الجميع وهو أعلم
 بأهل الحق.

التفصيل:

يغتر اليهود والنصارى بها هم فيه، ويدّعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتهم، وهي عقيدتهم إلى يومنا هذا، كها قالوا أيضًا فيها حكاه عنهم القرآن: ﴿ فَمَن لَهُ اللّهِ وَأَحِبَتُونُهُ ﴾ (المائدة: ١٨)، وقد أكذبهم الله على بها أخبرهم أنه يعذبهم في الدنيا والآخرة بذنوبهم، ولو كانوا كها ادعوا لما كان الأمر كذلك، ومثله ما ادّعوه من أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة ثم ينتقلون إلى الجنة، وردّ الله على عليهم قائلًا: ﴿ قُلُ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُغَلِفَ اللّهُ عَهْدَهُو أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ يَعَدُونَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُغَلِفَ اللّهُ عَهْدَهُو أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ يَعْمُونَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُغَلِفَ اللّهُ عَهْدَهُو أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ يَعْمُونَ اللّهِ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُغَلِفَ اللّهُ عَهْدَهُو أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ يَعْمُونَ اللّهُ عَهْدَهُو أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللّهُ مَا لاَ يَعْمُونَ اللّهُ عَهْدَهُو أَمْ نَفُولُونَ عَلَى اللّهُ مَا لاَ يَعْمُونَ اللّهُ عَهْدَهُ وَاللّهُ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ اللّهُ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ اللّهُ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ اللّهُ اللّهُ عَهْدَا اللهُ اللّهُ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّه

أولا. أُمْنِية بلا برهان:

ردَّ الله تعالى على هؤلاء المدَّعين، بأن هذا من أمانيهم التي لا يدركونها، فقال الله الله الله الله الله على دعواهم (البقرة: ١١١)، ثم طالبهم الله الله الله الله على دعواهم تلك، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرُهَن كُمْ إِن كُنتُمُ الله صَدوِين فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرُهَن كُمْ إِن كُنتُمُ وَمَن فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرُهُن كُمْ إِن كُنتُمُ وَمَن وَلا يَعْلَى وَلا الله وَهَا يقرر القرآن قاعدة جليلة لا توجد في غير القرآن من الكتب السهاوية، وهي أنه لا يُقْبَلُ من في غير القرآن من الكتب السهاوية، وهي أنه لا يُقْبَلُ من

أحد قول لا دليل عليه، ولا يُحْكَمُ لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها.

والدَّعاوَى ما لم تُقِيمُوا عليها

بَيِّنَاتٍ أبناؤُها أَدْعِياءُ

وإيضاح ذلك أن الأمم التي خوطبت بالكتب السالفة لم تكن مستعدة لاستغلال الفكر ومعرفة الأمور بأدلتها وبراهينها، ولذلك اكتفى الله منهم بتقليد الأنبياء فيا يبلغونهم وإن لم يعرفوا برهانه، فهم مكلفون أن يفعلوا ما يُؤمرون سواء عرفوا لماذا أمروا أو لم يعرفوا، ولكن القرآن يخاطب من أنزل عليه بمثل قوله: ﴿ قُلُ هَذِهِ عَسَيلِي آدَعُوا إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ الرّبَعِينَ اللّه عَلَى بَصِيرة وَ أَنَا وَمَنِ الواضحة، وهذه عادة القرآن في الاستدلال على قدرة النه ووحدانيته وعلمه وحكمته بالآيات الكونية والأدلة النظرية والعقلية.

فالقرآن يُعلِّم أهله أن يطالبوا الناس بالحُجَّة فيها يدَّعون؛ لأنه أقامهم على سواء المحجة، وجدير بصاحب اليقين أن يطالب خصمه به ويدعوه إليه، وعلى هذا درج سلف هذه الأمة الصالح، قالوا بالدليل وطالبوا بالدليل، ونهوا عن الأخذ بشيء من غير دليل.

ثانيًا. الجنة متاحة لكل من يعمل لها:

يقول الله تعالى ردًّا عليهم أيضًا: ﴿ بَكَنَ مَنْ أَسَلَمَ وَجْهَهُ, لِللهِ وَهُوَ مُحْسِنُ فَلَهُ وَ أَجْرُهُ, عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ اللهِ مَا اللهِ مَا اللهِ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى الله على الله على عبدول شعب، وإنها هي مبذولة ليست خاصة بشعب دون شعب، وإنها هي مبذولة

لكل من يطلبها ويعمل لها عملها، وهو أن يسلم وجهه لله على وحده ويخصصه بالعبادة دون سواه، فهذا له الأجرحقًا، ولا يصيبه خوف ولا حزن.

"وبذلك يقرر القرآن قاعدة من قواعد التصور الإسلامي في ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمة ولا لطائفة ولا لفرد، إنها هو الإسلام والإحسان لا الاسم والعنوان فقط: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسَلَمَ وَجُهَهُ, لِلّهِ الاسم والعنوان فقط: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسَلَمَ وَجُهَهُ, لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجُرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، ومن قبل قرر هذه القاعدة في العقاب ردًا على قولهم: ﴿ لَن تَمَسَنا النّارُ إِلّا أَنَامًا مَعَدُودَةً ﴾ على قولهم: ﴿ لَن تَمَسَنا النّارُ إِلّا أَنَامًا مَعَدُودَةً ﴾ وألبقرة: ٨٠)، فقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِئَكُ وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيتَ نَهُ فَأُولَتِكَ أَصْحَنْ النّارِ المُهُمْ وَلَهُمَا خَلِدُونَ اللهِ (البقرة).

إنها قاعدة واحدة بطرفيها في العقوبة والمثوبة، طرفاها المتقابلان: ﴿ مَن كَسَبَ سَكِتْتُ أَو أَحَطَتْ بِهِ عَظِيتَ نَهُ أَسَلَمَ وَجَهَهُ. لِلَّهِ وَهُوَ خَطِيتَ نُهُ ﴾، وفي مقابله: ﴿ مَنْ أَسَلَمَ وَجَهَهُ. لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، فأخلص ذاته كلها لله ووجّه مشاعره كلها إليه وخلص لله، في مقابل خلوص الآخر للخطيئة.

لقد كانوا _ يهودًا ونصارى _ يطلقون تلك الدعوى العريضة، بينها يقول كل منهها عن الفريق الآخر: إنه ليس على شيء، وبينها كان المشركون يجابهون الفريقين بالقولة ذاتها: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْبَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءِ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِئنَبُ وَقَالَتِ ٱلْبَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِئنَبُ كَنَالِكَ قَالَ ٱلِذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَاللَهُ يُعَكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ كَذَلِكَ قَالَ ٱلّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَاللَهُ يُعَكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيدَ وَهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ يَغْتَلِفُونَ اللّهُ الللّهُ اللّ

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هم الأميون العرب الذين لم

يكن لهم كتاب؛ وكانوا يرون ما عليه اليهود والنصارى من الفرقة والتقاذف بالاتهام، ومن التمسك بخرافات وأساطير لا ترتفع كثيرًا عن خرافات العرب وأساطيرهم في الشرك ونسبة الأبناء أو البنات لله على فكانوا يزهدون في دين اليهود ودين النصارى ويقولون: إنهم ليسوا على شيء، والقرآن يسجل على الجميع ما يقوله بعضهم على بعض، وذلك عقب تفنيد دعوى اليهود والنصارى في ملكية الجنة، ثم يدع أمر الخلاف بينهم إلى الله: ﴿ فَاللّهُ يَعَكُمُ بَيّنَهُمْ يَوْمَ الْقِيكَمَ وَفِيكَا الله عنه وحدها المحدية في مواجهة قوم لا يستمدون أحكامهم من المحدية في مواجهة قوم لا يستمدون أحكامهم من العريضة في أنهم وحدهم أهل الجنة وأنهم وحدهم الله يعتمدون على دليل، بعد دَحْض دعواهم المهديون" (١٠)!

الخلاصة:

- كذّب الله اليهود والنصارى في دعواهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتهم وبيَّن أن هذا تقوُّل بلا علم أو برهان، وأنها أمنية لم يعملوا لها؛ لذا فهي أمنية لن يدركوها.
- أن الجنة ليست حكرًا على طائفة دون أخرى بل
 هي لكل من عمل صالحًا وأسلم وجهه لله وهو محسن.

أ. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص١٠٤.

المحور الثاني

التشكيك في القرآن الكريم

الشبهة الثامنة عشرة

استنكار إنزال القرآن مُنَجَّمًا وعدم إنزاله جُملةً واحدة (*) ®

مضمون الشبهة:

اعترض المشركون والكفار على طريقة نزول القرآن منجمًا (١) على النبي على وقالوا: لماذا لم ينزل الكتاب على محمد على جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة كالتوراة، والإنجيل، والزَّبور، وغيرها من الكتب الإلهية. قال على: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَا نُزِلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرَّءَانُ جُمُّلَةً وَنَهِدَةً ﴾ (الفرقان: ٣٢).

وجها إبطال الشبهة:

- ١) الكتب السابقة لم تنزل جملة واحدة.
- ٢) هناك أسباب لنزول القرآن الكريم منجمًا:
- تنزيل القرآن الكريم مُنجًا حسب الوقائع
 والأحداث ليكون أثبت لقلب النبي ﷺ وأدعى
 - (*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (الفرقان/ ٣٢).
- الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الفرقان/ ٣٢، ٣٣، الإسراء/ ١٦، ١٠١).
- ق "الحكمة من نزول القرآن الكريم مُنجَّا" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الخامسة عشرة، من الجزء الثامن (مقارنة الأديان).
- التَّنْجِيم: التَّفْرِيق، والمقصود أن القرآن نزل مُفَرَّقًا بحسب الوقائع التي كانت تحدث مع النبي ، وما يحتاج إليه من الأحكام.

إلى تقوية حفظه وفهمه.

- وكذلك ليكون أيسر على العامل به فلو أَخَـذَ
 المسلمون بجميع الفرائض مرة واحدة لنفروا.
- نزول القرآن مُنَجَّمًا فيه مطابقة لمقتضى الحال ومناسبة للمقام وبيان إعجازه.
- وكذلك تلقين النبي ﷺ الحجة كلما فتحوا له بابًا من الجدل.

التفصيل:

أولا. الكتب السابقة لم تنزل جملة واحدة:

هذه السبهة من معاذير المسركين وتعليلاتهم الفاسدة؛ إذ طعنوا في القرآن بأنه نزل مُنجًا وقالوا: لو كان من عند الله لنزّل كتابًا جملة واحدة، وهذا القول ظاهر في أنه عائد إلى المشركين، وهذه جهالة منهم بنسبة كتب الرسل، فإنها لم تنزل جملة واحدة، وإنها كانت وحبًا مُفرَّقًا، فالتوراة التي أنزلت على موسى المني في الألواح هي عشر كلمات بمقدار سورة الليل في القرآن، وما كان الإنجيل - قبل تحريفه - إلا أقوالًا ينطق بها عيسى المني في الملأ، وكذلك الزَّبور نول قطعًا كثيرة، فالمشركون نسوا ذلك أو جهلوا، فقالوا: هلًا نزل القرآن على محمد جملة واحدة فنعلم أنه رسول الله، وقيل: قائل هذا اليهود أو النصارى، فإن صح ذلك فهو بهتان منهم؛ لأنهم يعلمون أنه لم تنزل التوراة والإنجيل والزبور إلا مفرقة.. فإن تلك الكتب التوراة والإنجيل والزبور إلا مفرقة.. فإن تلك الكتب لم تنزل أسفارًا تامة قط(٢).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٩،
 ج٩١، ص١٩ بتصرف.

ثانيًا. علل تنزل القرآن الكريم منجمًا:

• تثبيت قلب النبي ﷺ:

لقد أجاب الله عن اعتراض الكفار وتعنت المشركين فيها لا يعنيهم بأن القرآن إنها نزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والأحداث وما يحتاج إليه من الأحكام؛ ليُثبِّت به أولًا قلب النبي على أي يقوي قلبه ليعيه ويتحمله؛ قال على: ﴿ كَنَالِكَ لِنُبُبِّتَ بِهِ وَقُوادَكَ ﴾ (الفرقان: ٣٢).

• تيسير العمل به:

ومن الحِكَم العظيمة التي ذكرها الله الله النزول القرآن مُفَرَّقًا أنَّ من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور معينة، ففرقناه ليكون أوعى للنبي الناسر على العامل به، ولذا رتلناه ترتيلًا؛ أي: شيئًا بعد شيء، والترتيل: الترسل والتثبت، فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة في القلب، قال

تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَهُ تَرْتِيلًا ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ قال: ﴿ وَقَرْءَانَا فَرَقَّنَهُ لِلَقْرَآهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكُثِ وَنَزَّلْنَهُ نَنزِيلًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

والمعنى: أنزلناه مُنجَّمًا مُفَرَّقًا لما في ذلك من المصلحة، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا وكذلك كان نزوله على حسب الدواعي والحوادث وجوابات السائلين ليكونوا أوعى لما ينزل فيهم؛ لأنهم بحاجة إلى علمه فيكثر العمل بها فيه وذلك عما يثبت فؤاد النبي ويشرح صدره.

• مطابقة مقتضى الحال:

ومن المصلحة أيضًا أنه لو لم ينزل منجمًا على حسب الحوادث لما ظهر في كثير من آياته مطابقتها لمقتضى الحال ومناسبتها للمقام، وهذا من تمام إعجازها، كما أن تنزيله وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كلّه جملة واحدة، قال الله وَنَزَلَنْهُ نَزِيلاً هُو أَيُ الله منجمًا، حسن التأليف، بيّن الدلالة، منسقًا في أنزلناه منجمًا، حسن التأليف، بيّن الدلالة، منسقًا في ألفاظه ومعانيه غير متراكم، فهو مفرّق في الزمان فإذا أنزلت جملة واحدة، ومفرّق في الزمان فإذا أنزلت جملة واحدة، ومفرّق في التأليف بأنه مفصل عند الله؛ لأن شأن كلام الناس إذا فُرّق تأليفه على أزمنة متباعدة أن يعتوره التفكيك وعدم تشابه الجمل(۱).

تلقين النبي الحجة:

ومن علل نزول القرآن مفرَّقًا أنه يثبِّت الرسول ﷺ

١. المرجع السابق، ص٢٠ بتصرف.

ويطمئنه ويمده بالحجة البالغة كلما فتحوا له بابًا من الجدل، وكلما اقترحوا عليه اقتراحًا، أو اعترضوا عليه اعتراضًا: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِنْنَكَ بِأَلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَغْسِيرًا ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثْلٍ إِلَّا جِنْنَكَ بِأَلْحَقّ وَأَحْسَنَ تَغْسِيرًا ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثْلٍ إِلَّا جِنْنَكَ بِأَلْحَقّ وَأَحْسَنَ تَغْسِيرًا ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثْلٍ إِلَّا جِنْنَكَ مِأْلُونَانَ ﴾ (الفرقان).

وإنهم ليجادلون بالباطل، والله يرد عليهم باطلهم بالحق الذي يدفعه، والحق هو الغاية التي يريد القرآن تقريرها، وليس مجرد الانتصار في الجدل، ولا الغلبة في المحاجة إنها هو الحق القوي بنفسه، الواضح الذي لا يلتبس به الباطل. والله الله يعد رسوله الحق، والله يمده كل جدل يقوم بينه وبين قومه فهو على الحق، والله يمده بالحق الذي لا يعفي على الباطل، فأنى يقف جدلهم لحجة الله البالغة؟ وأنى يقف باطلهم للحق الدامغ الذي يتنزل من عند الله (1).

قال ﷺ: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (الإسراء: ١٠٥)، وقال ﷺ: ﴿ وَنُنْزَلُ مِنَ ٱلْقُرْمَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةُ لِلْمُؤْمِنِينِ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿ الْاسراء).

وذلك من حكم نزوله منجهًا أنه ينزل بالدواء للمؤمنين كلما حزبهم أمر من الشهوات أو الشبهات، ويزداد الظالمون بذلك ضلالًا وخسرانًا.

الخلاصة:

- نزل القرآن منجًا ليكون أيسر على العامل به
 وأثبت لقلب النبي ﷺ.
- ماذا لو أخذ المسلمون بجميع الفرائض مرة واحدة؟! أفلا يكون النفور وعدم الاستطاعة هو الغالب في تنفيذهم للفرائض؟

- المتلقن يقوي حفظه وفهمه إذا تلقى الشيء مرة بعد مرة، وهذا ما كان يفعله النبي شي مع صحابته.
- نزول القرآن منجًا فيه مطابقة لمقتضى حال
 المؤمنين، ومناسبة لمقام التشريع.

AGE.

الشبهة التاسعة عشرة

دعوى اختلاف القرآن في أحكامه وتناقض معانيه ^(*)

مضمون الشبهة:

يرمي المشركون والمنافقون القرآن بالتناقض واختلاف أحكامه وتضارب معانيه، وتكذيب بعضه بعضًا.

وجها إبطال الشبهة:

- دعوتهم إلى تـدبر القـرآن والنظـر فيـه وتفهـم
 معانيه وأحكامه، فإنه لو كان من عند غير الله لكان فيـه
 اختلاف وتضاد كثير.
- ۲) القرآن لا اختلاف فيه ولا اضطراب وقد سلم
 من كل ذلك، وما جهله الناس من القرآن هو من
 قصور عقلهم.

التفصيل:

أولا. مَن تدبَّر القرآن عَلِم أنه من عند الله ﷺ:

يدعو القرآن هؤلاء المنافقين والمشركين أن يتـدبروا

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٢٥٦٣.

^(*) الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (النساء/ ٨٢، الكهف/ ١، فصلت/ ٤٢، البقرة/ ٢، الطارق/ ١٤،١٣، الزمر/ ٣).

كتاب الله على التعلموا حجة الله عليهم في طاعة النبي الله واتباع أمره، وأن الذي أتاهم به من التنزيل هو من عند ربهم لاتساق معانيه، وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض، ولكان فيه اختلاف كثير.

وكل متدبِّر في القرآن بحق يعلم أنه من عنـد الله، ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا؛ لعـدم استطاعته أن يأتي بمثله في تصوير الحق بصورته كما هي لا يختلف ولا يتفاوت في شيء منها، لا في حكايتـه عـن الماضي الذي لم يشهده محمد ري ولا في إخباره عن الآتي في مسائل كثيرة وقعت كما أنبأ بهما، ولا في بيانــه لخفايا الحاضر حتى حديث النفس ومُخبَّآت النضائر، ولعدم استطاعة محمد ﷺ ولا غيره أن يأتي بمثله في بيان أصول العقائد وقواعد التشريع، وفلسفة الآداب والأخلاق، وسياسة الشعوب والأقوام، وفنون القول، وألوان العبر في أنواع المخلوقات، وسنن الاجتماع ونواميس العمران، وضرب الأمثال، وتكرار القصة الواحدة بالعبارات البليغة، وفوق ذلك كله ما فيـه مـن العلم الإلهي والخبر عن عالم الغيب والدار الآخرة، وما فيها من الحساب على الأعمال والجزاء الوفاق، وكون ذلك موافقًا لفطرة الإنسان، فالالتئام بين آياته الكثيرة

هو غاية الغايات عند من أوتي الحكمة وفصل الخطاب. وهكذا تَدبُّر القرآن وتأمُّل ما فيه يهدي صاحبه إلى كونه من عند الله ﷺ ، وإلى وجوه الاهتداء بهداه (١١).

ثانيًا. جهل من زعم أن القرآن من عند غير الله:

أما ما جهله الناس من أمر القرآن فهو من تقصير عقولهم وجهالتهم، فإن محكم القرآن حق، و مُتشابهه حق، ولا يضرب بعضه ببعض، فها جهله الناس من أمر القرآن وجب ردُّه إلى العَالِم به، ولهذا مدح الله الراسخين في العلم الذين قالوا: ﴿ كُلُّ مِّنْ عِندِ رَيِّنَا ﴾ (آل عمران: ٧)، أي: محكمه ومتشابهه حق؛ فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، وذم الله الزائغين عن الحق الذين اتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة حيث ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا.

ومن ردِّ القرآن على هذه الدعوى أيضًا قوله ﷺ في آية أخرى: ﴿ القرآن على هذه الدعوى أيضًا قوله ﷺ (الزمر: ٢٣)، فالقرآن أحسن الحديث، ولا كتاب أحسن منه، ولا يمكن لأحسن الحديث أن يكون فيه تناقض أو إشكال أو اضطراب.

ومعنى المتشابه هنا يراد به أن القرآن متهاثل في النظم والبلاغة والهدف الذي يدعو إليه فلا تجد في أسلوبه اختلافًا ولا في معانيه مناقضة، فهو يشبه بعضه بعضًا في غاية الحسن والحكمة، ويصدق بعضه بعضًا، في غاية الفصاحة والبلاغة والجزالة.

وأيضًا فقد نفى الله ﷺ عن كتابه جميع أنـواع الريبـة

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٥، ص١٣٧، ١٣٨ بتصرف. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٩٠ بتصرف.

والشك فقال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيْبُ فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢)، وقد استفتح بهذه الكلمة كتابه معلنا فيها التحدي لكل من يقرأ أن يجد فيه خطأ أو ريبًا أو شكًّا، على خلاف عادة البشر الذين يستفتحون كتبهم بالاعتذار عن الأخطاء، وإظهار العجز، فالمرجوُّ تقبل الحق الذي فيــه والتهاس العذر لأخطائه، أما القـرآن فـلا زيـغ فيــه ولا اختلال في نظمه ولا تنافي في معانيه، قال عَلَّهُ: ﴿ ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِينَ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِئنَبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوْجَا ۞ ﴾ (الكهف)، وهكذا ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين ﴿ لَا يَأْنِيهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَامِنْ خَلْفِةٍ ۗ تَنزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ١٠٠٠ ﴾ (نصلت)، فهو كتاب عظيم فَصْل، قال ﷺ: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصَّلُّ ﴿ وَمَا هُوَ بِأَلْمَزُل اللَّهُ ﴾ (الطارق) .

الخلاصة:

- القرآن وحي من الله ١١٠٠ ولذا سلم من الاضطراب والاختلاف، إذ لو كان من عنـد غـير الله لكان فيه كثير من الاختلاف والتعارض.
- ما توهمه الجاهلون من تناقض القرآن في أحكامه وتضارب معانيه مردوده إلى قبصور عقولهم، وعدم تدبر وفهم معانيه وأحكامه.
- القرآن الكريم تدل تفاصيل آياته على مقاصده؛ فلو تأمَّل هؤلاء المغرضون وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنتهم الناتجة عن كفرهم.

١. للمزيد انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج۱، ج۱، ص۲۲۳: ۲۲۸.

الشبهة العشرون

دعوى أن القرآن سحرٌ مبين أتى به محمدﷺ ^(*)

مضمون الشبهة:

ادَّعي المشركون أن ما جاء به محمد ﷺ من القرآن ما هو إلا سحر مبين ينقلـه محمـد ﷺ عـن غـيره ويحكيـه عنهم. قال على الله عَلَيْهِمْ مَايَئُنَا بَيِّنَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَلَاَ سِخْرٌ مُّبِينٌ ۞ ﴾ (الأحناف)، وقال ﷺ: ﴿ قَالَ ٱلْكَفِهُ وَنَ إِنَّ هَنذَالْسَاحِرُ مُبِينُ ١٠٠ (يونس). ويرمون من وراء ذلك إلى الطعن في القرآن.

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) تخبُّط المشركين في أمر القرآن ومحمد ﷺ يدل على كذبهم.
 - ٢) حقيقة السحر وبطلان كون القرآن منه.
- ٣) لو كان القرآن سحرًا لتعلموا صناعة السحر وأتوا بمثله، ولكنهم عجزوا عن تحديه لهم أن يأتوا بمثل أقصر سوره.
- ٤) لا دليل للمشركين ولا حجة تؤيد دعواهم فهي باطلة.
- ه) دعا القرآن المشركين إلى التجرد في الحكم واستخدام المنهج الصحيح في البحث.
- ٦) أنذر القرآن الكريم المشركين عاقبة تكذيبهم وافترائهم في الآخرة.

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (الصافات/ ١٥، المدثر/ ٢٤، سبأ/ ٤٣، الأحقاف/ ٧).

الآيات التي ورد فيها الرد على السبهة: (الإسراء/ ٨٨، هـود/ ۱۳، يونس/ ۳۸).

التفصيل:

أولا. تخبط المشركين:

يرمي المشركون القرآن بالسحر تارة، ويرمون عمدًا على تارة أخرى بالسحر، قال على وَإِذَا لُتُلَى عَمَدًا عَلَيْهِم اَيَنُنَا بَيْنَتِ قَالَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِ لَمَّا جَآءَهُم هَذَا عَلَيْهِم اَيَنُنَا بَيْنَتِ قَالَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِ لَمَّا جَآءَهُم هَذَا سِحَرٌ مُبِينً ﴿ وَقَالَ اللَّهِ : ﴿ قَالَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُو

ولذلك فإن آية يونس السابقة قرأها ابن عامر، وأبو عمرو، ونافع، ويعقوب، وأبو جعفر "كسِحر"، وقرأ الباقون ﴿ لَسَحِرٌ ﴾، يقصدون بالسحر القرآن، ويقصدون بالساحر رسول الله ، وكلا القولين قد قالوا، وكلا القولين يشير إلى إثبات رسالته .

فقد قالوا: ﴿ سِحْرُّمُ بِينَ ﴾ لأن ما ينطق به معجز، وأولى لهم ـ لو كان يتدبرون ـ أن يقولوا: نبي يوحى إليه؛ لأن ما ينطق به معجز، فالسحر لا يتضمن من الحقائق الكونية الكبرى ومن منهج الحياة والحركة، ومن التوجيه والتشريع ما يقوم به مجتمع راقٍ، وما يرتكز عليه نظام متفرد.

ولقد كان الوحي عندهم يختلط بالسحر؛ لاختلاط الدين بالسحر في الوثنيات كلها(١).

ثانيًا. حقيقة السحر تختلف عن القرآن:

إن قولهم: القرآن سحر جاء به ساحر، يتضمن اعترافهم بأنها فوق المعهود والمعلوم للبشر في عالم

الأسباب المقدورة لهم، وسمّوه سحرًا؛ لأنه خارق للعادة بقوة تأثيره في القلوب وجذبه النفوس إلى الإيمان، وحملها على احتقار الحياة، ولذَّاتها في سبيل الله، حتى إنه ليفرق بين المرء وأخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه، وفصيلته التي تؤويه وتمنعه وتحميه، وإنها السحر ما كان بأسباب خفية خاصة ببعض الناس يتعلمها بعضهم من بعض، وهي إما حِيَل وشعوذة، وإما خواص طبيعية علمية مجهولة للجماهير، وإما تأثير قُوى النفس وتوجيه الإرادة، وكلها من الأمور المشتركة بين كثيرين من العارفين بها.

ثالثًا. عجز المشركين أمام تحدي القرآن:

لقد استبان للعرب والعجم أن القرآن ليس بسحر يُوْثَر بالتعليم والصناعة، بل هو مجموعة علوم عالية في العقائد والآداب والتشريع والاجتهاع، مرقية للعقول، مزكية للنفوس، مصلحة للناس، وأنه معجز للبشر في أسلوبه ونظمه ومعانيه وهدايته وتشريعه وإخباره بالغيب، وأن محمدًا على مبلّغ له، ولم يكن ليقدر على شيء منه، وقد عجز عنه غيره، فقد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مفتريات أو بسورة منه فعجزوا، قال على: ﴿ قُل لَيْنِ اَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُ عَلَى لَهُ الْعَرْبُ اللهُ العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مفتريات أو بسورة منه أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مفتريات أو بسورة منه أن يأتوا بمثل هاذا القرعان لايأتون بيشله، وقول كان بعضهم المتعفوض ظهيرا الله إن كناتم صنور قِقْله، مُفترينت وادعوا من الستطعثم من دُونِ الله إن كنتم صندين الله إن كنتم الل

ولو كان القرآن سحرًا كما زعم هؤلاء لتعلموا صناعة السحر وأتوا بمثله أو ببعض سور منه، لكنهم عجزوا عن التحدي، فثبت أن محمدًا الشينبي الله ورسوله، وأن ما جاء به وحى من الله كالله.

رابعًا. دعوى المشركين بلا دليل:

ومن رد القرآن عليهم أن بيّن لهم أنهم يفترون كذبًا وزورًا بغير علم أو دليل يستندون إليه في دعواهم: أن القرآن سحر مبين، إنها هي دعوى كاذبة حاولوا أن يعللوا بها وقع القرآن القاهر في القلوب كغيرها من الاتهامات الباطلة التي ظنوا أنهم يستطيعون أن يواجهوا بها الآيات البينات؛ كي يحولوا بينها وبين القلوب ولا دليل لهم على دعواهم، ولكنها من جملة الأكاذيب لتضليل العامة من الجهاهير، أما الذين كانوا يقولون هذا القول وهم من السادة فقد كانوا على يقين أنه قرآن فوق مقدور البشر وفوق طاقة المتكلمين.. ولقد حدَّث بذلك بعض هؤلاء الكبراء بعضًا في أمر محمد وأمر القرآن ثم دبَّروا بينهم تلك المكيدة؛ ليصدوا بها الجهاهير عن القرآن الذي يغلب القلوب ويأسر النفوس!

وقد كشف القرآن أمرهم، وهو يقرر أنهم أميون لم يؤتوا من قبل كتابًا يقيسون به الكتب ويعرفون به الوحي؛ فيفتوا بأن ما جاءهم اليوم ليس كتابًا وليس وحيًا، وليس من عند الله، ولم يرسل إليهم من قبل رسولاً، فهم يهرفون إذن بها لا علم لهم به ويدعون ما ليس يعلمون: ﴿ وَمَا ءَانَيْنَهُم مِن كُتُبِ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إليهم من نَبير سُ ﴾ (سبا).

خامسًا. المنهج الحق في البحث عن الحقائق هو الذي دعاهم إليه القرآن الكريم:

إنها دعوة إلى القيام لله بعيدًا عن الهوى، بعيدًا عن المصلحة، بعيدًا عن المصلحة، بعيدًا عن المواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، فتبعد به عن الله، بعيدًا عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في البيئة،

دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لامع القضايا والدعاوى الرائجة، ولا مع العبارات المطاطة، التي تبعد القلب والعقل عن مواجهة الحقيقة في بساطتها.

دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيدًا عن الضجيج والخلط واللبس، والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة.

وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة، منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات وعلى مراقبة الله وتقواه.

وهي "واحدة" إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق، القيام لله.. لا لغرض ولا لهـوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة.. التجرد.. الخلوص.. ثـم التفكر والتدبر

بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون.

﴿ أَن تَقُومُواْ بِللَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَدَىٰ ﴾.. مثنى ليراجع أحدهما الآخر.. ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجهاهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء.. وفرادى مع النفس وجها لوجه في تمحيص هادئ عميق.

﴿ ثُمَّ لَنَفَكَ رُواً مَا بِصَاحِبِكُومِن جِنَّةٍ ﴾.. في عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة، وما يقول شيئًا يدعو إلى التظنن بعقله ورشده إن هو إلا القول المحكم (١) القوي المبين.

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمُ بَيْنَ يَدَى عَذَابِ شَدِيدٍ ﴾ كالهاتف المحذر من حريق في دار يوشك أن يلتهم من لا يفر من الحريق وهو تصوير - فوق أنه صادق - بارع موح مثير.

وبعد أن دعاهم إلى التفكير الهادئ البريء.. ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِن جِنَةٍ ﴾ يدعوهم إلى أن يفكروا ما مصلحته؟ وما بواعثه؟ ماذا يعود عليه؟ ويأمره أن يلمس منطقهم ويوقظ وجدانهم إلى هذه الحقيقة في صورة موحية: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُولَكُمْ آيِنَ أَجْرِي

هو يعلم ويرى ولا يخفى عليه شيء، وهو على كل شيء شهيد، فيها أفعل وفيها أنوي وفيها أقول... ﴿ قُلَٰ إِنَّ رَقِي يَقْذِفُ بِالْحَيِّ عَلَّمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿ اللَّهِ ﴾ (سا).

به الله ﴿ عَلَّمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ ، فهو يقذف به عن علم ويوجهه على علم ولا يخفى عليه هدف ولا تغيب عنه غاية ولا يقف للحق الذي يقذف به الله معترض.. ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُ وَمَا يُبَدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿ اللهِ عَلَى الله ع

وهذا الذي جئتكم به هو الحق القوي الذي يقـذف

فمنذ جاء القرآن استقر منهج الحق واتضح ولم يعد الباطل إلا مماحكة أمام الحق الواضح الحاسم الجازم: ﴿ قُلْ إِن صَلَلْتُ فَإِنَّا أَضِلُ عَلَى نَفْسِقٌ وَإِنِ آهْتَدَيْتُ فَإِ مَا يُوحِي اللَّهِ وَإِن آهْتَدَيْتُ فَإِ مَا يُوحِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ ال

فلا عليكم إذن إن ضللت، فإنها أضلُّ على نفسي، وإن كنتُ مهتديًا فإن الله هو الذي هداني بوحيه، لا أملك لنفسي شيئًا إلا بإذن الله، وأنا تحت مشيئته أسير فضله. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾(٢).

سادسًا. عاقبة الكذبين المفترين:

ولقد كان النكير مهلكًا، وكانت قريش تعرف مصارع بعضهم في الجزيرة، فهذا التذكير يكفي وهذا

١. المُحْكَم: ما لا يحتاج سامعه إلى تأويله لبيانه، أو ما أمكن معرفة المراد بظاهره، أو بدلالة تكشف عنه.

ني ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٢٩١٣:
 ٢٩١٧ بتصرف.

السؤال التهكمي ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ سؤال يلمس قلوب المخاطبين وهم يعرفون كيف كان هذا النكير.

وفي ختام الرد على تكذيب هؤلاء الظالمين للنبي القرآن ورميه بأنه ساحر وأن ما جاء به سحر يعقب القرآن الكريم بمشهد من مشاهد يوم القيامة حيث لا ينفعهم تكذيبهم وافتراؤهم على القرآن الكريم والرسول الخاتم، بل سيكون ذلك حسرة وندامة عليهم يوم لا ينفع الندم وكان بإمكانهم الإيهان في الحياة الدنيا وكانت الفرصة متاحة لهم لكنهم كذبوا وقالوا: سحر وساحر... ﴿ وَلَوْ تَرَى الْهُ أَوْ الْهُ فَوْتَ وَأَخِدُوا مِن قَدْلُ وَيَقْذِفُونَ مِن مَكَانِ قَرِيبٍ (اللهُ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ وَن قَدْلُ وَيقْذِفُونَ مَكَانِ بَعِيدِ (اللهُ وَقدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَدْلُ وَيقْذِفُونَ مَا يَشْتَهُونَ مَا يَشْتَهُونَ كَانُوا فِي شَكِي بِعِيدِ (اللهُ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَيَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ لَي اللهُ ال

فلا يستطيعون الإفلات ولا إفلات ﴿ وَأُخِذُواْ مِن مَكَانِ قَرِيبٍ ﴾.. ﴿ وَقَالُواْ ءَامَنَا بِهِ عَلَى الآن بعد فوات الآوان.. ﴿ وَأَنَّى لَمُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانِ بَعِيدٍ ﴾، وكيف يتناولون الإيهان من مكانهم هذا. ومكان الإيهان بعيد عنهم، فقد كان ذلك في الدنيا فضيعوه، وقد كفروا به من قبل، وقالوا سحر وساحر وإفك مفترى وأساطير الأولين.. فانتهى الأمر ولم يعد لهم أن يجاولوه اليوم.... ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من الإيهان في غير موعده.. ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكِ مُرِيبٍ ﴾، فها هو ذا اليقين موعده.. ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكِ مُرِيبٍ ﴾، فها هو ذا اليقين بعد الشك المريب (۱).

الخلاصة:

- السحر هو صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره وهو إما حيل وشعوذة، وإما خواص طبيعية علمية
 مجهولة للجهاهير، وإما التأثير على قوى النفس وتوجيه
 الإرادة، وكلها أمور مكتسبة يتعلمها الراغب في ذلك.
- القرآن الكريم مجموعة من العلوم والمعارف في العقائد والآداب والتشريع والاجتماع، مرقية للعقول، مزكية للنفوس، مصلحة للناس، وليس حيل وشعوذة.
- إذا كان القرآن سحرًا -كها زعم هؤلاء لتعلّم هؤلاء صناعة السحر وأتوا بمثل القرآن أو ببعض سور منه أو حتى سورة منه، لكنهم عجزوا، فثبت أن ما جاء به محمد وحي من السهاء، وأنه نبي من عند الله.
- القرآن وحي من عند الله معجز في أسلوبه ونظمه ومعانيه وهدايته وتشريعه وإخباره بالغيب ومن ثم فلا حجة لمن يدَّعي أنه من عند محمد الله أو أنه تعلمه من أحد البشر.

AGE:

الشبهة الحادية والعشرون

دعوى أن القرآن أساطير الأولين وقصص السابقين (*)

مضمون الشبهة:

يزعم المشركون أن القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ما

١. المرجع السابق، ص٢٩١٦ بتصرف.

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (القلم/ ١٥، الأحقاف/ ١١، ١٧، النحل/ ٢٤، الفرقان/ ٥، الأنفال/ ٣١، المؤمنون/ ٨٣، الأنعام/ ٢٥).

الآيتان اللتان ورد فيهما الردعلى الشبهة: (الفرقان/ ٦، الأحقاف/ ١٢).

هو إلا أساطير الأولين، ومن قصص السابقين الأوائل، استنسخها محمد و أخره. استنسخها محمد و أسنطير ألأولين أكثر أكثر أكثر أكثر أكثر أكثر الفرنان).

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) هذا الادِّعاء مَنْشَؤُه الكفر والعناد.
- ٢) التذكير بنظير القرآن من الكتب السابقة.
- ٣) شهادة الشهود من بني إسرائيل والكتب السابقة بصحة القرآن وصدقه.
- لأنه من عند الله على .
- كِبْر المشركين وجدالهم بغير علم في آيات الله ﷺ يمنعهم من اتباع الحق.

التفصيل:

أولا. عناد المشركين وكفرهم هو مصدر مثل هذا الادّعاء:

يرمي المشركون والكفار القرآن بأنه أساطير اقتبسها محمد به فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس، وهو كذب صُراح وافتراء محض وادعاء بحت، وقد تكررت منهم هذه المقالة في كثير من آيات القرآن، فهم يقولون: ﴿ وَقَالُوا الْسَطِيرُ الْأَوَلِينِ اَحْتَنَبَهَا فَهِي تُعُلَى عَلَيْهِ بُورَقَالُوا الْسَطِيرُ الْأَوَلِينِ اَحْتَنَبَهَا فَهِي تُعُلَى عَلَيْهِ بُحُرَةً وَأَصِيلًا ﴿ وَقَالُوا الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَقَالُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَقَالُ اللّهُ عَلَيْهُ وَقَالُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَقَالُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ وَالله عَلَيْهُ وَالله عَلَيْهُ وَالله عَلَيْهُ وَالله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلْهُ الله عَلَيْهُ الله الله عَلَيْهُ الله المُعَلِّمُ الله عَلَيْهُ الله الله الله عَلَيْهُ الله الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله الله عَلَيْهُ الله الله عَلْهُ الله عَلَيْهُ الله الله عَلَيْهُ الله الله عَلَيْهُ الله الله عَلَيْهُ الله الله عَلْهُ الله عَلْهُ الله عَلْمُ الله عَلَيْهُ الله الله عَلْهُ الله عَلْهُ الله عَلْهُ الله الله عَلْهُ الله عَلْهُ ا

وهذا من الغرور الواضح والجهل الناتج عن حقدهم على الإسلام والمسلمين.

ثانيًا. تصديق القرآن للكتب السابقة:

ثَالثًا. شهادة الشهود:

ومن ردود القرآن الكريم عليهم أيضًا ما أثبته من شهادة الكتب السابقة، وشهادة الشهود من بني إسرائيل بصدقه وصحته، قال الله وَشَهِدَ شَاهِدُ مِن بَنِي إِسْرَةِ مِلَ عَلَى مِثْلِهِ فَامَن وَاسْتَكْرَبُمُ إِنَّ الله لا يَهْدِى الفَوْمَ الظَّلِمِينَ الله الاحقاف).

فأهل الكتاب يؤمنون بوقوع الرسالات ونزول الكتب على الرسل، وكان اليهود يخبرون المشركين ببعض الأخبار عن رسالة موسى الليلا وكتابه، وفي هذا إبطال لمزاعم المشركين بالتأكيد على أن الوحي سُنَّة إلهية سابقة معلومة أشهره كتاب موسى، وهو التوراة، وقد بلغتهم نبوءتها من اليهود؛ لذا قال الله ومن قبَلِهِ.

رابعًا. القرآن تنزيل من الله تعالى الذي يعلم السر في السماوات والأرض:

إن القرآن نفسه يخالف ظاهره ما يرمونه به، فالقرآن ليس فيه شيء من الإفك، ولا يستطيع أحد منهم أن يأي بكلام عربي مبين بليغ ومرتق إلى حد الإعجاز، ولذا لقن الله رسوله الجواب لرد بهتان المفترين بأن الله أنزل القرآن على رسوله؛ لأنه يعلم كل سر في كل مكان، قال الله أنزلك ألك ألي يعتلم السر في كل مكان، قال الله أنزلك وفي ذلك إيقاظ لهم بأن يتدبروا في هذا الذي زعموه إفكا أو أساطير الأولين؛ ليظهر لهم اشتهاله على الحقائق الناصعة التي لا يحيط بها إلا الله الذي يعلم السر في السموات والأرض، فيوقنوا أن القرآن لا يكون إلا من إنزاله، وليعلموا براءة الرسول المسول من يعينونه.

خامسًا. كبر المشركين وجدالهم بغير علم يمنعهم عن اتباع الحق:

إن الإنسان ليجادل في آيات الله ويكابر، وهي ظاهرة ناطقة معبرة للفطرة بلسان الفطرة، وهو يزعم لنفسه وللناس أنه إنها ينافس لأنه لم يقتنع، ويجادل لأنه غير مستيقن، والله العليم بعباده، السميع البصير المطلع على السرائر يقرر أنه الكبر، والكبر وحده هو الذي يحيك في الصدر وهو الذي يدعو صاحبه إلى الجدال فيها لا جدال فيه، وإلى الكبر والتطاول إلى ما هو أكبر من حقيقته، ومحاولة أخذ مكان ليس له، ولا تؤهله له حقيقته، وليست له حجة يجادل بها، ولا برهان يصدع به، إنها هو ذلك الكبر وحده (1).

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٣٠٨٩.
 ٢. المرجع السابق، ج٤، ص٢٢٧٦.

قال عَلَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَاذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلِ وَلَهِن حِنْتَهُم بِثَايَةٍ لَيَقُولَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَا مُبْطِلُونَ اللهُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَذَلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ اللهِ الروم).

فالقرآن فيه من كل مثل، وفيه من كل نمط من أنهاط الخطاب، وفيه من كل وسيلة لإيقاظ القلوب والعقول، وفيه من شتى اللمسات الموحية العميقة التأثير وهو يخاطب كل قلب وكل عقل في كل بيئة وكل محيط، وهو يخاطب النفس البشرية في كل حالاتها وفي كل طور من أطوارها، ولكنهم بعد ذلك كله يكذبون بكل آية، ولا يكتفون بالتكذيب، بل يتطاولون؛ لذلك يعقب على هذا الكفر والتطاول بقوله: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ ٱللّهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الرّوم) (الروم) (۱).

الخلاصة:

- هذه المقالة ناشئة عن كفر الكافرين وعنادهم
 واستكبارهم عن الحق. بلا برهان ولا دليل يؤيدها.
- القرآن مصدق للكتب السابقة فهو مثلها
 ومؤكد لها ومهيمن عليها.
- شهادة الشهود من بني إسرائيل ببشاراته ﷺ في الكتب السابقة تدل على أنه من عند الله ﷺ.
- كيف يكون القرآن إفكًا وأساطير وقد أنزله
 الذي يعلم السر في السهاوات والأرض، فمن تدبره
 حقًا لا يجدبدًا من الاعتراف بأنه من عند الله كان؟

AND BUK

الشبهة الثانية والعشرون

دعوى أن ما جاء به محمدﷺ ما هوإلا شعر وأضفاث أحلام وما هوإلا شاعر أو كاهن (*)

مضمون الشبهة :

ادعى المشركون أن ما جاء به النبي رسم الله و إلا شعر وأضغاث أحلام أو كهانة، وأن الشياطين تنزلت بهذا القرآن الذي جاء به محمد رسم قال الله المران الذي بكل أفترك بكل هُوَ شَاعِرٌ ﴾ (الانبياء: ٥).

وجوه إبطال الشبهة:

- ا حيرة المشركين وتخبطهم في أمر القرآن دليل
 على جهلهم وضلالهم.
 - ٧) القرآن كلام الله، أوحاه إلى رسوله ﷺ.
- ٣) لو تقول محمد ﷺ القرآن على الله ﷺ لعاجله بالعقوبة.
 - الشياطين لا تستطيع النزول بالقرآن.

التفصيل:

أولا. ضلال المشركين وجهلهم:

هذه المقولة تدل على تعنّت المشركين وإلحادهم وتناقضهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن، وحيرتهم فيه وضلالهم عنه، فتارة يجعلونه سحرًا، كما قال الله وَلَوْ نَزَلْنَا عَلَيْكَ كِنَبًا فِي قِرْطَاسِ فَلْمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ

١. المرجع السابق، ج٥، ص٢٧٧٨.

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (الأنبياء/ ٥، الـصافات/ ٣٦، الحاقة/ ٢٠،٤١، الطور/ ٣٠).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الـنجم/ ٢: ٤، الحاقـة. ٤١: ٤٧، الشعراء/ ٢١٠: ٢١٢، الفرقــان/ ٩، التكــوير/ ١٩: ٢١، ٢٥، الإسراء/ ٤٨).

كَفَرُواْ إِنْ هَلَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿ ﴾ (الانعام)، وقال ﷺ: ﴿ وَقَالُواْ إِنْ هَلَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينُ ﴿ ﴾ (السافات)، وقال اللَّهِ وَقَالُوا إِنْ هَلَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينُ ﴿ فَا اللَّهِ عَلَيْهِمْ ءَايننُنا بَيْنَتِ قَالَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِ لَمُ الطَّاجَاءَهُمْ هَلَا سِحْرٌ مُبِينُ ﴿ ﴾ (الاحقاف) وكذلك قول معالى: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَلَا إِنْ هَلَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتُرُ ﴾ (الاحقاف) وكذلك قول تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَلَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتُرُ ﴾ (الديم).

وتارة يجعلونه شعرًا، كما قال ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ لَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ لَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ لَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ لَمْ الطور)، وقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا الصَّغَاتُ اَحْلَمِ بَلِ اَفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ (الانبياء: ٥)، وقال أيضًا: ﴿ وَيَقُولُونَ أَبِنَا لَتَارِكُوا عَالِهَتِنَا لِشَاعِي تَجْنُونِ إِنَ ﴾ (الصافات).

وتارة يجعلون أضغاث أحلام كما في آية سورة الأنبياء السابقة.

وهكذا يتخبطون في وصف القرآن مما يدل على ضلالهم وافترائهم فيضربون له الأمثال ولا يستطيعون سبيلًا؛ ولذا قال على الرد عليهم مبينًا جهلهم وتخبطهم وضلالهم: ﴿ انظر كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (الإسراء).

ثانيًا. القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله ﷺ:

من ردِّ القرآن عليهم أن بيَّن أن هذا القرآن هو تنزيل رب العالمين، يبلِّغه رسول كريم، وليس بقول شيطان رجيم ولا شاعر ولا كاهن كها يـدعون، وإنها هـو مـن وحي الله وكلامه، يبلغه جبريل المي المنه النبي على

الذي يبلغ عن الله ﷺ: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا نُؤْمِنُونَ ﴿ لَا بِقَوْلِ كَاهِنِّ قَلِيلًا مَا نَذَكَرُونَ ﴿ لَا بَعْزِيلٌ مِن رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ لَا لِهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الل

ثَالثًا. لو تقوَّل النبي ﷺ القرآن على الله ﷺ لعاجله بالعقوبة:

يقول الله عَلَى بعد الآيات السابقة: ﴿ وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْمَائِدِينِ ﴿ فَا لَمُ الْمَائِدُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الْمَائِدِينِ ﴿ فَا اَلْمَانَا مِنْهُ الْمَوْتِينَ اللهُ اللهُلِمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

والمعنى: لو تقوّل علينا محمد الله كما يزعمون مفتريًا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا _ وليس كذلك _ لعاجلناه بالعقوبة، وما يقْدِر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك، فعدم إهلاكه الله على أنه لم يتقوّل على الله شيئًا، وبهذا يتبين أنه لو افتراه على الله وتقوّله عليه لما أقرّه على ذلك، فدل على أنه صادق بارٌّ راشد؛ لأن الله على مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلائل القاطعات، فها أتى به محمد ليس شعرًا ولا سحرًا، ولا كهانة ولا أضغاث أحلام، وإنها هو تنزيل من رب العالمين.

رابعًا. الشياطين لا تستطيع النزول بالقرآن:

وأما فِرْيتهم التي زعموا من أن الشياطين قد تنزَّلت بهذا القرآن الذي جاء به محمد الله في أوهاها من فرية، وما أسخفه من افتراء، وقد ذكر الله أنه يمتنع على الشياطين ذلك من عدة وجوه:

 أنه ما ينبغي لهم، أي: ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد،

﴿ لَوَ أَنزَلْنَا هَذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلِ لَرَأَيْتَهُ, خَلْشِعَا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر: ٢١). ولهذا قال ﷺ: ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (الشعراء: ٢١١).

٣. أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استاع القرآن حال نزوله؛ لأن السهاء مُلئت حَرَسًا شديدًا وشُهبًا في مدة إنزال القرآن على رسول الله في فلم يَخْلُص أحد من الشياطين إلى استهاع حرف واحد منه لئلا يشتبه الأمر ويلتبس، وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ورسوله، ولهذا قال في : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ الشَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿ إِنَّا لَمُسَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدُنَهَا مُلِئَتَ حَرَسًا الجسن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدُنَهَا مُلِئَتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿ وَأَنَّا لَمَسَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدُنَهَا مُلِئَتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿ وَأَنَّا لَمُسَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدُنَهَا مُلِئَتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿ وَأَنَّا لَمَسَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدُنَهَا مُلِئَتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿ وَأَنَّا لَمَسَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدُنَهَا مَقَعِدَ لِلسَّمَعِ فَمَن شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿ وَأَنَّا كُنَا نَقَعُدُ مِنْهَا مَقَعِدَ لِلسَّمَعِ فَمَن يَسَتَعِعَ أَلّانَ يَعِدَ لَهُ شَهُا رَصَدًا ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَسُهُ إِلَّا لَكُنَّا لَوْلَكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَيْدًا لَا اللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وهذا خير ردِّ على قولهم في النبي ﷺ: إنه كاهن، وزعمهم أن الذي يأتيه شيطان، وكلام الكهان في مزاعمهم من إلقاء الجن والشياطين إليهم، وإنها هو خواطر نفوسهم ينسبونها إلى شياطينهم المزعومة، فنفى القرآن أن يكون من ذلك القبيل، فالكُهَّان لا يجيش في نفوسهم كلام مثل القرآن، وما كان لشياطين الكهان أن يفيضوا على نفوس أوليائهم مثل هذا القرآن، فالكهانة هي كذب الكهان وتحويههم، وأخبار الكهان كلها

أقاصيص وسمعها الناقلون.

الخلاصة:

- هذه المقالة تدل على ضلال المشركين وصلفهم
 وكبرهم عن اتباع الحق؛ فالقرآن كلام الله أوحاه إلى
 نبيه وليس هو بالشعر ولا بالكهانة ولم يُعرف عن
 نبيهم مثل ذلك قبل بعثته.
- لو تقول النبي ﷺ القرآن الكريم على الله تعالى لعاجله بالعقوبة ولا يستطيع أحد أن يرفعها عنه، وعدم إهلاكه دليل على أنه ﷺ لم يتقوله ودليل على إقرار الله ﷺ له.
- لا تستطيع السياطين النزول بالقرآن؛ لأن
 ما جاء في القرآن لا يتناسب مع طبيعتهم التي تتسم
 بالفساد والشرور والقرآن نور وهدى ورحمة، كما أنهم
 عُزلوا عن التسمع في السهاء أثناء نزول القرآن.

ades Ky

الشبهة الثالثة والعشرون

دعوى أن القرآن افتراه محمدٌ ﷺ من عند نفسه (*)

مضمون الشبهة:

ادَّعى المشركون أن القرآن من تأليف محمد ﷺ، افتراه ونسبه إلى الله ﷺ وما هو من عند الله، قال تعالى:

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (هود/ ١٣، يونس/ ١٥، ٨٨، ســبأ/ ٤٣، الفرقـــان/ ٤، الطـــور/ ٣٣، المـــدثر/ ٢٥، الأنبياء/ ٥، السجدة/ ٣).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ٢٣، هود/ ١٣، ٤١، القصص/ ٤٩، الإسراء/ ٨٨، يونس/ ١٦،١٥، ٣٧، ٨٨، الحاقة/ ٤٤:٤٧).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓ أَإِنْ هَنَدَاۤ إِلّاۤ إِفْكُ ٱفۡتَرَنهُ وَأَعَانهُ مَلَيْهِ قَوْمُ اَخَرُونَ وَقَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُونَ وَقَالُ اللّهِ وَقَالُ اللّهِ عَلَيْهِ مَ اَيَنْنَا يَتِنْتِ قَالُواْ مَا هَذَاۤ إِلّا تَعَالى: ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنْنَا يَتِنْتِ قَالُواْ مَا هَذَاۤ إِلّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدُّكُمْ عَمَاكَانَ يَعْبُدُ ءَابَاۤ وَكُمْ وَقَالُواْ مَا هَذَاۤ إِلّا إِفْكُ مُفْتَرَى وَقَالَ ٱلّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِ لَمَا جَآءَهُمْ إِنْ اللّهَ إِلّا إِفْكُ مُفْتَرَى وَقَالَ ٱلّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِ لَمَا جَآءَهُمْ إِنْ هَذَآ إِلّا سِحْرٌ مُنْكِنُ اللّهُ إِلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

وجوه إبطال الشبهة:

- ا أُمِّيَة رسول الله ﷺ _ قبل أن يُنزَّل عليه القرآن وجى من عند الله ﷺ.
- للشركون لا يستندون إلى برهان في دعواهم،
 إنها يتبعون الظن.
- ٣) عجز المشركين أمام تحدّي القرآن لهم أن يأتوا
 بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة من مثله
 أثبت بطلان دعواهم.
- ٤) لو تقول محمد ﷺ القرآن من عنده لعاجله الله بالعقوبة.

التفصيل:

أولا. أميّة النبي ﷺ ـ قبل نزول القرآن وبعد نزوله ـ تدلل على أنه وحي من الله:

لقد أفحم القرآن الكريم المشركين وألجمهم بالحجة الناطقة بين أيديهم؛ إذ رد عليهم دعواهم أن القرآن من تأليف محمد الله ردًّا ألزمهم فيه الحجة، وقدم لهم البرهان الساطع على أن القرآن من عند الله تعالى وحده، وأن محمدًا على عاجز - كغيره من البشر - عن الإتيان بمثله في هدايته وفي علمه ولغته، وأقام الحجة البالغة عليهم في كون القرآن وحيًا من عند الله، وذلك في

معرض تفنيد ما اقترحه المشركون على الرسول ﷺ وما طالبوه به من الإتيان بقرآن آخر، أو تبديل هذا القرآن الذي معه.

فقد حكى القرآن عنهم بعض أساليب تكذيبهم للنبي الله تعالى، فهم للنبي الله أن يكون القرآن موحى إليه من الله تعالى، فهم يتوهمون أن القرآن وضعه النبي الله من تلقاء نفسه؛ ولذلك جعلوا من تكذيبهم أن يقولوا له: ﴿ أَتَتِ بِقُرْمَانٍ غَيْرِ هَلَا آ أَوْ بَدِلْهُ ﴾ (بونس:١٥)؛ إطهاعًا له بأن يؤمنوا به مغايرًا أو مبدلًا إذا وافق هواهم.

ومعنى ﴿ غَيْرِ هَنْدَآ ﴾ مخالف، والمراد: المخالفة للقرآن كله بالإعراض عنه وابتداء كتاب آخر بأساليب أخرى، كمثل كتب الفرس وملاحمهم.

والمعنى أن يأتي بكلام غير الذي جاء به من قبل، لا يكون فيه ما يكرهونه ويغيظهم، والمراد بالتبديل: أن يعمد إلى القرآن الموجود فيغيِّر الآيات المشتملة على عبارات ذم المشركين بمدحهم، وعبارات ذم أصنامهم بالثناء عليها، وعبارات البعث والنشر بضدها، وعبارات الوعيد لهم بعبارات بشارة (١).

وعن مجاهد تسمية أناس ممن قال هذه المقالة وهم خسة: عبد الله بن أمية، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس، والعاص ابن عامر، قالوا للنبي الله الله عنه ترك عبادة الأصنام، واللات والعزى ومناة وهبل، وليس فيه عيها(٢).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ج١١، ص١١٦.

٢. المرجع السابق، ص١١٨.

قال ﷺ: ﴿ وَإِذَا تُعْلَىٰ عَلَيْهِمْ مَايَانُنَا بَيِنَاتِ فَالَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

ويظهر في هذه الآيات أن نكتة حكاية هذا الاقتراح السخيف بأسلوب الإخبار عن قوم غائبين إفادة أمرين:

أحدهما: إظهار الإعراض عنهم كأنهم غير

أو بالتصرف فيه بالتغيير والتبديل لما يكرهونه منه كتحقير آلهتهم وتكفير آبائهم؛ حتى إذا فعل هذا أو ذاك كانت دعواه أنه كلام الله أوحاه إليه منقوضة من أساسها، وكان قصارى أمره أنه امتاز عليهم بهذا النوع من البيان بقوة نفسية فيه كانت خفية عنهم، كأسباب السحر لا بوحي الله إليه، وهو ما يزعمه بعض الإفرنج ومقلدتهم في عصرنا(۱).

ولما كان لاقتراحهم معنى صريح، وهو الإتيان بقرآن آخر أو تبديل آياته، ومعنى التزامي كنائي وهو: أنه غير منزل من عند الله، وأن الذي جاء به غير مرسل من الله، كان الجواب عن قولهم جوابين:

أحدهما: ما لقَّنه الله بقوله: ﴿ قُلَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنَ أُبُدِّلُهُ مِن تِلْقَآيِ نَقْسِى ﴾ (يونس: ١٥)، وهو جواب عن صريح اقتراحهم.

وثانيهما: ما لقَّنه بقوله: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَكُوتُهُ.
عَلَيْكُمْ ﴾ (يونس: ١٦)، وهو جواب عن لازم
كلامهم.

وقد جاء الجواب عن اقتراحهم كلامًا جامعًا قضاءً لحق الإيجاز البديع، وتعويلًا على أن السؤال يبين المراد من الجواب، فأحسوا بامتناع تبديل القرآن من جهة الرسول وهذا جواب كاف؛ لأن التبديل يشمل الإتيان بغيره وتبديل بعض تراكيبه، على أنه إذا كان التبديل ـ الذي هو تغيير كلهات منه وأغراض متنعًا، كان إبطال جميعه والإتيان بغيره أجدر بالامتناع. وقد جاء الجواب بأبلغ صيغ النفي: ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ وَقَدْ جَاء الجواب بأبلغ صيغ النفي: ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ

۱. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۱، ص۳۱۹.

أَنُّ أُبُدِّلُهُ ﴾، أي: ما يكون التبديل مِلكًا بيدي.

ومعنى ﴿ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِي ﴾، أي: من جهة نفسي، وجملة: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَا مَا يُوحَى إِلَى ﴾ تعليلٌ لجملة ﴿ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَبُكِلُهُ ﴾، أي: ما أتبع إلا الوحي وليس لي تصرف بتغيير، واتباع الوحي: تبليغ الحاصل به، وهو الموصى به.

وجملة: ﴿ إِنِّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِي ﴾ في موضع تعليل لجملة: ﴿ إِنَّ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى آ إِلَى ﴾، أي: إن عصيت ربي بالإيتان بقرآن آخر غير هذا، بمعنى: إبطال هذا القرآن وتعويضه بغيره، أو تبديله، بمعنى: تغيير معاني وحقائق ما اشتمل عليه ممتنع، ولذلك لم يُلقن الرسول ﷺ أن يقول هنا: إلا ما شاء، الله أو نحو ذلك (۱).

والمقصود: أي قل لهم أيها الرسول: إنه ليس من شأني ولا مما تتيحه لي رسالتي أن أبدله من تلقاء نفسي، أي بمحض رأيي واجتهادي، فما أتبع فيه إلا تبليغ ما يوحى إليَّ والاهتداء به، فإن بدّل الله تعالى منه شيئًا بنسخه بلَّغتُه عنه، وما عليّ إلا البلاغ المحض، إني أخاف إن عصيت ربي أي عصيان كان، عذاب يوم غظيم الشأن وهو يوم القيامة، فكيف إذا عصيته بتبديل كلامه اتباعًا لاهوائكم؟! وهو جواب عن الشق الشاني من اقتراحهم (٢).

ثم لقنه الجواب عن الشق الأول مفصولًا لأهميته

بقوله: ﴿ قُل لَّوْ شَآمَاللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾، أي: لو شاء الله تعالى ألا أتلو عليكم هذا القرآن ما تلوته عليكم، فإنها أتلوه بأمره؛ تنفيذًا لمشيئته، ﴿ وَلَا آذَرَكُمُ بِهِ عَلَى اللهُ أَن لا يدريكم ويعلمكم به بإرسالي إليكم لما أرسلني ولما أدراكم به، ولكنه شاء أن يَمُنَّ عليكم بهذا العلم الأعلى لتدروه؛ فتهتدوا به، كما قال تعالى: ﴿ لَكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَاۤ أَنزَلَ إِلَيْكُ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِ ﴾ (النساء: ١٦٦)، وقال: ﴿ وَلَقَدَّ حِثْنَهُم بِكِئْكٍ فَصَّلْنَكُ عَلَىٰ عِلْدِ هُدًى وَرَحْتَ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ اللَّهِ (الأعراف)، فهو قد أنزله عالمًا بأن فيه كل ما يحتاجون إليه من الهداية وأسباب السعادة، وأمرني بتبليغه إليكم ولم يكن لي علم بشيء من ذلك قبله، ﴿ فَقَدُ لَيِثُتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبَلِهِ عَهِ، أي: فقد مكثت فيها بين ظهرانيكم عمرًا طويلًا من قبله _ وهو أربعون سنة _ لم أتل عليكم فيــه سورة من مثله، ولا آية تشبه آياته؛ لا في العلم والعرفان، ولا في البلاغة وروعة البيان ﴿ أَفَكَا تَعَقِلُونَ ﴾ أن من عاش أربعين سنة لم يقرأ فيها كتابًا، ولم يُلقَّن من أحد علمًا، ولم يتقلد دينًا، ولم يعـرف تشريعًا، ولم يهارس البيان في أفانين الكلام من شعر ونثر، ولا خطابة وفخر ولا علم وحكم ـ لا يمكنه أن يأتي من تلقاء نفسه بمثل هذا القرآن المعجز لكم؛ بـل هو يعجز جميع الخلق حتى الدارسين لكتب الأديان والحكمة والتاريخ أن يأتوا بمثله، فكيف تقترحون عليَّ إذًا أن آتي بقرآن غيره (٣) ؟

٣. المرجع السابق، ص٣٢٠ بتصرف.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ۱۱، ص١١٧: ١١٩ بتصرف.

۲. تفسیر المنسار، محمد رشد رضا، مرجع سسابق، ج۱۱، ص۳۱۹.

وهذه حجة عقلية شاهدة على بطلان شبهتهم الداحضة، التي بنوا عليها مطالبة محمد وآن غير هذا القرآن، وقد ظهر لعلماء هذا العصر ما أيد دلالتها العلمية، فإنهم بها حذقوا من علم النفس وأخلاق البشر وطباعهم، وما عرفوا من درجات استعدادهم العلمي والعقلي باستقراء تاريخهم، قد حققوا أن استعداد الإنسان العقلي للعلوم، واستعداده النفسي للنهوض بالأعمال القومية أو العالمية يظهر كل من الاستعدادين فيه من أوائل نشأته، ويكون في منتهى القوة والظهور بالفعل عند استكمال نموه في العقدين الثاني والثالث من عمره، فإذا بلغ الخامسة والثلاثين ولم يظهر نبوغه في علم من العلوم التي سبق اشتغاله بها، ولا النهوض بعمل من الأعمال العامة التي كان استشرف لها، فإن من المحال أن يظهر منه شيء من هذا أو ذاك من بعدها جديدًا، ويكون فيه ناجحًا نابغًا.

وقد جاء القرآن مشتملًا على تمحيص الحقائق في جميع العلوم والمعارف الدينية والتشريعية التي يتوقف عليها صلاح جميع البشر، وأن الرسول الشاللة الذي أنزله الله عليه قام بتنفيذ هذا الإصلاح بها غير وجه الأرض، وقلب أحوال أكثر أممها إلى خير منها، وأن ذلك كله بعد أربعين سنة قضاها في الأمية، فهذا العلم الجديد الذي أيّد حجة القرآن العقلية في هذا العصر له في علوم القرآن نظائر (۱).

وفي هذا الجواب استدلال على أنه مرسل من الله تعالى، وأنه لم يختلق القرآن من عنده بدليل يتضمن عدة أدلة، وقد نظم فيه الدليل بانتفاء نقيض المطلوب على

إثبات المطلوب، إذ قوله: ﴿ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلُوتُهُۥ ﴾، تقديره: لو شاء الله ألّا أتلوه عليكم ما تلوته، فإن فعل المشيئة يكثر حذف مفعوله في جملة الشرط لدلالة الجزاء عليه، وإنها بني الاستدلال على عدم مشيئة الله نفي تلاوته؛ لأن ذلك مدَّعي الكفار لزعمهم أنه ليس من عند الله، فكان الاستدلال إبطالًا لدعواهم ابتداءً، وإثباتًا لدعواه مآلًا، وهذا الجمع بين الأمرين من بديع وإثباتًا لدعواه مآلًا، وهذا الجمع بين الأمرين من بديع الاستدلال، أي: لو شاء الله ألا آتيكم بهذا القرآن لما أرسلني به، ولبقيت على الحالة التي كنت عليها من أول عمرى.

والدليل الثاني مطوي: هو مقتضى جواب (لو) فإن جواب (لو) يقتضي استدراكًا مطردًا في المعنى بأن يثبت نقيض الجواب، فقد يستغنى عن ذكره وقد يذكر... فتقديره هنا: لو شاء الله ما تلوته لكنني تلوته عليكم، وتلاوته هي دليل الرسالة؛ لأن تلاوته تتضمن إعجازه علميًّا؛ إذ جاء به من لم يكن من أهل العلم والحكمة، وإعجازًا بلاغيًّا؛ إذ جاء كلامًا أعجز أهل اللغة كلهم مع تضافرهم في بلاغتهم وتفاوت مراتبهم، وليس من شأن أحد من الخلق أن يكون فائقًا على جميعهم، ولا من شأن كلامه أن لا يستطيع مثله أحد منهم.

ولذلك فُرِّعت على الاستدلال جملةُ: ﴿ فَقَكَدُ لَيَ مُّتُ فِي الله الله الله عَمْرُا مِن قَبَلِهِ الْفَكَدُ تَعْقِلُونَ ﴿ الله المعروفة بينهم وهي حال الأمية، تذكيرًا لهم بقديم حاله المعروفة بينهم وهي حال الأمية، أي: قد كنت بين ظهرانيكم مدة طويلة، وهي أربعون سنة تشاهدون أطوار نشأتي فلا ترون فيها حالة تشبه حالة العظمة والكمال المتناهي الذي صار إليه لما أوحى الله إليه بالرسالة، ولا بلاغة قول واشتهارًا بمقاولة أهل

١. المرجع السابق، ص ٣٢١، ٣٢٢ بتصرف.

البلاغة والخطابة والشعر تشبه بلاغة القول الذي نطق به عن وحي القرآن... فدل الحال الأخير على أنه رباني محض، وإن هذا الكلام موحى إليه من عند الله ليس له بذاته عمل فيه... فهذا بيان انتظام هذا الدليل من هذه الآية.

وقد آل الدليل بهذا الوجه إلى الاستدلال عليهم بمعجزة القرآن والأمية ... ولكلمة ﴿تَلَوْتُهُ ﴾ هنا من الواقع ما ليس لغيرها لأنها تتضمن تاليًا كلامًا، ومتلوًا، وباعثًا بذلك المتلو.

فبالأول تشير إلى معجزة المقدرة على تلاوة الكتاب

مع تحقق الأمية؛ لأن أسلوب الكتب الدينية غير الأسلوب الذي عرفه العرب من شعرائهم وخطبائهم. وبالثاني تشير إلى القرآن الذي هو معجزة دالة على صدق الآتي به؛ لما فيه من الحقائق والإرشاد الديني، الذي هو من شأن أنبياء الأديان وعلمائها، كما قال الله في وَمَا كُنتَ نَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ، مِن كِنَبِ وَلَا تَعُطُّهُ بِيَعِينِكَ فَا لَكُنْ المنتوان والمنتجون).

وبالثالث تشير إلى أنه كلام من عند الله تعالى، فانتظمت بهذا الاستدلال دلالة صدق النبي ﷺ في رسالته عن الله ﷺ.

لَا يُفَلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ اللهِ (يونس)(١).

وهذه تتمة الرد على اقتراح المشركين؛ فقد ردَّالقرآن عليهم:

أولًا: ببيان حقيقة الأمر الواقع، وهو أن تبديل القرآن ليس من شأن الرسول الشي في نفسه، ولا مما أُذن الله له به، بل يعاقبه عليه أشد العقاب في الآخرة إن فرض وقوعه؛ لأنه كلامه الخاص به.

وثانيًا: بإقامة الحجة العقلية على أنه كلام الله وحده وأنه ليس في استطاعته الإتيان بمثله، ثم عزَّز هاتين الحجتين بثالثة أدبية، وهي: أن شر أنواع الظلم في البشر شيئان:

أحدهما: افتراء الكذب على الله، وهـو مـا اقترحـوه عليه بجحودهم.

والآخر: التكذيب بآيات الله، وهو ما اجترحوه بإجرامهم، وقد بيَّن هذا بصيغة الاستفهام الإنكاري، أي: لا أحد أظلم عند الله وأجدر بغضبه وعقابه من هذين الفريقين من الظالمين، وإني أنعي عليكم الثاني منها فكيف أرضى لنفسي بالأول وهو شر منه؟ وأي فائدة لي من هذا الإجرام العظيم وأنا أريد الإصلاح وأدعو إليه، وأحتمل المشاق في سبيله، وأعلم أنه ﴿لاَ يَفْوِرُونَ بمطلوبهم الذي يتوسلون إليه بالكذب والزور (٢).

ثم يقدِّم القرآن دليلًا ظاهرًا ومحسوسًا لهؤلاء

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ۱۲۰، ص١٢٠: ١٢٣ بتصرف.

ے ۲. تفسیر المنسار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۱، ص ۳۲۲، ۳۲۲.

والمعنى: لقد لبثت يا محمد في قومك من قبل أن ينزل عليك هذا القرآن عمرًا لا تقرأ كتابًا ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمّي لا تقرأ ولا تكتب، وهذه صفة النبي في الكتب المتقدمة، كما قال الله الله المؤين يَتَبِعُونَ الرّسُولَ النبي المنقدمة، كما قال الله المؤين يَتَبِعُونَ الرّسُولَ النبي المنقدمة، كما قال الله المؤين يتبعون الرّسول النبي المؤين المؤين المؤين المؤين المؤين المؤين المؤين المؤين الكتابة ولا يخط الله الله المؤا ولا حرفًا بيد، بل كان له كُتَّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم.

وهكذا يتتبع القرآن الكريم مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها، فرسول الله عاش بينهم مدة طويلة من حياته، لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذي يُعجز القارئين الكاتبين، ولربها كانت لهم شبهة لو أنه كان من قبل قارئًا كاتبًا، فها شبهتهم وهذا ماضيه بينهم؟

وحتى على فرض أن رسول الله كلى كان قارعًا كاتبًا، ما جاز لهم أن يرتابوا، فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر، فهو أكبر جدًّا من طاقة البشر ومعرفة البشر، وآفاق البشر، والحق الذي فيه ذو طبيعة

مطلقة كالحق الذي في هذا الكون، وكل وقفة أمام نصوصه توحي للقلب بأن وراءه قوة، وبأن في عباراته سلطانًا، لا يصدران عن بشر (١١).

وهذا استدلال بصفة الأميّة المعروف بها رسول الله على، ودلالتها على أنه موحى إليه من الله أعظم دلالة، وقد ورد الاستدلال بها في القرآن الكريم في مواضع كقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ نَدْرِى مَا ٱلْكِتَبُ وَلَا مُواضع كقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ نَدْرِى مَا ٱلْكِتَبُ وَلَا الْإِيمَنُ ﴾ (الشورى: ٥١)، وقوله تعالى: ﴿ فَقَدُ لَبِثْتُ فِي صَدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلَمُ وَمَا فَيَدَدُ بِعَاينَتُ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلَمُ وَمَا يَجْمَعُ مِنْ الْعَلَيْدِينَ أَوتُوا ٱلْعِلَمُ وَمَا يَجْمَعُ مِنْ اللهِ الطَّالِمُونَ اللَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلَمُ وَمَا يَجْمَعُ مِنْ المَالِكِونَ اللهِ الطَّالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَّالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهِ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ المُحْدِي اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللّهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهِ المُعْلِي اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُونَ اللهُ الطَالِمُ اللهُ الطَالِمُ اللهُ الطَالْمُونَ اللهُ الطَالِمُ اللهُ الطَالِمُ اللهُ الطَالِمُ اللهُ اللّهُ الطَالِمُ اللهُ الطَالِمُ اللهُ الطَالِمُ اللّهُ اللهُ الطَالْمُ اللّهُ الطَالِمُ اللّهُ الطَالِمُ اللّهُ اللّهُ الطَالْمُ اللّهُ الطَالْمُ اللّهُ الطَالِمُ اللّهُ اللّهُ الطَالْمُ اللّهُ اللّهُ الطَالْمُ اللّهُ الطَالِمُ اللّهُ اللّهُ الطَالْمُ اللّهُ

فهو دلائل واضحة في صدور الذين وهبهم الله العلم، لا لبس فيها ولا غموض، ولا شبهة فيها ولا ارتياب، دلائل يجدونها بينة في صدورهم، تطمئن إليها قلوبهم فلا تطلب عليها دليلًا وهي الدليل، والعلم الذي يستحق هذا الاسم، هو الذي تجده الصدور في قرارتها، مستقرًا فيها، منبعثا منها، يكشف لها الطريق ويصلها بالخيط الواصل هناك ﴿ وَمَا يَجُحَدُ بِعَا يَنْتِنَا اللّهُ الطّري تقرير الحقائق وتقويم الأمور، والذين يتجاوزون الحق والصراط وتقويم الأمور، والذين يتجاوزون الحق والصراط المستقيم (٢) .

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٤.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٠١،
 ٢٠، ص٠١.

٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٤.

இ في "أمية النبي ﷺ" طالع: الوجه الثاني، من الشبهة التاسعة،
 من الجزء السادس (العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد).

ثانيًا. المشركون لا يستندون إلى برهان في دعواهم:

وقد بين القرآن أن هؤلاء المشركين لا يعتمدون على دليل في دعواهم؛ بل الظن الذي لا يغني من الحق شيئًا: ﴿ وَمَا يَنْيِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّا ۚ إِنّ الظّنَ لَا يُغْنِى مِن الْحَقِ شيئًا ۚ إِنّ الظّنَ لَا يُغْنِى مِن الْحَقِ شيئًا ۚ إِنّ الظّنَ لَا يُغْنِى مِن الْحَقِ شَيئًا ۚ إِنّ الظّنَ لَا يُغْنِى مِن الْحَقَ اللّهُ عَلَيمُ بِمَا يَفْعَلُونَ اللّهِ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَن يُمْنَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصَدِيقَ اللّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْصِيلَ الْكِئْنِ لَا رَبّ فِيهِ مِن رَبّ الْعَلَمِينَ اللهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ اللللللللللللهُ الللللللهُ الللللللهُ اللللللهُ اللللللهُ الللللهُ اللللللهُ الللللهُ الللللهُ الللللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ الللللهُ الللللهُ الللللهُ اللللهُ اللللهُ الللللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ ال

فبعدما أقام البرهان على أن القرآن من عند الله وأن عمدًا على على عند الله وأن عمدًا على عاجز كغيره عن الإتيان بمثله في هدايته وفي علمه ولغته... بيَّن حالهم في اتباع أكثرهم لأدنى الظن وأضعفه في عقائدهم وتكذيبهم، ثم عاد إلى تفنيد رأيهم الأفين في الطعن على القرآن بمقتضى الظن الضعيف من الأكثرين، والجحود العنادي من الأقلين كالزعهاء والمستكبرين (1).

وذلك بعدما انتهى من إبطال تعجب المشركين من الإيحاء بالقرآن إلى النبي الله وتبيين عدم اهتدائهم إلى آياته البيئات الدالة على أنه من عند الله ، وكيف لم ينظروا في أحوال الرسول السالة على أن ما جاء به وحي من الله ، وكيف سألوه مع ذلك أن يأتي بقرآن غيره أو يبدله بها يوافق أهواءهم. لا جرم عاد الكلام إلى قولهم في القرآن بإبطال رأيهم الذي هو من الظن

الباطل أيضًا بقياسهم أحوال النبوة والوحي بمقياس عاداتهم... فقارعتهم الآية بذكر صفات القرآن في ذاته الدالة على أنه حق من الله وتحدتهم بالإعجاز عن الإتيان بمثله.

فبين النبوة وكذا الشئون النبوة وكذا الشئون النبوة وكذا الشئون الإلهية، قال الشئون الإلهية، قال الشئون الإلهية، قال الشئون الإلهية، قال الشئون الإلهية في المنتحدي من دُونِ الله الله الله الله الله كذبًا وهو آتِ من مفترى من غير الله، أي منسوبًا إلى الله كذبًا وهو آتِ من غيره، أي وجوده منافٍ لافترائه، فدلالة ذاته كافية في أنه غير مفترى، أي لو تأمل المتأمل الفطن تأملًا صادقًا في سور القرآن لعلم أنه من عند الله، وأنه لا يجوز أن يكون من وضع البشر (٢).

أي: وما كان هذا القرآن العظيم في علو شأنه، المجلي له في أسلوبه ونظمه وعلومه العالية، وحكمته السامية، وتشريعه العادل، وآدابه المثلى، وتمحيصه للحقائق الإلهية والاجتماعية، وإنبائه بالغيوب الماضية والآتية، وجعل المقصد من إصلاحه اتباع الهدى والحق، واجتناب الضلال باتباع الهوى، والاعتماد فيهما على العلم الصحيح، ما كان وما صح ولا يعقل أن يفتريه أحد على الله من دونه ويسنده إليه؛ إذ لا يقدر غيره على عليه، فإن فرض أن بشرًا يستطيع الإتيان بمثله فلن يكون إلا بشرًا أرقى وأكمل من جميع الحكاء والأنبياء، وكذا الملائكة، ومثله لن يفتري على الله، بل قال أشد الكفار عنادًا وعداوة لمحمد وهو أبو جهل قال أشد الكفار عنادًا وعداوة لمحمد وهو أبو جهل

تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۱، ص۳۶۷.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ۱۱، ص١٦٧، ١٦٨ بتصرف.

_لعنه الله: إن محمدًا لم يكذب على بشر قط أفيكذب على الله تعالى؟

ولكن كان تصديق الذي سبقه من الوحي لرسل الله ولكن كان تصديق الذي سبقه من الوحي لرسل الله تعالى بالإجمال؛ كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم - بدعوته إلى أصول دين الإسلام التي دعوا إليها، من الإيان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، بعد أن نسي بعض ذلك بقايا أتباعهم وضلوا عن بعض، وشوهوه بالتقاليد المبتدعة مما لم يكن يعلمه محمد الأمي في أو تصديق ذلك بكونه جاء وفاقًا لما دعا إليه إبراهيم لأهل حرم الله، ولما بشر به موسى وعيسى والنبيون، ويجوز الجمع بين المعنيين.

﴿ وَتَقْصِيلَ ٱلْكِنْكِ ﴾ (يونس: ٣٧) الإلهي، أي: جنسه؛ وهو ما شرعه الله ﷺ ليكتب ويهتدي به جميع البشر من العقائد والشرائع والعبر والمواعظ وشئون الاجتهاع وسنن الله في خلقه: ﴿ لَا رَبَّ فِيهِ ﴾ (يونس: ٣٧). ليس فيه مثار للشك، ولا موضع للريب؛ لأنه الحق والهدى فيه مثار للشك، ولا موضع للريب؛ لأنه الحق والهدى فيم وَنَ الْعَلَمِينَ ﴾ (يونس: ٣٧) من وحيه لا يقدر عليه غيره ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْدِلْكُنا عَنْ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْدِلْكُنا صَيْمَ النساء) (١).

وبعد أن يتحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله في قوله تعالى: ﴿ قُلُ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِتْلِهِ وَادَّعُوا مَنِ اَسْتَطَعْتُم مِن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ ﴿ ﴾ (يونس)، يضرب السياق عن المضي في الجدل بعد هذا التحدي، ليقرر أنهم لا

٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٣، ص١٧٩٤.

يتبعون إلا الظن، فهم يحكمون على مالم يعلموه، والحكم يجب أن يسبقه العلم، وألا يعتمد على مجرد الهوى أو مجرد الظن، والذي حكموا عليه هنا هو الوحي بالقرآن وصدق ما فيه من الوعد والوعيد، لقد كذبوا بهذا وليس لديهم من علم يقوم عليه التكذيب، ولما يأتهم تأويله الواقعي بوقوعه: ﴿ بَلَ كَذَبُوا بِمَا لَمْ وَلِمَا لَمْ الوعد والواعد، ويُعِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَا يَأْتِهِمْ تَأُويلُهُ ﴾ (بونس: ٣٩).

شأنهم في هذا التكذيب شأن المكذبين قبلهم، الظالمين المسركين بربهم، فليتأمل المتأمل كيف كان مصير الأولين ليعرف حقيقة مصير الآخرين: ﴿كَنَالِكَ كَذَبَ النَّهِ مِن قَبِلُهِم فَانظُر كَيْفَ كَانَ عَنقِبَهُ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ اللَّهُ الطَّالِمِينَ ﴿ اللَّهُ الطَّالِمِينَ ﴿ اللَّهُ الطَّالِمِينَ ﴿ اللَّهُ الطَّالِمِينَ اللَّهُ الطَّالِمِينَ ﴿ اللَّهُ الطَّالِمِينَ اللَّهُ الطَّالِمِينَ اللَّهُ الطَّالِمِينَ ﴿ اللَّهُ الطَّالِمِينَ اللَّهُ اللَّهُ الطَّالِمِينَ اللَّهُ الطَّالِمِينَ اللَّهُ اللَّهُ الطَّالِمِينَ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْم

والمعنى: أنهم سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في بديهة السهاع قبل أن يفقه وه ويعلموا كنه أمره، وقبل أن يتدبروه، وإنها يكون مثل هذا التكذيب عن مكابرة وعداوة لاعن اعتقاد كونه مكذوبًا، ثم إن عدم الإحاطة بعلمه متفاوت، فمنه عدم بحت وهو حال الدهماء، ومنه عدم في الجملة، وهو ما يكون بضرب من الشبهة والتردد، أو يكون مع رجحان صدقه ولكن لا يحيط بها يؤدي إليه التكذيب من شديد العقاب، ونظير هذه الآية في سورة النمل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَكَذَبُمُ مَعْمَلُونَ اللهِ النكل.

وجملة: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ معطوفة على الصلة، أي: كذبوا بها لما يأتهم تأويله، وهذا ارتقاء في وصفهم بقلة الأناة والتثبت، أي: لو انتظروا حتى يأتيهم تأويل

ا. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۱، ص۲۳۹۸ وما بعدها.

القرآن، أي ما يحتاج منه إلى التأويل بل هم صمموا على التكذيب قبل ظهور التأويل.

والتأويل المقصود في هذه الآية يحتمل أن يكون تفسير ما خفي عليهم من القرآن، أو ظهور ما أنـذرهم به من العذاب، ولعل كليهما مراد، أي: لما يـأتهم تأويـل ما يدَّعون أنهم لم يفهموه من معاني القرآن لعدم اعتيادهم بمعرفة أمثالها؛ مثل حكمة التشريع، ووقـوع البعث، وتفضيل ضعفاء المؤمنين على صناديد الكافرين، وتنزيل القرآن الكريم منجيًا، ونحو ذلك، فهم كانوا يعتبرون الأمور بما ألفوه في المحسوسات، وكانوا يقيسون الغائب على الـشاهد، فكـذبوا بـذلك وأمثاله قبل أن يأتيهم تأويله، ولو آمنوا ولازموا النبي لعلموها واحدة بعد واحدة، وأيضًا لما يأتهم تأويل ما حسبوا عدم التعجيل به دليلًا على الكذب، كما قالوا: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَنَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْمُنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّكَمَآءِ أَوِ ٱقْتِنَا بِعَذَابٍ ٱلِيمِ ٣٠٠ (الأنفال)، ظنًّا منهم أنهم إن استغضبوا الله عجَّل لهم بالعذاب، فظنوا تأخر حصول ذلك دليلًا على أن القرآن الكريم ليس حقًا من عنده، وكذلك كانوا يسألون آيات من الخوارق؛ كقولهم: ﴿ لَن نُوْمِرَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَلْبُوعًا ۞ ﴿ (الإسراء).

ولو سلَّموا ولازموا النبي الله لا يعبأ باقتراح الضلال، والمقصود بتشبيه تكذبيهم بتكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذبين رسلهم في قوله: (الأنعام: ١٤٨)، هُوكَذَلِكَ كُذَبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبِّلِهِم ﴿ (الأنعام: ١٤٨)، أُمور هي:

أن هذه عادة المعاندين؛ ليعلم المشركون أنهم

مماثلون للأمم التي كذبت فيعتبروا بذلك.

- التعريض بالنذارة لهم بحلول العذاب بهم، كها
 حل بأولئك الأمم التي عرف السامعون مصيرها
 وشاهدوا ديارها.
- تسلية النبي ﷺ بأنه ما لقي من قومه إلا مثل ما لقي الرسل السابقون من أقوامهم؛ ولـذلك فرع على جملة التشبيه خطاب النبي ﷺ بقوله: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَلَقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ وَاسَ النبي ﴾ (بونس)؛ أي: عاقبة الأمم التي ظلمت بتكذيب الرسل كما كذّب هؤلاء (١).

ثالثًا. عجزهم أمام تحدي القرآن:

لقد تحدى القرآن الكريم هؤلاء المشركين المفترين في مزاعمهم وادعاءاتهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور من مثله مفتريات، أو بسورة منه، قال الله في المن المؤتر أن يأتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْوَانِ لَهِ المُعْضِ الْهِيرُا اللهُ اللهُ

وقال ﷺ: ﴿ قُلْ فَأَتُواْ بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَنَتِ
وَآدَعُواْ مَنِ اَسْتَطَعْتُم مِن دُونِ اللهِ إِن كُنُتُمْ صَلِاقِينَ ﴿ ثَلَهُ اللهِ إِن كُنُتُمْ صَلاقِينَ ﴿ ثَلَهُ اللهِ إِن كُنُتُمْ صَلاقِينَ ﴿ ثَالَهُ إِن كُنُمُ مَلِاقِينَ ﴿ ثَالَهُ إِن كُنُمُ صَلاقِينَ ﴿ ثَالَهُ إِن كُنُمُ صَلاقِينَ ﴿ ثَالَهُ إِن كُنُمُ مَلِاقِينَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

فإن عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله تساوي سورة في هدايتها، وتضارعها في بلاغتها، وأنتم فرسان البلاغة، وعصركم أرقى عصور الفصاحة، وقد اشتهر كثير منكم بالسبق في هذا الميدان، ولم يكن محمد الشعير عنه الميدان، ولم يكن محمد الشعير الميدان، ولم يكن محمد الشعير الميدان، ولم يكن محمد الميدان، ولم يكن ميدان ولم يكن و

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ج١١، ص١٧٢، ١٧٣ بتصرف.

يسابقكم من قبل في هذا الرهان؛ لأنه لم يؤت هذا الاستعداد بنفسه ولم يتمرّن عليه أو يتكلفه لمباراة أهله، وقد كان أميًّا، فعند ظهور عجزكم عن ذلك فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم لم يكن إلا بوحي إلهي وإمداد ساوي، لم يسم عقله إلى علمه، ولا بيانه إلى أسلوبه ونظمه.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَكُ ﴾ (بونس: ٣٨) انتقال من بيان كونه أجلَّ وأعلى من أن يفتري لعجز الخلق عن الإتيان بمثله، إلى حكاية زعم هو لاء الجاهلين والمعاندين أن محمدًا افتراه، والاستفهام للإنكار والتعجب أو التمهيد به إلى الرد عليه بتحدي التعجيز وهو: ﴿ قُلُ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، ﴾ (يونس: ٣٨) في أسلوبه ونظمه وتأثيره وهدايته وعلمه، مفتراة في موضوعها، لا تلتزمون أن تكون حقًّا في إخبارها: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰكُمُّ قُلْ فَأَنْوُا بِسُورَةٍ مِتْلِهِ وَأَدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ الله المناهرة لكم والإعانة على ذلك من استطعتم دعاءهم من دون الله، فإن جميع الخلق يعجزون عن ذلك مثلكم، فهذا مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّهِنِ ٱجْمَتَمَعَتِ ٱلْإِنشُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَلَاَ ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَاكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا 🚳 ﴾ (الإسراء). وهذه الآية الكريمة في سورة الإسراء، وقد نزلت قبل سـورة يـونس: ﴿ إِن كُنُّةٌ صَلِيقِينَ ﴾ في زعمكم أني افتريته...

ومن المعلوم بالبداهة أنه ما كان لعاقبل مثله ﷺ أن يتحداهم هذا التحدي لو لم يكن عالمًا موقنًا بأنه لا يستطيع الإنس والجن الإتيان بمثل هذا القرآن في جملته

ولا بسورة مثله، لا أفراد العلماء والبلغاء ولا جماعاتهم ولا بجملتهم إن فرض إمكان اجتماعهم وتعاونهم ومظاهرة بعضهم لبعض، فلوكان هو الذي ألّفه وأنشأه لمصلحة الناس برأيه كما ارتأى بعض المعجبين بعقله وذكائه وعلو أفكاره من الفلاسفة المتقدمين، وعلماء الماديين المتأخرين لكان عقله وذكاؤه وعلو فكره مانعات له من الجزم بعجز عقلاء الخلق من العوالم الظاهرة الإنس والخفية الجن عن الإتيان بسورة مثل ما أتى هو به، فإن كل عاقل متوسط الذكاء والفكر يعلم أن كل ما أمكنه من الأمر فهو يمكن لغيره، بل لا يأمن أن يوجد من هو أقدر عليه منه، فهذه آية بينة للعقل على أن النبي كان موقنًا بأنه من عند الله تعالى، وأنه هو كغيره لا يقدر على الإتيان بسورة مثله، وهي إحدى حجج الذين قالوا: إنه لا يُعقل أن يكون كاذبًا مفتريًا له.

فإن قيل: إنه يمكن أن يعتقد عجز نفسه وغيره في حال كونه وحيًا من ربه.

قلنا: أولًا: إن دعوى الوحي النفسي باطلة بأدلة كثيرة . وثانيًا: إن عجز غيره ممن كانوا أفصح منه دليل على عجزه بطريق الأولى (١).

وهذا في الحقيقة هو عين التحدي المعجز؛ ولذا قال الله عَلَمُ الله عنه الآيات الصادعة

[®] في "بطلان فكرة الوحي النفسي" طالع: الوجه السادس، من الشبهة العشرين، من الجزء السابع (الإيهان والتدين). والشبهة الثالثة، من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم).

تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۱، ص۳۲۸: ۳۷۰ بتصرف.

التي تشير النخوة وتهيج الغيرة مع عُلُوِّ كعبهم في البلاغة، ورسوخ أقدامهم في أساليبها وفنونها في عصر ارتقت فيه دولة الكلام ارتقاءً لم تعرف مثله الأيام، حتى كانوا يتبارون فيه ويتنافسون ويعقدون لذلك المجامع ويقيمون الأسواق، ويطيرون بأخبارها في الآفاق، ومع هذا لم يتصد منهم أحد للمعارضة، ولم ينهض بليغ منهم إلى المناهضة.

بل يتحداهم الحق على أن يأتوا بكتاب من عند الله أهدى من القرآن أو التوراة، قال الله في قُل فَأَتُوا الهدى من القرآن أو التوراة، قال الله في عند الله مو أهدى مِنْهُما أَتَبِعَهُ إِن كُنتُم صندِقِير من عند الله سحر في القائلين بأن الكتب المنزلة من عند الله سحر سواء قصدوا التوراة والقرآن، أو التوراة والإنجيل، أو الإنجيل والقرآن - قل لهم: ائتوا بكتاب من عند الله أحسن هداية منها ألزمه وأتبعه إن كنتم صادقين في وصفكم للكتب بأنها سحر وأن الحق في غيرها.

رابعًا. جزاء المفتري المتقول على الله:

ومن ردود القرآن ما أكده من أن النبي ﷺ لو تقوَّل على الله ما لم ينزل لعاجله بالعقوبة، قال ﷺ: ﴿ وَلَوْ نَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿ اللهِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْمِينِ ﴿ اللهِ أَنَهُ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ

وهذه الآيات استدلال على أن القرآن مُنزَّل من عند الله على على طريقة المذهب الكلامي، وهو استدلال با هو مقرر في الأذهان من أن الله واسع القدرة والعلم، فلا يقدر أحد على أن يقول عنه كلامًا لم يقله، فلو ادَّعَى محمد على أن من عند نفسه لما أقررناه على ذلك

ولعجَّلنا بإهلاكه، فعدم هلاكه دال على أنه لم يتقوله، فإن "لو" تقتضي انتفاء مضمون شرطها لانتفاء مضمون جوابها فحصل من هذا الكلام غرضان مهان:

أحدهما: يعود إلى ما تقدم؛ أي: زيادة إبطال لمزاعم المشركين أن القرآن شعر أو كهانة إبطالًا جامعًا لإبطال النوعين؛ أي ويوضح مخالفة القرآن بهذين النوعين من الكلام أن الآتي به ينسبه إلى وحي الله، وما علمتم شاعرًا ولا كاهنًا يزعم أن كلامه من عند الله.

ومعنى ﴿ لَأَخَذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿ الْأَخَذَنَاهُ بِقَوَة ؟ أَي: دون إمهال، فالباء للسببية. وقوله: ﴿ مُمَ لَقَطَعَنَا مِنْهُ الْوَتِينَ الله القلب ويُسمَّى الْوَتِينَ الله القلب ويُسمَّى "النياط"، وقَطْع الوتين من أحوال الجزور (١) ونحرها، فشبَّه عقاب من يُفرض في تقوُّله على الله بجزور تُنحَر فيقطع وتينها.

وأما موقع تفريع قوله تعالى: ﴿ فَمَامِنكُمْ مِّنَّ أَحَدِّ عَنَّهُ

١. الجزور: الجمل.

حَنجِزِينَ ﴿ الْحَافَةِ) فهو شديد الاتصال بما استتبعه فرض التقوّل من تأييسهم من أن يتقوّل على الله كلامًا لا يسوؤهم، ففي تلك الحالة من أحوال التقول ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْمَعِينِ ﴿ الْحَافَةُ)، لا يستطيع أحد منكم أو من غيركم أن يحجز عنه ذلك العقاب (۱).

"ذلك التهديد الرهيب لمن يفتري على الله في شأن العقيدة وهي الجد الذي لا هوادة فيه، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره وهو صدق الرسول في وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه، بشهادة أن الله لم يأخذه أخذًا شديدًا كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة التبليغ.... وأنه لو تقوّل بعض الأقاويل التي لم يوح إليه بها لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذي وصفته الآيات ولما كان هذا لم يقع فهو لا بد صادق.

كما يشير التعبير في الآيات إلى جدية هذا الأمر الذي لا يحتمل تسامحًا ولا مجاملة لأحد كائنًا من كان، ولو كان هو محمد الكريم عند الله الأثير الحبيب"(٢).

الخلاصة:

- القرآن منزل من عند الله تعالى على والنبي على
 كغيره عاجز عن الإتيان بمثله وليس ذلك من إمكاناته؛
 لأنه مجرد مبلغ عن الله على
- لقد عاش النبي ﷺ بين أظهرهم عمرًا طويلًا ولم
 يعرف إلا أنه رجل أمي، فمن أين جاء بهذا القرآن

المحكم في بلاغته وتشريعاته وأحكامه إلا أن يكون وصيًا من الله تعالى؟!

- لو كان النبي ﷺ يقرأ كتابًا أو يكتب بنفسه لربها كان يسوغ ادعاؤهم بأن القرآن من عند محمد ﷺ، مع أن القرآن يدل بنفسه على كونه من عند الله تعالى فهو ليس في مقدور البشر ولا في طاقة البشر.
- لقد تحدَّاهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله فعجزوا.
- المتقوِّل على الله جزاؤه الهلاك، ولا يستطيع أحد أن يدفع عنه شيئًا حتى لو كان النبي ، عما يدل عمل إقرار الله تعالى له فيها بلَّغه عنه تعالى.

AND DES

الشبهة الرابعة والعشرون

دعوى أن محمدًا ﷺ تعلُّم القرآن من رجل أعجمي 🍅 ®

مضمون الشبهة:

زعم المشركون أن محمدًا ﷺ أخذ القرآن الذي يتلوه من بشر، ويشيرون إلى غلام أعجمي رومي كان عبدًا بمكة لرجل من قريش، وكان رسول الله ﷺ يقف عليه يدعوه إلى الإسلام، فقالوا: إن محمدًا يتعلم منه، وكان هذا العبد يقول: إنها يقف عليّ يعلمني الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِمُهُ بَشَرٌ ﴾ تعالى: ﴿ وَلَقَدُ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِمُهُ بَشَرٌ ﴾ (النحل: ١٠٣).

٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٦، ص٣٦٨٩.

[®] في "تهافت القول بأخذ النبي القرآن عن غلام رومي" طالع: الوجه السادس، من الشبهة السابعة والثلاثين، من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم).

وجه إبطال الشبهة:

سبب الشبهة الافتراء ومنشؤها الجهل؛ إذ كيف يتعلم محمد الشالق القرآن العربي الفصيح من غلام أعجمي؟!

التفصيل:

هل تعلُّم النبي ﷺ القرآن من صَبِيٌّ أعجميٌّ ؟ ﴿

هذه شبهة سببها الجهل والافتراء، وقد كنَّبهم الله في قولهم هذا، فقال الله على: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُوكَ إِنَّمَا يُعُلِّمُهُ بَشَكُّ لِسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَعِيٌّ وَهَلَذَا لِسَانٌ عَكَرِيٌّ مُّبِيثٌ ١٠٠٠ ﴿ (النحل). والمعنى: ألا تعلمون كذب ما تقولون، فإن لسان الذي تلحدون إليه؛ أي تميلون إليه بأنه يعلِّم محمدًا أعجمي؟ وذلك أنهم كانوا يزعمون أن الـذي يعلم محمدًا هذا القرآن الكريم عبدٌ رومي كان يصنع السيوف بمكة قيل: إنه كان يختلف إليه يدعوه إلى الإسلام، وقد كشف القرآن هذا اللبس بأوضح كشف؛ إذ قال قولًا فصلًا دون طول جدال، قال الله ﴿ لِسَانُ ٱلَّذِي يُلْمِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَلَا لِسَانٌ عَرَبِي مُبِينُ ﴾، وهـذا خـير رد عـلى افـتراثهم وزعمهم؛ إذ كيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التيي هيي من أكمل معاني كل كتاب نزل على نبي أرسل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟! لا يقول بهذا من له أدنى مسكة من عقل، وبخاصة أن هؤلاء المشركين كانوا أهل اللسان العربي، ورجالَ الفصاحة وقادةَ البلاغة والبيان، وقد عجزوا عن معارضة سورة من القرآن، فكيف

يتعلم محمد من هذا الغلام الأعجمي، وهكذا يكشف القرآن ذلك اللبس بأوضح كشف وبقول فصل دون جدال طويل، فكيف يعلِّمه هذا العبد وهو أعجمي لا يكاد يبين، وهذا القرآن فصيح عربي معجز!

وبعد هذا الجواب الحاسم عقّب القرآن على ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ ﴿ النحل، فهؤلاء عُرفوا بشدة العداوة للنبي ﴿ وبالتصلب في التصدي لصرف الناس عنه، بحيث بلغوا من الكفر غاية ما وراءها غاية، فحقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون … (١)، وإن هولاء الذين لا يؤمنون هم الكاذبون حقًا الذين يفترون على الله الكذب ﴿ إِنّهَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ عَلَى الله الكذب ﴿ إِنّهَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا النحل. فرد عليهم بصيغة تقصرهم على الافتراء المتكرر (النحل). فرد عليهم بصيغة تقصرهم على الافتراء المتكرر المتجدد؛ إذ المضارع يدل على التجدد.

وقد ردّ الله على عليهم في موضع آخر، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِفُ الْأَيْتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسَّتَ وَلِنُكِيتِنَهُ لِقَوْمِ وَمَعَلَمُونَ فَلَى اللّهَ الْمَعْنِي: وكذلك نصر ف يَعْلَمُونَ على أنواع شتى ليهتدي بها المستعدون للإيهان على أنواع شتى ليهتدي بها المستعدون للإيهان على اختلاف العقول والأفهام، وليقول هؤلاء المشركون الجاحدون المعاندون: قد درست يا محمد وتعلمت من قبل، وليس هذا بوحي منزل كها زعمت، وقد قالوا مثل ذلك إفكا وزورًا، كها ورد آنفًا في سورة وقد قالوا مثل ذلك إفكا وزورًا، كها ورد آنفًا في سورة النحل، ثم قال على: ﴿ وَلِنُكِيّنَكُ لِقَوْمٍ يَعَلَمُونَ ﴾؛ أي: نوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه والباطل نوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه والباطل

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٧، ص٢٨٨ وما بعدها.

فيجتنبونه، فلله الحكمة البالغة في إضلال هؤلاء وبيان الحق لهؤلاء... ثم يصدر الأمر العلوي للنبي الكريم، وقد صرف الله الآيات، فافترق الناس في مواجهتها فريقين.. يصدر الأمر للنبي أن يتبع ما أوحي إليه وأن يعرض عن المشركين، فيلا يحفلهم، ولا يحفيل ما يقولون من قول متهافت، ولا يشغل بالله بتكذيبهم وعنادهم ولجاجهم، فإنها سبيله أن يتبع ما أوحي إليه من ربه، فيصوغ حياته كلها على أساسه، ويصوغ نفوس أتباعه كذلك، ولا عليه من المشركين فإنها هو يتبع وحي الله الذي لا إله إلا هو، فهاذا عليه من العبيد؟! ﴿ أَيِّعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن تَرَاكُ لَا إِلَهُ إِلاَ هُو الأَعْمِ، (الأنهام)(١).

الخلاصة

لقد حسم القرآن الأمر في جملتين كشف بهما زيغ المشركين وضلالهم في اتباع أهوائهم، ورَّد بهما المشبهة ودحضها، وهما:

- ﴿ لِسَاثُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ﴾
 (النحل: ١٠٣).
 - ﴿ وَهَٰذَا لِسَانُ عَرَفِ مُعْمِنُ السَّ ﴾ (النحل).

فكيف يتعلم النبي القرآن الكريم الذي أعجزكم جميعًا أيها البلغاء والفصحاء _ مع تعاونكم وتظاهركم ضده _من رجل أعجمي، لا علاقة له بالفصاحة والبيان؟!

AND EVE

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص١١٦٨.

الشبهة الخامسة والعشرون

دعوى اليهود أنه يكفيهم الإيمان بما أنزل عليهم، ولا يضرهم الكفر بغيره (*)

مضمون الشبهة :

يرفض اليهود وأمثالهم من أهل الكتاب الإيهان بها نُزَّل على محمد على متعلِّلين بأن الإيهان بها أنزل عليهم فيه الكفاية، وأنه لايلزمهم إلا الإيهان بكتابهم، ولا يضرهم الكفر بغيره قال على: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا يَمَا أَنزِلَ اللهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكَفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُم ﴾ (البقرة: ٩١).

وجوه إبطال الشبهة:

 ادعاؤهم الإيهان بها أنزل عليهم هو باللسان فقط؛ لأنهم يخالفون ما تأمرهم به كتبهم.

۲) کتمان أهل الکتاب الحق، وکفرهم بها أنزل على
 محمد ﷺ هو حسد لغيرهم وجحود ونكران لما تنطق بـــه
 کتمه.

٣) إنكار قتلهم الأنبياء مع حرمة ذلك في التوراة
 التي يدَّعون اتباعها.

التفصيل:

أولا. كذب اليهود ومخالفتهم لكتبهم:

يعتذر بعض اليهود في عصر التنزيل عن عدم الإيهان بها جاء به محمد ﷺ بأن ما عندهم من التوراة يكفيهم، وكذلك أمثالهم من أهل الكتاب، وهم لا

الآيات التي ورد فيها الرد على الـشبهة: (البقـرة/ ٩١، البقـرة/ ١٤، الأعراف/ ١٠٠، الأنعام/ ٢٠).

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ٩١).

يقرُّون إلا بذلك، ويقولون: ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة: ٩١).

ولقد كانت حجة بني إسرائيل في إعراضهم عن الإسلام، وإبائهم الدخول فيه أن عندهم الكفاية من تعاليم أنبيائهم، وأنهم ماضون على شريعتهم ووصاياهم، فهنا يفضحهم القرآن ويكشف عن حقيقة موقفهم من أنبيائهم وشرائعهم ووصاياهم، ويثبت أنهم هُمْمُ كلما واجهوا الحق الذي لا يخضع لأهوائهم.

وفيها تقدم واجههم بالكثير من مواقفهم مع نبيهم موسى الطيخ، وقد آتاه الله الكتاب. ويزيد هنا أن رسلهم توالت تترى، يقفو بعضهم بعضًا، وكان آخرهم عيسى ابن مريم، وقد آتاه الله المعجزات البينات، وأيده بروح القدس جبريل الطيخ فكيف كان استقبالهم لذلك الحشد من الرسل ولآخرهم عيسى؟ كان هذا الذي يستنكره عليهم؛ والذي لا يملكون هم إنكاره، وكتبهم ذاتها تقرره وتشهد به: ﴿ أَفَكُلُما جَاءَكُمُ رَسُولٌ بِمَا لَا نَهْوَى أَنفُكُمُ اسْتَكَبَرَثُمْ فَفَرِيقًا كُذَّبُتُمْ وَفَرِيقًا كُذَّبُتُمْ وَفَرِيقًا كُذَّبُتُمْ وَفَرِيقًا كُنْ البقرة).

ومحاولة إخضاع الهداة والشرائع للهوى الطارئ والنزوة المتقلبة ظاهرة تبدو كليا فسدت الفطرة، وانظمست فيها عدالة المنطق الإنساني ذاته. المنطق الذي يقتضي أن ترجع الشريعة إلى مصدر ثابت _غير المصدر الإنساني المتقلب _ مصدر لا يميل مع الهوى، ولا تغلبه النزوة. وأن يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت الذي لا يتأرجح مع الرضا والغضب، والصحة والمرض، والنزوة والهوى، لا أن يخضعوا الميزان

ذاته للنزوة والهوى^(۱)!

وقد رد الله عليهم حجتهم هذه مُصرِّحًا بحقيقة أمرهم، وهي أنهم يدّعون هذا الإيهان بألسنتهم ويَّكُفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ، ﴿ (البقرة: ٩١) من مدلول ولازم لا ينفك عنه؛ كالبشارة برسول من بني إخوتهم؛ أي: ولد إسهاعيل العَيْنِ ، وكون ما تثبت به نبوة محمد على بمساواته لما تثبت به نبوة موسى العَيْنُ يسلتزم وجوب اتباع محمد على كما اتبع موسى العَيْنُ؛ لأن المدلول يتبع دليله في كل زمن وفي كل موضوع، فهم يكفرون بها وراء المنزل عليهم، وهو الحق الثابت في نفسه بالدليل والنقل، فالحُبجة قائمة عليهم.

ثانيًا. كتمان اليهود للحق حسدًا وجحودًا:

يبيِّن القرآن الكريم أن أهل الكتاب لا يؤمنون بالحق الذي نزل على الرسول محمد وسدًا من عند أنفسهم؛ إذ هم يعلمون أن ما أنزل على محمد هو الحق الذي يجدونه في التوراة والإنجيل، قال والنبين ءَاتَيْنَهُمُ الْكِئنب يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ وَإِنَّ وَالْمَ عَلَيْ وَوَلَ أَبْنَاءَهُمُ وَإِنَّ أَنِينَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ وَإِنَّ وَاللهِ عَلَيْ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلِي اللهُ اللهُ

في ظــلال القــرآن، ســيد قطــب، مرجــع ســابق، ج١،
 ص٨٨، ٨٩.

وبهذا يجبههم جبها شديدًا بيا قالوا وما فعلوا؟ ويجردهم من كل حججهم ومعاذيرهم التي يسترون بها استكبارهم عن الحق، وأثرتهم البغيضة، وعزلتهم النافرة، وكراهتهم لأن ينال غيرهم الخير، وحسدهم أن يؤتي الله أحدًا من فضله جزاء موقفهم الجحودي المنكر من الإسلام ورسوله الكريم.

قال الله تعـالى:﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُ ۚ بَلِ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۞ ﴾ (البقرة). قالوا: إن قلوبنا مغلفة لا تنفذ إليها دعوة جديدة، ولا تستمع إلى داعية جديد! قالوها تيئيسًا لمحمد الله وللمسلمين من دعوتهم إلى هـذا الـدين؛ أو تعلـيلًا لعـدم اسـتجابتهم لـدعوة الرسول، ويقول الله تعالى ردًّا على قولتهم: ﴿ بَلِ لَّعَنَّهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾؛ أي: طردهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم، فهم قد كفروا ابتداء فجازاهم الله على الكفر بالطرد وبالحيلولة بينهم وبين الانتفاع بالهدى، ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ الله ﴾؛ أي: قليلًا ما يقع منهم الإيمان بسبب هذا الطرد الذي حق عليهم جزاء كفرهم السابق، وضلالهم القديم، أو أن هذه حالهم: أنهم كفروا، فقلها يقع منهم الإيهان، حالة لاصقة بهم يذكرها تقريرًا لحقيقتهم.. وكلا المعنيين يتفق مع المناسبة والموضوع.

وقد كان كفرهم قبيحًا؛ لأنهم كفروا بالنبي الذي ارتقبوه.. واستفتحوا به على الكافرين، أي ارتقبوا أن ينصروا به على من سواهم، وقد جاءهم بكتاب مصدق لما معهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابٌ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُكُ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى اللّهِ يَنْ كَفَرُواْ فَلَمَّا

جَاآةَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ عَهُ (البقرة: ٨٩).

وهو تصرف يستحق الطرد والغضب لقبحه وشناعته.. ومن ثم يصب عليهم اللعنة ويصمهم بالكفر: ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ ﴿ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

ويفضح السبب الخفي لهذا الموقف الشائن الذي وقفوه؛ بعد أن يقرر خسارة الصفقة التي اختاروها، فقال على: ﴿ بِشَكَمَا اَشْتَرَوْا بِعِة أَنفُسَهُمْ أَن يَكُمُوا فقال عَلَى: ﴿ بِشَكَمَا اَشْتَرَوْا بِعِة أَنفُسَهُمْ أَن يَكُمُوا بِعَمَا أَنزَلَ اللهُ بَعْيًا أَن يُنزِلَ اللهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَآهُ مِنْ عَبَادِوْة فَبَآءُو بِعَضَبٍ عَلَى عَضَبٍ وَلِلْكَفِرِينَ عَذَابُ مُعِيدُ اللهُ والبقرة).

وينسكما اشتروا بعة أنفسهم أن يكفروا هم، لكأن هذا الكفر هو الثمن المقابل لأنفسهم! والإنسان يعادل نفسه بثمن ما يكثر أو يقل. أما أن يعادلها بالكفر فتلك أبأس الصفقات وأخسرها ولكن هذا هو الواقع. وإن بدا تمثيلًا وتصويرًا لقد خسروا أنفسهم في الدنيا، فلم ينضموا إلى الموكب الكريم العزيز، ولقد خسروا أنفسهم في الآخرة بها ينتظرهم من العذاب المهين. وبهاذا خرجوا في النهاية؟ خرجوا بالكفر، هو وحده الذي كسبوه وأخذوه!

وكان الذي حملهم على هذا كله هو حسدهم لرسول الله الله أن يختاره الله للرسالة التي انتظروها فيهم، وحقدهم لأن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده. وكان هذا بغيًا منهم وظليًا، فعادوا من هذا الظلم بغضب على غضب؛ وهناك ينتظرهم عذاب مهين جزاء الاستكبار والحسد والبغي الذميم (۱).

١. المرجع السابق، ص٨٩، ٩٠.

ثالثًا. قتل اليهود للأنبياء:

ونظرًا لعنادهم ومكابرتهم لم يبق إلا إلزامهم بالحجة بها اقترفوا من فحش المخالفة لما أنزل عليهم؛ ليُعْلَم أنهم يَتَّبعون أهواءهم، ويحكِّمون شهواتهم، ولذلك قال مفحمًا إياهم: ﴿ قُلُ فَلِمَ تَقَنْلُونَ أَنْلِيكَ آءَ اللهِ مِن قَبْلُ إِن مفحمًا إياهم: ﴿ قُلُ فَلِمَ تَقَنْلُونَ أَنْلِيكَ آءَ اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُم مُوَّمنِينَ ﴾ (البقرة)؛ أي: إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بها أنزل إليكم فلم قتلتم الأنبياء في دعواكم الإيمان بها أنزل إليكم فلم قتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بين أيديكم والحكم بها وعدم نسخها، وأنتم تعلمون صدقهم؟

وهذا الخطاب توبيخٌ لهم وتقريعٌ وتعييرٌ من الله ﷺ إذ كيف يقتلون أنبياء الله، وقد حرَّم الله عليهم في الكتاب الذي أنزل عليهم قتلهم، بل أمرهم باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم، في كان منهم إلا أن قتلوهم

عنادًا واستكبارًا على رسل الله.

يقول صاحب "الظلال": "والقرآن يعجب من موقفهم هذا، ومن كفرهم بها وراء الذي معهم ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ (البقرة: ٩١)، ومالهم وللحق؟ ومالهم أن يكون مصدقًا لما معهم ما داموا لم يستأثروا هم به؟! إنهم يعبدون أنفسهم، ويتعبدون لعصبيتهم. لا، بل إنهم ليعبدون هواهم، فلقد كفروا من قبل بها جاءهم أنبياؤهم به.. ويلقن الله تعالى نبيه أن يجيبهم بهذه الحقيقة، كشفًا لمواقفهم وفضحًا لدعواهم: ﴿ قُلُ عَلَمُ تَقَنُّلُونَ أَنْبِيكَ آء اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُوْمِنِينَ فَلِمَ تَقَمُّنُونَ الله تعلى أنبياء الله من قبل إن كنتم حقًا تومنون بها أنزل إليكم؟ وهولاء الأنبياء هم الذين جاءوكم بها تدعون أنكم تؤمنون به؟

لا، بل إنكم كفرتم بها جاءكم به موسى اللّيهِ اللهُ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُوسَى بِالْبَيِنَاتِ ثُمَّ اللَّهُ الْمِجْلَ فَي بَعْدِهِ وَأَنتُم فَلْلِمُونَ اللّهِ (البقرة). فهل مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُم ظَلْلِمُونَ اللهُ اللهُ (البقرة). فهل اتخاذكم العجل من بعد ما جاءكم موسى اللّه الله بالبينات، وفي حياة موسى اللّه نفسه، كان من وحي بالبينات، وفي حياة موسى الله نفسه، كان من وحي الله اللهان؟ وهل يتفق هذا مع دعواكم أنكم تؤمنون بها أنزل إليكم؟

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة، بل كان هنالك الميثاق تحت الصخرة، وكان هناك التمرد والمعصية: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَقَكُمُ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا عَاتَيْنَكُمُ مِثْوَةً وَاسْمَعُواْ ﴾ (البقرة: ٩٣).

والسياق هنا يلتفت من الخطاب إلى الحكاية. يخاطب بني إسرائيل بها كان منهم، ويلتفت إلى المؤمنين

وإلى الناس جميعًا - فيطلعهم على ما كان منهم.. ثم يلقن الرسول أن يجبههم بالترذيل والتبشيع لهذا اللون من الإيهان العجيب الذي يدعونه إن كان يأمرهم بكل هذا الكفر الصريح: ﴿ بِشَكَمَا يَأْمُرُكُم بِدِ إِيمَنْكُمُ إِن كُنتُم مُّوْمِنِيكَ ﴿ البقرة) ((۱).

ويقول صاحب "التحرير والتنوير": قوله: ﴿ وَإِذَا فِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزِلَ اللّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكَفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ، وَهُو الْحَقُّ مُصَدِقًا لِمَا مَعَهُمُ قُلُ وَيَكُفُرُونَ بَيْنِا اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُم مُوْمِنِينَ ﴿ اللّهِ مَن اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُم مُوْمِنِينَ ﴿ اللّهِ مَن اللّهِ مَن اللّهِ مِن اللّهِ مَا الله اعتراض في اثناء ذكر الله اعتراض في اثناء ذكر أحوالهم قصد الرد عليهم في معذرتهم هذه؛ لإظهار أن معاداة الأنبياء دأب لهم، وأن قولهم: ﴿ نُوْمِن بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ كذب؛ إذ لو كان حقًا لما قتل أسلافهم الأنبياء الذين هم من قومهم ودعوهم إلى تأييد التوراة والأمر بالعمل بها، ولكنهم يعرضون عن كل ما لا يوافق المواءهم، وهذا إلزام للحاضرين بها فعله أسلافهم؛ لأنهم يرونهم على حق فيها فعلوا من قتل للأنبياء.. والإتيان بالمضارع في قوله: ﴿ تَقَنُّلُونَ ﴾ مع أن القتل قد مضى؛ لقصد استحضار الحالة الفظيعة وقرينة ذلك مضى؛ لقصد استحضار الحالة الفظيعة وقرينة ذلك قوله: ﴿ وَمَنْ قَبْلُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُوسَىٰ بِالْبَيِنَاتِ
ثُمَّ التَّخَذَّمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَلِمُونَ اللهِ ﴾
(البقرة)، عطف على قوله: ﴿ فَلِمَ تَقْنُلُونَ أَنْبِيآ اللهِ ﴾
(البقرة: ٩١)، والقصد منه تعليم الانتقال في المجادلة معهم إلى ما يزيد إبطال دعواهم الإيهان بها أنزل إليهم

١. المرجع السابق، ص٩١.

خاصة، وذلك أنه بعد أن أكذبهم في ذلك بقوله: ﴿ فَلِمَ تَقَنُّلُونَ أَنْبِيآ اللّهِ مِن قَبَّلُ ﴾ كما بينا ترقّى إلى ذكر أحوالهم في مقابلتهم دعوة موسى الطّيِّلِ الذي يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بها جاءهم به، فإنهم مع ذلك قد قابلوا دعوته بالعصيان قولًا وفعلًا، فإذا كانوا أعرضوا عن الدعوة المحمدية بمعذرة أنهم لا يؤمنون إلا بها أنزل عليهم، فلهاذا قابلوا دعوة أنبيائهم بعد موسى الطيّل بالقتل؟ ولماذا قابلوا دعوة موسى بها قابلوا؟ فهذا وجه ذكر هذه الآيات هنا وإن كان قد تقدم نظائرها فيها مضى فإن ذكرها هنا في محاجة أخرى وغرض جديد (٢).

الخلاصة:

دعوى اليهود أن إيهانهم بها في كتبهم يكفيهم ولا يحتاجون إلى الإيهان بأي كتب أخرى دعوى باطلة ردها القرآن من الوجوه الآتية:

- ادعاؤهم الإيمان بها أنزل عليهم ادّعاء كاذب؛
 لأنهم يخالفون ما تأمرهم به هذه الكتب.
- دعواهم تلك ناشئة عن حسد وحقد على غيرهم أن يؤتيهم الله من فضله ما يشاء.
- أنهم يكتمون الحق الذي بشرت به كتبهم من الرسالة الخاتمة ونبي آخر الزمان.
- إنكار قتلهم الأنبياء مع حرمة ذلك في التوراة التي يدَّعون اتباعها.

AGE:

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١،
 ٦٠٨ ص٦٠٨، ٢٠٩ بتصرف.

الشبهة السادسة والعشرون

الزعم أن كتابَ أهل الكتاب خيرُ الكتب، ونبيَّهم خيرُ الأنبياء (*) ®

مضمون الشبهة:

يزعم أهل الكتاب أن كتابهم خير الكتب، ونبيهم خير الأنبياء، ويفتخرون على المسلمين بأن نبيهم كان قبل نبينا، وكتابهم قبل كتابنا، وينتهون من هذا التخاصم إلى أنهم أولى بالله من المسلمين.

وجوه إبطال الشبهة:

- قيام حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل
 الكتاب.
- الدين ليس بالتَّمنِّي ولا بالغرور ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، وليس كل من ادعى شيئًا يحصل له بمجرد الدعوى.
 - ٣) لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان.
- ٤) ليس هناك أحسن دينًا عمن أخلص لله في العبادة واتبع ملَّة إبراهيم حنيفًا.

التفصيل:

أولا. قيام الحجة للمسلمين:

في هذه يتخاصم أهل الأديان، فاليهود يقولون للمسلمين: نحن خير منكم، ديننا قبل دينكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن على دين إبراهيم،

ولن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا، ولن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات، ولن يعذبنا الله فنحن أبناؤه وأحباؤه، وقالت النصارى مثل ذلك، فقال المسلمون: كتابنا بعد كتابكم وهو قاض عليه ونبينا بعد نبيكم، وديننا بعد دينكم، وقد أُمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم، فنحن خير منكم، نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا، فلا دين إلا الإسلام.

فهنا تخاصم أهل الكتاب والمسلمون، وافتخر أهل الكتاب عليهم، وقد أفلح الله تعالى حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان؛ لأن القرآن نسخ كل كتاب، وكان رسول الله الله النبيين، وقد أمر أهل الكتاب أن يؤمنوا به وبكتابه، وأن يعملوا مقتضاه.

ثانيًا. الدين ليس بالتمنّي، ولكنه بالإيمان والعمل الصالح:

^(*) الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (النساء/ ١٢٣: ٥٢٠).

[®] في "هل الهدى في اتباع اليهودية؟" طالع: الشبهة الثانية، من الجزء الثامن (مقارنة الأديان).

كقوله عَلى: ﴿ فَمَن يَعْمَلَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَسَرَهُ. ﴿ كَالْ يَسْرَهُ اللهِ الزلزلة).

وقد قيل: إن الخطاب في قوله: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ ﴾ للمسلمين، وقيل: للمشركين، ولعل الصواب هو الثاني؛ لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيها مضى من الآيات قبل هذه الآية، وقد وعد الله المؤمنين أن يكفّر عنهم سيئاتهم، ولم يَعِدْ أولئك المشركين، قال عَنْ وَلَنْ عَنْهُمْ سَيِّعَاتِهِمْ وَلَمْ يَعِدْ أُولئك المشركين، قال عَنْ وَلَنْ المَّالِحَتِ لَنُكُفِّرَنَ عَنْهُمْ سَيِّعَاتِهِمْ وَلَمْ يَعَدْ أُولئك المُسْركين، قال عَنْهُمْ سَيِّعَاتِهِمْ وَلَنْ فَيْ الْمُنْ الْمُعْ مَنْ اللهُ المُعْرَبَ اللهُ اللهُ المُعْرَبَ اللهُ المُعْرَبِينَ اللهُ اللهُ اللهُ المُعْرَبِينَ اللهُ ال

ثَالثًا. الإيمان شرط في قبول العمل الصالح:

بين الله على أن الأعمال المصالحة لا تقبل إلا مع الإيمان، وإلا فالشرك يجبطها كما قبال الله و لَهِنَ أَشَرَكْتَ لَيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ الزمر: ١٥)، وذلك أن المشركين كانوا في افتخارهم يفخرون بخدمة الكعبة وإطعام الحجيج وسقايتهم، وكان اليهود والنصارى يفخرون بسبقهم، فقال الله و مَن يَعْمَلُ مِنَ الصَّكِلِحَنتِ مِن ذَكَرِ فَقَال الله و مَن يَعْمَلُ مِنَ الصَّكِلِحَنتِ مِن ذَكَرٍ فَوَ النَّهُ وَهُو مُؤْمِنٌ فَأُولَتِهِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَةَ وَلا يُظَلَمُونَ فَقِيرًا الله الله والنساء).

رابعًا. الإسلام هو دين الحق:

من ردود القرآن بعد ذلك أيضًا أنه خيَّر بين الأديان فقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنَ أَسْلَمَ وَجُهَهُ لِلَهِ وَهُوَ فقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنَ أَسْلَمَ وَجُهَهُ لِلَهِ وَهُو مُحَسِنُ وَاتَبَعَمِلَةَ إِبْرَهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النساء: ١٢٥)، فلا أحد أحسن دينا ممن أخلص العمل لربه على فعمل إيهائا واحتسابًا، وهو متبع في عمله ما شرعه الله له واتَّبع ملة إبراهيم حنيفًا، وهؤلاء هم محمد على وأتباعه إلى يوم

القيامة، قال ﷺ: ﴿ إِنَّ أَوَلَى النَّاسِ بِإِبْرَهِيمَ لَلَّذِينَ اَتَّبَعُوهُ وَهَلَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (آل عمران: ٦٨)(١).

الخلاصة:

- لقد قضى الله تعالى بين أهل الأديان حين اختلفوا في أيهم على حق، ورد الجميع إلى ميزان واحد وجعله معيار القبول عند الله تعالى؛ وهو الإيهان بالله مع العمل الصالح، وأنه لا قيمة عند الله لعمل لا يصدر عن الإيهان.
- الدين هو الإسلام ملة إبراهيم التي وأحسن العمل هو الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- الدين ليس بالتمني ولا بالغرور، لكن بها وقر في القلب وصدقه العمل، وكان خالصًا لله ومنطويًا تحت ملة إبراهيم حنيفًا.

SAGEN

الشبهة السابعة والعشرون

دعوى استطاعة الإتيان بمثل القرآن ^(*)

مضمون الشبهة :

ادّعي نَفَرٌ من اليهود ـ أَتَوْا إلى رسول الله ﷺ ـ أنهـم

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٥، ص٢٠٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص٧٦٢.

^(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (الأنعام/ ٩٣، الأنفال/ ٣١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الإسراء/ ٨٨، الرعـد/ ٣١، هود/ ١٣، يونس/ ٣٨).

يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن، وقالوا له: إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ الله ﴾ (الأنعام: ٩٣)، وقيل: إنّ الحوار كان مع المشركين في مكة، ﴿ وَإِذَا لَنَهُ لَا عَلَيْهِمْ ءَاكِتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَلَا أَن الله (الأنفال: ٣١).

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) لا تَثبت الدّعوى إلا بدليلها.
- ۲) هذه الدعوى من تمويهات المشركين على عامة العرب.
 - ٣) كفر المشركين بالقرآن راجع إلى كبرهم.
- ٤) القرآن معجز لا يستطيعه الإنس والجن ولـو اجتمعوا له.

التفصيل:

أولا. الدعوى لا تثبت إلا بدليلها:

ادعاء نفر من اليهود أنهم يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن دعوى بـ لا دليل، كان منشؤها العناد للحق والعجز عن التحدي، وقد قالها من المشركين: النضر بن الحارث، الذي كان يختلف إلى فارسَ تاجرًا فيمرّ بالعباد وهم يقرءون الإنجيل، فجاء مكة فوجد بالعباد وهم يقرءون الإنجيل، فجاء مكة فوجد محمدًا على قد أُنْزِلَ عليه، فقال: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَاذَا هَا أَنْزِلَ عليه، فقال: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ المَا الله بن سعد بن أبي سرح، وقد كان يكتب النبي على الوحي، وكان يقول: إنْ كان محمد يُوحَى للنبي على الوحي، وكان يقول: إنْ كان محمد يُوحَى اليه فقد أُوحِي إليّ، وإنْ كان الله ينزّله، فقد أنزلتُ مثل ما أنزل الله، وقيل: إن من قال ذلك هو مُسَيلِمَة مثل ما أنزل الله، وقيل: إن من قال ذلك هو مُسَيلِمَة

الكذاب، وقيل: الأسود العنسيي وسِجَاح زوجة مسيلمة، وكل من تنبّأ وزعم أن الله قد أوحَى إليه، وقيل: نزلت في كل من ادّعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي.

ثَانيًا. دعوة باطلة للتمويه والصَّدِّ عن الإسلام:

هذه الفِرية من تمويهات أهل الشرك، وقد كانوا لا يتهمون رسول الله بلل بالكذب، وقد قال في ذلك: في فَإِنَّهُمْ لا يُكذِبُونك وَلَكِنَّ الظَّلِمِينَ بِعَاينتِ اللَّهِ يَجَمَدُونَ وَفَإِنَهُمْ لا يُكذِبُونك وَلَكِنَّ الظَّلِمِينَ بِعَاينتِ اللَّهِ يَجَمَدُون السَّلِهِ الانعام، بل كانوا يُوهمون عامة العرب أنه اكتتبها وجمعها كي يحفظها، وكلهم كانوا يعلمون أنه أُمِّيٌ لم يتعلم شيئًا، فتشاوروا في شيء يقولونه؛ ليصدُّوا به العرب عن القرآن الكريم، فكان هذا القول المزعوم، وقد كذّبهم الله على في استطاعوا له إثباتًا، قال في: ﴿ قُلُ فَأَنُوا بِسُورَةٍ مِتْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اللهِ تعالى أيضًا: ﴿ قُلُ فَأَنُوا بِعَشِرِ سُورٍ مِتْلِهِ وَادْعُوا مَنِ الله تعالى أيضًا: ﴿ قُلُ فَأَنُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِتْلِهِ وَادْعُوا مَنِ الله تعالى أيضًا: ﴿ قُلُ فَأَنُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِتْلِهِ وَ مُفْتَرَينَتِ ﴾ (يونس)، وقال الله تعالى أيضًا: ﴿ قُلُ فَأَنُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِتْلِهِ وَ مُفْتَرَينَتِ ﴾ (مود: ١٢).

فدل ذلك على أنّ هذا القول منهم كان قولًا ببلا فعل، وإلا فقد تحدَّاهم الله غير مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلًا، وإنها هذا القول منهم يُغْرون به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم، ولذا نبَّه الله عَلَى شرف هذا القرآن، وأخبر أنه لو اجتمع الإنس والجن، واتفقوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، وتعاونوا وتضافروا فيها بينهم ما أطاقوا ذلك وما استطاعوه، فإنّ هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق جل وعلا، الذي لا نظير له ولا مثال، وهذا التَّحدِّي تكذيب من الله عَلَى هم؟

إذ لو كانوا صادقين في دعواهم لأتوا بما يؤيدها من الأدلة.

والدَّعاوَى ما لم تُقِيمُوا عليها

بَيِّنَــاتٍ أبناؤهــا أَدْعِيـاءُ

ثَالثًا. عناد الشركين وكِبْرهم:

بعد أن ذكر القرآن مقولتهم: ﴿ لَوْ نَشَآهُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَنَذَا ﴾ (الأنفال: ٣١)، يمضي السياق يصف العجب العجاب من عناد المشركين في وجه الحق الذي يغالبهم فيغلبهم، فإذا الكبرياء تصدهم عن الاستسلام له والإذعان لسلطانه، وإذا بهم يتمنون عـلى الله ـ إن كــان هذا هو الحق من عنده _ أن يمطر عليهم حجارة من السماء، أو أن يأتيهم بعذاب أليم بدلًا من أن يسألوا الله أن يرزقهم اتباع الحق والوقوف في صفه: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَنَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِـرْ عَلَيْــنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّكَلَهِ أَوِ ٱثْنِينَا بِعَذَابٍ ٱلِيـمِ ﴿ اللَّهُ ﴾ (الأنفال)، وهو دعاء غريب يصور حالة العناد الجامح الذي يؤثر الهلاك على الإذعان للحق، حتى ولـوكـان حقًّا، إن الفطرة السليمة حين تشك تدعو الله أن يكشف لها عن وجه الحق، وأن يهديها إليه، دون أن تجد في هذا غضاضة، ولكنها حين تفسد بالكبريـا ﴿ الجامحـة تأخذها العزة بالإثم، حتى لتؤثر الهلاك والعذاب على أن تخضع للحق عندما يكشف لها واضحًا لا ريب فيه.. وبمثل هذا العناد كان المشركون في مكة يواجهون دعوة رسول الله ﷺ، ولكن هذه الدعوة هي التي انتصرت في النهاية في وجه هذا العناد الجامع (١).

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٠٥.

رابعًا. إعجاز القرآن لهم:

ومن ردود القرآن على هذه الفرية أيضًا قوله المؤورة أن قُرَانًا سُيِرَت بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوَ قُطِعَت بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْكُمْ مَا يَصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَم يَا يَصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن بِهِ ٱلْمَوْنَيُ بَل يَلِهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا يُصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَو يَسَالَهُ ٱللهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا (الرعد: ٣١)، فلو كان في الكتب الماضية كتاب تسيَّر به الجبال عن أماكنها، أو تقطّع به الأرض وتنشق، أو تكلّم به الموتى في قبورهم لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأوْلَى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز أو بطريق الأوْلَى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا الجتمعوا - أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور منه، ولا بسورة من مثله، ومع ذلك لا يؤمن به هؤلاء المشركون جحودًا واستكبارًا (٢٠).

الخلاصة:

- هذه الدعوى من مزاعم المتصدين للطعن على رسول الله ومحاجته والتشغيب عليه، فتحداهم الرسول برمعارضة سورة من القرآن فعجزوا عن ذلك.
- هذه الدعوى منشؤها العناد والاستكبار عن قبول الحق بدليل أنهم سألوا الله إن كان هذا القرآن الكريم هو الحق من عند الله أن يمطر عليهم حجارة من السماء أو يأتيهم بعذاب أليم؛ بدلًا من أن يسألوه الهداية للحق.

المرجع السابق، ص١٥٠٢: ١٥٠٥. التحرير والتنوير،
 الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٥، ج٩، ص٣٢٩ وما بعدها.

- هذه الدعوى كان هدفها التشويش على الناس والتمويه على العامة من أجل التأثير على القلوب المائلة نحو القرآن.
- بطلان هذه الدعوى يبرهن عليه الواقع؛
 إذ إنهم لم يستطيعوا أن يقولوا مثله _كها زعموا _
 فاتضح كذبهم.

200 BK

الشبهة الثامنة والعشرون

دعوى أن القرآن لوكان خيرًا ما سبق إلى الإيمان به العبيد والإماء والمستضعفون (*) ®

مضمون الشبهة:

ادَّعى الكافرون أن القرآن ليس هو الحق؛ إذ لو كان هـ ذا القـرآن خـيرًا حقًا مـا سـبقهم إلى الإيـان بـه المستضعفون من العبيد والإمـاء وأشباههم: يعنون بذلك خبَّابًا وبلالا وصهيبًا وعيّارًا رضي الله عنهم، لأن هؤلاء المشركين ـ عند أنفسهم ـ يعتقدون أن لهم وجاهة عند الله ولـه بهـم عنايـة، فكيـف إذًا يهتدي هـؤلاء المستضعفون دون أهـل الوجاهـة والـشرف؟ وكيف يستوون معًا؟ قال على وقال المرتقية عنه الله عنه مناية في المنتفعفون دون أهـل الوجاهـة والـشرف؟ وكيف

لَوْكَانَ خَيْرًا مَّاسَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ (الاحقاف: ١١).

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) الله يمُن على من يشاء امتحانًا منه للناس
 بعضهم ببعض.
- ليس عيبًا في الدعوة أنْ يسبق إليها الضعفاء،
 بل إن لله في ذلك حكمة.
- ٣) هـذه الـشبهة هـي مقولـة كثير من المكذّبين السابقين.
 - هذه المقولة منشؤها الغرور والاستكبار.
- الرزق في الدنيا مترتب على أسباب قدّرها الله.
 - ٦) ليسَ كل مَنْ كثر ماله كان دينه حقًّا.

التفصيل:

أولا. الله يمنّ على من يشاءُ اختبارًا:

إذا كان مشركو مكة وقريش يرون لأنفسهم الوجاهة والرياسة والشرف، وأن لهم عند الله مزيد عناية واهتهام، وبناءً على ذلك يعتقدون أنّ هذا القرآن وما يدعو إليه محمد على الله وكان خيرًا ما سبقهم إليه هؤلاء العبيد والمستضعفون، إذا كان الأمر كذلك، فإن القرآن يبين لهم أنّهم قد غلطوا في ذلك الفهم غلطا شديدًا، وأخطئوا في معتقدهم هذا خطأ بيّنًا، فإن الله تعلى بمن على من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، قال في الله وكذلك فَتَنَا بَعْضَهُم ويغضِ لِيَقُولُوا أَهَلَوُلاَ مَنَ الله عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا أَلْيَسَ الله بِأَعْلَمَ وَالشَّكَوِينَ الله الأنعام).

ثانيًا. الضعفاء لا يعيبون الدعوة:

ليس عيبًا في دعوة محمد ﷺ أن يسبق إليها ويهتدي

^(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (الأحقاف/ ١١، الأنعام/ ٥٣).

الآيات التي ورد فيها الرد على الـشبهة: (مريم/ ٧٤، الأنعـام/ ٥٣، الأحقاف/ ١١).

[®] في "الحكمة من استجابة الضعفاء لدعوة الأنبياء" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة الثالثة، من الجزء الثالث (التاريخ الإسلامي١).

إليها المستضعفون أمثال بلال، وصهيب، وخبّاب، وعبّار، وسُميّة، وإنها الله والله قلل قد جعل ذلك فتنة للناس بعضهم ببعض، والله أعلم بالشاكر منهم والمهتدي والموفّق، وهو المطّلع على أقوالهم وأفعالهم وضهائرهم وأحوالهم فيهديهم إلى طريق مستقيم؛ فهو ضهان لإيهان بلا غرض دنيوي أو مادّي من وراء الإيهان برسالة الرسل، فلا وجه إذًا لعجب المشركين وسخريتهم بضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء.

ثَالثًا. طبيعة الأمم المعوجَّة:

رابعًا. الغروروالاستكبار من أهم أسباب الضلال:

هذه الشبهة في حد ذاتها خطأ من أخطاء هؤلاء المشركين وحجة من حججهم الداحضة الباطلة، وهذا الخطأ منشؤه الإعجاب بالنفس والغرور بالذات، فكيف يستدلون على أن لا خير في الإسلام والقرآن الكريم بأن الذين ابتدروا الأخذ به ضعفاء القوم، وهم يعدّونهم منحطين عنهم في الدرجة والمقام؟! ولذا

أبان الله أن مزاعمهم هذه كلها ناشئة عن الكفر والاستكبار؛ ولذا قال عَلَّدُ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواً ﴾ (الاحقاف: ١١)، وقال: ﴿ وَاسْتَكْبَرَثُمُ ﴾ (الاحقاف: ١٠)، وقال: ﴿ وَاسْتَكْبَرَثُمُ ﴾ (الاحقاف: ١٠)، وقال: ﴿ وَاسْتَكْبَرَثُمُ ﴾ (الاحقاف: ١٠)، وقال: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ يِوِء فَسَيقُولُونَ هَذَا إِفْكُ قَدِيمٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ قَدِيم، فلا مطمع في المستقبل نظرًا لاستكبارهم وعنادهم وضلالهم وكبريائهم.

خامسًا. أسباب الرزق مقدَّرة ولا علاقة لها بالكفر والإيمان:

فقوله والمسلمة عقب هذه الشبهة: ﴿ الْيَسَ اللهُ بِأَعَلَمُ اللّهُ بِأَعَلَمُ اللّهُ بِأَعَلَمُ اللّهَ اللّهِ السبهة التي خلطت بين شيئين متفارقين في الأسباب، فاشتبه على هؤلاء المشركين الجزاءُ على الإيهان وما أعدّ الله لأهله من النعيم الخالد في الآخرة، المتربّب عليه تربّب المسبب على السبب المجعول عن حكمة الله والله المترب على أسباب دنيوية كالتجارة والغزو والإرث والهبات، فالرزق الدنيوي لا تسبّب بينه وبين والإرث والهبات، فالرزق الدنيوي لا تسبّب بينه وبين فالأحوال القلبية، ولكنه من مسببات الأحوال المادية، فالله أعلم بشكر الشاكرين، وقد أعد لهم جزاء شكرهم، وأعلم بأسباب رزق المرزوقين، فالتخليط بين المقامين من ضعف الفكر الناشئ عن سوء النظر وترك التأمل في الحقائق والعلل ومعلولاتها.

سادسًا. كثرة المال لا تدل على رضا الرب:

ويبطل الله هذه الـشبهة في مواضع أخـرى، فيبـيّن للمشركين أن هذه الحجة ليست بشيء، فليسَ كـل مَـنْ

الخلاصة:

- ليس عيبًا في الدعوة أن يسبق إليها الضعفاء، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده؛ امتحانًا منه لعباده بعضهم ببعض، والإيان من أكبر عطايا الله للعبد.
- هذا الاعتقاد منشؤه الغرور والاستكبار والخطأ العقيم، فهؤلاء المتقولون يرون أنفسهم طبقة مميزة عن غيرهم، وليس هذا فحسب، بل حكموا على القرآن من هذا المنطلق، فجاء حكمهم خطأً كبيرًا.
- إذا كان هؤلاء يفتخرون بالمال وكثرة العرض، فها كان المال أو العرض مقياسًا لقبول العمل أو للإيهان بديانة دون غيرها، وإنها المقياس هو التقوى والعمل الصالح.

للمزيد انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٨، ج١٦، ص١٥٣: ١٥٥ بتصرف. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٧، ص٤٣٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص١١٠٢، ج٦، ص٢٥٨.

இ في "إبطال القرآن دلالة رغد العيش على رضا الله وصحة
 العقيدة" طالع: الشبهة الثالثة والأربعين، من هذا الجزء.

المحورالثَّالث

شبهات تتعلق بالتشريعات و الأوامر

أولا. شبهات تتعلَّق بالاعتراض على تشريعات الله ﷺ

الشبهة التاسعة والعشرون

دعوى أن البيع مثل الربا^(*)

مضمون الشبهة:

وجوه إبطال الشبهة:

- 1) البيع يختلف في أصله عن الربا، فالبيع معاوضة بين شيئين، والربا زيادة دون مقابل، وكل معاوضة صحيحة خالية من أكل أموال الناس بالباطل فهي بيع حلال، وكل زيادة لا مقابل لها فهي ظلم وأكل لأموال الناس بالباطل؛ ولذا حرمها المولى على الناس بالباطل؛ ولذا حرمها المولى اللها في الناس بالباطل؛ ولذا حرمها المولى اللها المولى المولى المولى المولى اللها المولى المولى المولى اللها المولى ا
- ۲) مساوئ الربا ومفاسد النظام الربوي من علل تحريمه.
- جزاء من يتعامل بالربا محق بركة ماله في الدنيا،
 وتخبطه من المس والعذاب الأليم في الآخرة؛ وذلك

لأنه بأكله الربا يعلن الحرب على الله ورسوله ﷺ.

الربا لا يحل مشكلة المعسر إنها حل مشكلته في إنظاره إلى ميسرة كها بين القرآن وهذا هو العلاج الناجع الشافي.

التفصيل:

أولا. البيع يختلف عن الربا:

يعتجُّ المشركون على صحة شبهتهم بأن البيع مشل الربا، يعنون أن الزيادة عند حلول الأجل آخرًا كمشل أصل الثمن في أول العقد؛ وذلك أن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك، فكان أهل الجاهلية إذا حلّ مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل وأزيدك في المال، فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك: هذا ربا لا يحل، فإذا قيل لهما ذلك قالا: سواء علينا زدنا في أول البيع أو عند عجلّ المال! فحرّم الله على ذلك، ورد عليهم قولهم بقوله الحق: ﴿ وَأَكُلُ اللّهُ أَلْبَيْعَ وَحَرَمُ الرّبُوا ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وأوضح الله أن الأَجَلُ إذا حلّ ولم يكن عنده ما يؤدِّي أُنظر إلى الميسرة (١).

وقوله عنه: ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبُوا ﴾ معناه: أنه أحلّ الأرباح في التجارة والشراء والبيع وحرّم الربا، وهو الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل وتأخيره دينه عليه، فأعلمهم الله أنه ليست الزيادتان اللتان إحداهما من وجه البيع، والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل سواءً، وذلك أتي حرمت إحدى الزيادتين، وهي التي من وجه تأخير حرمت إحدى الزيادتين، وهي التي من وجه تأخير

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ٢٧٥).

الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ٢٧٥).

ا. للمزيد انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق،
 ج٣، ص٩٦، ج٧، ص٤٣٣. في ظلال القرآن، سيد قطب،
 مرجع سابق، ج٢، ص١٠١٠، ج٢، ص٣٢٥٨.

المال والزيادة في الأجل، وأحللت الأخرى منها، وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها، فيستفضل فضلها، فنبه الله أنه: ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا؛ لأني أحللت البيع وحرمت الربا، والأمر أمري والخلق خلقي، أقضي فيهم ما أشاء، وأستعبدهم بها أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي ولا أن يخالف أمري، وإنها عليهم طاعتي والتسليم لحكمي.

ويُفهم من ردّ القرآن مغالطة هؤلاء المشركين حين استحلوا الربا وجعلوه كالبيع، وما هو كالبيع، فإن البيع معاوضة بين شيئين، وأما الربا الذي كانوا يأكلونه فهو زيادة عن دَينهم يزيدونها عند تأخير الأجل لا يقابلها شيء، وما يؤخذ من غير مقابل فهو باطل؛ لذلك حرم الله الربا دون البيع، ولو كانا متساويين لما اختلف حكمها عند أحكم الحاكمين، فكل ما فيه معاوضة صحيحة خالية من أكل أموال الناس بالباطل الذي لا يقابله عوض فهو بيع حلال، وإنها تحرم الزيادة التي يأخذها صاحب المال لأجل التأخير في الأجل، وهي لا معاوضة فيها ولا مقابل لها، فهي ظلم (۱).

يذكر صاحب "التحرير والتنوير" أن مبنى شبهة القائلين: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبُواْ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) أن التجارة فيها زيادة على ثمن المبيعات؛ لقصد انتفاع التاجر في مقابلة جلب السلع وإرصادها للطالبين في البيع المؤجل، الناض، ثم لأجل انتظار الثمن في البيع المؤجل، فكذلك إذا أسلف عشرة دراهم مثلًا على أنه يرجعها له

أحد عشر درهمًا، فهو قد أعطاه هذا الدرهم الزائد لأجل إعداد ماله لمن يستسلفه؛ لأن المقرض تصدى لإقراضه وأعد ماله لأجله، ثم لأجل انتظار ذلك بعد عمل أجله.

وكشف هاته الشبهة قد تصدى له وبينه علماء المسلمين، فقال بعضهم: من باع ثوبًا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلًا بالعشرين، فلما حصل التراضي على هذا التقابل صارت العشرون عوضًا للثوب في المالية، فلم يأخذ المقرض العشرة الزائدة من المشتري شيئًا بدون عوض، أما إذا أقرضه عشرة بعشرين فقد أخذ المقرض العشرة الزائدة من غير عوض، ولا يقال: إن الزائد عوض عن الإمهال؛ لأن عوض، ولا يقال إن الزائد عوض عن الإمهال؛ لأن الإمهال ليس مالًا أو شيئًا يشار إليه حتى يجعله عوضًا عن العشرة الزائدة، ومرجع هذه التفرقة إلى أنها مجرد اصطلاح اعتباري فهي تفرقة قاصرة.

وأشار بعضهم في أثناء تقرير حكمة تحريم الربا إلى تفرقة أخرى حاصلها أن الذي يبيع الشيء المساوي عشرة بأحد عشر يكون قد مكن المشتري من الانتفاع بالمبيع إما بذاته وإما بالتجارة به، فذلك الزائد لأجل تلك المنفعة وهي مسيس الحاجة أو توقع الرواج والربح، وأما الذي دفع درهما لأجل السلف فإنه لم يحصل منفعة أكثر من مقدار المال الذي أخذه، ولا يقال: إنه يستطيع أن يتّجر به فيربح؛ لأن هذه منفعة موهومة غير محققة الحصول، مع أن أخذ الزائد أمر عقق على كل تقدير.

وهذه التفرقة أقرب من التفرقة الأولى، لكنها يرد عليها أن انتفاع المقترض بالمال فيه سدُّ حاجاته فهو كانتفاع المشتري بالسلعة، وأما تصديه للمتاجرة بال

ا. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۳، ص۹۹، ۹۷ بتصرف.

القرض، أو بالسلعة المشتراة فأمر نادر فيها.

فالوجه عندي _ والحديث لابن عاشور _ في التفرقـة بين البيع والربا أن مرجعها إلى التعليل بالمظنة مراعاة للفرق بين حالي المقترض والمشتري، فقد كان الاقتراض لدفع حاجة المقترض للإنفاق على نفسه وأهله لأنهم كانوا يعدون التداين همَّا وكربًّا، وقد استعاذ منه النبي على، وحال التاجر حال التفضّل. وكذلك اختلاف حالي المُسَلِّف والبائع، فحال باذل ماله للمحتاجين لينتفع بما يدفعونه من الربا فيزيدهم ضيقًا؛ لأن المتسلَّف مظنة الحاجة، ألا تراه ليس بيده مال، وحال بائع السلعة تجارة حال من تجشُّم مشقة لجلُب ما يحتاجه المتفضلون وإعداده لهم عند دعاء حاجتهم إليه مع بذلهم له ما بيدهم من المال. فالتجارة معاملة بين غنيين، ألا ترى أن كليهما باذل لما لا يحتاج إليه وآخذ ما يحتاج إليه، فالمتسلف مظنَّة الفقر والمشتري مظنة الغني؛ فلذلك حرم الربا؛ لأنه استغلال لحاجة الفقير، وأحل البيع؛ لإنه إعانة لطالب الحاجات. فتبين أن الإقراض من نوع المواساة والمعروف، وأنها مؤكدة التعين على المواسي وجوبًا أو ندبًا، وأيًّا ما كان فلا يحل للمقـرض أن يأخذ أجرًا على عمل المعروف، فأما الذي يستقرض مالًا ليتجر به أو ليوسع تجارته فليس مظنة الحاجة، فلم يكن من أهل استحقاق مواساة المسلمين، فلذلك لا يجب على الغني إقراضه بحال فإذا أقرضه فقد تطوع بمعروف، وكفي بهذا تفرقة بين الحالين(١).

والمقصود أن الشبهة التي ركنوا إليها في قولهم:

وإنّما ألْبَيْعُ مِثْلُ ألرِبَوا المارة: ١٧٥)، هي أن البيع يعقق فائدة وربحا، وهي يعقق فائدة وربحا، وهي شبهة واهية، فالعمليات التجارية قابلة للربح وللخسارة، والمهارة الشخصية، والجهد الشخصي، والخطروف الطبيعية الجارية في الحياة هي التي تتحكم في الربح والخسارة، أما العمليات الربوية فهي محددة الربح في كل حالة، وهذا هو الفارق الرئيسي وهذا هو مناط التحريم والتحليل.

إن كل عملية يضمن فيها الربح على أي وضع هي عملية ربوية محرَّمة بسبب ضيان الربح وتحديده، ولا مجال للماطلة في هذا ولا للمداورة! ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمُ البيع، الرّبَوا ﴾ (البقرة: ٧٧٥). لانتفاء هذا العنصر من البيع، ولأسباب أخرى كثيرة تجعل عمليات التجارة في أصلها نافعة للحياة البشرية، وعمليات الربا في أصلها مفسدة للحياة البشرية .

ولهذا نظّم القرآن أهم أصول حفظ مال الأمة في هذه الآيات، فبعد أن ابتدأ بأعظم تلك الأصول، وهو تأسيس مال للأمة به قوام أمرها، يؤخذ من أهل الأموال أخذًا عدلًا مما كان فضلًا عن الغني ففرضه على الناس، يؤخذ من أغنيائهم فيرد على فقرائهم، سواء في ذلك ما كان مفروضًا وهو الزكاة أو تطوعًا وهو الصدقة، فأطنب في الحث عليه، والترغيب في ثوابه، والتحذير من إمساكه، ما كان فيه موعظة لمن اتّعظ. والتحذير من إمساكه، ما كان فيه موعظة لمن اتّعظ. عَطَفَ الكلام إلى إبطال وسيلة كانت من أسباب ابتزاز الأغنياء أموال المحتاجين إليهم، وهي المعاملة بالربا الذي لقبه النبي على ربا الجاهلية، وهو أن يعطي المدين الذي لقبه النبي

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣،
 ج٣، ص٨٤، ٨٥.

٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٧.

مالًا لدائنه زائدا على قدر الدين لأجل الانتظار. فإذا حل الأجل ولم يدفع زاد في الدين، يقولون: إما أن تقضي وإما أن تربي، وقد كان ذلك شائعا في الجاهلية كذا قال الفقهاء. والظاهر أنهم كانوا يأخذون الربا على المدين من وقت إسلافه وكلما طلب النظرة أعطى ربا آخر، وربما تسامح بعضهم في ذلك، وكان العباس بن عبد المطلب مشتهرًا بالمراباة في الجاهلية، وجاء في خطبة حجة الوداع: "وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب"(۱) (۲).

ولقد أثبت الفقهاء ثلاثـة أنـواع للربـا في اصـطلاح الشرع، وهي:

ربا الجاهلية: وهو زيادة على الدين لأجل التأخير.

ربا الفضل: وهو زيادة في أحد العوضين في بيع الصنف بصنفه.

٣. ربا النسيئة: وهو بيع شيء من الأصناف الواردة في حديث أبي سعيد الخدري حيث قال: قال رسول الله ﷺ: "الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلًا بمثل، يدًا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أَرْبَى، الآخذ والمعطي فيه سواء"(٣). وزاد المالكية نوعًا رابعًا: وهو ما يئول إلى واحد من الأصناف بتهمة التحيل على الربا،

وترجمه في المدوَّنة ببيوع الآجال، ودليل مالك فيه حديث العالية. ومن العلماء من زعم أن لفظ الربا يشمل كل بيع فاسد أخذًا من حديث عائشة في تحريم تجارة الخمر، وإليه مال ابن العربي.

وفي تحريم الربايقول الله: "لعن الله الربا آكله وموكله وشاهديه" (1). وقوله: ﴿ وَأَحَلُ الله البَيْعَ وَحَرَمَ الرّبَوَا ﴾ (البقرة: ٢٧٥) من كلام الله تعالى جواب لهم وللمسلمين، فهو إعراض عن مجادلتهم إذ لا جدوى فيها؛ لأنهم قالوا ذلك كفرا ونفاقا فليسوا ممن تشملهم أحكام الإسلام، وهو إقناع للمسلمين بأن ما قاله الكفار هو شبهة محضة، وأن الله العليم قد حرم هذا وأباح ذلك، وما ذلك إلا لحكمة وفروق معتبرة لوتدبرها أهل التدبر لأدركوا الفرق بين البيع والربا، وليس في هذا الجواب كشف للشبهة، فهو مما وكله الله تعالى لمعرفة أهل العلم من المؤمنين، مع أن ذكر تحريم الرباعقب التحريض على الصدقات يومئ إلى كشف الشبهة (٥).

ثانيًا. علل تحريم الربا:

لم يبلغ من تفظيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفظيع الربا، ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا - في هذه الآيات وفي غيرها في مواضع أخرى - ولله الحكمة

١. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ
 ١. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ
 ١ الصديحة، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٣، ص٧٨، ٧٩.

٣. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا (٤١٤٨).

صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود (٣٧٢٥)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٣٩٦) برقم (٤٩٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٨٩).

٥. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣،
 ج٣، ص٨٤.

البالغة. فلقد كانت للربا في الجاهلية مفاسده وشروره، ولكن الجوانب الشائهة القبيحة من وجهه الكالح ما كانت كلها بادية في مجتمع الجاهلية كما بدت اليوم وتكشفت في عالمنا الحاضر، ولا كانت البثور والدمامل في ذلك الوجه الدميم مكشوفة كلها كما كشفت اليوم في مجتمعنا الحديث. فهذه الحملة المفزعة البادية في هذه الآيات على ذلك النظام المقيت، تتكشف اليوم حكمتها في ضوء الواقع الفاجع في حياة البشرية، أشد مما كانت متكشفة في الجاهلية الأولى، ويدرك من يريد أن يتدبر حكمة الله وعظمة هذا الدين، وكمال هذا المنهج ودقة هذا النظام، اليوم من هذا كله ما لم يكن يدركه الذين واجهوا هذه النصوص أول مرة.

وأمامه اليوم من واقع العالم ما يصدق كل كلمة تصديقا حيًّا مباشرًا واقعًا. والبشرية الضالة التي تأكل الربا وتوكله تنصبُّ عليها البلايا الماحقة الساحقة من جراء هذا النظام الربوي في أخلاقها ودينها وصحتها واقتصادها، وتتلقى حقًّا حربًا من الله تصب عليها النقمة والعذاب.. أفرادًا وجماعات، وأممًا وشعوبًا، وهي لا تعتبر ولا تفيق!

وحينها كان السياق _ من سورة البقرة _ يعرض في الدرس السابق دستور الصدقة، كان يعرض قاعدة من قواعد النظام الاجتهاعي والاقتصادي الذي يريد الله تعالى للمجتمع المسلم أن يقوم عليه، ويحب للبشرية أن تستمتع بها فيه من رحمة في مقابل ذلك النظام الآخر الناساس الربوي الشرير القاسي اللئيم.

إنهما نظامان متقابلان: النظام الإسلامي، والنظام الربوي! وهما لا يلتقيان في تصور، ولا يتفقان في

أساس، ولا يتوافقان في نتيجة. إن كلا منها يقوم على تصور للحياة والأهداف والغايات يناقض الآخر تمام المناقضة، وينتهي إلى ثمرة في حياة الناس تختلف عن الأخرى كل الاختلاف، ومن ثم كانت هذه الحملة المفزعة، وكان هذا التهديد الرعيب!

إن الإسلام يقيم نظامه الاقتصادي ـ ونظام الحياة كلها ـ على تصور معين يمثل الحق الواقع في هذا الوجود يقيمه على أساس أن الله على هو خالق هذا الكون، فهو خالق هذا الأرض، وهو خالق هذا الإنسان.. هو الذي وهب كل موجود وجوده.

وأن الله ﷺ وهو مالك كل موجود بما أنه هو موجده قد استخلف الجنس الإنساني في هذه الأرض، ومكنه مما ادخر له فيها من أرزاق وأقـوات ومـن قـوى وطاقات على عهد منه وشرط، ولم يترك له هـ ذا الملك العريض فوضى يصنع فيه ما يشاء كيف شاء، وإنما استخلفه فيه في إطار من الحدود الواضحة، استخلفه فيه على شرط أن يقوم في الخلافة وفق منهج الله، وحسب شريعته، فيها وقع منه من عقود وأعهال ومعاملات وأخلاق وعبادات وفق التعاقد فهو صحيح نافذ، وما وقع منه مخالفًا لـشر وط التعاقـد فهـو باطـل موقوف. فإذا أنفذه قوة وقسرًا فهو إذن ظلم واعتداء لا يقره الله ولا يقره المؤمنون بالله، فالحاكمية في الأرض - كما هي في الكون كله - لله وحده. والناس - حاكمهم ومحكومهم _إنا يستمدون سلطانهم من تنفيذهم لشريعة الله ومنهجه، وليس لهم في جملتهم أن يخرجوا عنها؛ لأنهم إنها هم وكلاء مستخلفون في الأرض بشرط وعهد، وليسوا ملاكًا خالقين لما في أيديهم من أرزاق.

من بين بنود هذا العهد أن يقوم التكافل بين المؤمنين بالله، فيكون بعضهم أولياء بعض، وأن ينتفعوا برزق الله الذي أعطاهم على أساس هذا التكافل، لا على قاعدة الشيوع المطلق كها تقول الماركسية، ولكن على أساس الملكية الفردية المقيدة، فمن وهبه الله منهم سعة أفاض من سعته على من قُدِر عليه رزقه، مع تكليف الجميع بالعمل كلَّ حسب طاقته واستعداده، وفيها يسره الله له، فلا يكون أحدهم كلَّا على أخيه أو على الجهاعة وهو قادر، وجعل الزكاة فريضة في المال محددة، والصدقة تطوعًا غير محدد.

وقد شرط عليهم كذلك أن يلتزموا جانب القصد والاعتدال، ويتجنبوا السرف والشطط فيها ينفقون من رزق الله الذي أعطاهم، وفيها يستمتعون به من الطيبات التي أحلّها لهم، ومن ثم تظل حاجتهم الاستهلاكية للهال والطيبات محدودة بحدود الاعتدال، وتظل فضلة من الرزق معرضة لفريضة الزكاة وتطوع الصدقة، وبخاصة أن المؤمن مطالب بتثمير ماله وتكثيره.

وشرط عليهم أن يلتزموا في تنمية أموالهم وسائل لا ينشأ عنها الأذى للآخرين، ولا يكون من جرائها تعويق أو تعطيل لجريان الأرزاق بين العباد، ودوران المال في الأيدي على أوسع نطاق: ﴿ كَنَ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْغَنِيكَةِ مِنكُمْ ﴾ (الحشر: ٧).

وكتب عليهم الطهارة في النية والعمل، والنظافة في الوسيلة والغاية، وفرض عليهم قيودًا في تنمية المال لا تجعلهم يسلكون إليها سبلًا تؤذي ضمير الفرد وخلقه، أو تؤذي حياة الجاعة وكيانها.

وأقام هذا كله على أساس التصور الممثل لحقيقة

الواقع في هذا الوجود، وعلى أساس عهد الاستخلاف الذي يحكم كل تصرفات الإنسان المستخلف في هذا الملك العريض.

إنه يقوم ابتداء على أساس أن لا علاقة بين إرادة الله وحياة البشر، فالإنسان هو سيد هذه الأرض ابتداء، وهوغير مقيد بعهد من الله، وغير ملزم باتباع أوامر الله تعالى!

ثم إن الفرد حرفي وسائل حصوله على المال، وفي طرق تنميته، كما هو حرفي التمتع به. غير ملتزم في شيء من هذا بعهد من الله أو شرط، وغير مقيد كذلك بمصلحة الآخرين، ومن ثم فلا اعتبار لأن يتأذى الملايين إذا هو أضاف إلى خزانته ورصيده ما يستطيع إضافته، وقد تتدخل القوانين الوضعية أحيانًا في الحد من حريته هذه جزئيًا في تحديد سعر الفائدة مثلًا؛ وفي منع أنواع من الاحتيال والنصب والغصب والنهب والغش والضرر.

ولكن هذا التدخل يعود إلى ما يتواضع عليه الناس أنفسهم، وما تقودهم إليه أهواؤهم؛ لا إلى مبدأ ثابت مفروض من سلطة إلهية!

كذلك يقوم على أساس تصور خاطئ فاسد، هو أن غاية الغايات للوجود الإنساني هي تحصيله للمال _ بأية وسيلة _ واستمتاعه به على النحو الذي يهوي! ومن شم يتكالب على جمع المال وعلى المتاع به، ويدوس في

الطريق كل مبدأ وكل صالح للآخرين!

ثم يُنشئ في النهاية نظامًا يسحق البشرية سحقًا، ويشقيها في حياتها أفرادًا وجماعات ودولًا وشعوبًا، لمصلحة حفنة من المرابين؛ ويحطها أخلاقيًّا ونفسيًّا وعصبيًّا؛ ويحدث الخلل في دورة المال ونمو الاقتصاد البشري نموًّا سويًّا وينتهي _ كها انتهى في العصر الحديث _ إلى تركيز السلطة الحقيقية والنفوذ العملي على البشرية كلها في أيدي زمرة من أحط خلق الله وأشدهم شرًّا؛ وشرذمة ممن لا يرعون في البشرية إلَّا ولا ذِمَّة، ولا يراقبون فيها عهدًا ولا حرمة.. وهؤلاء هم الذين يداينون الناس أفرادًا، كها يداينون الحكومات والشعوب _ في داخل بلادهم وفي خارجها _ وترجع والشعوب _ في داخل بلادهم وفي خارجها _ وترجع الآدميين وعرقهم ودمائهم في صورة فوائد ربوية لم الآدميين وعرقهم ودمائهم في صورة فوائد ربوية لم يبذلوا هم فيها جهدًا!

وهم لا يملكون المال وحده، إنها يملكون النفوذ...
ولما لم تكن لهم مبادئ ولا أخلاق ولا تصور ديني أو أخلاقي على الإطلاق؛ بل لما كانوا يسخرون من حكاية الأديان والأخلاق والمثل والمبادئ؛ فإنهم بطبيعة الحال يستخدمون هذا النفوذ الهائل الذي يملكونه في إنشاء الأوضاع والأفكار والمشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال، ولا تقف في طريق جشعهم وخسة أهدافهم.. وأقرب الوسائل هي تحطيم أخلاق البشرية وإسقاطها في مستنقع آسن من اللذائذ والشهوات التي يدفع فيها الكثيرون آخر فلس يملكونه، حيث تسقط الفلوس في المصائد والشباك المنصوبة! وذلك مع التحكم في جريان الاقتصاد العالمي وفق مصالحهم المحدودة، مها أدى هذا إلى الأزمات الدورية المعروفة

في عالم الاقتصاد؛ وإلى انحراف الإنتاج الصناعي والاقتصادي كله عما فيه مصلحة المجموعة البشرية إلى مصلحة الممولين المرابين الذين تتجمع في أيديهم خيوط الثروة العالمية!

والكارثة التي تمت في العصر الحديث - ولم تكن بهذه الصورة البشعة في الجاهلية _هي أن هؤلاء المرابين الذين كانوا يتمثلون في الزمن الماضي في صورة أفراد أو بيوت مالية كما يتمثلون الآن في صورة مؤسسي المصارف العصرية _قد استطاعوا بها لديهم من سلطة هائلة مخيفة داخل أجهزة الحكم العالمية وخارجها، وبها يملكون من وسائل التوجيه والإعلام في الأرض كلها.. سواء في ذلك الصحف والكتب والجامعات والأساتذة ومحطات الإرسال ودور السينها وغيرها .. أن ينشئوا عقلية عامة بين جماهير البشر المساكين الذين يأكل أولئك المرابون عظامهم ولحومهم، ويشربون عرقهم ودماءهم في ظل النظام الربوي. هـذه العقليـة العامة خاضعة للإيحاء الخبيث المسموم؛ بـأن الربـا هـو النظام الطبيعي المعقول، والأساس الـصحيح الـذي لا أساس غيره للنمو الاقتصادي؛ وأنه من بركات هـذا النظام وحسناته كان هذا التقدم الحضاري في الغرب. وأن الذين يريدون إبطاله جماعة من الخياليين -غير العمليين _ وأنهم إنها يعتمدون في نظرتهم هذه على مجرد نظريات أخلاقية ومثل خيالية لا رصيد لها من الواقع؛ وهي كفيلة بإفساد النظام الاقتصادي كله لو سمح لها أن تتدخل فيه! حتى ليتعرض الـذين ينتقـدون النظام الربوي من هذا الجانب للسخرية من البشر الذين هم في حقيقة الأمر ضحايا بائسة لهذا النظام ذاته! ضحايا شأنهم شأن الاقتصاد العالمي نفس، الذي تضطره

عصابات المرابين العالمية لأن يجري جريانًا غير طبيعي ولا سَوِيً. ويتعرض للهزات الدورية المنظمة! وينحرف عن أن يكون نافعًا للبشرية كلها، إلى أن يكون وقفًا على حفنة من الذئاب قليلة!

إن النظام الربوي نظام مَعِيب من الوجهة الاقتصادية البحتة، وقد بلغ من سوئه أن تنبه لعيوبه بعض أساتذة الاقتصاد الغربيين أنفسهم؛ وهم قد نشئوا في ظله، وأشربت عقولهم وثقافتهم تلك السموم التي تبثها عصابات المال في كل فروع الثقافة والتصور والأخلاق.

وفي مقدمة هولاء الأساتذة الذين يعيبون هذا النظام من الناحية الاقتصادية البحتة "دكتور شاخت" الألماني ومدير بنك الرايخ الألماني سابقًا. وقد كان مما قاله في محاضرة له بدمشق عام ١٩٥٣ أنه بعملية رياضية (غير متناهية) يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جدا من المرابين. ذلك أن المدائن المرابي يربح دائما في كل عملية؛ بينها المدين معرض للربح والخسارة. ومن ثم فإن المال كله في النهاية لا بد _بالحساب الرياضي _ أن يصير إلى الذي يربح دائمًا! وأن هذه النظرية في طريقها للتحقق الكامل، فإن معظم مال الأرض الآن يملكه _ ملكًا حقيقيًا _ بضعة ألوف! أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك، والعمال، وغيرهم، فهم ليسوا سوى أجراء يعملون لحساب أصحاب المال، ويجني سوى أجراء يعملون لحساب أصحاب المال، ويجني

وليس هذا وحده هو كل ما للربا من جريرة. فإن قيام النظام الاقتصادي على الأساس الربوي يجعل العلاقة بين أصحاب الأموال وبين العاملين في التجارة

والصناعة علاقة مقامرة ومشاكسة مستمرة. فإن المرابي يجتهد في الحصول على أكبر فائدة، ومن ثم يمسك المال حتى يزيد اضطرار التجارة والصناعة إليه فيرتفع سعر الفائدة؛ ويظل يرفع السعر حتى يجد العاملون في التجارة والصناعة أنه لا فائدة لهم من استخدام هذا المال، لأنه لا يدر عليهم ما يوفون به الفائدة ويفضل لهم منه شيء.. عندئذ ينكمش حجم المال المستخدم في هذه المجالات التي تشتغل فيها الملايين؛ وتضيق المصانع دائرة إنتاجها، ويتعطل العمال، فتقل القدرة على الشراء، وعندما يصل الأمر إلى هذا الحد، ويجد المرابون أن الطلب على المال قد نقص أو توقف، يعودون إلى خفض سعر الفائدة اضطرارًا. فيقبل عليه العاملون في الصناعة والتجارة من جديد، وتعود دورة الحياة إلى الرخاء.. وهكذا دواليك تقع الأزمات الاقتصادية الدورية العالمية. ويظل البشر هكذا يدورون فيها كالسائمة!

ثم إن جميع المستهلكين يؤدون ضريبة غير مباشرة للمرابين، فإن أصحاب الصناعات والتجار لا يدفعون فائدة الأموال التي يقترضونها بالربا إلا من جيوب المستهلكين، فهم يزيدونها في أثبان السلع الاستهلاكية فيتوزع عبؤها على أهل الأرض لتدخل في جيوب المرابين في النهاية. أما الديون التي تقترضها الحكومات من بيوت المال لتقوم بالإصلاحات والمشروعات العمرانية فإن رعاياها هم الذين يؤدون فائدتها للبيوت الربوية كذلك. إذ إن هذه الحكومات تضطر إلى زيادة الضرائب المختلفة لتسدد منها هذه الديون وفوائدها، وبذلك يشترك كل فرد في دفع هذه الجزية للمرابين في بهاية المطاف.. وقلما ينتهي الأمر عند هذا الحد، ولا

يكون الاستعمار هو نهاية الديون.. ثم تكون الحروب بسبب الاستعمار!

ونحن هنا لا نستقصي كل عيوب النظام الربوي، فهذا مجاله بحث مستقل، فنكتفي بهذا القدر لنخلص منه إلى تنبيه من يريدون أن يكونوا مسلمين إلى جملة حقائق أساسية بصدد كراهية الإسلام للنظام الربوي المقيت:

الحقيقة الأولى: التي يجب أن تكون مستيقنة في نفوسهم أنه لا إسلام مع قيام نظام ربوي في مكان.

وكل ما يمكن أن يقوله أصحاب الفتاوى من رجال الدين أو غيرهم سوى هذا، دجل وخداع، فأساس التصور الإسلامي - كما بينا _ يصطدم اصطدامًا مباشرًا بالنظام الربوي، ونتائجه العملية في حياة الناس وتصوراتهم وأخلاقهم.

الحقيقة الثانية: أن النظام الربوي بلاء على الإنسانية _ لا في إيهانها وأخلاقها وتصورها للحياة فحسب _ بل كذلك في صميم حياتها الاقتصادية والعملية، وأنه أبشع نظام يَمْحَق سعادة البشرية عَثقًا، ويعطل نموها الإنساني المتوازن، على الرغم من الطلاء الظاهري الخدَّاع الذي يبدو كأنه مساعدة من هذا النظام للنمو الاقتصادي العام!

الحقيقة الثالثة: أن النظام الأخلاقي والنظام العملي في الإسلام مترابطان تمامًا، وأن الإنسان في كل تصرفاته مرتبط بعهد الاستخلاف وشرطه، وأنه مختبر ومبتلي وممتحن في كل نشاط يقوم به في حياته، ومحاسب عليه في آخرته، فليس هناك نظام أخلاقي وحده، ونظام عملي وحده، وإنها هما معا يؤلفان نشاط الإنسان، وكلاهما عبادة يؤجر عليها إن أحسن، وإثم يؤاخذ عليه وكلاهما عبادة يؤجر عليها إن أحسن، وإثم يؤاخذ عليه

إن أساء. وأن الاقتصاد الإسلامي الناجح لا يقوم بغير أخلاق، وأن الأخلاق ليست نافلة يمكن الاستغناء عنها ثم تنجح حياة الناس العملية.

الحقيقة الرابعة: أن التعامل الربوي لا يمكن إلا أن يفسد ضمير الفرد وخلقه، وشعوره تجاه أخيه في الجماعة؛ وإلا أن يفسد حياة الجماعة البشرية وتنضامنها بما يبشه من روح الـشره والطمع والأثـرة والمخاتلـة والمقامرة بصفة عامة، أما في العصر الحديث فإنه يعد الدافع الأول لتوجيه رأس المال إلى أحط وجوه الاستثمار، كي يستطيع رأس المال المستدان بالربا أن يربح ربحًا مضمونًا، فيؤدي الفائدة الربوية ويفضل منه شيء للمستدين. ومن ثم فهو الدافع المباشر لاستثمار المال في الأفلام القذرة والصحافة القذرة والمراقص والملاهي والرقيق الأبيض وسائر الحرف والاتجاهات التي تحطم أخلاق البشرية تحطيهًا.. والمال المستدان بالربا ليس همه أن ينشئ أنفع المشروعات للبشرية؛ بـل همه أن ينشئ أكثرها ربحًا. ولو كان الربح إنها يجيء من استثارة أحط الغرائز وأقذر الميول.. وهذا هـو المشاهد اليوم في أنحاء الأرض. وسببه الأول هو التعامل الربوي!

الحقيقة الخامسة: أن الإسلام نظام متكامل، فهو حين يحرم التعامل الربوي يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة إليه؛ وينظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تنتفي منها الحاجة إلى هذا النوع من التعامل، بدون مساس بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والإنساني المطرد.

الحقيقة السادسة: أن الإسلام _حين يتاح له أن

ينظم الحياة وفق تصوره ومنهجه الخاص _ لن يحتاج عند إلغاء المتعامل الربوي، إلى إلغاء المؤسسات والأجهزة اللازمة لنمو الحياة الاقتصادية العصرية نموها الطبيعي السليم.

ولكنه فقط سيطهرها من لوثة الربا ودنسه، شم يتركها تعمل وفق قواعد أخرى سليمة. وفي أول هذه المؤسسات والأجهزة: المصارف والشركات وما إليها من مؤسسات الاقتصاد الحديث.

الحقيقة السابعة: _ وهي الأهم _ ضرورة اعتقاد من يريد أن يكون مسلمًا، بأن هناك استحالة اعتقادية في أن يحرم الله أمرًا لا تقوم الحياة البشرية ولا تتقدم بدونه! كما أن هناك استحالة اعتقادية كذلك في أن يكون هناك أمر خبيث ويكون في الوقت ذاته حتميا لقيام الحياة وتقدمها.. فالله سبحانه هو خالق هذه الحياة، وهو مستخلف الإنسان فيها؛ وهو الآمر بتنميتها وترقيتها؛ وهو المريد لهذا كله الموفق إليه. فهناك استحالة إذن في تصور المسلم أن يكون فيها حرمه الله شيء لا تقوم الحياة البشرية ولا تتقدم بدونه. وأن يكون هناك شيء خبيث هو حتمى لقيام الحياة ورقيها، وإنها هو سوء التصور، وسوء الفهم والدعاية المسمومة الخبيثة الطاغية التي دأبت أجيالًا على بث فكرة: أن الربا ضرورة للنمو الاقتصادي والعمراني، وأن النظام الربوي هـو النظام الطبيعي. وبث هذا التصور الخادع في مناهل الثقافة العامة، ومنابع المعرفة الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها، ثم قيام الحياة الحديثة على هذا الأساس فعـلًا بسعي بيوت المال والمرابين، وصعوبة تصور قيامها على أساس آخر، وهمي صعوبة تنشأ أولًا من عدم

الإيهان، كما تنشأ ثانيًا من ضعف التفكير وعجزه عن التحرر من ذلك الوهم الذي اجتهد المرابون في بشه وتمكينه لما لهم من قدرة على التوجيه، وملكية للنفوذ داخل الحكومات العالمية، وملكية لأدوات الإعلام العامة والخاصة.

الحقيقة الثامنة: أن استحالة قيام الاقتصاد العالمي اليوم وغدًا على أساس غير الأساس الربوي.. ليست سوى خرافة، أو هي أكذوبة ضخمة تعيش؛ لأن الأجهزة التي يستخدمها أصحاب المصلحة في بقائها أجهزة ضخمة فعلًا! وأنه حين تصح النية، وتعزم البشرية _ أو تعزم الأمة المسلمة _ أن تسترد حريتها من قبضة العصابات الربوية العالمية، وتريد لنفسها الخير والسعادة والبركة مع نظافة الخلق وطهارة المجتمع، فإن المجال مفتوح لإقامة النظام الآخر الرشيد، الذي أراده الله تعالى للبشرية، والذي طبق فعلًا، ونمت الحياة في ظله فعلًا؛ وما تزال قابلة للنمو تحت إشرافه وفي ظلاله لوعقل الناس ورشدوا(۱) ها!

ثَالثًا. جزاء من يتعامل بالربا في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ اللَّذِي َ يَأْكُلُونَ الرِّبَوَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّالَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا لَاللَّاللَّاللَّالِي اللَّلَّالِي اللَّلَّا لَا اللَّلَّا لَا اللَّهُ وَ

وأريد بالذين يأكلون الربا هنا من كان على دين الجاهلية؛ لأن هذا الوعيد والتشنيع لا يناسب إلَّا

ا. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٣١٨:
 ٣٢٣.

ق "المقاصد الشرعية لتحريم الربا" طالع: الوجه الخامس، من الشبهة الحادية والعشرين، من الجزء الثالث عشر (العبادات والمعاملات الاقتصادية).

التوجُّه إليهم؛ لأنَّ ذلك من جملة أحوال كفرهم وهم لا يَرْعَوُون عنها ما داموا على كفرهم، أما المسلمون فسبق لهم تشريع بتحريم الربا بقول الله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا اللَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُوا الرّبَوّا أَضْعَكُنا مُضَاعَفَة ﴾ اللّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُوا الرّبَوّا أَضْعَكُنا مُضَاعَفَة ﴾ (الرعمران: ١٣٠)، وهم لا يقولون: ﴿ إِنَّمَا البّيعُ مِثْلُ الرّبَوْا ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، فجعل الله هذا الوعيد من جملة أصناف العذاب خاصًا للكافرين لأجل ما تفرّع عن كفرهم من وضع الربا.

وتقدم ذلك كلّه إنكارُ القرآن على أهل الجاهلية إعطاءهم الربا، وهو من أول ما نعاه القرآن عليهم في مكة، فقد جاء في سورة الروم: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُهُ مِن رِّبًا لِيَرَبُوا فِي آمَوَلِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُهُ مِن رَكُوةِ يَرِبُوا فِي آمَوَلِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُهُ مِن ذَكُوةِ مُرِيدُون وَجُهَ اللَّهِ فَأُولَتِكَ هُمُ المُضَعِفُونَ اللَّ الروم وهو خطاب للمشركين لأنّ السورة مكية ولأنَّ بعد اللَّهِ قَوْلُه: ﴿ اللَّهُ الذِي خَلَقَكُمْ مُن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِن شَيْءً مُن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِن شَيْءً مُن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِن شَيْءً مُن شَيْءً اللَّهِ وَتَعَلَى عَمَا يُشْرِكُونَ اللَّهُ اللَّهِ اللهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ عَمَا يُشْرِكُونَ اللَّهُ اللَّهِ اللهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللهُ اللَّهُ اللللِّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللِّهُ

ومن عادات القرآن الكريم أن يذكر أحوال الكفّار إغلاظًا عليهم، وتعريضًا بتخويف المسلمين، ليكرّه اليهم أحوال أهل الكفر. وقد قال ابن عباس: كلُّ ما جاء في القرآن من ذمِّ أحوال الكفار فمراد منه أيضًا تحذير المسلمين من مثله في الإسلام، ولذلك قال عَلَى: ﴿ وَمَنَ عَادَفَأُولَتِهِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ البقرة)، وقال: ﴿ وَاللّهُ لَا يُحِبُ كُلُّ كُفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿ البقرة)، وقال: ﴿ وَاللّهُ لَا يُحِبُ كُلُّ كُفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿ البقرة).

ثم عطف إلى خطاب المسلمين فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّهِ عَالَمُهُا اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

بعض المسلمين لم ينكف عن تعاطي الربا أو لعلّ بعضهم فتن بقول الكفار: إنّما البيع مثل الربا. فكانت آية سورة آل عمران مبدأ التحريم، وكانت هذه الآية إغلاق باب المعذرة في أكل الربا وبيانًا لكيفية تدارك ما سلف منه.

والربا يقع على وجهين:

أحدهما: السلف بزيادة على ما يعطيه المسلف.

والثاني: السلف بدون زيادة إلى أجل، يعني فإذا لم يوف المستسلف أداء الدين عند الأجل كان عليه أن يزيد فيه زيادة يتّفقان عليها عند حلول كل أجل.

وقوله: ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) معناه: لا يقومون يوم يقوم الناس لرب العالمين إلَّا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان؛ أي: إلَّا قيامًا كقيام الذي يتخبَّطه الشيطان، أو معناه: أنّ حرصهم ونشاطهم في معاملات الربا كقيام المجنون تشنيعًا لجشعهم... ويجوز على هذا أن يكون المعنى تشبيه ما يعجب الناس من استقامة حالهم، وقوة تجارتهم، بها يظهر من حال الذي يتخبّطه الشيطان حتى تخاله قويًّا سريع الحركة، مع أنه لا يملك لنفسه شيئًا. فالآية على المعنى الأول وعيد لهم بابتداء تعذيبهم من وقت القيام للحساب إلى أن يدخلوا النار، وهذا هو الظاهر وهو المناسب لقوله: ﴿ وَهِي على المعنى الثاني تشنيع، أو توعّد بسوء الحال في وهي على المعنى الثاني تشنيع، أو توعّد بسوء الحال في الدنيا ولُقِيِّ المتاعب ومرارة الحياة تحت صورة يخالها الرائي مستقيمة.

والذي يتخبّطه الشيطان هو المجنون الذي أصابه الصرع، فيضطرب به اضطرابات، ويسقط على الأرض

إذا أراد القيام، فلما شبهت الهيأة بالهيأة جيء في لفظ الهيأة المشبه بها(١).

ثم قال تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُ مُوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَأَنَّهُمَىٰ فَلَهُ مَا سَكَفَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، أي: فمن بلغه تحريم الله تعالى للربا، ونهيه عنه فترك الربا فورًا، بـلا تـراخِ ولا تـردُّد، انتهاء عما نهى الله عنه، فله ما كان أخذه فيها سلف من الربا لا يكلف رده إلى من أخذه منهم، بـل يكتفي منـه بأن لا يضاعف عليهم بعد البلاغ شيئًا: ﴿ وَأَمْرُهُ مَ إِلَى أللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) يحكم فيه بعدله، ومن العدل أن لا يؤاخذ بها يأكل من الربا قبل التحريم وبلوغه الموعظة من ربه، ولكن العبارة تشعر بأن إباحة أكل ما سلف رخصة للضرورة، وترمي إلى أن رد ما أخذه من قبل النهي إلى أربابه الذين أخذ منهم من أقل العزائم، ألم تَرَ أنه عبر عن إباحة ما سلف باللام ولم يقل كما قال بعد ذكر كفارة صيد المحرم ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ (المائدة: ٩٥)، وأنه عقب هذه الإباحة بإيهام الجزاء وجعله إلى الله تعالى، والمعهود في أسلوبه أن يـصل مثـل ذلـك بـذكر المغفرة والرحمة، كما قال في آخر آية محرمات النساء: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا فَدْ سَلَفَ إِنَ ٱللَّهَ كَانَ عَنَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠٠ ﴿ (النساء)، أباح أكل ما سلف قبل التحريم وأبهم جزاء آكله لعله يغص بأكل ما في يده منه فيرده إلى صاحبه، ولكنه صرح بأشد الوعيـ د على من أكل شيئًا بعد النهي، فقال: ﴿ وَمَنَّ عَادَ فَأُولَتِهِكَ أَصْحَنْبُ ٱلنَّارِ مُمَّم فِيهَا خَلِلْدُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ

أي: ومن عاد إلى ما كان من الربا المحرم بعد تحريمه فأولئك البعداء عن الاتعاظ بموعظة ربهم الذي لا ينهاهم إلا عما يضر بهم في أفرادهم أو جميعهم أهل النار الذين يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه فيكون خالدين فيها.

ثم بيَّن الله تعالى الفرق بين الربا والصدقة، إذ جاء الكلام عنه بعد الكلام عنها وبيان أثرها فقال: ويم حَنَّ الله الربا أَرْبَوْا وَيُرِبِي الصَّدَقَتِ وَالبقرة: ٢٧٦)، فسَّروا مَنْ الله الربا بإذهاب بركته وإهلاكه، أو هلاك المال الذي يدخل فيه، وقد اشتهر هذا حتى عرفه العامة، فهم يذكرون دائها ما يحفظون من أخبار آكلي الربا الذين ذهبت أموالهم وخربت بيوتهم، وفي حديث ابن مسعود الله أن رسول الله الله قال: "الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل" (٢).

وقال الضحاك إن هذا المحق في الآخرة، أن يبطل ما يكون منه مما يتوقع نفعه، في لا يبقى لأهله منه شيء، وقال الأستاذ الإمام: ليس المراد بهذا المحق محق الزيادة في المال فإن هذا مكابرة للمشاهدة والأخبار، وإنها المراد ما يلاقي المرابي من عداوة الناس، وما يصاب به في نفسه من الوساوس وغيرها، أما عداوة الناس فمن حيث هو عدو المحتاجين وبغيض المعوزين، وقد تقضي العداوة والبغضاء إلى مفاسد ومضرات، واعتداء على الأموال والأنفس والثمرات، وقد ظهر أثر ذلك في الأمم التي فشا فيها الربا، إذ قام الفقراء فيها يعادون

٢. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود (٣٧٥٤)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٤٥٦) برقم (٤٢٠٥)، وصححه الأرنووط في تعليقه على المسند.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٣، ص٨٢ بتصرف.

الأغنياء، ويتألب العهال عليهم حتى صارت هذه المسألة أعقد المسائل عندهم، وأما ما يصاب به في نفسه من الوساوس والأوهام فهو ما لا يعرفه إلا من راقب هؤلاء العابدين للهال وبلا أخبارهم، ولا أذكر عنه مثالًا على ذلك وما الأمثال فيه بقليلة؛ فمنهم من يشغله المال عن طعامه وشرابه وعن أهله وولده حتى يقصِّر في حق نفسه وحقوقهم تقصيرا يُفضي إلى الخسر أو المهانة والذل، ومنهم من يركب لذلك الصعب ويقتحم الخطر حتى يكون من الهالكين.

والمراد بمحق الربا محو ما يطلب الناس بزيادة المال من اللذة وبسطة العيش والجاه والمكانة وزيادة الربا تذهب بذلك لاشتغال المرابي غالبا عن اللـذة وخفـض المعيشة بولهه في ماله، ولمقت الناس إياه وكراهتهم لـه، وأما إرباء الصدقات فهو زيادة فائدتها وثمرتها في الدنيا وأجرها في الآخرة ومضاعفة الله إياها "فمعنى" يمحق الله الربا ويربي الصدقات أن سنته قضت في عابـــد المـــال الذي لا يرحم معوزًا ولا ينظر معسرًا إلا بمال يأخذه ربا بدون مقابل أن يكون محرومًا من الثمرة السريفة للشروة وهمي كون صاحبها ناعمًا عزيزًا شريفًا عندالناس، لكونه مصدرًا لخيرهم والتفضل عليهم وإعانتهم على زمنهم، كما يكون محرومًا في الآخرة من ثواب المال فهو في عدم انتفاعه بماليه هذا الضرب من الانتفاع كمن محق ماله وهلك، وقضت سُنَّته في المتصدق أن يكون انتفاعه بهاله أكبر من ماله، وفي حديث أبي هريسرة ١٤٠٥ أن النبسي ﷺ قال: "من تصدَّق بعَدْل مَرَة (١) من كَسْب طيِّب، ولا يقبل الله

١. عَدْل تَمْرَة: أي بمقدار قيمتها.

إلا الطيب، وإن الله تعالى يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه (٢)، حتى تكون مثل الجبل"(٢).

والحديث من باب التمثيل كما هو ظاهر، قال تعالى: ﴿ وَاللّهُ لا يُحِبُكُمُ كُفّا رِأَيْهِم ﴿ البقرة)، قالوا: لا يحب: لا يرضى، والكفّار: المستحل للربا، والأثيم: المقيم على الإثم، وإن حب الله للعبد شأن من شئونه يعرف باستعمال العبد إتمام حكم الله في صلاح عباده ونفي هذا الحب يعرف بضد ذلك.

والكَفَّار هنا هو المتهادي على كفر أنعام الله عليه بالمال؛ إذ لا ينفق منه في سبيله، ولا يواسي به المحتاجين من عباده، والأثيم هو الذي جعل المال آلة لجذب ما في أيدي الناس إلى يده، فافترض إعسارهم لاستغلال اضطرارهم (1).

ثم قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ السَّوَا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا اللَّهَ وَذَرُوا مَا اللَّهَ وَذَرُوا مَا اللَّهِ مَنَ الرِّبَوَّا إِن كُنتُم مُّوْمِنِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ * وَإِن تُبْتُمُ فَلَكُمْ رُمُوسُ أَمْوَلِكُمْ لَا مَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُعْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا لَكُونِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ وَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ وَلَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهِ وَلَا تُعْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُونَ وَلَا تُطْلِمُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ وَلَوْلُونَ وَلَا تُعْلِمُونَ وَلَا تُعْلِمُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَلِهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ لَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُونَا اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُونِ اللَّهُ عَلَيْكُونِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولِكُونِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولِكُونِ اللَّهُ عَلَيْكُونِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونِ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللْعُلِمُ اللَّهُ اللَ

ويُعلِّق الأستاذ سيد قطب صاحب "الظلال" على هذه الآية قائلًا: "إن النص يعلق إيهان الذين آمنوا على ترك ما بقي من الربا، فأما الذي سلف فأمره إلى الله،

٢. الفَلُوُّ: هو المُهْر أول ما يُولد.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب (١٣٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢٣٨٩)، واللفظ للبخاري.

تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۳، ص۹۷:
 ۱۰۱ بتصرف.

وبذلك تجنب الإسلام إحداث هزة اقتصادية واجتماعية ضخمة لـو جعـل لتشريعة أثـرًا رجعيًّا، فهـذه صـفة الترغيب وإلى جوارها صفة الترهيب، الترهيب الـذي يزلزل القلـوب، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأَذَنُواْ بِحَرْبِ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى البقرة: ٢٧٩) حرب من الله ورسوله تواجهها النفس البشرية، حرب رهيبة معروفة المصير، مقررة العاقبة، فأين الإنسان الضعيف من تلك القوة الساحقة الماحقة؟! ولقد أمر رسول الله ﷺ عامله على مكة بعد نزول هذه الآيات التي نزلت متأخرة أن يحارب آل المغيرة هناك إذا لم يكفوا عن التعامل الربوي، وقد أمر ﷺ في خطبته يـوم فـتح مكـة بوضع كـل ربـا في الجاهلية _ وأوله ربا عمه العباس _عن كاهل المدينين الذي ظلوا يحملونه إلى ما بعد الإسلام بفترة طويلة حتى نضج المجتمع المسلم، واستقرت قواعده، وحان أن ينتقل نظامه الاقتصادي كله من قاعدة الربا الوبيئة، وقـال النبـي ﷺ في هـذه الخطبـة: "وربـا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب.. " (١). ولم يأمرهم بردِّ الزيادات التي سبق لهم أخذها في حالة الجاهلية.

فالإمام مكلّف حين يقوم المجتمع الإسلامي - أن يحارب الذين يصرون على قاعدة النظام الربوي، ويعتون عن أمر الله تعالى، ولو أعلنوا أنهم مسلمون. كما حارب أبو بكر الصديق منه مانعي الزكاة، مع شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامتهم للصلاة، فليس مسلمًا من يأبي طاعة شريعة

الله، ولا ينفذها في واقع الحياة!

على أن الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال بالسيف والمدفع من الإمام. فهذه الحرب معلنة - كما قال أصدق القائلين - على كل مجتمع يجعل الرب قاعدة نظامه الاقتصادي والاجتماعي. هذه الحرب معلنة في صورتها الشاملة الداهمة الغامرة، وهي حرب على الأعصاب والقلوب، وحرب على البركة والرخاء، وحرب على السعادة والطمأنينة. حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض. حرب المطاردة والمشاكسة. حرب الغبن والظلم. حرب القلق والخوف.. وأخيرًا حرب السلاح بين الأمم والجيوش والدول. الحرب الساحقة الماحقة التي تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوي المقيت. فالمرابون أصحاب رءوس الأموال العالمية هم الذين يوقدون هذه الحروب مباشرة أو عن طريق غير مباشر. وهم يلقون شباكهم فتقع فيها الشركات والصناعات. ثم تقع فيها الشعوب والحكومات. ثم يتزاحمون على الفرائس فتقوم الحرب! أو يزحفون وراء أموالهم بقوة حكوماتهم وجيوشها فتقوم الحرب! أو يثقل عبء النضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم، فيعم الفقر والسخط بين الكادحين والمنتجين، فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فتقوم الحرب! وأيسر ما يقع _ إن لم يقع هذا كله _ هو خراب النفوس، وانهيار الأخلاق، وانطلاق سعار الشهوات، وتحطم الكيان البشري من أساسه، وتدميره بها لا تبلغه أفظع الحروب الذَّرِّية الْمُرْعِبة!

إنها الحرب المشبوبة دائمًا، وقد أعلنها الله على المتعاملين بالربا.. وهي مسعرة الآن؛ تأكل الأخضر

١. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ
 ٣٠٠٩).

واليابس في حياة البشرية الضالة؛ وهي غافلة تحسب أنها تكسب وتتقدم كلما رأت تدلال الإنتاج المادي الذي تخرجه المصانع.. وكانت هذه التلال حرِيَّة بأن تسعد البشر لو أنها نشأت من منبت زكي طاهر؛ ولكنها وهي تخرج من منبع الربا الملوث ـ لا تمثل سوى ركام يختى أنفاس البشرية، ويسحقها سحقًا؛ في حين تجلس فوقه شرذمة المرابين العالمين، لا تحس آلام البشرية المسحوقة تحت هذا الركام الملعون!

لقد دعا الإسلام الجهاعة المسلمة الأولى _ ولا يـزال يدعو البشرية كلها _ إلى المَشْرع الطاهر النظيف، وإلى التوبة من الإثم والخطيئة والمنهج الوبيء، فقال تعالى: ﴿ وَإِن تُبْتُمُ فَلَكُمُ مُرُوسٌ أَمَولِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَلَا تَظُلَمُونَ وَلَا تَظَلَمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ وَلَا اللهَ وَاللهَ اللهَ اللهَ اللهُ اللهُل

فهي التوبة عن خطيئة، إنها خطيئة الجاهلية، الجاهلية التي لا تتعلق بزمان دون زمان، ولا نظام دون نظام.. إنها هي الانحراف عن شريعة الله تبارك وتعالى ومنهجه متى كان وحيث كان.. خطيئة تنشئ آثارها في مشاعر الأفراد وفي أخلاقهم وفي تصورهم للحياة، وتنشئ آثارها في حياة الجهاعة وارتباطاتها العامة. وتنشئ آثارها في الحياة البشرية كلها، وفي نموها وتنشئ آثارها في الحياة البشرية كلها، وفي نموها الاقتصادي ذاته، ولو حسب المخدوعون بدعاية المرابين، إنها وحدها الأساس الصالح للنمو الاقتصادي!

واسترداد رأس المال مجرَّدًا عدالة لا يظلم فيها دائن ولا مدين.. فأما تنمية المال فلها وسائلها الأخرى البريئة النظيفة. لها وسيلة الجهد الفردي، ووسيلة المشاركة على طريقة المضاربة وهي إعطاء المال لمن يعمل

فيه، ومقاسمته الربح والخسارة، ووسيلة الشركات التي تطرح أسهمها مباشرة في السوق بدون سندات تأسيس تستأثر بمعظم الربح وتناول الأرباح الحلال من هذا الوجه، ووسيلة إيداعها في المصارف بدون فائدة على أن تساهم بها المصارف في الشركات والصناعات والأعمال التجارية مباشرة أو غير مباشرة ولا تعطيها بالفائدة الثابتة ثم مقاسمة المودعين الربح على نظام معين أو الخسارة إذا فرض ووقعت. وللمصارف أن تتناول قدرًا معينًا من الأجر في نظير إدارتها لهذه الأموال.. ووسائل أخرى كثيرة ليس هنا القلوب، وتصح النيات على ورود المورد النظيف الطاهر، وتجنب المورد العفن النتن الآسن (۱)!

رابعًا. علاج الإعسار في الإنظار إلى ميسرة وليس في الربا الذي يزيد تفاقم المشكلة:

ويكمل السياق الأحكام المتعلقة بالدين في حالة الإعسار.. فليس السبيل هو ربا النسيئة: بالتأجيل مقابل الزيادة.. ولكنه هو الإنظار إلى ميسرة. والتحبيب في التصدق به لمن يريد مزيدًا من الخير أوفى وأعلى: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُوعُتْرَةٍ فَنَظِرَةً إِلَىٰ مَيْسَرَةً وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَلَهُ وَالبَارة).

إنها السهاحة الندية التي يحملها الإسلام للبشرية. إنه الظل الظليل الذي تأوي إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار، إنها الرحمة للدائن والمدين وللمجتمع الذي يظل الجميع!

أ. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص ٣٣٠:
 ٣٣٢.

ونحن نعرف أن هذه الكلمات لا تؤدي مفهومًا معقولًا في عقول المناكيد الناشئين في هجير الجاهلية المادية الحاضرة! وأن مذاقها الحلو لا طعم له في حسهم المتحجر البليد! _ وبخاصة وحوش المرابين سواء كانوا أفرادًا قابعين في زوايا الأرض يتلمظون للفرائس من المحاويج والمنكوبين اللذين تحل بهم المصائب فيحتاجون للمال والطعام والكساء والدواء أو لدفن موتاهم في بعض الأحيان، فلا يجدون في هذا العالم المادي الكز الضنين الشحيح من يمد لهم يـد المعونـة البيضاء؛ فيلجئون مرغمين إلى أوكار الوحوش، فرائس سهلة تسعى إلى الفخاخ بأقدامها، تدفعها الحاجة وتزجيها الضرورة! سواء كانوا أفرادا هكذا أو كانوا في صورة بيوت مالية ومصارف ربوية. فكلهم سواء. غير أن هؤلاء يجلسون في المكاتب الفخمة على المقاعـد المريحة؛ ووراءهم ركام من النظريات الاقتصادية، والمؤلفات العلمية، والأساتذة والمعاهد والجامعات، والتــشريعات والقــوانين، والــشرطة والمحـاكم والجيوش.. كلها قائمة لتبرير جريمتهم وحمايتها، وأخذ من يجرؤ على التلكؤ في رد الفائدة الربوية إلى خـزائنهم باسم القانون!!

نحن نعرف أن هذه الكليات لا تصل إلى تلك القلوب.. ولكنا نعرف أنها الحق، ونشق أن سعادة البشرية مرهونة بالاستهاع إليها والأخذ بها: ﴿ وَإِن كَانَ ذُوعُسْرَةٍ وَفَنْظِرَةً إِلَى مَيْسَرَةً وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيِّرٌ لَكُمْ مَا اللهِ اللهُ اللهُ

إن المعسر _ في الإسلام _ لا يطارد من صاحب الدين، أو من القانون والمحاكم، إنها ينظر حتى يوسر..

ثم إن المجتمع المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين، فالله يدعو صاحب الدين أن يتصدق بدينه _ إن تطوع بهذا الخير. وهو خير لنفسه كها هو خير للمدين، وهو خير للجهاعة كلها ولحياتها المتكافلة، لو كان يعلم ما يعلمه الله من سريرة هذا الأمر!

ذلك أن إبطال الربا يفقد شطرًا كبيرًا من حكمته إذا كان الدائن سيروح يضايق المدين، ويضيق عليه الخناق. وهو معسر لا يملك السداد، فهنا كان الأمر في صورة شرط وجواب بالانتظار حتى يوسر ويقدر على الوفاء، وكان بجانبه التحبيب في التصدق بالدين كله أو معضه عند الإعسار.

على أن النصوص الأخرى تجعل لهذا المدين المعسر حياته، حظًّا من مصارف الزكاة، ليؤدي دينه، وييسر حياته، قال عَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَتُ لِلْفُ قَرَآءِ وَٱلْمَسَكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُوَلِّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِقَابِ وَٱلْعَامِينَ وَفِي عَلَيْهَا وَٱلْمَوَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِقَابِ وَٱلْعَامِينَ وَفِي سَيِيلِ ٱللَّهِ وَٱبَنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱبَنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱبَنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱبَنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَٱبَنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَٱبَنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمً عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمً اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمً اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ الللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللل

ثم يجيء التعقيب العميق الإيجاء الذي ترجف منه النفس المؤمنة، وتتمنى لو تنزل عن الدين كله، ثم تمضي ناجية من الله يوم الحساب، قال عن الذي ﴿ وَاتَّقُوا مَوْمَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوكُونًا لَكُلُ نَفْسِ مَاكَسَبَتُ وَهُمُ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ البقرة).

واليوم الذي يرجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت يوم عسير، له في القلب المؤمن وقع؛ ومشهده

حاضر في ضمير المؤمن، وله في ضمير المؤمن هول، والوقوف بين يدي الله في هذا اليوم خاطر يزلزل الكيان!

وهو تعقيب يتناسق مع جو المعاملات. جو الأخذ والعطاء، جو الكسب والجزاء.. إنه التصفية الكبرى للماضي جميعه بكل ما فيه. والقضاء الأخير في الماضي بين كل من فيه، فها أجدر القلب المؤمن أن يخشاه وأن يتوقاه.

إن التقوى هي الحارس القابع في أعماق الضمير؛ يقيمه الإسلام هناك لا يملك القلب فرارًا منه لأنه في الأعماق هناك!

إنه الإسلام.. النظام القوي.. الحلم الندي المشل في واقع أرضي.. رحمة الله بالبشر. وتكريم الله للإنسان. والخير الذي تشرد عنه البشرية؛ ويصدها عنه أعداء الله وأعداء الإنسان(١)!

الخلاصة:

- البيع مبادلة مال بهال على سبيل التراضي، أو نقل مال بعوض على الوجه المأذون فيه بألا يكون منهيًا عنه، والربا: الزيادة على رأس المال قلت أو كثرت، سواء أكانت في القرض أو في البيع.
- الربا عرم في جميع الأديان السهاوية (الإسلام، اليهودية، النصرانية) ومن علة تحريمه: أنه يسبب العداوة بين الأفراد، ويقضي على روح التعاون والتكامل بينهم، كما أنه يؤدي إلى خلق طبقة مترفة بين المجتمع تنمو على حساب غيرها بلا جهد منها، ويرجع إليها الحصيلة الحقيقية من جهد البشرية.

- وقد ذُكر لحكمة تحريم الربا أسباب كثيرة؛ منها على سبيل المثال:
- أن فيه أخذ مال الغير بغير عوض، وأورد عليه ما تقدم في الفرق بينه وبين البيع، وهو فرق غير وجيه.
- أن في تعاطي الربا ما يمنع الناس من اقتحام مشاق الاشتغال في الاكتساب؛ لأنه إذا تعود صاحب المال أخذ الربا خف عنه اكتساب المعيشة، فإذا فشا في الناس أفضى إلى انقطاع منافع الخلق؛ لأن مصلحة العالم لا تنتظم إلا بالتجارة، والصناعة، والعمارة.
- أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس بالقرض.
- أن الغالب في المقرض أن يكون غنيًا، وفي المستقرض أن يكون فقيرًا، فلو أبيح الربا لتمكن الغني من أخذ مال الضعيف.

36 EVS

١. المرجع السابق، ص٣٣٢، ٣٣٣.

الشبهة الثلاثون

دعوى اليهود استحالة وقوع النسخ عقلا ونقلا وإنكارهم لجوازه (*) ®

مضمون الشبهة:

يدعي بعض اليهود استحالة وقوع النسخ عقلا ونقلا؛ ولذا فإنهم أنكروا نسخ أحكام التوراة، وجحدوا نبوة عيسى الله وعمد ، وكانوا يقولون: إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمر، ثم ينهاهم عنه غدًا!

وجوه إبطال الشبهة:

- اليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ، فالله هو المتصرف في خلقه، ويختبر عباده بالنسخ.
- ٢) في النسخ مراعاة مصالح الناس، وله حِكَمٌ
 جليلة.
 - ٣) النسخ والبداء مختلفان.
- ٤) وجود النسخ في التوراة يردعلى اليهود
 ادعاءهم امتناع وقوعه وجوازه.

التفصيل:

أولا. لا مانع عقلا من وقوع النسخ، والمولى سبحانه يختبر عباده به:

يتفق معظم المسلمين على جواز النسخ في أحكام الله رهاك لله في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أجمع السلف على وقوعه في الشريعة وجوازه، وأنكرت ذلك

فيرشد الله عباده بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بها يشاء، فله الخلق والأمر، فكيا خلقهم كيا يشاء، ويُسعد من يشاء، ويُمشقي من يشاء، ويُمرض من يشاء، ويُوفِّق من يشاء، ويَخْذُل من يشاء، كذلك يحكم في عباده بها يشاء، فيحلّ ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء، ويبيح ما يشاء، ويخظر ما يشاء، وهو الذي يحكم ما يريد، لا يشاء، ويخظر ما يشاء، وهو الذي يحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عها يفعل وهم يُسألون، وهو سبحانه يختبر عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ، فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها على، ثم ينهى عنه لما يعلمه على أن يأت من المصلحة التي يعلمها على، ثم ينهى واتباع رسله في تصديق ما أخبروا وامتثال ما أمروا، وترك ما عنه زجروا، فالله على قادر على أن يأتي بالآية المنسوخة، ولكنه يؤخر هذه ويبدًل المحكمة قبل الآية المنسوخة، ولكنه يؤخر هذه ويبدًل هذه بتلك، وهو عالم بالأول والآخر، ويعلم ما يصلح الناس في وقت، وما يصلحهم في الوقت الآخر، ويعلم

^(*) الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١٠٦، ١٠٧٠) آل عمران/ ٩٣).

[®] في "وقوع النسخ في القرآن" طالع: الشبهة السابعة عشرة، من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم).

أن الأليّق بالناس والأنسب لهم في وقت ما أن يعملوا بكذا، وفي الوقت الآخر أن يعملوا بكذا، ألا ترى إلى الطبيب يذهب إليه المريض اليوم فيقول له الطبيب: لا تأكل اللحم ولا السمك ولا تشرب اللبن، وبعد يوم يأتيه المريض فيقول له الطبيب: كل اللحم واشرب اللبن ولا تأكل السمك، وبعد مدَّة يرخص له في الأكل اللبن ولا تأكل السمك، وبعد مدَّة يرخص له في الأكل من كل ذلك، والمريض يُسلِّم ولا يعترض أدنى اعتراض، وخاصة إذا كان يعلم أن الطبيب ماهر حاذق ثقة، فيفعل ما يؤمر به دون تردد وبنفس هادئة مطمئنة، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزين الحكيم.

وفي هذا المقام رد عظيم بليغ لكفر اليه ود وتزييف شبهتهم لله في دعوى استحالة النسخ، إما عقلًا كما زعمه بعضهم جهلًا وكفرًا، وإما نقلًا كما تُخرَّصه آخرون منهم افتراء وإفكًا.

والآيات السابقة وإن كانت خبرًا وخطابًا من الله تعلى لنبيه على وجه الخبر عن عظمته، ففيها تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة، وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليها الصلاة السلام لمجيئها بها جاءا به من عند الله بتغير ما غير الله من حكم التوراة، فأخبرهم الله أن له ملك السهاوات والأرض وسلطانها، وأن الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه، وأن له أمرهم بها يشاء، ونهيهم عها يشاء، ونسخ ما يشاء، وإقرار ما يشاء، وإنشاء ما يشاء.

ثانياً. في النسخ مراعاة مصالح الناس وله حكم جليلة: التعديل الجزئي وفق مقتضيات الأحوال _ في فترة

الرسالة ـ هو لـصالح البشرية، ولتحقيق خير أكبر تقتضيه أطوار حياتها، والله خالق الناس، ومرسل الرسل، ومنزل الآيات هو الذي يقدر هذا، فإذا نسخ آية ألقاها في عالم النسيان _سواء كانت آية مقروءة تشتمل حكمًا من الأحكام، أو آية بمعنى علامة وخارقة تجيء لمناسبة حاضرة وتطوى؛ كالمعجزات المادية التي جاء بها الرسل _ فإنه يأتي بخير منها أو مثلها! ولا يعجزه شيء، وهو مالك كل شيء، وصاحب الأمر كله في السماوات وفي الأرض.. ومن شم تجيء هذه في السماوات وفي الأرض.. ومن شم تجيء هذه أو مثلها أثم تعنير مِنها أؤ مثلها كأم تعنير مِنها أذ مُلك الشيء عَلَى كُلِ شَيْء قَدِيرُ ﴿ الله تَعْلَم مِن الله مِن وَلِي وَلا نَصِيرٍ ﴿ وَالْأَرْضِ * وَمَا لَكُم مِن دُونِ الله مِن وَلِي وَلا نَصِيرٍ ﴿ الله مِن وَلِي وَلا نَصِيرٍ ﴿ الله مَا لَكُم مِن الله مِن وَلِي وَلا نَصِيرٍ ﴿ الله مَا لَكُم مِن وَلِي وَلَا نَصِيمٍ ﴿ الله مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله مَا لَكُم مِن الله مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله مَا لَكُم مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله مَا لَكُم مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله مَا لَكُم مَا لَكُم مَا لَكُم الله مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله مَا الله مَا وَلَا نَصِيمٍ الله مَا الله مَا وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله وَالله الله مَا الله مَا وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله وَالله الله مَا الله مَا وَلَيْ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله وَالله الله مِن وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿ الله وَالله الله وَالله الله وَالله وَاله وَالله وَاله وَاله وَالله وَاله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وا

فهو استنكار لتشبه بعض المؤمنين بقوم موسى في تعنتهم وطلبهم للبراهين والخوارق وإعناتهم لرسولهم كلما أمرهم بأمر أو أبلغهم بتكليف، على نحو ما حكى السياق عنهم في مواضع كثيرة.

• نسخ شريعة مع الإتيان بمثلها كنسخ شريعة

هود بشريعة صالح، فإن لكل فائدة مماثلة للأخرى في

تحديد أحوال أمتين متقاربتي العوائد والأخلاق، فهود

نهاهم أن يبنوا بكل ريع آية يعبثون، وصالح لم ينه عن

• نسخ حكم في شريعة بخير منه مثل نسخ كراهة

الخمر الثابتة بقوله: ﴿ قُلْ فِيهِمَا ۚ إِنَّهُ كَبِيرٌ وَمَنَفِعُ ﴾

(البقرة: ٢١٩) بتحريمها بتاتًا فهذه الناسخة خير من جهة

المصلحة دون الرفق وقد يكون الناسخ خيرًا في الرفـق،

كنسخ تحريم الأكل والشرب وقربان النساء في ليل

رمضان بعد وقت الإفطار عند الغروب إذا نام الـصائم

قبل أن يتعشَّى بقوله تعالى: ﴿ أُجِّلَ لَكُمْ لَيَّلَةَ ٱلصِّيَامِ

ٱلرَّفَتُ إِلَىٰ نِسَآيِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ

أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

عَنكُمْ ۚ فَٱلْتَنَ بَشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ

وَأَشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُو الْخَيْطُ الْأَبْيَثُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ (البقرة: ١٨٧)، قال في

• نسخ حكم في الشريعة بحكم مثله؛ كنسخ

الوصية للوالدين والأقربين بتعيين الفرائض والكل

نافع للكل في إعطائه مالًا، وكنسخ فرض خمسين صلاة

بخمس صلوات مع جعل ثواب الخمسين للخمس،

فقد تماثلتا من جهة الثواب، وكنسخ آية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِيبَ

الحديث: "ففرحوا بها فرحًا شديدًا"(٢).

ذلك ونهي عن التعرض للناقة بسوء.

وهو تحذير لهم من نهاية هذا الطريق، وهي الضلال، واستبدال الكفر بالإيمان، وهي النهاية التي صار إليها بنو إسرائيل، كما أنها هي النهاية التي يتمنى اليهود لو قادوا إليها المسلمين(١)!

وقوله: ﴿ نَأْتِ بِحَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (الفرة: ١٠٦) جواب الشرط، وجعله جوابًا مشعر بأن هذين الحالين وهما النسخ والإنساء _ أو النسء _ لا يفارقان حالين، وهما الإتيان في وقت النسخ ووقت الإنساء بـشيء هـو خير من المنسوخ أو مثله أو خير من المنسي أو المنسوء أو

السامع كل مذهب ممكن فتجده مرادًا، إذ الخيرية تكون من حيث الاشتمال على ما يناسب مصلحة الناس، أوما يدفع عنهم مضرة، أو ما فيه جلب عواقب حميدة، أو ما فيه ثواب جزيل، أوما فيه رفق بالمكلفين ورحمة بهم في مواضع الشدة وإن كان حملهم على الشدة قد يكون أكثر مصلحة، وليس المراد أن كل صورة من الصور المفروضة في حالات النسخ والإنساء أو النسء هي مشتملة على الخير والمثل معا، وإنها المراد أن كل صورة منهما لا تخلو من الاشتمال على الخير منها أو المثـل لهـا فلذلك جيء "أو" في قوله: ﴿ عِنْيرٍ مِّنْهَا آفَ مِثْلِهَا ﴾ فهي مفيدة لأحد الشيئين مع جواز الجمع.

وتحقيق هاته الصور بأيديكم، ولنضرب لـذلك أمثالًا ترشد إلى المقصود وتغني عن البقية:

• نسخ شريعة مع الإتيان بخير منها كنسخ التوراة والإنجيل بالإسلام.

وقد أجملت جهة الخيرية والمثلية لتذهب نفس

يُطِيقُونَهُ، فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (البقرة: ١٨٤) بقوله تعالى: ٢. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿ أُمِلِّ لَكُمْ لَيْلَةُ ٱلصِّيامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآلِكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧)

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص١٠٢.

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ اللَّهُمَ فَالْبِت الْمُعَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهُر فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فأثبت كون الصوم خيرًا من الفدية.

- إنساء بمعنى التأخير لشريعة مع مجيء خير منها، تأخير ظهور دين الإسلام في حين الإتيان بشرائع سبقته كل واحدة منها هي خير بالنسبة للأمة التي شرعت لها والعصر الذي شرعت فيه فإن الشرائع تأتي للناس بها يناسب أحوالهم حتى يتهيأ البشر كلهم لقبول الشريعة الخاتمة التي هي الدين عند الله فالخيرية هنا ببعض معانيها وهي نسبية.
- إنساء شريعة بمعنى تأخير مجيئها مع إرادة الله تعالى وقوعه بعد حين ومع الإتيان بمثلها كتأخير شريعة عيسى الطيلا في وقت الإتيان بشريعة موسى الطيلا، وهي خير منها من حيث الاشتهال على معظم المصالح وما تحتاج إليه الأمة.
- إنساء بمعنى تأخير الحكم المراد مع الإتيان بخير منه، كتأخير تحريم الخمر وهو مراد، مع الإتيان بكراهته أو تحريمه في أوقات الصلوات فقط، فإن المأتي به خير من التحريم من حيث الرفق بالناس في حملهم على مفارقة شيء افتتنوا بمحبته.
- إنساء شريعة بمعنى بقائها غير منسوخة إلى أمد
 معلوم مع الإتيان بخير منها؛ أي: أوسع وأعم مصلحة
 وأكثر ثوابًا لكن في أمة أخرى، أو بمثلها كذلك.
- إنساء آية من القرآن بمعنى بقائها غير منسوخة إلى أمد معلوم مع الإتيان بخير منها في باب آخر؛ أي أعم مصلحة، أو بمثلها في باب آخر؛ أي مثلها مصلحة أو ثوابًا، مثل تحريم الخمر في وقت الصلوات وينزل في

- تلك المدة تحريم البيع في وقت صلاة الجمعة.
- نسیان شریعة بمعنی اضمحلالها؛ کشریعة آدم
 ونوح مع مجيء شریعة موسی، وهي أفضل وأوسع،
 وشریعة إدریس مثلاً وهي مثل شریعة نوح.
- نسيان حكم شريعة مع مجيء خير منه أو مثله، كان فيها نزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات ثم نسيا معًا، وجاءت آية وأَخَوَتُكُم مِّرَكَ ٱلرَّضَكَعَة الله النساء: ٢٣) على الإطلاق، والكل متهاثل في إثبات الرضاعة، ولا مشقة على المكلفين في رضعة أوعشر لقرب المقدار.

وقيل: المراد من النسيان الترك، وهو حين في يرجع معناه وصوره إلى معنى وصور الإنساء بمعنى التأخير. والمقصد من قول تعالى: ﴿ نَأْتِ عِنْيُرٍ مِنْهَا آوَ

والمقتصد من قوله بعالى. الرقاب المحكمة، والرد مِنْلِهَا الله البقرة: ١٠١١) إظهار منتهى الحكمة، والرد عليهم بأنهم لا يهمهم أن تنسخ شريعة بشريعة بشريعة أو حكم في شريعة بحكم آخر، ولا يقدح ذلك في علم الله تعالى ولا في حكمته ولا ربوبيته؛ لأنه ما نسخ شرعًا أو حكمًا ولا تركه إلا وهو قد عوض الناس ما هو أنفع لهم منه حينذ، أو ما هو مثله من حيث الوقت والحال، وما أخر في إبان تأخيره ما يسد مسده بحسب أحوالهم، وذلك في إبان تأخيره ما يسد مسده بحسب أحوالهم، وذلك مظهر الربوبية، فإنه يربي الخلق ويحملهم على مصالحهم مع الرفق بهم والرحمة، ومراد الله تعالى في تلك الأزمنة والأحوال كلها واحد وهو حفظ نظام العالم وضبط تصرف الناس فيه على وجه يعصم أحوالهم من الاختلال بحسب العصور والأمم والأحوال إلى أن جاء بالشريعة الخاتمة وهي مراد الله تعالى من الناس،

ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ (الله عمران: ١٩)، وقال أيسضًا: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِدِ نُوْحًا ﴾ (الشورى: ١٣) (١) .

ثالثًا. النسخ والبداء مختلفان:

وليس ما سبق من قبيل البداء، بل هو من نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم لضرب من المصلحة إظهارًا لحكمته وكمال عملكته، ولا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قُصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية، وإنها كان يلزم البداء لو لم يكن عالما بمآل الأمور، وأما العالم بذلك فإنها تتبدّل خطاباته بحسب تبدّل المصالح، كالطبيب المراعي أحوال العليل، فراعى ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته، فخطابه يبدّل، وعلمه وإدارته لا تتبدل، ولا تتغير، فإن ذلك مُحال في جهة الله عَمَال في حمَال ف

ومن جهل اليهود أنهم جعلوا النسخ والبداء شيئًا واحدًا، ولذلك لم يُجوِّزوا النسخ فضلُّوا، والفرق بين النسخ والبداء أن النسخ: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، مع علم الله السابق بأن الحكم المرفوع مؤقت، وأنه تعالى قد وضعه لمدة معينة وسبق في علمه الأزلي أنه سينسخه؛ مثل تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالًا فيحرَّم، أو كان حرامًا فيحلل، وأما البداء: فهو ظهور حكمة جديدة كانت خاصة، وهذا محال على الله تعالى فهو خالق الأشياء

كلها، وهو العليم بأسرارها ومكنونها ما ظهر منها وما خفي، ولا يخفى عليه شيء، والبداء يحدث للإنسان، فهو يعزم على أمر ثم يتضح له شيء متعلقٌ بهذا الأمر كان خافيًا عنه، فيعدل عن عزمه الأول؛ كقولك: امضٍ إلى فلان اليوم، ثم تقول: لا تمض إليه، فيبدو لك العدول عن القول الأول، وهذا يلحق البشر لنقصانهم ®.

القول الأول: ﴿أَوْنُنسِهَا ﴾ من النسيان الذي هو بمعنى الترك، فيكون المعنى: ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ نأت بخير منها أو مثلها، وقد قدَّر العلاء هنا محذوفًا تقديره كلمة "حُكْم"، فالمعنى: ما ننسخ من حكم آية أو نترك حكمها نأتِ بخير منها أو مثلها.

فإذا قال قائل: كيف تكون الآية باقية _ أي متروكة لم تنسخ _ ويقال: نأت بخير منها أو مثلها؟

ق "حقيقة النسخ وأنه ليس من البداء" طالع: الوجه الأول، من الشبهة السابعة عشرة، من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١، ج١، ص١٦٥.

ق "حِكَم النسخ ومقاصده" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة الحادية الشبهة الحادية والعشرين؛ من الجزء الحادي عشر (سلامة القرآن الكريم).

وللإجابة عملى ذلك قمال العلماء: إن المراد بـ ﴿ نُنسِهَا ﴾: نثبت لفظها ونترك حكمها.

القول الشاني: أن المراد بقوله على ﴿ نُنسِها ﴾ أي: نرفع لفظها، فلا يستقر منها في القلوب والأذهان شيء، وهو من النسيان المعهود لدى الناس، ومثال ذلك ما صعّ عن أنس بن مالك الله أن الذين قُتِلوا ببئر مَعُونة أنزل الله على فيهم قرآنا يُتلى: (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)(1)، ثم نُسخ ذلك بَعْدُ.

ومن أوجه الردِّ على اليهود أيضًا في دعواهم عدم وقوع النسخ: أن التوراة التي بين أيديهم ناسخة لأحكام قد تقدمتها.

ووجه الخيرية في الآيات الناسخة قد يكون من عدة جهات منها:

- أن الآيات الناسخة تكون في بعض الأحيان
 واضعة للآصار والأغلال التي كانت على الأمم قبلنا.
- أن الآيات الناسخة، وإن كانت في بعض
 الأحيان أشق في العمل بها من الآيات المنسوخة، لكن
 ثواب العمل بها أعظم من الآيات المنسوخة.
- أن الآيات الناسخة قد تكون سهلة لينة في حفظها على الناس.

فعلى هذا تكون الخيريَّة في الآيات الناسخة عاجلًا أو آجلًا، عاجلًا في كون بعضها يسيرًا يخفف الله الله الله الله علم. الأحكام، وآجلا في كون ثواب العمل بها أعظم.

رابعًا. وجود النسخ في التوراة يرد على اليهود ادعاءهم امتناع وقوعه في القرآن:

ومن ردود القرآن الكريم على اليهود في إنكارهم وقوع النسخ وجوازه، أنه نص في كتابهم -التوراة - أن نوحًا النفي لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، وبعد هذا، فإن إسرائيل حرَّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها فاتبعه بنوه في ذلك، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وهذا هو النسخ بعينه، وقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله على إلا المعام كان مو التراه ين المعام كان القرآن الكريم ذلك في قوله على إلى المعام كان القرآن الكريم ذلك في قوله على التوراة فاتلوها إلى المعام كان محرّم إلى التوراة فاتلوها إلى المعام كان محرّم المعرودة فاتلوها إن كنتُم من المعرودة المعام الله كان التوراة المعرودة الله كان التوراة المعرودة الله كان المعرودة المعام كان المعرودة المعرودة المعرودة الله كان المعرودة المعرودة المعرودة المعرودة المعرودة الله كان المعرودة المع

ولا وجه لليهود في اعتراضهم على وقوع النسخ وجوازه، فقد وقع ذلك في الكتب المتقدِّمة والشرائع الماضية، كما أحلَّ الله لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك، وكما أحلَّ لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها، وكان نكاح الأختين مباحًا لإسرائيل وبنيه وقد حرّم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها، وأمر إبراهيم المالي بنبح ولده ثم نسخه قبل الفعل، وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم، ثم رفع عنهم كيلا يستأصلهم القتل، واليهود يعترفون بكل ذلك، ولكنهم يصدفون عنه عنادًا وكفرًا؛ لأن هذا كله منصوص عليه عندهم في التوراة، وهذا هو النسخ بعينه، فأمرهم الله بالرجوع إلى التوراة فإنها ناطقة بها نقول.

ولذا يقول تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اللهُ مُلْكِنَبِ وَلَا ٱلمُشْرِكِينَ أَن يُنزَّلَ عَلَيْكُم مِّن خَيْرِ مِن

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله ﷺ (٢٦٤٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثومًا أو بصلا أو كراثًا أو نحوها عن حضور المسجد (١٥٧٧).

رَّيِّكُمْ ﴾ (البقرة: ١٠٥). يقول تعالى للمؤمنين: هؤلاء الذين علمتم شأنهم مع أنبيائهم حسدة، لا يلتفت إلى تكذبيهم ولا يبالي بعدوانهم، ولا ينضركم كفرهم وعنادهم، فهم لحسدهم لا يودون أن ينزل عليكم أدني خير من ربكم، والقرآن أعظم الخيرات، لأنه النظام الكامل، والفضل الشامل، والهداية العظمي، والآية الكبرى، جمع به شملكم، ووصل به حبلكم، ووحد بـه شعوبكم وقبائلكم، وطهر به عقولكم من نزعات الوثنية، وزكى به نفوسكم من أدران الجاهلية، وأقامكم به على سنن الفطرة، وشرع لكم الحنيفية السمحة، فكيف لا يحرق الحسد عليه أكبادهم، ويخرج أضغانهم عليكم وأحقادهم. والمعنى ما يحب الـذين كفروا مـن اليهود والنصاري ولا من المشركين أن ينزل عليكم أدنى خير من ربكم. أما أهل الكتاب ولا سيها اليهود فلحسدهم للعرب أن يكون فيهم الكتاب والنبوة وهو ما كانوا يحتكرونه لأنفسهم، وأما المشركون فلأن في التنزيل المرة بعد المرة من قوة الإسلام ورسوخه وانتشاره ما خيب آمالهم في تربصهم الدوائر بالنبي وانتهاء أمره.

ثم إن الله تعالى رد عليهم بها بيّن جهلهم وجهل جميع الحاسدين، فقال: ﴿ مَّا يُودُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْفِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنزَّلَ عَلَيْكُم مِّن خَيْرِ مِن رَبِّكُمْ مَّن فَيْنَاكُمُ وَاللّهُ مِن رَبِّكُمْ مَن يَشَاكُمُ وَاللّهُ مِن رَبِّكُمْ مَن يَشَاكُمُ وَاللّهُ دُو الْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿ ﴿ البقرة مِن الله على الله تعالى لله تعالى ومعترضًا عليه أن أنعم على المحسود بها أنعم، ولا يضر ولا يحرق محل الساخطين، ولا يحول مجاري نعمه الله تعالى سخط الساخطين، ولا يحول مجاري نعمه

حسد الحاسدين، فالله يختص برحمته من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم، أسند كلاً من هذين الأمرين إلى اسم الذات الأعظم؛ لبيان أنها حقه لذاته، فليس لأحد من عبيدة أدنى تأثير في منحها ولا في منعها (١).

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ لَوَ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَنِكُمْ كُفَّالًا حَسَدًا مِنْ عِندِ اَنفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ (البقرة: ١٠٩)، وذلك ما يفعله الحقد اللئيم بالنفوس.. الرغبة في سلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون.. لماذا؟ لا لأن هذه النفوس الشريرة لا تعلم، ولكنها لأنها تعلم!

وَمَا لَبُكُونُ ﴾، والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وما زالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها وما تزال، وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم؛ وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه، والذي أنقذهم الله منه بالإيمان، وخصهم بهذا بأعظم الفضل وأجل النعمة التي تحسدهم عليها يهود!

وهنا _ في اللحظة التي تتجلى فيها هذه الحقيقة، وتنكشف فيها النية السيئة والحسد اللئيم _ هنا يدعو القرآن المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحقد بالحقد، والشر بالشر، ويدعوهم إلى الصفح والعفو حتى يأتي الله بأمره وقتها يريد.

تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱، ص۲۱۲،
 ۱۳ عمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱، ص۲۱۲.

الخلاصة:

- النسخ هو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، وهو جائز عقلًا ولا يترتب على وقوعه عال؛ لأن مصالح العباد تختلف باختلاف الزمان والمكان، كما أنه فعل من أفعال الله تعالى، وهو شايفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، وقد أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ مِخَيْرٍ مِنهَا أَوْ مِثْلِهِمَا أَلَمْ تَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرُ (المِنهُ) (المِنهُ).
- وجود النسخ في الكتب السابقة يرد على اليهود في دعواهم بامتناع وقوع النسخ أو جوازه، فضلًا عن خلطهم بين النسخ بمعناه السابق، والبداء بمعنى ظهور ما كان خافيا، وهو محال في حق الله تعالى.
- النسخ متفق مع قواعد العقل والمنطق، والله ﷺ أعلم بها يصلح حال عباده في كل زمان ومكان، وفي ختلف أحوالهم.

الشبهة الحادية والثلاثون

استنكار تحويل القبلة (*) ®

مضمون الشبهة :

استنكر السفهاء من الناس اليهود والمنافقون

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١٤٢: ١٤٨).

ق ي "تحويل القبلة" طالع: الشبهة السادسة والثلاثين، من الجزء السادس (العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد). والشبهة الرابعة، من الجزء الثالث عشر (العبادات والمعاملات الاقتصادية).

ومشركو العرب تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام، وتعجبوا قائلين: ﴿ مَا وَلَمْ مُمْ عَن قِبْلَنِهِمُ البيت الحرام، والبقرة: ١٤٢) ألا يثبتون على قِبلة واحدة؟!

وجوه إبطال الشبهة:

المشرق والمغرب ملك لله، وله التصرف فيها كيف شاء.

٢) في تحويل القبلة اختبار وامتحان ليظهر المؤمن
 من المنافق.

- ٣) مقولة اليهود ناشئة عن الحسد وكتبان الحق.
 - لكل أهل مِلَّة قبلتهم التي يتجهون إليها.
- الإخبار بقول السفهاء قبل أن يقولوه دليل على نبوة محمد 業.
 - جوهر الدين في طاعة الله وامتثال أوامره.

التفصيل:

أولا. المشرق والمغرب ملك لله :

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ١٤٢).

فالاتجاهات كلها لله، وملك المشرق والمغرب وما بينهما لله سبحانه، فالحكم والتصرُّف والأمر كله لله وحده، وليست العبرة بالاتجاه إلى المشرق والمغرب، وإنها العبرة بطاعة الله عَلَلْ وامتثال أمره، كما قـال عَلَلْ: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِأَللَّهِ وَٱلْمَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، فحيثها وجَّهنا توجُّهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه، وخدّامه حيثها وجهنا وتوجهنا، فله أن يكلِّف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء، وله سبحانه الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك، فالجهات كلها لله، لا فضل لجهة منها على جهة بذاتها، وإن لله أن يخصص منها ما شاء فيجعله قبلة لمن يـشاء: ﴿ قُل بِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ (البقرة: ١٤٢)، كما أراد الله على أن ينبِّه أن له على بعبده ورسوله محمد ﷺ وأمته عناية عظيمة؛ إذ هـداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة التي هي بناء إبراهيم الخليل الطِّيِّلاً، ولهذا قال: ﴿ قُل لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآهُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ السالَ

ثانيًا. امتحان الناس واختبارهم:

(البقرة).

من ردود القرآن على هؤلاء اليهود والمنافقين والمشركين أيضًا أن يوضح أن أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فيه امتحان واختبار وفتنة من الله كال للظهر المنافق المرتاب من المؤمن المُوقِن، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَ ٓ إِلَّا لِنَعْلَمْ مَن يَتَّبِعُ الرّسُولَ مِمّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ (ابقرة: ١٤٣)، فقد قال

أهل النفاق لمّا حُوِّلت القبلة: ما بالُ محمد يحوِّلنا مرة إلى ها هنا ومرة إلى ها هنا، وقال بعض المسلمين: كيف بإخواننا الذين ماتوا وقتلوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس؟! وقال أهل الشرك: كما رجع محمد إلى قبلتنا فسيرجع إلى ديننا، أما أهل الإيمان الكامل واليقين الصادق فعلموا أن كل ذلك حق، وأنه من عند الله كال وسمعوا له وأطاعوا، ورضوا به وقرَّت أعينهم.

وإذًا فتحويل القبلة شرعه الله لحكم عظيمة؛ منها أن يظهر حال من يتبع الرسول ويطيعه ويستقبل معه حيثها توجه، ممن يرتد عن دينه، وإن كان ذلك الأمر كبيرًا وعظيمًا في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال على: ﴿ وَإِن كَانَتُ لَكِيرَةً إِلَّا عَلَى الْذِينَ هَدَى ﴾ (البقرة: ١٤٣).

ثواب صلاته لم يذهب هباء، ولا يظلم ربك أحدًا، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَننَكُمْ ۚ إِنَ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَهُ وَفُ رَّحِيمُ اللَّهُ اللَّهِ (البقرة) * .

ثَالثًا. كتمان اليهود للحق حسدًا وعنادًا:

ومن ردِّ القرآن عليهم أيضًا أنه بيَّن أن هولاء لو أُقيم عليهم كلُّ دليل على صحة ما جاء به رسول الله ﷺ ولو أتى لهم بكل آية ما اتبعوه ولا اتبعوا قبلته، فهذه الآيات لا تنفع من ختم الله على قلبه؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَهِنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعِ قِبْلَهُمَ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعِ قِبْلَهُم بَعْضِ ﴾ (البقرة: ١٤٥).

وهذا كما قال ﷺ أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتَ عَلَيْهِمْ

رابعًا. لكل أهل ملة قبلتهم:

بيّن الله على أن لكل أهل ملة وأهل دين وجهة وقبلة يتجهون إليها، فلليه ودي قبلة يتجه إليها، وللنصراني قبلة يتجه إليها، ولكم أيها المسلمون قبلتكم الحق التي تتجهون إليها، قال على: ﴿ وَلِكُلِّ وِجُهَةً هُوَ الحق التي تتجهون إليها، قال على: ﴿ وَلِكُلِّ وَجُهَةً هُو مُولِيها ﴾ (البقرة: ١٤٨)، وهذا كقوله على: ﴿ لِكُلِّ جَعَلَنَا مِنكُم شِرْعَةً وَمِنْهاجًا ﴾ (المائدة: ١٤٨)، وقوله على: ﴿ لِكُلِّ جَعَلَنَا مُنسكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ (الحج: ١٧)، وقوله أمّنة جَعَلْنَا مُنسكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ (الحج: ١٧)، وقوله كان الأمر كذلك، وكان لكل قوم قبلتهم، فأي شبهة من العقل لهؤلاء المشاغبين الطاعنين في النبوة والتشريع!

خامسًا.دليل نبوة محمد ﷺ:

من ردود القرآن القاطعة، والتي هي أكبر دليل على نبوَّة محمد على فيا يخص مسألة تحويل القبلة، أن الله على أخبر نبيه على بقول السفهاء قبل أن يقولوه، وقد وقع الأمركما أخبر على أخبر نبيَّه الناسَ.

وهذا دليل من دلائل نبوته الله ونوع إعجاز للإخبار بالغيب، وكان بإمكان اليهود والمنافقين والمشركين أن يبدِّلوا كلام الله ويمتنعوا عن قولهم الذي

[®] في "الحكمة من تحويل القبلة" طالع: الوجه الثاني من الشبهة الرابعة، من الجزء الثالث عشر (العبادات والمعاملات الاقتصادية). والوجه الأول من الشبهة السادسة والثلاثين، من الجزء السادس (العقيدة الإسلامية وقضايا التوحيد).

قالوه، ويُك لِنّه الله القرآن فيها أخبر، لكنهم لم يستطيعوا؛ لأنه ليس لهم من الأمر شيء، وهذا قدر الله، والملك ملكه، وهذا كها حدث مع أبي لهب، حيث أنزل الله فيه قرآنًا يُتْلَى وأنه سوف يصلى نارًا ذات لهب، ومع ذلك لم يأتِ أبو لهب يومًا ليقول _ ولو زعمًا وادعاءً _: إنه أسلم وأنه بذلك يكذب ما جاء به محمد.

ولعل من فوائد الإخبار بقول السفهاء قبل وقوعه بالإضافة إلى ما سبق، توطين النفس وتأهيلها لاستقبال ما سيقوله هؤلاء السفهاء وتهوين صدمة القول وتخفيف روعته، والإشارة إلى سفاهة القائل وجهله قبل أن يتكلم بالكلام.

سادسًا. جوهر الدين في طاعة الله:

ويبين الله في آيات أخرى _استكهالا لهذا الرد _أن من الدين وجوهره ليس أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب لذاته، ولكن البرهو المسارعة في الخيرات والإيهان بالله واتباع أوامره وامتشال طاعته، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ طاعته، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَ ٱلْبِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَٱلْيُومِ ٱلْأَخِرِ ﴾ المنشرة والمعنى: أن الحكمة في هذه المسألة هي طاعة الله والمعنى: أن الحكمة في هذه المسألة هي طاعة الله والتوجه حيثها وجه واتباع ما شرع، وليس في لنوم التوجه إلى جهة المشرق والمغرب برر ولا طاعة، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، كما قال قال في الأضاحي والهذايا: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللّهَ لَحُومُهَا وَلَا يَنَالُ ٱللّهَ لَحُومُهَا وَلَا يَعْنَ مَن أَمْر الله وشرعه، ولا يما قال قَالَ في الأضاحي والهذايا: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللّهَ لَحُومُهَا وَلَا يَكُن عَن أَمْر الله وشرعه، ولا دِمَا في الأضاحي والهذايا: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللّهَ لَحُومُهَا وَلَا يَعْنَ فَي الْأَضَاحِي والهذايا: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللّهَ لَحُومُهَا وَلَا يَعْنَ فَي الْأَضَاحِي والهذايا: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللّهَ لَحُومُهَا وَلَا كُن يَنَالُ ٱللّهَ اللّهُ اللّهُ اللّهَ الْمَاحَي والمذايا: ﴿ لَن يَنَالُ ٱللّهَ لَكُومُهَا وَلَا كُن يَنَالُ ٱللّهَ أَلْقَوَى مِنكُمُ مُ المَعْ وَبَلُومُ اللّهُ وَالْمَعْ وَالْمَاحَيْ وَالْمُولُولُونَ مَن يَاللّهُ ٱللّهُ النّقَوى مِنكُمُ مَا اللّهُ واللّهُ واللّه واللّه واللّه واللّه واللّه واللّه واللّه الله واللّه واللّه الله المَاحْ واللّه الله والله والله والله الله والله واله

الخلاصة:

• الكون كله ملك لله بها فيه المشرق والمغرب، وله

سبحانه المشيئة في أن يوجه من يشاء إلى ما يشاء من مشرق الأرض أو مغربها.

- في تحويل القبلة ابتلاء من الله ليظهر المنافق المرتاب من المؤمن الموقن.
- مقولة اليهود ناشئة عن الحسد للمسلمين وكتمان الحق من الاعتراف بنبوة محمد الله التي بشرت بها التوارة.
- لكل أهل ملة قبلتهم التي يوجهون إليها، فلماذا ينكرون على المسلمين أن تكون لهم قبلتهم الخاصة بهم.
- الإخبار بقول السفهاء قبل أن يقولوه دليل على نبوة محمد .
- الحكمة النهائية من وراء الأحكام والأوامر والنواهي هي اتباع الشرع وامتثال الأمر، وهذا هو جوهر الدين.

AGE:

الشبهة الثانية والثلاثون

الاحتجاج بفتنة النساء للقعود عن الجهاد (*)

مضمون الشبهة :

احتج الجدّ بن قيس أخو بني سلمة في التخلُّف عن جهاد الروم بسبب خوفه من الفتنة بنسائهم والإعجاب بجواريهم إذا هو جاهد مع الرسول، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَكُولُ ٱشَذَن لِي وَلاَ نَفْتِنِي ﴾ (النوب: ٤٩)، وروي أن غيره ـ من المنافقين ـ قال لمّا دعاهم النبي ﷺ

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (التوبة/ ٤٩).

الآية التي ورد فيها الردعلي الشبهة: (التوبة/ ٤٩).

إلى غزو تبوك: إنه ليفتنكم بالنساء.

وجه إبطال الشبهة:

هذه المقولة أراد بها أصحابها التخلف عن الجهاد مع الرسول:

هذه شبهة داحضة ما أراد بها قائلُها إلا التخلف عن الجهاد والقعود عن الغزو فرارًا وهروبًا وجبنًا، ومثل هذا المنافق في نفاقه لا يخشى على نفسه إثم الافتتان بالنساء؛ إذ لا يجد من دينه مانعًا من التمتع بهن وهو يُجهن، بل شأن ذلك أن يكون مُرغبًا في هذه الغزوة.

لقد ردّ الله تعالى شبهته وشبهة من وافقه عليها وردّدوا معناها بقوله في الموتاع الموتاع الموتاع التي تفيد التنبيه والتأمل فيها بعدها، ولتحقيق مضمونه إن كان خبرًا لتوجيه السمع والقلب له، وعبر عن افتتانهم بالسقوط في الفتنة للمبالغة، وقدم الظرف في المؤت نقي على عامله المحتقوة الله الله الله على الحصر، والمعنى: ألا فليعلموا أنهم سقطوا وتردّوا بهذا القول في هاوية الفتنة بأوسع معناها، لا في شيء آخر من شبهاتها أو مشابهاتها، من حيث يزعمون اتقاء التعرض لشبهة نوع من أنواعها، وهو الإثم بالنظر إلى جمال نساء الروم واشتغال القلب بجالهن، فتردّوا بذلك في شر مما اعتذروا به، فعذرهم أقبح من الذنب.

يقول الشيخ ابن عاشور: "والإتيان بأداة الاستفتاح

في جملة ﴿ أَلَا فِي الْفِتْ نَقِسَ قَطُوا ﴾ للتنبيه على ما بعدها من عجيب حالهم؛ إذ عاملهم الله بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة. فالتعريف في الفتنة ليس تعريف العهد إذ لا معهود هنا، ولكنّه تعريف الجنس المؤذن بكال المعرّف في جنسه، أي في الفتنة العظيمة سقطوا، فأي وجه فرض في المراد من الفتنة حين قال قائلهم ﴿ وَلَا نَفْتِنَي ﴾ كان ما وقع فيه الفتنة حين قال قائلهم ﴿ وَلَا نَفْتِي ﴾ كان ما وقع فيه أعظم الفتنة بالشرك والنفاق، وإن أراد فتنة سوء أعظم الفتنة بالشرك والنفاق، وإن أراد فتنة سوء نفاقهم، وإنْ أراد فتنة الذكد بفراق الأهل والمال فقد وقع في أعظم منها بافتضاح أمر وقع في أعظم نكد بكونه ملعونًا مبغوضًا للناس. وتقدّم بيان ﴿ الْفِتْ نَهِ ﴾ قريبًا.

والسقوط مستعمل مجازًا في الكَوْن فجأة على وجه الاستعارة: شُبّه ذلك الكَوْن بالسقوط في عدم التهيّؤ له وفي المفاجأة باعتبار أبّهم حصلوا في الفتنة في حال أمنهم من الوقوع فيها، فهم كالساقط في هُوّة على حينِ ظَنّ أنّه ماش في طريق سهل"(٢).

ثم توعدهم الله تعالى على الفتنة التي تردّوا فيها بقوله: ﴿ وَإِنَ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَنِينَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

١. تَفَصَّى: تخلُّص أو تهرَّب.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ج٠١، ص٢٢١.

حتًا، جزاء الكذب والتخلف والهبوط إلى هذا المستوى المنحط من المعاذير، وتقريرًا لكفرهم وإن كانوا يتظاهرون بالإسلام وهم فيه منافقون (١٠).

الخلاصة:

AND SE

الشبهة الثالثة والثلاثون

استنكار النهي عن التطفيف أو البخس لأن الأموال ملك الأفراد يفعلون فيها ما يشاءون (*⁾

مضمون الشبهة :

وجوه إبطال الشبهة:

- تحقيق العدل في الوزن والكيل فيه مصلحة الناس جميعًا.
 - ٢) بخس الناس حقوقَهم فساد في الأرض.
- ٣) العقل يفرض على هؤلاء أن يأخذوا ما يدعو
 إليه النبي على فرض احتمال صدقه.

التفصيل:

يثير أهل مدين هذه الحجة الواهية ردًّا على نبي الله شعيب حين نهاهم عن نقصان المكيال والميزان والتطفيف فيه، وحين نهاهم عن بخس الناس أشياءهم، ويقولون له: إذا وقع التراضي بيننا بالبخس في الأشياء، ورضي بذلك كل من البائع والمشتري فلا وجه إذًا لما تأمرنا به من منعه.

وقيل: إن مما نهاهم عنه شعيب الطيخ هو قطع الدراهم وكسرها وحذفها فهذا قولهم: ﴿ أَن نَقَعَلَ فِي الدراهم وكسرها وحذفها فهذا قولهم: ﴿ أَن نَقَعَلَ فِي الموالنا ودراهمنا ودنانيرنا نفعل فيها ما نشاء، إن شئنا قطعناها وإن شئنا حذفناها، وإن شئنا طرحناها، وقد كانوا يقرضون من أطراف الصحاح من الدراهم والدنانير لتفضل لهم القراضة، وكانوا يتعاملون على الصحاح عدّا وعلى المقروضة وزنّا، وكانوا يبخسون في الوزن.

فجاء القرآن ليصحح لهم تلك التصورات الفاسدة على النحو الآتي:

أولا. تحقيق العدل في الوزن والكيل فيه مصلحة للناس، وهي قضية أمانة وعدالة جاءت بإقرارها الشريعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا نَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَّ

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٣، ص١٦٦٤.
 (*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (هود/ ٨٧).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (هود/ ١٨٤ ، ٨٨، الشعراء/ ١٨١ : ١٨٤).

إِنِّ أَرَىٰكُم عِنَدِ وَإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ فَحِيطٍ اللهِ وَيَقَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَاتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَعْمُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُواْ فِ الْفَرْضِ مُفْسِدِينَ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُوْمِنِينً وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُورِينِينً وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ اللهِ هَرْمُونَ اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُورِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ اللهِ هَرُونِ اللهِ اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِن اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِن اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِن اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِنْ اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِنْ اللهِ عَيْرٌ لَكُمْ إِنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

والقضية هنا هي قضية الأمانة والعدالة بعد قضية العقيدة والدينونة، أو هي قضية الشريعة والمعاملات التي تنبثق من قاعدة العقيدة والدينونة، فقد كان أهل مدين وبلادهم تقع في الطريق من الحجاز إلى السام ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، أي ينقصونهم قيمة أشيائهم في المعاملات، وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد كها تمس المروءة والشرف، كها كانوا و بحكم موقع بلادهم و يملكون أن يقطعوا الطريق على القوافل الذاهبة الآيبة بين شهال الجزيرة وجنوبها، ويتحكموا في طرق القوافل ويفرضوا ما يشاءون من المعاملات الجائرة التي وصفها الله في هذه السورة.

ومن ثمَّ تبدو علاقة عقيدة التوحيد والدينونة لله وحده بالأمانة والنظافة وعدالة المعاملة وشرف الأخذ والعطاء، ومكافحة السرقة الخفية سواء قام بها الأفراد أم قامت بها الدول، فهي بذلك ضانة لحياة إنسانية أفضل، وضهانة للعدل والسلام في الأرض بين الناس، وهي الضهانة الوحيدة التي تستند إلى الخوف من الله وطلب رضاه، فتستند إلى أصل ثابت، لا يتأرجح مع المصالح والأهواء.

إن المعاملات والأخلاق لا بـد أن تـستند إلى أصـل ثابت لا يتعلق بعوامل متقلّبة. هذه هي نظرة الإسـلام،

وهي تختلف من الجذور مع سائر النظريات الاجتماعية والأخلاقية التي ترتكن إلى تفكيرات البشر وتصوراتهم وأوضاعهم ومصالحهم الظاهرة لهم.

وهي حين تستند إلى ذلك الأصل الثابت ينعدم تأثرها بالمصالح المادية القريبة؛ كما ينعدم تأثرها بالبيئة والعوامل السائدة فيها.

فلا يكون المتحكم في أخلاق الناس وقواعد تعاملهم من الناحية الأخلاقية هو كونهم يعيشون على الزراعة أو يعيشون على الزراعة أو يعيشون على الرعي أو يعيشون على الصناعة.. إن هذه العوامل المتغيرة تفقد تأثيرها في التصور الأخلاقي وفي قواعد المعاملات الأخلاقية، حين يصبح مصدر التشريع للحياة كلها هو شريعة الله، وحين تصبح قاعدة الأخلاق هي إرضاء الله وانتظار ثوابه وتوقي عقابه، وكل ما يدَّعيه أصحاب المذاهب الوضعية من تبعية الأخلاق للعلاقات الاقتصادية وللطور الاجتماعي للأمة يصبح لغوًا في ظل النظرة الأخلاقية أَرَبْكُم مِنْمَيْرِ اللهُ.

فقد رزقكم الله رزقًا حسنًا، فلستم في حاجة إلى هذه الدناءة لتزدادوا غنّى، ولن يفقركم أو ينضركم أن لا تنقصوا المكيال والميزان، بل إن هذا الخير ليهدده ما أنتم عليه من غش في المعاملة، أو غصب في الأخذ والعطاء.

﴿ وَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ فَحِيطٍ ﴿ اللهِ ﴾ إما في الآخرة عند الله، وإما في هذه الأرض حين يـؤتي هذا الغش والغصب ثهارهما المرة في حالة المجتمع وفي حركة التجارة، وحين يـذوق الناس بعضهم بأس بعض، في كـل حركة مـن الحركات اليومية وفي كـل بعض، في كـل حركة مـن الحركات اليومية وفي كـل

تعامل وفي كل احتكاك.

ومرة أخرى يكرر شعيب النها نصحه في صورة إيجابية بعد صورة النهي السلبية: ﴿ وَيَنَفَوْمِ أَوْفُواْ الْمِحْيَالُ وَالْمِيزَاتَ بِالْقِسْطِ ﴾. وإيفاء الكيل والميزان أقوى من عدم نقصهها؛ لأنه أقرب إلى جانب الزيادة.

وللعبارات ظل في الحس، وظل الإيفاء غير ظل عدم النقص، فهو أكثر سهاحة ووفاء.

ثانيًا. بخس الناس حقوقهم فساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ اَشَياءَهُمْ ﴾. وهذه أعم من المكيلات والموزونات، فهو يشمل حسن تقويم أشياء الناس من كل نوع: تقويمها كيلًا أو وزنّا أو سعرًا أو تقديرًا، وتقويمها ماديًّا أو معنويًّا. وقد تدخل في ذلك الأعمال والصفات؛ لأن كلمة "شيء" تطلق أحيانًا ويراد بها غير المحسوسات.

وبخس الناس أشياءهم فوق أنه ظلم يشيع في نفوس الناس مشاعر سيئة من الألم أو الحقد، أو اليأس من العدل والخير و حسن التقدير، وكلها مشاعر تفسد جو الحياة والتعامل والروابط الاجتماعية والنفوس والضائر، ولا تُبقي على شيء صالح في الحياة.

﴿ وَلَا تَعْنُواْ فِ الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ هُ الْمِودَ)، والعثو هو الإفساد، فلا تفسدوا متعمدين الإفساد، قاصدين إلى تحقيقه، ثم يوقظ وجدانهم إلى خير أبقى من ذلك الكسب الدنس الذي يحصلون عليه بنقص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم في التقدير: ﴿ بَقِيَتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: ٨٦).

فيا عند الله أبقى وأفضل، وقد دعاهم في أول حديثه إلى عبادة الله وحده أي: الدينونة له بلا شريك، فهو يذكرهم بها هنا، مع ذكر الخير الباقي لهم عند الله إن آمنوا كيا دعاهم، واتبعوا نصيحته في المعاملات وهي فرع عن ذلك الإيان.

﴿ بَقِيَتُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْم إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾، شم يخلِّى بينهم وبين الله الذي دعاهم إليه، ويبين لهم أنه لا يملك لهم شيئًا، كما أنه ليس موكَّلًا بحفظهم من الشر والعذاب، وليس موكَّلًا كذلك بحفظهم من الضلال ولا مسئولًا عنهم إن هم ضلُّوا، إنها عليه البلاغ وقد أداه: ﴿ وَمَا أَناْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿ الله ومشل هذا الأسلوب يُشعِر المخاطبين بخطورة الأمر، وبثقل التبعة، ويوقفهم وجهًا لوجه أمام العاقبة بلا وسيط ولا حفيظ.

ولكن القوم كانوا قد عتوا ومَرَدُوا على الانحراف والفساد وسوء الاستغلال، فقالوا له: ﴿ يَنشُعَيْبُ أَصَلُوٰتُكُ كَا اللهِ عَالَمُ اللهُ الل

وهو رد واضح التهكم، بين السخرية في كل مقطع من مقاطعه، وإن كانت سخرية الجاهل المطموس، والمعاند بملا معرفة ولا فقه: ﴿ أَصَلُوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَتْمُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَا وَيُنَا أَوْ أَن نَقْعَلَ فِي آمَوَ لِنَا مَا نَشَرُوا ﴾.

فهم لا يدركون أو لا يريدون أن يدركوا أن الصلاة هي من مقتضيات العقيدة، ومن صور العبودية والدينونة، وأن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله، ونبذ ما يعبدون من دونه هم وآباؤهم، كما أنها لا تقوم إلا

بتنفيذ شرائع الله في التجارة وفي تداول الأموال وفي كل شأن من شئون الحياة والتعامل. فهي لحمة واحدة لا يفترق فيها الاعتقاد عن الصلاة عن شرائع الحياة وعن أوضاع الحياة (1).

ثَالثًا. العقل يفرض على هؤلاء أن يأخذوا بما دعاهم إليه نبيهم:

وقد ردَّ نبي الله شعيب عليهم بقوله: ﴿ قَالَ يَنَقَوْمِ اللهِ عَلَى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنَاً الرَّهَ شَعْدَ إِن كُنْتُ عَلَى بَيْنَةِ مِن زَبِي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنَاً وَمَا أَرِيدُ أَرِيدُ أَنْ أَلِيثُ اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ إِلَّا اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ إِلَّا اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ إِلَّا اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْهِ اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْهِ اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْهِ اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ وَلَيْهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ وَلَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُلّهُ اللهِ اللهِي

والمعنى: إن كنتُ على بينة من ربي فهاذا يسعكم في تكذيبي؟ أو ماذا ينجيكم من عاقبة تكذيبي؟ وهو تحذير لهم على فرض احتهال أن يكون صادقًا، فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتهال، والحزم أيضًا أن تنظروا في كُنه ما نهيتكم عنه لتعلموا أنه لصلاحكم وفائدتكم ونفعكم، وفيه سداد أمركم وجلب الخير والسعادة لكم، فإن ما نهيتكم عنه هو العدل والقسط بأن توقُّوا الناس حقوقهم مما يكال أو يوزن على ما وجب لهم من التهام بغير بخس ولا نقص، وما أنا برقيب عليكم، ولكن الله عليكم رقيب وحفيظ في معاملاتكم وسائر أحوالكم، فرعمة، وثروة واسعة في الرزق، فلا تغير وا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده، ففي هذه النعمة عليكم عن أخذ أموال الناس بغير حق، ثم ذكر

بعد هذه العِلة علَّة أخرى، وهي التذكير لهم بعذاب الآخرة، كما أن العلة الأولى فيها التذكير لهم بنعمة الدنيا، وذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَا نَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيْزَانَ إِنِي آرَبْكُم مِنعَيْرِوَ إِنِي آخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ مُحْمِيطٍ الله وَيَعَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَابَ يَوْمِ مُحْمِيطٍ الله وَيَعَوْمِ أَوْفُوا الْمِكَيَالَ وَالْمِيزَابَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَعْمُوا النَّاسَ أَشْبَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْمُونِي الْمُؤْنِ مُمْفِيدِينَ اللهُ (هود).

والمراد بالإيفاء في الكيل والميزان هو الإتمام والعدل، وهو عدم الزيادة والنقص، وهذا يؤدي إلى أن يأخذ كل واحد حقه دون تعد ولا ظلم، وهذا مما تواطأت عليه العقول الرشيدة، وتوافقت عليه الفِطَرُ السليمة.

وفي قوله التي لهم: ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزَقًا حَسَنًا ﴾ (مود: ٨٨) إشارة إلى تعريفهم ما جهلوه، وتنبيههم إلى ما غفلوا عنه، وهو أن الله على هو الرازق، وما أموالهم التي ادّعوا إضافتها لهم على وجه التملُّك الخاص ما هي إلا رزق الله، فالمال مال الله على الحقيقة، وهم مستخلفون عليه، فأبان بذلك مُغالطتهم وخطأهم في قولهم: ﴿ أَوْ أَن نَفْعَلَ فِي آمَولِنَا مَا نَشَرُوا ﴾ (مود: ٧٨)، ولذلك قال لهم: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿ هَو الله على الحقيقة وهرولذلك قال لهم: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿ هَو الله هو الحفيظ عليهم والمراقب لهم في أفعالهم وتصرفوا فيها إلا بالحقّ وبها يوافق مراد الله الذي وهبهم إياها.

الخلاصة:

تحقيق العدل في الوزن والكيل يؤدي إلى أن
 يأخذ كل إنسان حقه دون تعد أو ظلم، أما بخس
 الناس حقوقهم فهو فساد في الأرض.

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص١٩١٨، ١٩١٩.

- العقل والمنطق يفرضان على هؤلاء أن يعقلوا ما أمرهم به نبيهم لاحتمال الصحة فيه، فإن ظهر الصلاح والفائدة والنفع لم يسؤهم ذلك، وإن ظهر الفساد عادوا إلى اعتقادهم.
- الله هـ و الـ رازق، والمـ ال أمانـة مـ ستودعة عنـ د
 الإنسان، ومن ثم يعاقب عليه إن أنفقه في غير موضعه،
 ويثاب عليه إن أنفقه في موضعه.

AGE:

ثانيًا. شبهات تتعلَّق بالاعتراض على أوامر الله ﷺ

الشبهة الرابعة والثلاثون

دعوى أن خيريَّة إبليس على آدم في الخلق تمنعه من السجود له (*)

مضمون الشبهة :

اعترض إبليس على السجود لآدم بحجّة مؤدّاها أنه لا يسجد الفاضل للمفضول، وهو يرى أنه أفضل من آدم؛ لأنه مخلوق من النار، وآدم مخلوق من الطين، والنار أشرف من الطين في أصل العنصر، فكيف يسجد له؟! قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنا خَيْرٌ مِنَهُ خَلَقْنَنِي مِن نَارِ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينِ الله الأعراف).

وجها إبطال الشبهة:

١) مقولة إبليس عذر أقبح من ذنب، ومنشؤها

(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (الأعراف/ ١٢، الحجر/ ٣٣، ص/ ٧٦، الإسراء/ ٦١، ٦٢).

الآيات التي ورد فيها الردعلي الشبهة: (الأعراف/ ١٣، الحجر/ ٣٤، ص/ ٧٥، البقرة/ ٣٤).

الحسد والاستكبار، وجوابه مليء بالجهل والغباوة، لأنه لا يمكن لأحد أن يعترض على الله، فلله الحجة البالغة.

 ٢) قياس إبليس قياس فاسد، ولا نسلم بأن النار خير من الطين، بل العكس هو الصحيح.

التفصيل:

أولا. عذر أقبح من ذنب:

مقولة إبليس _ لعنه الله _ هي من العُـذر الـذي هـو أقبح وأكبر من الذنب، فقد امتنع من الطاعة؛ لأنه يرى نفسه فاضلًا وآدم مفضولًا، فكأنه قال: أنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له، والفاضل لا يؤمر بالسجود للمفضول؟!

ثم ذكر إبليس ـ لعنه الله ـ حجته في الاستنكاف عن السجود لآدم، وهي أنه خير منه لأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خُلق منه آدم النيلا وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله على خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وقاس الملعون قياسًا فاسدًا في مقابلة النص: ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَيْجِدِينَ اللهُ في قياسه الفاسد.

وجواب إبليس السابق يتضمن ضروبًا من الجهل الفاضح، وما أوقعه في ذلك _ لعنه الله _ إلا حسده وكبره؛ فإنها يعميان البصائر، ويتمثل ذلك فيها يلي:

1. الاعتراض على ربه وخالقه كها تنضمنه جوابه، ومثله في هذا كل من يعترض على كلام الله على فيها لا يوافق هواه، وهذا كفرٌ لا يقع مثله من مؤمن بالله وبكتابه، فإن المؤمن إذا خفيت عليه حقيقة أو حكمة لله في شيء من كلامه بحث عنها بالتفكر والبحث وسؤال

العلماء، وصبر إلى أن يهتدي إلى ما يطمئن به قلبه، مكتفيًا قبل ذلك بأن الله على يعلم ما لا يعلم من حقائق خلقه، وحكم شرعه، وفوائد أمره ونهيه، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُو اللَّطِيفُ ٱلْخِيرُ (اللك)، فهو عَلى لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله.

الاحتجاج على ربه بها يؤيد به اعتراضه، والمؤمن المذعن لا يحتجُّ على ربه، بل يعلم أنَّ لله الحجة البالغة: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ ﴾ (الانعام: ١٤٩).

7. جعل امتثال أمر الرب كل مشروطاً باستحسان العبد له، وموافقته لرأيه وهواه، وهو رفض لطاعة الرب، وترقع عن مرتبة العبد، وتعالي منه إلى وضع نفسه موضع الند، وهو في حكم الدين كفر، وفي العقل خاقة وجهل، فإن الرئيس لأية حكومة أو جيش أو جمعية أو شركة إذا كان لا يطبعه المرءوسون له إلا فيها يوافق أهواءهم وآراءهم، لا يلبث أمرهم أن يفسد بأن تختل الحكومة وتسقط، وينكسر الجيش ويهلك، وتنحل الشركة وتُفلس، فإذا كان الصلاح والنظام في كل أمر يتوقف على طاعة الرئيس، وهو ليس ربًّا تجب طاعته لذاته ولا لنعمه، ولا معصومًا من الخطأ فيما يأمر به، فها القول في وجوب طاعة رب العالمين على عبيده؟! ولذا قال الحسن: قاس إبليس، وهو أول من قاس، يعني قال الحسن: قاس إبليس، وهو أول من قاس، يعني قوله: ﴿ خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ (الأعراف: ١٢).

ثانيًا. استدلال فاسد:

إن استدلال إبليس على الخيرية بالمادة التي كان منها التكوين استدلال فاسد من عدة وجوه:

١. أن خيرية المواد بعضها على بعض ليس من

الحقائق التي يمكن إثباتها بالبرهان، وإنها هي أمور اعتبارية تختلف فيها الآراء والأهواء، وأصول المخلوقات المختلفة التركيب عناصر بسيطة قليلة يرجح أنها متحولة عن أصل واحد.

Y. أن بعض الأشياء النفيسة أصلها خسيس، فالمسك من الدم، وجوهر الألماس من الكربون الذي هو أصل الفحم، وكذلك قد يكون الخسيس أصله نفيس؛ مثل الأقذار التي تبقى من مادة الطعام الذي يُشتهى ويُحبُّ.

٣. أن الملائكة خلقوا من النور، وإبليس خُلق من مارج من النار، قال عَلق: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَتَهِكَةِ السَّجُدُواُ وَإِلَّهُ مَنَ الْمِلِيَ الْمَلَتِهِكَةِ السَّجُدُواُ الْكِهف: ٥٠)، لِلَّا إِلْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِينِ اللَّهِ (الكهف: ٥٠)، وقال أيضًا: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ ﴿ إِنَّ اللَّهِ وَقَال أَيضًا: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ ﴿ إِنَّ اللَّهِ المُختلط بالدخان، والمارج من النار هو اللهب المختلط بالدخان، في أن النور خير معناها الخلط والاضطراب، ولا شك في أن النور خير من اللهب المختلط من النار، والنار الصافية خير من اللهب المختلط بالدخان، وقد سجد الملائكة المخلوقون من النور المنال المنال الله عنه الله الله الله على أن يسجد هو، بل المنال أولى بأن يقال له: أولى لك فأولى.

٤. إذا سلمنا جدلًا أن خيرية الشيء ليست في ذاته وصفاته الخاصة التي تفصلها عن غيرها من مقومات نوعه ومشخصات نفسه وصفاته التي يمتاز بها عن غيره، وإنها هي تابعة للهادة التي هي أصل جنسه، فلا نُسلِّم أن النار خير من الطين.

فإن جميع الأحياء النباتية والحيوانية في هذه الأرض مخلوقة من الطين بالذات أو بالواسطة، وهي خير ما

فيها بكل نوع من أنواع الاعتبارات التي تعرفها العقول، وليس للنار أو لمارجها مثل هذه المزايا ولا ما يقرب منها، ثم إن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتّنبُّت، والطين من شأنه الإحراق والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة، ولهذا خان إبليسَ عنصرُه، ونفع آدمَ عنصرُه بالرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله على والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة.

الذي خص الله به آدم من خَلْقِه بيده، والتكريم الذي خص الله به آدم من خَلْقِه بيده، والنفخ فيه من روحه، وجعل استعداده العلمي والعملي فوق استعداد غيره من خلقه، ومن تشريفه بأمر الملائكة بالسجو د له.

رَجِيمٌ اللَّهِ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَى يَوْمِ ٱلدِّينِ اللَّهِ اللَّهِ (ص).

الخلاصة:

- امتناع إبليس عن السجود لآدم الطيالاً لأنه يسرى نفسه فاضلًا وآدم مفضولًا، وقاس ذلك على أصل الخلق لكليهها، وهو قياس فاسد، لأنه يرى مادة خلقه خيرًا من مادة خلق آدم، وغاب عنه تشريف الله تعالى لآدم حين خلقه بيديه، وأمر الملائكة بالسجود له تشريفًا وتعظيمًا.
- الحسد والاستكبار هما اللذان دفعا إبليس أن يرد على المولى ﷺ بأنه خير من آدم، ولا يصح السجود له، وفي هذا الرد من الجهل والغباوة الكثير، فضلًا عن الاعتراض على أمر المولى ﷺ وتوهم أن الطاعة لله لا تكون إلا فيها يوافق الهوى.

ades

الشبهة الخامسة والثلاثون

استنكار الإنفاق على الفقراء لأن الله لوشاء لأطعمهم (*)

مضمون الشبهة:

استنكر المشركون المعاندون الإنفاق _ مما رزقهم الله على المحتاجين والفقراء من المسلمين مُحتَّجِين بأن الله لو شاء لأغنى هؤلاء المحتاجين ولأطعمهم من رزقه، ويقولون: نحن نوافق مشيئة الله على فيهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنفِقُوا مِمَا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ اللهَيْنَ

۱. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۸، ص۳۳۰:
 ۳۳۲.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (يس/ ٤٧). الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (يس/ ٤٧).

كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْطُعِمُ مَن لَّو يَشَآهُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ ﴾ (يس:٤٧).

وجها إبطال الشبهة:

- هذه مقولة ضلال يُقصد بها الاستهزاء، ولا حجة فيها لأن المؤمن لا يعترض على مشيئة الله.
- ۲) مقولتهم تدل على بخلهم وتمسسكهم بالدنيا،
 فإن الغنى والفقر ابتلاء من الله للناس ببعضهم.

التفصيل:

أولا. هذه مقولة ضلال، لا حجة فيها:

يبين الله على أن اعتراض الكافرين على المؤمنين حين يأمرونهم بالإنفاق على الفقراء والمحاويج اعتراض باطل، وحُجَّةُ داحضة حين قالوا: أيفقرهم الله ونطعمهم نحن، لوشاء الله لأغناهم كما أغنانا، وما هذه المقالة منهم إلا ضلال ظاهر، كما قال على: فول أنتُد إلا في ضَلَلِ مُبِينِ الله وسلال ظاهر، كما قال على: قول من قال من أهل التأويل: إن هذه الجملة السابقة من قول الله لهم ردًا على مقالتهم، أو حكاية قول من قول الله لهم، وقد كان هؤلاء الكافرون يسمعون من المؤمنين أنهم يعلقون أفعال الله على بمشيئته فيقولون: لوشاء الله لأغنى فلانًا، ولو شاء لأعز فلانًا، ولو شاء للعرزة وكذا، فأخرج الكفار ذلك الجواب السابق لكان كذا وكذا، فأخرج الكفار ذلك الجواب السابق غرج الاستهزاء بالمؤمنين، وكأنهم يقولون لهم: إذا كان تلتمسون الرزق مِنًا الله على المقالة الله المقوراء فلم تلتمسون الرزق مِنًا الله على المقالة الله المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المؤمنين، وكأنهم يقولون لهم: إذا كان تلتمسون الرزق مِنًا الله إلى المقالة الله المقالة المنه المؤمنين، وكأنهم المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المنه المؤمنين، وكأنهم المؤلاء الفقراء المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المقالة المؤلاء المقالة المقالة المقالة المتجالة المقالة ال

باطل؛ لأن الله على إذا ملك عبدًا مالاً ثم أوجب عليه فيه حقّا فكأنه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض، وقد صدقوا في قولهم: لوشاء الله أطعمهم، ولكن كذبوا في الاحتجاج؛ لأن هذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل، فكلامهم وإن كان صحيحًا في نفسه، لكنهم لمّا قصدوا به الإنكار لقدرة الله، أو إنكار جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله، كان احتجاجهم من هذه الحيثيّة باطلاً؛ لأن لله إرادة كونية، وإرادة شرعية، ولا يصح الاحتجاج بالإرادة الكونية على الإرادة الشرعية، وهو عين ما قاله الذين كفروا، فالأمر بالإطعام أمر شرعي، وقولهم: ﴿ أَنُطُعِمُ مَن لَق فَالاَمر بالإطعام أمر شرعي، وقولهم: ﴿ أَنُطُعِمُ مَن لَق

فلو كانوا يؤمنون بمشيئة الله التي يحتجون بها لأنفقوا مما رزقهم الله؛ فالمؤمن يسير وفق أمر الله ولا يعترض على مشيئته وقدره، ويدرك سنن الله في حياة العباد، فالله هو مطعم الجميع وهو رازق الجميع، وكل ما في الأرض من أرزاق ينالها العباد هي من خلقه، فلم يخلقوا هم لأنفسهم منها شيئًا، وما هم بقادرين على خلقه أصلًا: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ عَلَى اللَّهُ مَا آشَرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا آشَرُكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا آشَرَكَا ﴾ (الانعام: ١٤٨).

ثانيًا. مقولة بخل:

في هذه الآية الكريمة أكبر زجر عن اقتصاص ما يحكى عن البخلاء في اعتذارهم بمثل ما ضلل به المشركون ومجاراتهم فيه فإن ذلك من اللؤم وشح

۱. الكشاف، الزنخشري، مرجع سابق، ج٣، ص٣٢٥ بتصرف.
 التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١،
 ٢٣٠، ص٣٣.

في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٩٧٠.
 ٢٩٧١.

النفس وخبث الطبع(١).

الخلاصة:

- دعوى المشركين أنهم لا يعطون الفقراء من أموالهم لأن الله لو شاء لأغناهم _ دعوى ضلال بيّن عن إدراك طبيعة سنن الله وإدراك حركة الحياة وضخامتها وعظمة الغاية التي تتنوع من أجلها المواهب، وتتوزع بسببها الأموال والأرزاق.
- هذه دعوى تشي بعدم إدراكهم لسنن الله في
 حياة العباد؛ فالله هو مطعم الجميع وهو الرازق، ولو
 شاء لمنعهم رزقهم فهاذا كانوا سيقولون حينئذ؟!

هذه الدعوى تنضح بلؤم دخائلهم، وخبث طباعهم، وشح نفوسهم وتطاولهم على من يدعونهم إلى البر والإنفاق.

AND DES

ثَالثًا. مزاعم جاهليَّة باطلة

الشبهة السادسة والثلاثون

دعوى أن الأولاد يجلبون الفقر والإملاق على آبائهم (*)

مضمون الشبهة :

وجها إبطال الشبهة:

المولى ﷺ هو المتكفِّل بالرزق لجميع خلقه،
 ومسبِّب الأسباب التي بمجرد الأخذ بها يتحصَّل

١. محاسن التأويل، القاسمي، مرجع سابق، ج٨، ص٦٨.

الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ج٣، ص٣٥٥. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٢٢، ص٢٢.

^(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (الإسراء/ ٣١، الأنعام/ ١٥١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الإسراء/ ٣١، الأنعام/ ١٣٧، ١٤٠، ١٥١، التكوير/ ٨، ٩).

٣. وَأَد البنات: دفنهنَّ أحياءً.

بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات

الرزق، فلا مجال إذن لجعل الفقر أو حتى خشيته ذريعة لقتل الأولاد.

السبب الحقيقي لقتل هؤلاء الجاهليين
 أولادهم هو تزيين الشيطان لهم ذلك؛ خشية الفقر
 فضلًا عن سفه هؤلاء وقصور عقولهم.

التفصيل:

أولا. الرازق هو الله وهو مسبِّب الأسباب ليتكسَّب بها الخلق في حياتهم:

كان المشركون يقتلون أولادهم كما سوَّلت لهم الشياطين، فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الفقر وخوف الإملاق كما حكى عنهم القرآن؛ لئلَّا تكثر عيلتهم، فنهاهم الله عَلَى عن ذلك، وفي هذا الصنيع يقول الشاعر:

إِذَا تَلَكَّرتُ بِنْتِي حِينَ تَنْدُبُنِي

فَاضَـتْ لعَـبْرَة بنْتِـي عَـبْرَقِ بسدَمِ أُحَـاذِرُ الفَقْر يَوْمًا أَنْ يُلِـمَّ بها

فیَکْشِفُ السِّنْرَ عن لَـحْمِ عَلَی وَضَـمِ تَهْوَی حَیاتِ وَأَهْوی مَوْتَهَا شَـفَقًا

والمَوْتُ أَكْرَمُ نَرَّالٍ عَلَى السَحُومِ
وقدرد الله على عليهم وأبطل معذرتهم؛ لأنهم جعلوا الفقر عذرًا لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعيًا لقتل النفس، فقد بيَّن الله أنه لما خلق الأولاد، قد قدر رزقهم، فمن الحاقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يُخوِّل له قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسب لهم؛ ولذا قال الله عَنْ نَرَدُقُهُم وَإِيّاكُم الإسراء: ٣١)، وقال: ﴿ غَنُ الإسراء: ٣١)،

وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الأنعام: ١٥١).

فذكر الله رزقهم في آية الإسراء مع رزق آبائهم، وفي آية الأنعام قدّم رزق الآباء للإشارة إلى أنه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعًا كذلك يرزق الأبناء، والله على هو الرزاق ولستم ترزقون أنفسكم أو ترزقون أبناءكم، فرزقكم ورزقهم على الله.

وبين آية الأنعام وآية الإسراء فرقٌ في النظم، رغم ما بين الآيتين من تشابه، وهذا يتضح من وجهين هما:

1. أنه تعالى قال في آية الإسراء: ﴿ خَشْيَةً إِمْلَتِ ﴾ (الإسراء: ٣١)، وقال في آية الأنعام: ﴿ مِّنْ إِمْلَتِ ﴾ (الإنعام: ١٥١)، ويقتضي ذلك أن الذين كانوا يشدون أولادهم أو بناتهم كانوا يئدونهم لغرضين: إما لأنهم فقراء لا يستطيعون الإنفاق عليهم، وربما لا يرجون من البنت إن كبرت إعانة على الكسب فهم يئدونها لذلك، فذلك مورد قول في الكسب فهم يئدونها لذلك، فذلك مورد قول في قي سورة الأنعام: ﴿ مِّنْ التعليلية تقتضي أن الإملاق سبب قتلهن، فيقتضي أن الإملاق سبب قتلهن، فيقتضي أن الإملاق موجود حين القتل.

وإما أن يكون الحامل على القتل ليس فقر الأب، ولكن خشية عروض الفقر له، أو عروض الفقر للبنت بموت أبيها، إذ كانوا في جاهليتهم لا يورِّ ثون البنات، فيكون الدافع للوأد هو توقع الإملاق، فذلك مورد قوله على في سورة الإسراء ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَقِ ﴾.

٢. من أجل الاعتبار في الفرق للوجه الأول قيل هنالك: ﴿ غَنُ نَرْزُقُكُمُ مَ وَإِيّاهُمْ ﴾، بتقديم ضمير الآباء على ضمير الأولاد؛ لأن الإملاق الدافع للوأد المحكي به في آية الأنعام هو إملاق الآباء، فقدَّم الإخبار

بأن الله على هو رازقهم وكمل بأنه رازق أولادهم، وأما الإملاق المحكي في سورة الإسراء فهو الإملاق المخشي وقوعه، فلذلك قدّم الإعلام بأن الله رازق الأولاد وكمل بأنه رازق آبائهم، وهذه من نكت القرآن في تقديم الأهمّ في كل موضع بحسبه (1).

ثانيًا. السبب الحقيقي لقتل هؤلاء الجاهليين أولادهم هو تزيين الشياطين لهم مع قصور عقولهم:

من ردود القرآن عليهم أنه بين لهم أن السبب الذي جعلهم يقتلون أولادهم يرجع إلى ثلاثة أمور هي:

فشركاؤهم من الشياطين هم الذين زيَّنوا لهم ذلك، وليردوهم فيهلكوهم، ليلبسوا عليهم دينهم؛ أي: يخلطوه عليهم.

٢. اتقاء العار، وهو خاص بوَأْد البنات خشية أن يكن سببًا للعار إذا كبرن، فهم يصورون البنت لوالدها الجبار العاتي ترتكب الفاحشة، أو تقترن بزوج دونه في الشرف والكرامة فتلحقه الخِسَّة، أو تُسْبَى في القتال.

٣. التدين بنَحْر الأولاد للآلهة تقربًا إليها بنذر أو بغير نذر، وكان الرجل ينذر في الجاهلية لئن ولد له كذا غلامًا لينحرن أحدهم كها حلف عبد المطلب، وخبره معروف يذكر في قصص السيرة النبوية. ولولا الشرك

ومن ردود القرآن عليهم تعنيفه إياهم وإلقاء العيب عليهم وتهديدهم، وذلك في قوله على: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُ دَهُ سُمِلَتُ ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُ دَهُ اللَّهِ عَلَى أَي ذَنب قتلوها، وفي هذا تهديد لقاتلها وبيان أنه غير معذور في قتلها، وفي هذا ما فيه من إلقاء الرعب في نفس الوائد.

فهذه كانت نظرة الجاهلية إلى المرأة على كل حال، حتى جاء الإسلام يشنع بهذه العادات ويقبحها، وينهى عن الوأد ويغلظ فعلته، ويجعلها موضوعًا من موضوعات الحساب يوم القيامة. يذكره في سياق هذا الهول الهائج المائج اسياق سورة التكوير اكأنه حدث كوني من هذه الأحداث العظام. ويقول: إن الموءودة ستسأل عن وأدها. فكيف بوائدها؟!

وما كان يمكن أن تنبت كرامة المرأة من البيئة الجاهلية أبدًا؛ لولا أن تتنزل بها شريعة الله ونهجه في كرامة البشرية كلها، وفي تكريم الإنسان: الذكر والأنثى؛ وفي رفعه إلى المكان اللائق بكائن يحمل نفخة من روح الله العلي الأعلى، فمن هذا المصدر انبثقت كرامة المرأة التي جاء بها الإسلام، لا من أي عامل من عوامل البيئة.

وحين تحقق ميلاد الإنسان الجديد باستمداد القيم التي يتعامل بها من السباء لا من الأرض، تحققت للمرأة الكرامة، فلم يعد لضعفها وتكاليف حياتها المادية على أهلها وزن في تقويمها وتقديرها؛ لأن هذه

الذي يفسد العقول لما راجت هذه الوسوسة عندهم (٢).

۱. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٧،
 ۲. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٨، ص١٢٥،
 ج٥١، ص٨٠، ٨٨.

ليست من قيم السهاء ولا وزن لها في ميزانها، إنها الوزن للروح الإنساني الكريم المتصل بالله، وفي هذا يتساوى الذكر والأنثى (١).

الخلاصة:

- كان المشركون يقتلون أولادهم من الفقر أو خشية الفقر، بيد أن المولى الله وضح لهم أنه رازقهم ورازق أولادهم، ومن ثم فلا عبرة بحجتهم الواهية التي تدعوهم لقتل أولادهم.
- لقد بيَّن القرآن الكريم أن السبب الحقيقي وراء قتل هؤلاء المشركين أولادهم ليس هو الفقر أو الخوف منه، إنها يرجع فعلهم هذا إلى تزيين السياطين لهم، أو اتقاء العار بوأد البنات، أو التقرب إلى آلهتهم بنحر أولادهم بنذر أو بغيره.

200 Ex

الشبهة السابعة والثلاثون

ادّعاء أن ما في بطون الأنعام خالص للذكور ومحرم على الإناث ^{(*) ®}

مضمون الشبهة :

توهم الجاهليون العرب أن ما تحمله الأنعام في بطونها من الأجنة فيه شؤم على المرأة، فإذا خرجت هذه

الأجنة حيّة أحل للذكور أكلها، وحرّم على الأزواج وقيل مطلق النساء، وإذا خرجت هذه الأجنة ميتة فقدت حينئذ شؤمها وأحل للذكور والإناث أكلها قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا فِ بُطُونِ هَا لَا كَالَا الْمُحَالِقَ فَهُمْ لِللَّهُ وَلَا يَكُن مَيّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَا مُ اللَّهُ الأنعام: ١٣٩).

وجه إبطال الشبهة:

التحريم والتحليل من خصوصيات المشرِّع عَلَى ولا يختص به أحد من البشر، والمولى عَلَى لم يحرم من هذه الأنعام شيئًا كما يتوهم هؤلاء الجاهليون.

التفصيل:

التحريم والتحليل من خصوصيات المشرّع ﷺ ولا يختص به أحد من البشر:

هذا ضرب من أحكام العرب الجاهليين السخيفة في التحريم والتحليل، وهو خاص بها في بطون بعض الأنعام من اللبن والأجنة، ورُوي أن المراد بالأنعام هنا البحائر وحدها، أو هي والسوائب، كانوا يجعلون لبنها للذكور ويحرمونه على الإناث، وكانت إذا ولدت ذكرًا حيًّا جعلوه خالصًا للذكور لا تأكل منه الإناث، وإذا كان ميتًا اشترك فيه الذكور والإناث، وإذا ولدت أنشى تركوها لأجل النتاج، وبعض مفسري السلف لم يقيدوا هذه الأنعام بالبحائر والسوائب، فيمكن حمل المُطلق (٢) على المُقيد لله أنهم كانوا يقولون ذلك في أنعام على المُقيد أنهم كانوا يقولون ذلك في أنعام

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٦، ص٠٣٨٤.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (الأنعام/ ١٣٩).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الأنعام/ ١٤٠: ١٤٣).

ق "تفرُّد الله بالتشريع في التصوُّر الإسلامي " طالع: الوجه الأول، من الشبهة السابعة والعشرين، من الجزء السابع (الإيمان والتدين).

لَمُطْلَق: ما دلَّ على الماهية من غير أن يكون له دلالة على شيء من قيودها.

٣. المُقيَّد: ما فيه صفة أو شرط أو استثناء، فهو نقيض المُطْلَق.

أخرى يعينونها بغير وصف البحيرة أي مشقوقة الأذن، والسائبة التي تسيب، وتترك للآلهة فلا يتعرض لها أحد (١).

وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ سَيَجَزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ الله عَلَيْهُ عَلِيمٌ وَالله عليهم الله عَلِيمٌ عَلِيمٌ الله عليه الله الله عليه على الخلق وعلمه بشئونهم وأعمالها ومناشئها من صفاتهم، بأن يجعل عقابهم عين ما يقتضيه وصفهم ونعتهم الروحي.

ومن ردّ القرآن عليهم ما بيّنه من جهلهم في تحريمهم بعضها دون بعض ببلا مخصص، وجعلها أجزاء وأنواعًا: بَحيرةً وسائبةً ووصيلةً وحاميًا.. وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثهار، فبين على أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، وأنه أنشأ من الأنعام حولة وفرشًا، ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم، وهي بياض وهو الضأن، وسواد وهو المعز، ذكره وأنشاه، وإلى إبل ذكورها وإناثها، وبقرٍ كذلك، وذكر أنه لم يحرم شيئًا من ذلك ولا شيئًا من أولادها، بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلًا وركوبة وحمولة وحلبًا وغير ذلك من وجوه المنافع.

قال على: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَلَمِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَجٍ ﴾ (الزمر: ١)، وقال على في الرد عليهم: ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَلَمِ حَمُولَةً وَفَرَشَا حَمُولُهُ مِنَا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلَا تَنَيِعُوا خُطُونِ حَمُولَةً وَفَرَشَا حَمُولُهُ مَيْنُ ﴿ فَا مَنْيَلَةً أَزْوَجٌ مِنَ الشَّيَطُونُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُو مُمِينٌ ﴿ فَا مَنْيَلَةً أَزْوَجٌ مِنَ الشَّيَطُونُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُو مُمِينٌ ﴿ فَا مَنْيَاتُهُ اللّهُ مَنْيَاتُهُ اللّهُ مَنْيَاتُهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمِنَ الْمُعَزِ اللّهُ وَمِن إِمِلْهِ إِن اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ ا

والردّ هنا فيه تبكيت وتجهيل لهم، فهو يقول لهم: أحرّم الله الذكرين من كل واحد من الزوجين وحدهما أم الأجنّة التي اشتملت عليها أرحام إناث الزوجين كليها، سواء كانت ذكورًا أو إناثًا؟ والاستفهام هنا إنكاري، فالله لم يحرم شيئًا من هذه الثلاث، وبهذا السؤال التفصيلي يظهر للمتفكر فيه منهم أنه لا وجه لهم يعقل لقولهم؛ لأن ترتيب الحكم على الوصف بالذكورة أو الأنوثة أو الحمل يكون لغوًا أو جهالة فاضحة إذا لم يكن تعليلًا، والتعليل بهذه الأوصاف لا وجه له ويلزمه ما لا يقولون به، وبعدمه يلزمهم التحكم في أحكام الله، وكون الافتراء عليه بغير لذني علم ولا عقل؛ ولذا قال: ﴿ نَيَّ عُونِي بِعِلَم إِن الأنعام)، أي: أخبروني بعلم أو يقين يُؤثر عن أحد رسل الله أو بينة متلبسة بعلم يركن

١. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٨، ص١٢٨.

إليه العقل، كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه، وإلا كان تخصيص ما حرمتم دون أمثاله جهلا محضا كها أنه افتراء كذب.

ثم بعد حصول التعجيز عن الإتيان بعلم يؤثر عن أحد من رسل الله بتحريم ما زعموا، ألزمهم الله ادعاء تحريم الله إياه عليهم بوصية سمعوها منه، فقال الله في تحريم الله إياه عليهم بوصية سمعوها منه، فقال الله في أم كُنتُم شُهكداء إذ وصلحكم الله بهكذا فمن أظام مِمن أفترى على الله كذبا لِيضِل النّاس بِعَيْرِعِلْمٍ إِنّ الله لا يَهْدِى الْقَوْم الظّالِمِين الله الانعام، فالعلم عن الله، إما أن يكون برواية رسول له يخبر بوصية عنه، أو بتلقي ذلك منه الله بغير واسطة رسول، فهل شاهدتم ربكم فوصاكم بهذا التحريم مباشرة بغير واسطة؟!

به بحملهم على اتِّباعه فيه مع نسبته إلى الله على علم ما يكون حجة له فيه (١).

الخلاصة:

- استطرد المشركون في أوهامهم وتصوراتهم الفاسدة والنابعة من الشرك والوثنية إلى أن أمر التشريع بالحل والحرمة عائد إلى كبارهم، فقالوا عن الأجنة التي في بطون بعض الأنعام: إنها خالصة للذكور منهم حين تنتج، محرَّمة على الإناث إلَّا أن تكون ميتة، فيشارك فيها الإناث الذكور، وذلك بلا سبب ولا دليل ولا تعليل إلَّا أهواء الرجال التي يصوغون منها دينًا غامضًا متلبسًا في الأفهام.
- ردّ المسولى ﷺ على هـؤلاء الجـاهليين ردًّا فيـه تبكيت وتجهيل لهم قائلا: أحرّم الله الـذكرين مـن كـل واحد من الـزوجين وحـدهما أم الأنثيين وحـدهما، أم الأجنة التي اشتملت عليها أرحام إنـاث الـزوجين كليها سواء كانت ذكورًا أو إناثًا. والاستفهام إنكـاري يبطل معتقداتهم ويسخر من عقولهم.

AND BUS

١. المرجع السابق، ص١٤٤.

المحور الرَّابع

شبهات تتعلّق بقضية الإيمان والكفر

الشبهة الثامنة والثلاثون

دعوى المنافقين أن المؤمنين بالرَّسول ﷺ سُفهاء "

مضمون الشبهة:

زعم المنافقون أن السبب في عدم إيمانهم بها جاء به الرسول رضي وعدم امتثالهم لأوامره هو أن المؤمنين به سفهاء، ويقولون: كيف نصير نحن وهولاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟! قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كُمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنْوَمِنُ كُما مَامَنَ السَّفَهَا مَهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وجها إبطال الشبهة:

- ١) هذه المقولة سببها تزيين الشيطان لقائليها.
- ٢) ما عليه المنافقون هو السفه نفسه، ولكنهم لا يعلمون سفههم للرَّيْن (١) الذي على قلوبهم.

التفصيل:

أولا. غرور المنافقين وتزيين الشيطان لهم:

ما عليه المنافقون من الغرور قد سوَّل لهم الباطل وزين لهم سوء أعمالهم فرأوه حسنًا، بل غرورهم وعنادهم قد شوَّه في نظرهم كل حق لم يأت على ألسنة رؤسائهم ومقلِّديهم، فعندئذ يرونه قبيحًا، ومن قصص

غرورهم وتُرَّهات حكاياتهم وغرورهم ما حكاه القرآن الكريم عنهم حين طُولبوا بالإيهان بها جاء به النبي الكويم وأن يؤمنوا كها آمن الناس من أتباع النبي أله فكان جوابهم: ﴿ أَنُوْمِنُ كُمَا عَامَنَ السُّفَهَا أَهُ ﴿ (البقرة: ١٣)، فرموهم بالسَّفَه والطَّيش، وخِفَّة العقل وضعف الرأي وسوء التصرف.

ثانيًا. السفه سمة المنافقين:

لقدرد الله عليهم بقوله: ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَا أَهُ وَلَكِن لَا يَعْلَمُونَ اللهُ ﴾ (البقرة).

فهم وحدهم السفهاء دون من عرَّضوا بهم، فأي الفريقين أحق بلقب السفيه وأجدر به؟! ما عليه هؤلاء المنافقون من سوء العقيدة، وقُبْح العمل وعدم الثبات على الرأي، أم ما عليه المؤمنون من العقيدة الصحيحة، وصلاح العمل واطمئنان القلب بالإيان؟!

ومقولة أهل النفاق هذه كانوا يقولونها في الخفاء استهزاءً بالمؤمنين، فأطلع الله نبيَّه وأتباعه على ذلك، وأخبر أن السَّفه وفساد البصائر وقلة العقول هو وصف مقصور على أهل النفاق، والدليل على ذلك أفعالهم التي يهارسونها، ولكنهم لا يعلمون للرّان الذي على قلوبهم (٢).

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ١٣).

الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١٣).

١. الرَّيْنَ: الصَّدَأ الذي يَعْلُو على الشيء الجَلِيِّ، والمراد: غطَّى على قلوبهم ما كانوا يقترفونه من الذنوب.

۲. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج١، ص٥٩،

۱٦٠ بتصرف.

الخلاصة:

تزيين الشيطان للمنافقين هو الذي دفعهم إلى اتهام المسلمين بالسّفه والجهل؛ ولكن الحقيقة أن المنافقين هم السفهاء ولكنهم لا يعلمون لما ألقاه الله على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم من الدنس والغشاوة وسوء الطبع.

33 5% XX

الشبهة التاسعة والثلاثون

دعوى كفار مكة أن الإيمان بمحمد ﷺ يَتْبَعُه عدمُ الأمان (*)

مضمون الشبهة:

وجوه إبطال الشبهة:

ا رغم أن هذه المقولة تَعَلَّلُ باطلٌ وزعمٌ لا دليـلَ
 عليه، إلا أنها اعتراف منهم بأن دعوة محمد على حق.

الآيتان اللتان ورد فيهما الرد على الشبهة: (القصص/ ٥٨،٥٧).

- ۲) الله أمَّنهم وهم يشركون به فكيف يُتَخطفون
 وهم مؤمنون به!
- ٣) عِلَّة الهـ لاك الحقيقيـة في البَطَر وكُفْر النعمـة وتكذيب الرسل.
- ختى لو تخطفهم الناس _ إن آمنوا _ فها عند الله خير وأبقى لهم.

التفصيل:

أولا. رغم بطلان زعمهم إلا أنه اعتراف بأن محمد ﷺ على حق:

إن قولتهم التي قالوها للرسول الشهم عندرين عن اتباعه مخافة أن يفقدوا سلطانهم على قبائل العرب المجاورة التي تعظم الكعبة، وتدين لسدنتها، وتعظم أصنامها، فتتخطفهم تلك القبائل.

هذه الشبهة من تعلُّلات أهل مكة من المشركين، وهو تعلُّلُ باطل وعذر عاطل، حيث يزعمون أنهم إن دخلوا في دين محمد ﷺ فسوف يتخطَّفهم العرب من أرضهم، ولا طاقة لأهل مكة بهم.

﴿ وَقَالُوْاْلِنَنَّيْعِ الْمُدَىٰ مَعَكَ نَنَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ فهم لا ينكرون أنه الهدى، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس. وهم ينسون الله، وينسون أنه وحده الحافظ، وأنه وحده الحامي؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خدلهم الله. ذلك أن الإيهان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطهم لتبدلت نظرتهم للقوي، ولاختلف تقديرهم للأمور، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه. وأن هذا الهدى موصول بالقوة البعد عن هداه. وأن هذا الهدى موصول بالقوة

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (القصص/ ٥٧).

موصول بالعزة؛ وأن هذا ليس وهمًا وليس قولًا يقال لطمأنة القلوب. إنها هو حقيقة عميقة منشؤها أن اتباع هدى الله معناه الاصطلاح مع ناموس الكون وقواه، والاستعانة بها وتسخيرها في الحياة. فالله خالق هذا الكون ومدبره وفق الناموس الذي ارتضاه له، والذي يتبع هدى الله يستمد مما في هذا الكون من قوى غير عدودة، ويأوى إلى ركن شديد في واقع الحياة (١).

إن هدى الله منهج حياة صحيحة. حياة واقعة في هذه الأرض. وحين يتحقق هذا المنهج تكون له السيادة الأرضية إلى جانب السعادة الأخروية. وميزته أنه لا انفصال فيه بين طريق الدنيا وطريق الآخرة؛ ولا يقتضي إلغاء هذه الحياة الدنيا أو تعطيلها ليحقق أهداف الحياة الآخرة. إنها هو يربطهما معًا برباط واحد: صلاح القلب وصلاح المجتمع وصلاح الحياة في هذه الأرض. ومن ثم يكون الطريق إلى الآخرة، فالدنيا مزرعة الآخرة، وعهارة جنة هذه الأرض وسيادتها وسيلة إلى عهارة جنة الآخرة والخلود فيها، بشرط اتباع هدى الله. والتوجه إليه بالعمل والتطلع إلى رضاه.

وما حدث قط في تاريخ البشرية أن استقامت جماعة على هدى الله إلا منحها القوة والمنعة والسيادة في نهاية المطاف بعد إعدادها لحمل هذه الأمانة. أمانة الخلافة في الأرض وتصريف الحياة.

وإن الكثيرين ليشفقون من اتباع شريعة الله والسير على هداه، يشفقون من عداوة أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية! وإن هي إلا

أوهام كأوهام قريش يوم قالت لرسول الله ﷺ: ﴿إِن نَّتَيِعِ ٱلْمُدَىٰ مَعَكَ نُنَحَظَف مِنَ أَرْضِنَا ﴾ (القصص: ٥٧)، فلما اتبعت هدى الله سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها في ربع قرن أو أقل من الزمان (٢).

ثانيًا. كيف يُتَخطفون وهم مؤمنون وقد أمَّنهم الله وهم مشركون؟!

وقد رد الله على المشركين ردًّا مصدَّرًا باستفهام التوبيخ والتقريع، فقال: ﴿ أُولَمْ نُمَكِّن لَهُمْ حَرَمًا عَامِنًا يُجْبَئَ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزَقًا مِن لَدُنًا ﴾ (القصص: ٥٧).

والمعنى: فقد جعلنا لهم حرمًا ذا أمن وطمأنينة، وذلك أن العرب كانت في الجاهلية يُغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضًا، وأهل مكة آمنون حيث كانوا بحرمة الحرم، فأجاب الله عن العلة التي اعتلُوا بها بأنه قد أمّنهم بحرمة البيت، ومنع عنهم عدوَّهم فلا يخافون أن تستحلَّ العرب حرمةً في قتالهم، وكأنه يقول لهم: كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبدون غيري أفتخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي أن يتخطفكم الناس؟!

كما أخبرهم الله على أن هذا الحرم الآمن تجبى إليه الشمرات المختلفة على اختلاف أنواعها من الأراضي المختلفة وتحمل إليه، ولكنهم غافلون عن الاستدلال الصحيح، وأنَّ مَن رزقهم وأمَّنهم فيها مضى حال كفرهم يرزقهم لو أسلموا وآمنوا، ويمنع الكفار عنهم في إسلامهم، فمقالتهم هذه ناشئة عن فرط جهلهم ومزيد غفلتهم وقلة علمهم وعدم تفكُّرهم في أمر

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٠٣.

٢. المرجع السابق، ص٢٧٠٤.

معادهم ورشادهم؛ ولذا قال عَلَى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِن لَهُمْ مَكَن لَهُمْ مَكَن لَهُمْ مَكَن لَهُمْ مَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَدُنَّا وَلَكِكنَ مَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَدُنَّا وَلَكِكنَ أَكُمُ مَا يَعْلَمُونَ ﴿ النّص ﴾ (النصص).

وبهذا رد الله عليهم في وقتها بها يُكذّب هذا العذر الموهوم. فمن الذي وهبهم الأمن؟ ومن الذي جعل هم البيت الحرام؟ ومن الذي جعل القلوب تهوي إليهم تحمل من ثمرات الأرض جميعًا؟ تتجمع في الحرم من كل أرض، وقد تفرَّقت في مواطنها ومواسمها الكثيرة: ﴿ أَوَلِمَ نُمَكِن لَهُمْ حَرَمًا عَامِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءِ رَزِقًا مِن لَدُنا ﴾ (القصص: ٥٠).

فها بالهم يخافون أن يتخطفهم الناس لو اتبعوا هدى الله، والله هو الذي مكّن لهم هذا الحرم الآمن منذ أيام أبيهم إبراهيم؟ أفمن أمّنهم وهم عصاة، يدع الناس يتخطفونهم وهم تقاة؟! ﴿ وَلَكِكُنَّ أَكَ ثَرَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ لَا يعلمون أين يكون الأمن وأين تكون المخافة. ولا يعلمون أن مرد الأمر كله لله (۱).

ثَالثًا. علة الهلاك الحقيقية في البطر وكفر النعمة وتكذيب الرسل:

إن بطر النعمة وعدم الشكر عليها هو سبب هلاك القرى، وقد أوتوا من نعمة الله ذلك الحرم الآمن؛ فليحذروا إذن أن يبطروا، وألا يشكروا، فيحل بهم الهلاك كها حل بالقرى التي يرونها ويعرفونها، ويرون مساكن أهلها الدائرين خاوية خالية ﴿ لَرَ تُسْتَكُن مِنْ مَصارع بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴾. وبقيت شاخصة تحدث عن مصارع أهلها، وتروى قصة البطر بالنعمة، وقد فني أهلها فلم يعقبوا أحدًا، ولم يرثها بعدهم أحد ﴿ وَكُنّا نَعْنُ النصى).

على أن الله لم يهلك تلك القرى المتبطرة إلا وقد أرسل في أمها رسولًا، فتلك هي سنته التي كتبها على نفسه رحمة بعباده: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَىٰ يَبْعَثَ فِي أَمِهَا رَسُولًا يَنْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَنتِنَا وَمَا كُنَا مُهْلِكِي القَصَلِ، القصص).

وحكمة إرسال الرسول إلى أم القرى أي كبراها أو عاصمتها أن تكون مركزًا تبلغ منه الرسالة إلى الأطراف فلا تبقى حجة ولا عذر فيها لأحد. وقد أرسل النبي في مكة أم القرى العربية، فهو ينذرهم عاقبة المكذبين قبلهم بعد ما جاءهم النذير. ﴿ وَمَا صُنّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَى إِلّا وَأَهْلُهَا ظُلِمُونَ ﴾ النصص). يكذبون بالآيات عن معرفة وعن يقين!

١. المرجع السابق، ص٢٧٠٤.

رابعًا. لو تخطفهم الناس إن آمنوا، فما عند الله خير وأبقى لهم:

وهذا هو التقويم الأخير لا لما يخشون فوته من الأمن والأرض والمتاع وحده، ولا لما يمن به الله عليهم من التمكين والثار والأمان وحده؛ ولا لما وهبه الله للقرى ثم أهلكها بالتبطر فيه وحده؛ إنها هو التقويم الأخير لكل ما في هذه الحياة الدنيا حتى لو ساغ، وحتى لو دام، فلم يعقبه الهلاك والدمار، إنه كله ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِن شَيْءٍ فَمَتَنعُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنيَا وَزِينتُهَا وَمَا عِن دَاللهِ خَيْرٌ وَأَبقَيَ أَلْكَيْوة الدُّنيَا وَزِينتُها وَمَا عِن دَاللهِ خَيْرٌ وَأَبقَيَ أَلْكَا تَعْقِلُونَ اللهِ هَا اللهِ عَلى طبيعته وأبقى في مدته.

والمفاضلة بين هذا وذاك تحتاج إلى عقل يدرك طبيعة هذا وذاك، ومن ثم يجيء التعقيب في هذه الصيغة للتنبيه لإعمال العقل في الاختيار!

وفي نهاية هذه الجولة يعرض عليهم صفحتي الدنيا والآخرة، ولمن شاء أن يختار: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَهُ وَعَدَّاحَسَنَا فَهُوَ لَنَقِيهِ كُمَن مَنَعْنَنهُ مَتَعَ الْحَيَوةِ الدُّنَيَاثُمُ هُوَيَوْمَ الْقِينَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ اللهُ ﴿ القصص).

فهذه صفحة من وعده الله وعدًا حسنًا فوجده في الآخرة حقًا وهو لا بد لاقيه، وهذه صفحة من نال

وتلك نهاية المطاف في الرد على مقالتهم: ﴿ وَقَالُوۤا إِن القصص اللهِ عَلَى مُعَكَ نُنَخَطَفُ مِن أَرْضِناً ﴾ (القصص الله فحتى لو كان ذلك كذلك فهو خير من أن يكونوا في الآخرة من المحضرين! فكيف واتباع هدى الله معه الأمن في الدنيا والتمكين ومعه العطاء في الآخرة والأمان؟ ألا إنه لا يترك هدى الله إذن إلا الغافلون الذين لا يدركون يترك هدى الله إذن إلا الغافلون الذين لا يدركون حقيقة القوي في هذا الكون. ولا يعرفون أين تكون المخافة وأين يكون الأمن. وإلا الخاسرون الذين لا يحسنون الاختيار لأنفسهم ولا يتقون البوار (۱).

الخلاصة:

- دعوى هؤلاء المشركين من أهل مكة أنهم إن
 آمنوا تخطفهم الناس من حولهم دعوى باطلة وتعلل لا
 دليل عليه.
- هذه الدعوى على ما تحمله من مغالطة، فإنها تحمل الاعتراف بأن ما جاء به النبي محمد شلط هو الهدى والحق.
- إذا كان الله أمَّنهم وهم كفار حينها كانت الجزيرة حولهم في حروب متطاحنة لا تكاد تنقطع، فهل يتركهم للناس يتخطفونهم وهم مؤمنون؟!

١. المرجع السابق، ص٢٧٠٥.

الشبهة الأربعون

دعوى أن الهُدَى في اتّباع ما عليه اليهود والنصارى (*) ® مضمون الشبهة:

ادَّعی الیهود والنصاری أنهم علی حق؛ فقالت الیهود للنبی ﷺ: ما المُدی إلا ما نحن علیه فاتبعنا یا محمد تهتد، وقالت النصاری مثل ذلك، قال تعالی: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصِدَرَى تَهْتَدُوا ﴾ (البقرة: ١٣٥).

وجه إبطال الشبهة:

دعوة اليهود والنصارى إلى اتّباع ملّـة إبـراهيم الطّيكل لإجماعهم على إمامته وهديه.

التفصيل:

دعوة اليهود والنصارى إلى اتباع ملَّة إبراهيم اللَّخِينَ الرَّاهِم اللَّخِينَ الرَّاهِم اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ الله

من المعلوم أن اليهود والنصارى كليها مُقِرُّ بنبوَّة إبراهيم الخليل الطَّيِّة؛ لذلك لما قالوا للمسلمين: كونوا يهودًا أو نصارى تهتدوا وتدخلوا الجنة، كانت الإجابة عليهم من نفس الجانب الذي أقرّوا به فكأنه قيل لهم: بل تعالوا نتَّبع ملة إبراهيم التي أجمعنا نحن وأنتم على الشهادة لها بأنها دين الله على الذي ارتضاه واجتباه وأمر به، ونحن وأنتم مجمعون على أن إبراهيم الطَّيِّة كان إمام الهدى والمهتدين، وهذا من تلقين الله لنبيه البرهان الأقوى في المحاجة، قال الطبري - رحمه الله - احتج الله

لنبيّه محمد الله الله عجة وأوجزها وأكملها، وعلّمها عمدًا نبيّه على فقال: قبل يا محمد للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ كَمَنَرَىٰ مَّهَ تَدُواْ ﴾ (البقرة: ١٣٥) قل لهم: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يُجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه وأمر به، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وندع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا ويقرّ بها بعضنا، فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم.

وقول، تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَرَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ بيان لعقيدة الفريقين في التفريق في الدين، والمضمير في ﴿ وَقَالُوا ﴾ لأهمل الكتماب و ﴿ أَوْ ﴾ للتوزيع أو التنويع، أي أن اليهود يـدعون إلى اليهوديـة التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها والنصاري يدعون إلى النصرانية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها _ وهذا الأسلوب معهود في اللغة _ ولو صدق أي واحد منهما لما كان إبراهيم مهتديًا؛ لأنه لم يكـن يهوديًّــا ولا نصرانيًّا وكيف وهم متفقون على كونه إمام الهـدى والمهتدين؟ لذلك قال تعالى ملقنًا لنبيه البرهان الأقـوى في محــاجتهم: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَهِـُـمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٥٠٠ ﴾ (القرة)؛ أي: بل نتبع أو اتبعوا ملة إبراهيم الذي لا نزاع في هداه ولا في هديه، فهي الملة الحنيفية القائمة على الجادة بـلا انحراف ولا زيغ، العريقة في التوحيد والإخلاص بلا وثنية ولا شرك(١).

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ١٣٥).

١. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج١، ص٤٨٠.

وقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓا ءَامَنَكَا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَهِمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنّبِيتُونَ مِن زّيِهِمْ لَا نُفَرِقُ أَوْقِيَ ٱلنّبِيتُونَ مِن زّيِهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَنَحَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اللّهِ ﴿ (البقرة).

بدل من جملة ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ ﴾ (البقرة: ١٣٥) لتفصيل كيفية هذه الملة بعد أن أجمل ذلك في قوله: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَهِ عِمْ حَنِيفًا ﴾.

والأمر بالقول أمر بها يتضمنه؛ إذ لا اعتداد بالقول إلا لأنه يطابق الاعتقاد، إذ النسبة إنها وضعت للصدق لا للكذب، والمقصود من الأمر بهذا القول الإعلان بـــه

والدعوة إليه، لما يشتمل عليه من الفضيلة الظاهرة بحصول فضيلة سائر الأديان لأهل هذه الملة، ولما فيه من الإنصاف وسلامة الطّويَّة؛ ليرغب في ذلك الراغبون ويكمد عند سماعه المعاندون، وليكون هذا كالاحتراس بعد قوله: ﴿ بَلْ مِلّةَ إِنْ هِمْ مَنِيفًا ﴾.

أي: نحن لا نطعن في شريعة موسى وشريعة عيسى وما أوتي النبيون ولا نكذبهم، ولكنا مسلمون لله بدين الإسلام الذي بقي على أساس ملة إبراهيم، وكان تفصيلًا لها وكهالًا لمراد الله منها حين أراد الله إكهالها، فكانت الشرائع التي جاءت بعد إبراهيم كمنعرجات الطريق، سلك بالأمم فيها لمصالح ناسبت أحوالهم وعصورهم بعد إبراهيم، كها يسلك بمن أتعبه المسير طريق منعرج ليهدأ من ركز السيارة في المحجة، فيحط رحله وينام، ثم يرجع به بعد حين إلى الجادة، ومن مناسبات هذا المعنى أن ابتُدئ بقوله: ﴿ وَاَمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزِلَ ﴾، واختتم بقوله: ﴿ وَمَعْنُ لَهُرُ مُسْلِمُونَ ﴾، ووسط ذكر ما أنزل على النبيئين بين ذلك.

وجمع الضمير ليشمل النبي الله والمسلمين، فهم مأمورون بأن يقولوا ذلك، وجعله بدلًا يدل على أن المراد من الأمر في قوله: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةً ﴾ النبي وأمته.

١. المرجع السابق، ص٤٨٢.

أعنى قوله: ﴿ قُولُواْ ءَامَنَا بِاللّهِ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِدِ، فَقَدِ اهْتَدَواْ قَإِن نَولُواْ فَإِنّا هَا مُمْ فَا مَامَنتُم بِدِ، فَقَدِ اهْتَدَواْ قَإِن نَولُواْ فَإِنّا هُمْ فِي شِقَاقِ ﴾ (البقرة: ١٣٧)؛ أي: فيان صدّق اليهود والنصارى بالله، وما أنزل إليكم، وما أنزل إلى إبراهيم وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام فقد وفقوا ورشدوا ولزموا طريق الحق واهتدوا.

الخلاصة:

- الهدى في ملة إبراهيم الطّين حنيفًا لا في اليهودية ولا النصرانية ولا وثنية العرب، ولا اهتداء إلا باتباع ملة إبراهيم الطّين التي جاء بها الإسلام، فأبطل ما كان قبله من الأديان.
- لو كان اليهود والنصارى حقًا يريدون الهدى لآمنوا بمحمد رائع الله على ملة إبراهيم الكلا التي يدّعون الإيهان بها.

AND BUKE

الشبهة الحادية والأربعون

ادعاء اليهود أن الكافرين أهدى سبيلا من المؤمنين (*) مضمون الشبهة:

ادّعى اليهود أن الكفار _على ما هم فيه من الجهل والكفر _أفضل وأهدى سبيلا من الذين آمنوا، وأن

دينهم خير من دين محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِ مَنُ اللَّهِ مَنَ الْحِبَّتِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

وجها إبطال الشبهة:

 ا بخل اليهود وأثرتهم وشحهم وحبهم لأنفسهم فقط هو الذي جعلهم يقفون مع الباطل ضد الحق؛ ومن ثم فقد لعنهم الله.

اليهود يعلمون من كتابهم أن محمدًا وحسرة أن معه على حق، ولكنهم يكتمون ذلك حسدًا وعصبية أن يكون النبى من العرب.

التفصيل:

أولا. شح اليهود جعلهم يقفون مع الباطل ضد الحق:

نقض اليه و دعه دهم مع النبي و اتحدوا مع المشركين على استئصال المسلمين، وذلك هو تفضيلهم للمشركين على المؤمنين، وهذا من ضلالهم وجهلهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بين أيديهم، فهم يقولون للكفار إنكم أولى بالحق من المؤمنين وإن دينكم أعدل وأصوب من دين المؤمنين، ولهذه الآية سبب نزول، وهو ما رواه الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنها وهو ما رواه الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنها قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السّدانة (٢) وأهل السّقاية؟ ونحن أهل الحجيج وأهل السّدانة (٢) وأهل السّقاية؟

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج
 با، ص٧٣٨.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (النساء/ ٥١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١٠٩، النساء/ ٥٠: ٥٥، الإسراء/ ١٠٠، الكوثر/ ٣).

٢. السِّدانة: خِدْمة الكعبة.

هُوَ ٱلْأَبْتَرُ اللهِ الكورر)، وأنزل تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِ الْكَوْرَ اللَّهِ اللَّهُ الللَّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّل

وبين الله على منذ زمن بعيد أن هؤلاء عليهم لعنة الله _بعيدون عن رحمته وعنايته، وسوف يكون الانكسار والخذلان حليفهم فلن ينصرهم أحد من دون الله، وهذه سنة الله على في خلقه، ولا سبيل لأحد في تغيير سنته على، قال على: ﴿ أُولَكُمِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَّهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن يَجِدَلُهُ رَضِيرًا (الساء).

ثم بعد أن وبَّخهم الله على إيهانهم بالجبت والطاغوت، وتفضيلهم المشركين على المؤمنين يوبخهم الله على بخلهم وشحهم وأثرتهم، قال كلَّ: ﴿ أَمَّ لَهُمُّ نَصِيبٌ مِنَ ٱلْمُلِّكِ فَإِذَا لَا يُؤَتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا (النساء)، والمعنى: أنهم ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب، بل فقدوا الملك كله بظلمهم وطغيانهم، ثم لو كان لهم نصيب من الملك لسلكوا فيه طريق البخل والأثرة بحصر منافعه ومرافقه في أنفسهم فلا يعطون الناس نقيرًا منه، أي: ولو كان شيئًا حقيرًا تافهًا صغيرًا، وهذا كقول عَلَىٰ: ﴿ قُلُ لَّوَ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآيِنَ رَحْمَةِ رَبِّيّ إِذَا لَأَمُّسَكُمْمُ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾ (الإسراء: ١٠٠)، فهؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة وشح مطاع يشق عليهم جدًّا أن ينتفع منهم أحد من غير أنفسهم، فإذا صار لهم مُلك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره، فكيف لا يشق عليهم أن يظهر نبي من العرب ويكون لأصحابه ملك يخضع لهـم فيـه بنـو إسرائيـل؟ وهذه الصفة لازمة لهؤلاء اليهود.

ثانيًا. علم اليهود أن محمدًا ﷺ وأصحابه على حق، بيد أنه الحسد وكتمان الحق:

ثم بين الله حقيقة مقولتهم السابقة وتفضيلهم المشركين على المؤمنين مع أنهم يعلمون من كتبهم أن محمدًا ومن معه على الحق، وأوضح الله أن قولهم هذا ناشئ عن داعية الحسد والغرور بأنفسهم، فقد كانوا يطمعون أن يكون النبي من من بني إسرائيل وليس من العرب، قال على: ﴿ أَمْ يَحَسُدُونَ النّاسَ عَلَى مَا عَاتَمُهُمُ اللّهُ مِن فَضَلِهِ عَلَى النساء: ٤٥)، والحاصل أن حال اليهود يومئذ كان لا يعدو هذه الأمور الثلاثة:

- إما غرور خادع يظنون معه أن فضل الله محصور
 فيهم ورحمته تضيق عن غير شعب إسرائيل من خلقه.
- وإما حسبان أن ملك الكون في أيـديهم فهـم لا
 يسمحون لأحد بشيء منه، ولو كان حقيرًا كالنقير.
- وإما حسد العرب على ما أعطاهم الله من الكتاب والحكمة والملك الذي ظهرت مبادئ عظمته.

وهذا الحسد من سهاتهم التي أكَّدها القرآن في غير ما موضع، قال رَّحَان ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهُ لِ الْكِنْكِ لَوَ يَرُدُّ وَنَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا لَبَيْنَ لَهُمُ الْحَقُ ﴾ (البقرة: ١٠٩).

وهذا الحسد من عند أنفسهم، فلم يأمرهم الله أن يحسدوا الناس على الإيمان، قال تعالى: ﴿ اللَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ اللهِ الناس على الإيمان، قال تعالى: ﴿ اللَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ اللَّهِ النَّهِ النَّاسَةَةُ الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن ما جاء به النبي هو الحق من رجم، ولكنهم ينكرون ويمكرون، وذكر في هذه ما هو الأصل والعلة في ذلك العلم، وذلك الإنكار وهو أنهم يعرفون النبي على النه في كتبهم

من البشارة به، ومن نعوته، وصفاته التي لا تنطبق على غيره وبها ظهر من آياته وآثار هدايته، كما يعرفون أبناءهم الذين يتولون تربيتهم وحياطهم حتى لا يفوتهم من أمرهم شيء.

قال عبد الله بن سلام ﴿ وكان من علماء اليهود: أنا أعلم به مِنِّي بابني، فقال له عمر بن الخطاب ﴿ يَكِ؟ قال: لأني لستُ أَشَكُّ فِي محمد أنه نبي، فأما ولدي فلعل والدته خانت، فقد اعترف من هداه الله من أحبارهم كهذا العالم الجليل، وتميم الداري من علماء النصارى أنهم عرفوه ﴿ معرفة لا يتطرَّق إليها الشك: ﴿ وَلِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمُ لَيَكُنُمُونَ الْعَقِّ وَهُمُ يَعْلَمُونَ ﴿ وَلِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمُ لَيَكُنُمُونَ الْعَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ اللهِ اللهِ منهم بعد هذا؟ وقد أُسند هذا الكتمان إلى فريق منهم إذ لم يكونوا كلهم كذلك، فإن منهم من اعترف بالحق وآمن واهتدى به، ومنهم من كان يجحده عن جهل ولو علم واهتدى به، ومنهم من كان يجحده عن جهل ولو علم بالعدل (أن يقبله، وهذا من دقة حكم القرآن على الأمم بالعدل (١).

بل إن اليهود كانوا يخبرون أهل المدينة ببعثة النبي الله عنه عنه أن هذا مكان وهذا زمان بعثته وهذه أوصافه، ثم لما كان الرسول من العرب كفروا به تعصبًا أنه لم يكن من اليهود، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كَنَابُ مِنْ عِندِ اللهِ مُصدِقٌ لِمّا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوبَ عَلَى اللّهِ مُصدِقٌ لِمّا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوبَ عَلَى اللّهِ عَلَى الْكَنفِينَ اللهِ عَلَى الْكَنفِينَ اللهِ عَلَى الْكَنفِينَ اللهِ عِلَى الْكَنفِينَ اللهِ عِلَى الْكَنفِينَ اللهِ عَلَى الْكَنفِينَ اللهُ عِلَى الْكَنفِينَ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الْكَنفِينَ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ ال

عَلَىٰ غَضَبٍّ وَلِلْكَنْفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ ﴾ (البقرة).

الخلاصة:

- تفضيل اليهود للكفار على المسلمين مردّهُ إلى أنها اليهود والكفار اتحدا على استئصال شَافَة المسلمين، لعلمها أن دعوة محمد على حق سوف يقضي على ما هم فيه من العزة والسلطان.
- العصبية والبخل والأثرة من أهم صفات اليهود، وهي التي دفعتهم إلى هذا الموقف من المسلمين ورسولهم، فضلًا عن حسدهم للعرب على ما أعطاهم الله من الكتاب والحكمة والملك الذي بدت مبادئ عظمته في الظهور.

AND DES

الشبهة الثانية والأربعون

دعوى أن اتباع الأرذلين للرسل يعوق إيمانَ الناس بهم ^{(*) ®}

مضمون الشبهة:

ادّعى المشركون أن عدم إيهانهم بالأنبياء والرسل هو أن أتباع الرسل ليسوا من أشراف الناس وسادتهم

١. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠.

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (الأنعام/ ٥٣، ١٢٣، الأعراف/ ٧٥، ٧٦، الإسراء/ ١٦، السمعراء/ ١١١، سبأ/ ٣٤، الزخرف/ ٢٣).

الآيات التي ورد فيها الردعلي الشبهة: (هود/ ٢٩، ٣٠، الكهف/ ٢٨، الشعراء/ ١١٥: ١١٥).

[®] في "الحكمة من استجابة المضعفاء لدعوة الأنبياء" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة الثالثة، من الجزء الثالث (التاريخ الإسلامي).

وكبرائهم من أولي النعمة والثروة والرياسة والرأي، إنها هم من الفقراء، والضعفاء الذين لارأي لهم، فقد اتبعوا الرسل دون تروِّ ولا فكر. قال تعالى: ﴿ وَمَا نَرَنكَ التَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَذِينَ هُمَّ أَرَاذِلُنَا ﴾ (هود: ٢٧).

وجوه إبطال الشبهة:

1) هذه السبهة أثارها كثير من الأمم المكذّبة لرسلها ليخرجوا عن محلّ النزاع، وعن لُبّ القضية؛ فالرسول - أيُّ رسولٍ - ليس مسئولًا عن التنقيب عن أحوال من يدعوهم، إنها هو مبعوث لكل الناس؛ فقراء وأغنياء، رجال ونساء.

الواقع يشهد بأن أتباع الرسل في الغالب مهم الفقراء، والمعاندون هم الأغنياء غالبًا، وليس بعارٍ على الحق ضعف من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح.

٣) إيان بعض الفقراء وكفر بعض الأشراف اختبارٌ من الله للناس بعضهم ببعض، والله يمن على من يشاء بالإيمان، ويوم القيامة يسأل كل فرد عما كان يعمل في الدنيا.

التفصيل:

أولا. دعوى المشركين تلك خروج عن محل النزاع:

هذه الشبهة الباطلة أثارها كثير من الأمم المكذّبة لرسلهم، ومنشأ هذه الشبهة هو الغرور والكبرياء والعناد؛ حيث يبرِّر المشركون والكفار كفرهم، وعدم إيهانهم بها جاء به الرسل بأن أتباع الرسل هم الضعفاء، والفقراء، وأرذل الناس، فخرجوا بهذه الشبهة عن محل النزاع في قضية ما جاء به الرسول، وما يدعوا إليه،

وهي حجة واهية أثارها كل من أُرسل إليهم، فقوم نوح يقولون: ﴿ قَالُوٓا أَنْوَمِنُ لَكَ وَاتَبَعَكَ اَلْأَرْدَلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ عَلَيْنَا مِن فَضّلِ ﴾ (مود: ٢٧).

وقد أرشد الله الرسل أن يردّوا على هؤلاء الأقوام شبهتهم، وأن يبيّنوا لهم أنه لا يلزم الرسول التنقيب عن أحوال من يدعوهم ولا البحث عن مناصبهم ومنازلهم، إنها عليه أن يقبل منهم تصديقهم وأن يكل أمور باطنهم وسرائرهم إلى الله تعالى؛ لأن الله بعث الرسول نذيرًا فمن أطاعه واتّبعه وصدّقه كان منه والرسول منه، سواء كان شريفًا أو وضيعًا، جليلًا أو عيرًا؛ ولذا قال نوحٌ المنه: ﴿ قَالَ وَمَا عِلْيِي بِمَا كَانُولُ مِسَابُهُمْ إِلّا عَلَى رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ الله عَلَى الله على الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله على الله عَلَى الله على الله ع

أي: ما أرسلني الله نذيرًا لذوي الغنى دون الفقراء، وإنها أنا رسولٌ أبلغكم ما أُرسلت به، فمن أطاعني فهو السعيد، ولو كان فقيرًا.

ويجلس معهم مجلسًا خاصًا على حدة، فأمره الله أن يصبر نفسه مع هؤلاء المضعفاء، فقال عَلَى: ﴿ وَاَصْبِرْ نَفسه مَع الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوْةِ وَالْمَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُم وَلَا الْحَيَوْةِ اللَّهُ الْحَيَوْةِ الدُّيْلُ وَجْهَهُم وَلَا نَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ رُبِيدُ زِينَةَ الْحَيَوْةِ الدُّيْلُ وَجْهَهُم وَلا نَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ رُبِيدُ زِينَةَ الْحَيَوْةِ الدُّيْلُ وَلَا نُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَنهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَلا نُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَنهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَلَا نُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَنهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَلَا نَعْمَدُهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَلَا لَا اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّ

ثانيًا. أتْبَاعُ الحقِّ هم الأشراف ولوكانوا فقراء:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ اللَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوْةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَ لَمُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْء وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْء فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّللِمِينَ ﴿ الانعامِ).

ولذا سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن صفات النبي الله في فقال له في قال: أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ فقال هرقل: هم أتباع الرسل.

ثَالثًا. الله يمن على من يشاء بالإيمان اختبارًا للناس:

فالله يمن على من يشاء وهو أعلم بالشاكرين وضمائرهم وأفعالهم فيهديهم إلى الطريق المستقيم، فليس عيبًا في دعوة الرسل أن يهتدي إليها المستضعفون، وإنها منشأ الشبهة عند هؤلاء المعاندين حقًا راجعٌ إلى استكبارهم وعنادهم، وغرورهم، وإلا فلا وجهَ لهم في تبريرهم عدم الإيمان بما جاء بــه الرسول باتباع أراذل الناس له، فهذا فهم خاطئ، وَغَلَطٌ شديد، وخروج عن محل النزاع وهو حقيقة ما جاء به الرسول هل هـو حـتٌ أو لا، بـصَرْف النظـر عمّن اتبعه من الناس أشرافًا كانوا أو فقراء مستضعفين، ولذا ختم نوح الطِّكُّ محاورته مع قومـه في هـــذه المــــــألة بقولــه: ﴿ وَمَاۤ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَـنُوٓاً ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُواْ رَبِّهِمْ وَلَكِخِتَ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ١٠٠٠ (مرد). أي: هؤ لاء الذين تسألونني إقصاءهم صائرون إلى الله، وهو سائلهم عما كانوا يعملون في هـذه الـدنيا، لا عن شرفهم وحسبهم، ولكني أراكم أيها القوم تجهلون الواجب عليكم من حق الله، ومن جهلكم

أنكم سألتموني أن أطرد الذين آمنوا بالله، فمن يمنعني من الله وعقابه إن طردتهم، أفلا تتفكرون فيها تقولون فتعلموا خطأه فتنتهوا عنه (١٠٠؟!

الخلاصة:

- الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام ليس مرتبطًا بنوعية أتباعهم، إذ ما العلاقة بين صدق الرسالة ونوعية الأتباع؟ ومن ثم فتعليق الإيمان على نوعية أتباع الرسول خروج بالقضية عن محل النزاع والخلاف.
- كل رسول أرسل إلى أمة أو قوم هـو مرسـل إلى فقرائهم وأغنيائهم، ومكلّف بالتبليغ بها أرسل به للغني والفقير، فمن أطاع رسوله فهو السعيد وإن كان فقـيرًا، ومن عصا رسوله فهو الشقي وإن كان غنيًا.
- لا يُذمُّ الحق لضعف أتباعه، طالما أن الحق في نفسه صحيح، ووقائع التاريخ تثبت أن الفقراء هم أكثر أتباع الأنبياء، والمعاندون أكثرهم من الأغنياء.
- الإيمان عطاء ومن من الله على من يشاء، وفي ذات الوقت اختبار للأشراف بإيمان الضعفاء، ويوم القيامة الكل مسئول عما قدمت يداه.

adek K

 انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦، ج٢١، ص٥٤: ٥٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٧١: ١٨٧٤.

الشبهة الثالثة والأربعون

دعوى أن رَغَد العيش وسَعَة المنازل دليلٌ على صحَّة الدين والمعتقد ورضا الرب ﷺ (*)

مضمون الشبهة:

وجوه إبطال الشبهة:

- ا قياس صحة الإيان بكثرة الأموال قياس باطل، فليس كل من كثر ماله كان دينه حقًا.
- ۲) القرب من الله ليس بكثرة الأموال والأولاد، إنها بالتقوى والعمل الصالح، فقد أهلك الله كثيرًا من الأمم التي كانت أغنى من مشركي العرب، أهلكهم بذنوبهم ولم ينظر إلى أموالهم وأولادهم.

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (آل عمران/ ١٧٨، ١٩٦ / ١٩٥، ٥٥، مريم/ ٢٧، ١٩٧، التوبة/ ٥٥، ٥٥، مريم/ ٣٧، ٤٧، المؤمنون/ ٥٦، ٥٦، ١١، القصص/ ٧٨، سبأ/ ٣٦، ٣٧، ٩٣، الزمر/ ٥، ٥٢، الأحقاف/ ١١، المدثر/ ١١: ١٧، الفجر/

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (مريم/ ٧٣، المؤمنون/ ٥٥، ٥٥، القصص/ ٧٨، سبأ/ ٣٥، الزمر/ ٤٩، فصلت/ ٠٥، الأحقاف/ ١١، الفجر/ ١٦، ١٦).

٣) الله يبسط الرزق لمن يساء من عباده ويقدر امتحانًا واختبارًا، فضلا عن أنه قد تكون سعة المال استدراجًا من الله لهؤلاء المستكبرين، كما حدث مع كثيرين وعلى رأسهم قارون عليه لعنة الله.

التفصيل:

أولا. قياس صحة الإيمان بكثرة الأموال والأولاد قياس باطل، فليس كل من كثر ماله كان دينه حقًا:

اغترَّ المشركون من أهل مكة من السادة والكبراء، والأشراف بكثرة أموالهم وأولادهم وما أعطوا من الترف وسَعة العيش، واتخذوا ذلك دليلًا لصحة ما هم عليه من باطل، وبطلان ما عليه المسلمون من الإسلام، فقاسوا صحة الدين والمعتقد على كثرة الأموال والأولاد، وهو قياس باطل وزعم مردود، كما استدلُّوا بالغنى وكثرة الأموال والأولاد التي تقربهم إلى الله بنعمهم على انتفاء العذاب عنهم، فحصروا بذلك وسائل القرب من الله في وفرة الأموال وكثرة الأولاد.

وهذا ليس شأنهم وحدهم، بل هو شأن كثير من المترفين الأمم المكذبة بها جاء به الرسل، وحال كثير من المترفين والأغنياء والكبراء، والسادة المعاندين لدعوة الأنبياء، فقوم نوح الطيئة كها حكى عنهم القرآن الكريم اعترضوا على الإيهان به بقولهم له: ﴿ أَنُوْمِنُ لَكَ وَاتّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ على الإيهان به بقولهم له: ﴿ أَنُومِنُ لَكَ وَاتّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ وَمَا نَرَىنكَ إِلّا بَشُرًا مِنْلَكَ إِلّا بَشُرًا مِنْلَكَ الْأَرْدَلُونَ وَمَا نَرَىنكَ إِلّا بَشُرًا مِنْلَكَ الْأَرْدِي فَمْ أَرادِلُكَ الله بَشُرًا مِنْلَكَ الله الله وقوم صالح من المستكبرين يعترضون على دعوته كها حكى القرآن الكريم عنهم قائلين: ﴿ لِللَّذِينَ دَامَنَ مِنْهُمْ أَنَعَلَمُونَ أَنَ صَكِيمًا مُتَمَسَلُ مِن رَبِهِ عَلَا إِلَيْ إِنَا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ صَكِيمًا مُتَمَسَلُ مِن رَبِهِ عَلَا أَلُولًا إِنّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ صَكِيمًا مُتَمَسَلُ مِن رَبِهِ عَلَا قَالُوا إِنّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ فَنْ وَاللَّهِ عَلَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَن مَنْ مَنْهُمْ أَنْعَلَمُونَ أَنَ صَكِيمًا مُتَمَسِلُ مِن رَبِهِ وَالُوا إِنّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ فَي مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْهُمْ أَنْصِلُ بِهِ مُؤْمِنُونَ فَلَا إِنّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ فَرَالُكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ويحاول هو لاء المشركون المترفون إبطال حقيقة الإسلام بدليل سوفسطائي مردود؛ حيث يجعلون كثرة أموالهم وأولادهم حجة على أنهم أهل حظ عند الله على ومظنة عناية عنده، وأن ما هم عليه هو الحق، وهذا تعريض منهم بعكس حال المسلمين وما هم عليه من ضعف وقلة عدد وشظف عيش ليستدلوا على أنهم غير معظوظين عند الله، وهذا من تمويه الحقائق؛ حيث لم يتفطنوا إلى أن أحوال الدنيا مسببة على أسباب دنيوية لا علاقة لها بأحوال الأولاد، وهذا مبدأ سوفسطائي علاقة لها بأحوال الأولاد، وهذا مبدأ سوفسطائي وهمي خطير يقول به أهل العقائد النضالة، ومرجعه قياس الغائب على الشاهد، وهو قياس يصادف قياس الغائب على الشاهد، وهو قياس يصادف

وقد ردّ الله على على على مسبهتهم هذه بعدة ردود مقنعة لكل ذي عقل ولب سليم، فمن ذلك أنه بيّن لهم أن الله هو الذي يبسط الرزق ويوسعه أو يقدره ويضيقه ولا ارتباط لهذا التوسيع والتضييق بمسألة الهداية والضلال، فربها وسّع الله الرزق على العاصي وضيقه على المطيع، وربها عكس، فلا يغرنكم هذا ولا ذاك فإنكم لا تعلمون، ولذا قال على الماقية: ﴿ قُلُ إِنَّ رَقِي يَبْسُلُ

الرِّزِقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقِدِرُ وَلَكِكَنَّ أَكُثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الله الرِّزِقَ لِمَن الله الناس تلتبس عليهم الأمور فيخلطون بينها ولا يضعونها في مواضعها، وهذا الإبطال لدعواهم هذه يسمى في علم المناظرة نقضًا إجماليًّا.

ثانيًا. القرب من الله ليس بكثرة الأموال والأولاد وإنما بالتقوى والعمل الصالح:

أما ما توهموه من أن بسط الرزق علامة على القرب عند الله على القرب عند الله على، وضد ذلك علامة على ضده، فليس هذا بصحيح، وبهذا أخطأ أحمد بن الراوندي في قوله:

كُمْ عاقلٍ عاقلٌ أَعْيَتْ مَذاهِبُهُ

وجاهِلٍ جَاهِلٌ تَلْقَاهُ مَرْزُوقَا هَذَا اللَّذِي تَرَكَ الأَوْهَامَ حَائِرةً

وصَيِّرَ العالِمُ النَّحْرِيرَ زِنْدِيقًا ولو كان عالمًا نحريرًا حقًّا لما تحيرٌ فهمه وما تزندق، ولكن أدّاه إلى ذلك ضيق أفقه وعطن فكره.

وهذا ارتقاء في الردّ من إبطال الملازمة التي توهموها إلى الاستدلال على أنهم ليسوا بمحل الرضا عند الله تعالى، وهذا ما يسمى في علم المناظرة نقضًا تفصيليًا لإبطال دعوى الخصم.

ثَالثًا. الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده امتحانًا واختبارًا فضلا عن كونه استدراجًا للمستكبرين كما حدث مع قارون:

ومن اللَّفَتات الطيبة التي نبَّه عليها الحق عَلِلٌ في كتابه بشأن هذه المسألة في موطن آخر ما أرشد إليه القرآن من أن إعطاء الأموال والأولاد لهؤلاء المغرورين ليس لكرامتهم على الله ولا معزَّتهم لديه، فليس الأمركما يزعمون ويتوهمون، لقد خاب رجاؤهم وضل مسعاهم، فإنها يفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاءً، قال عَلَا: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَانُمِدُهُم بِهِ مِن مَالٍ وَبَنِينَ الله سُمَارِعُ لَمُثُمَّ فِي ٱلْخَيْرَتِ عَبَلَ لَا يَشْعُرُونَ اللهِ ﴿ اللهِ سَون)، وقـال تعـالى أيـضًا: ﴿ إِنَّمَا ثُمْلِي لَمُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِشْـمَّا ﴾ (آل عمران ٧٨:)، وقدال: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١٠٠٠ وَجَعَلْتُ لَهُ. مَالًا مَّندُودًا ﴿ وَيَنِينَ شُهُودًا ﴿ وَمَهَدتُ لَهُ. تَهِيدًا اللهُ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ أَزِيدَ اللهُ كَانَ لِآنِدُ كَانَ لِآنِينَا عَنِيدًا اللهُ سَأَرْهِقُهُ, صَعُودًا ﴿ ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَـُرُوا فِي ٱلْبِلَندِ ﴿ مَنَاتُهُ قَلِيكُ ثُمَّ مَأُونَهُمْ جَهَنَّمُ ۗ وَبِثْسَ ٱلْمِهَادُ اللَّهِ ﴿ (آل عمران)، وقال: ﴿ نُمَنِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ

نَضَّطُرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ عَلِيظٍ (الله ان)، وقال أيضًا: ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِمِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ () ﴾ (الحجر)، وقال: ﴿ فَلَا تُعْجِبُكَ أَمُولُهُمُ وَلَا تُعْجِبُكَ أَمُولُهُمُ وَلَا أَوْلَهُمُ وَلَا أَوْلَهُمُ وَلَا أَوْلَهُمُ وَلَا أَوْلَهُمُ وَلَا أَوْلَهُمُ وَلَا اللهُ اللّهُ

وأوضح مثال على ذلك ما حدث مع قــارون؛ فقــد

زعم أنه أوتى المال بمهارته وذكائه وليس من فضل الله وتوفيقه، فقد قال مقولة يقولها كلُّ من قلَّ علمه إذا رأى من وسَّع الله عليه حيث يقول: لـولا أنـه يـستحق ذلك لما أُعطي ما أعطي، ولولا أنه عند الله خصيص وذو حظوةٍ ما خوّله هذا، ولولا رضا الله عنه ومعرفتـه بفضله ما أعطاه هذا المال، كما قال الله ﷺ مخبرًا عن شأن الإنسان في حال جحوده: ﴿ فَإِذَا مَسَ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ, عَلَى عِلْمِ (الزمر: ٤٩)، وتلك مقولة كثير عمن سلف من الأمم ودعوى يدعيها كلُّ جاحد، قال عَلَى : ﴿ قَدْ قَالَمَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ ﴿ (الزمر). وقد ردّ الله عليه هو وأمثاله ادعاءَهم هذا، وأبطل زعمهم أنهم أوتوا ذلك بسبب علمهم وفطنتهم وتدبيرهم، وبين لهم أنّ هذا من باب الفتنة فليس ما أنتم فيه من خير نتيجة لمساعيكم، بل ما أوتيتم من نعمة إنها آتاكم الله إياها ليظهر للأمم مقدار شكركم وهـو فتنة تختبرون بها، قـال ﷺ: ﴿بَلْ هِيَ فِتْـنَةٌ وَلَكِئَا كُثَرَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ (الرَّمر).

فإن سعة الرزق قد تكون استدراجًا ومكرًا، وتقتيره قد يكون رفعة وإعظامًا، وفي هذا عبرة لمن يعتبر من

المـؤمنين المتفكـرين، قـال ﷺ: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاَيْنَتِ لِقَوْمِ مُؤْمِنُونَ (الرَّسُ) ﴿ (الزمر).

ومن ردود القرآن في مواضع أخرى ما أنكره الله على الإنسان في اعتقاده إذا وسّع الله على عليه في الرزق فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان، كما قال على: ﴿ أَيَعَسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُهُمُ اِبتلاء وامتحان، كما قال على: ﴿ أَيَعَسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُهُمُ اِبتلاء وامتحان، كما قال عَلى: ﴿ أَيَعَسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُهُمُ الله المناوع مَنْ الله المناوع مَنْ الله المناوع المناوع المناوع المناوع المناوع المناوع المناوع المناوع عليه في المرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، ولذا قال عَلى عَقِب ذلك: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبنكلهُ ولذا قال عَلَى وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبِّ أَهْنَنِ الله وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبنكلهُ ولذا عَلَهُ ورَقَهُ وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبِّ أَهْنَنِ الله الله الله الما أَبْلَلهُ وَقَدَرُ عَلَيْهِ وِرْقَهُ وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبِّ أَهْنَنِ الله كُلّا ﴾ (الفجر).

أي ليس الأمركما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله على من يحب ومن لا يحب، وإنها المدار في كل من الحالين على طاعة الله، إذا كان الإنسان غنيًّا بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر.

ومن هنا يُبيّن القرآن أن الرزق قد جعل الله له أسبابًا وسُننًا في هذه الحياة الدنيا، ولذا قال لمن ادعوا أنهم أُوتوا المال على علم: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ أَنْهَ لِكُونَ يَشَكُمُ وَالمَالُ على علم: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّقِقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقَدِرُ ﴾ (الزمر: ٥٢)، فمن ادعى أن الإعطاء دليل الكرامة والاستحقاق والقرب إلى الله فزعمه باطل مردود، وتأويله فاسد مُدْحَض، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا آَمُولُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ بِاللِّي تُقُرِّبُكُمْ عِندَنا ذُلِفَى تعالى: ﴿ وَمَا آَمُولُكُمْ وَلَا آَوْلَدُكُمْ بِاللِّي تَقُرِّبُكُمْ عِندَنا ذُلُفَى اللهِ الله على: ﴿ وَمَا آَمُولُكُمْ وَلَا آَوْلَدُكُمْ بِاللَّهِ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلْلِحًا ﴾ (سبأ: ٣٧)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ

هَلْ نُنَتِئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا ﴿ اللَّهِ اللَّذِينَ صَلَّ سَعَيْهُمْ فِي الْخَيَوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنعًا ﴿ اللَّهِ أَوْلَتِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنَايَتِ رَبِهِمْ وَلِقَآبِهِ عَلَيْظَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِينَمَةِ بِنَايَتِ رَبِهِمْ وَلِقَآبِهِ عَلَيْظَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِينَمَةِ وَزَنَا ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّالَةُ الللَّا الللللَّهُ الللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللللَّهُ الل

فرُبَّ رجل في نعمةٍ في الدنيا هو مسخوط عليه، ورب أشعث أغبر مطرود بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه، فمناط الردع جعل الإنعام علامة على إرادة الله إكرام المنعَم عليه وجعل التقتير علامة على إرادة الإهانة، وليس مناطه وقوع الكرامة ووقوع الإهانة؛ لأن الله على أهان الكافر بعذاب الآخرة، ولو شاء إهانته في الدنيا لأجل الكفر لأهان جميع الكفرة بتقتير الرزق.

وهكذا شأن الله في معاملته للناس في هذا العالم، له أسرار لا يُحاط بها، وأهل الجهالة بمعزل عن إدراك سرّها بأقيسة وهمية، والأولى لهم أن يطلبوا الحقائق من دلائلها العقلية، وأن يعرفوا مراد الله من وحيه إلى رسله، وأن يحذروا من أن يحيدوا بالأدلة عن مدلولها، وأن يستنتجوا الفروع من غير أصولها، أما العلماء فهم يضعون الأشياء في مواضعها ولا يخلطون ولا يخبطون، ولذا أعقب الله الردّ على من ادّعوا أنهم أوتوا المال بسبب علمهم وذكائهم وحيلهم فقال: ﴿ بَلّ هِيَ فِتَنَةٌ وَلَكِنّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ الله عَد أَهْلَكَ مِن قَبِلهِ مِن القصود به المحنى والمعلى علمهم وذكائهم وحيلهم فقال: ﴿ بَلّ هِي فِتَنَةٌ هُو الله عَد أَهْلَكَ مِن قَبِلهِ مِن المَعنى والمعنى: ﴿ وَالله علم الله علم علم علم علم الله علم عارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده فاستحق بذلك أن يؤتي ما أوتي من الكنوز الفضل علم عنده فاستحق بذلك أن يؤتي ما أوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشًا،

وأكثر جمعًا للأموال، ولو كان الله يؤتى الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه لم يكن يُهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالًا؟ لأن من كان الله راضيًا عنه فمحالٌ أن يهلكه الله وهو عنه راض، وإنها يهلك من كان عليه ساخطًا.

الخلاصة:

• غرض هؤلاء المشركين من هذه الشبهة إدخال الشك على المستضعفين من المؤمنين، وإيهامهم أن من كثر ماله دل ذلك على أنه المحق في دينه، ومن قل ماله دل على أن ما هو عليه من دين باطل، وكأنهم لم يروا في الكفار فقيرًا ولا في المؤمنين غنيًا، ولم يعلموا أن الله نحى أولياءه عن الاغترار بالدنيا وفرط الميل إليها.

• هذه الشبهة طالما أثارتها كثير من الأمم الضالة المكذبة لرسلها، فقوم نوح يقولون له: ﴿ قَالُوا اَنُوْمِنُ لَكَ وَالَّمَعُكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿ السَّعراء وقوم صالح من المترفين يقولون للمستضعفين منهم: ﴿ اَتَعَلَمُونَ اَنَ صَلِحًا مُرَسَلُ مِن دَيِّهِ عَلَى (الاعراف: ٥٧)، ويقولون أيضًا له: ﴿ إِنّا بِاللَّهِ مِن دَيِّهِ عَلَى (الاعراف: ٥٧)، ويقولون أيضًا له: ﴿ إِنّا بِاللَّهِ مَن مَاسَبَقُوناً إِلَيْهِ ﴾ له: ﴿ وَلَم كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُوناً إِلَيْهِ ﴾ (الاحداف: ١١). يقصدون بذلك المستضعفين من المومنين وقد أبطل الله زعمهم وأبان أنه أهلك قرونا كثيرة كانوا أرفه من مشركي العرب متاعًا، وأجمل منهم منظرًا وأحسن أثاثًا، وأجمل صورًا ومناظر، فأهلكناهم وغيّرنا وصورهم، وبدّلنا النعمة والبهجة التي كانوا فيها

لكفرهم واستكبارهم، فقال الله : ﴿ وَكُو أَهْلَكُنَا فَبَلَهُم

• وقد ردّ الله على هؤلاء شبهتهم في مواضع كثيرة من كتابه وأبان أنها قائمة على حجة موهومة ودليل سوفسطائي مزعوم؛ إذ لم يفطنوا إلى أن أحوال الدنيا في الغنى والفقر مسببة على أسباب قدّرها الله ولا علاقة لها بصحة الدين أو بطلان المعتقد، وقد يرزق الله الإنسان رغدًا في العيش وسعة في الرزق استدراجًا وإملاء، كيا قال على: ﴿إِنَّمَا نُمّلِ لَمُمّ لِيَزْدَادُوٓ أَإِفْ مَا ﴾ (آل عمران: ١٧٨)، وقال: ﴿ وَنَذَرُهُم فِي طُغّينِهِم يَعْمَهُونَ ﴿ الله عمران المنام، وعلى هذا فمقولتهم تلك ناشئة عن غَلَطٍ في الفهم وفساد في الفكر وخطأ في القياس.

AGE:

الشبهة الرابعة والأربعون

دعوى أن النِّفاق والمداراة بين المؤمنين والكافرين هو عين الإصلاح (*)

مضمون الشبهة :

يدّعي المنافقون أن الكفر والعمل بالمعصية صلاح وهدى، وأن الحالة التي هم عليها من النفاق والمُداراة بين الفريقين _ المؤمنين والكافرين _ هي عين الصلاح، قال على: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا نُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا فَعُن مُصْلِحُون ﴾ (البقرة).

وجها إبطال الشبهة:

- ا تزيين الشيطان للمنافقين جعلهم يظنون أنهم مصلحون، فضلًا عن أن سوء الغفلة التي يعيش فيها هؤلاء جعلهم لا يشعرون بفسادهم في الأرض.
- لسياسة المدارة التي يتبعها المنافقون مع المسلمين والكافرين هي عين الفساد، وقد ألـزمهم الله التـصديق
 بها جاء به رسول الله كالذي ألزم به المؤمنين.

التفصيل:

أولا. تزيين الشيطان وسوء الغفلة جعلا المنافقين لا يشعرون بفسادهم في الأرض:

يظهر المنافقون الإيهان ويبطنون الكفر خوف القتل، وقد ظهر المنافقون بالمدينة وكثروا نظرًا لكثرة المسلمين وقوة شوكتهم، وتلك بؤرة النفاق التي يحيا فيها، وكان المنافقون يوالون الكافرين، ويصدون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ويعمدون إلى إلقاء الشبه والوشايات بين الناس، وإيقاع الشر بينهم عن طريق النميمة وغير ذلك، وهذا هو إفسادهم الذي حكاه الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا لُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا خَنُ مُصلِحُونَ ١ (البقرة) فهم لسوء أعمالهم وغفلتهم لا يشعرون أن ما يفعلونه فساد في فساد، وهذا من تزيين الشيطان لهم، قال على الله المُعَن زُيِّنَ لَهُ سُوَّهُ عَمَلِهِ، فَرَهَاهُ حَسَنًا ۚ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآهُ وَيَهْدِى مَن يَشَآهُ ﴾ (فاطر: ٨)، وقال أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٠٠ ﴾ (الكهف)، وقال على: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمَّ لَا يَهْ تَدُونَ اللهِ النمل).

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ١١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١٢، فاطر/ ٨، النمل/ ٢٤، الكهف/ ١٠٤).

والقائل لهم: ﴿ لاَ نُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ ﴾ بعض من وقف على حالهم من المؤمنين الذين لهم اطلاع على شؤونهم لقرابة أو صحبة، فيخلصون لهم النصيحة والموعظة رجاء إيهانهم ويسترون عليهم خشية عليهم من العقوبة وعلمًا بأن النبي الله يغضي عن زلاتهم كها أشار إليه ابن عطية.

وفي جوابهم بقولهم: ﴿ إِنَّمَا غَنُ مُصَلِحُونَ ﴾ ما يفيد أن الذين قالوا لهم ﴿ لَا نُفْسِدُوا فِي اَلْأَرْضِ ﴾ كانوا جازمين بأنهم مفسدون؛ لأن ذلك مقتضى حرف إنها، ويدل لذلك بناء فعل ﴿ قِيلَ ﴾ للمجهول بحسب ما يأتي في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُواْ ءَامَنًا ﴾ (البقرة: ١٤).

ولا يصح أن يكون القائل لهم الله والرسول بي إذ لو نزل الوحي وبلغ إلى معينين منهم لعلم كفرهم، ولو نزل مجملًا كما تنزل مواعظ القرآن لم يستقم جوابهم بقولهم: ﴿إِنَّمَا غَنُ مُصْلِحُونَ ﴿ (البقرة).

وبيان إيقاعهم الفساد أنه مراتب:

إفسادهم أنفسهم، وذلك بالإصرار على تلك
 الأدواء القلبية، وما يترتب عليها من المذام ويتولد
 من المفاسد.

٢. إفسادهم الناس ببث تلك الصفات والدعوة إليها، وإفسادُهم أبناءهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساوئهم كما قال نوح الكلا: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَّهُم يُضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا (٣٠٠) ﴾ (نوح).

٣. إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع، كإلقاء النميمة والعداوة وتسعير الفِتَن

وتأليب الأحزاب على المسلمين وإحداث العقبات في طريق المصلحين (١).

وهكذا شأن كل مفسد في الأرض يدعي أنه مصلح في نفس إفساده، فإن كان على بينة من إفساده عارفًا أنه مضِل ـ وإنها يكون كذلك إذا كان إفساده لغيره لعداوة منه له _ فإنها يدّعي ذلك لتبرئة نفسه من وصمة الإفساد بالتمويه والمواربة، وإن كان مسوقًا إلى الإفساد بسوء التقليد الأعمى الذي لا ميزان فيه لمعرفة الإصلاح من الإفساد إلا الثقة بالرؤساء المقلَّدين، فهو يدّعيه عن اعتقاد ولا يريد أن يفهم غير ما تلقاه عنهم، وإن كان أثر تقليدهم والسير على طريقتهم مفسدًا للأمة في الواقع ونفس الأمر؛ لأن الوجود والحقيقة الواقعة لا قيمة لهما ولا اعتبار في نظر المقلدين، بل هم لا يعرفون مناشئ المفاسد ومصادر الخلل ولا مزالق الزلل؛ لأنهم عطلوا نظرهم الذي يميز ذلك، وأرادوا أن يوقعوا غيرهم بهذه المهالك بصدّهم عن سبيل الإسلام الداعي إلى الوحدة والالتئام، فكان ذلك منهم دعوة إلى الفرقة والاختصام، وأي إفساد في الأرض أعظم من التنفير عن اتباع الحق، والاعتصام بدين فيه سعادة الـدارين، والأرض إنها تفسد وتصلح بأهلها، ولذا فإنك ترى هـؤلاء المفـسدين في كـل عـصر ومـصر يفـسدون في الأرض (٢)، ويزعمون أنهم أهل الإصلاح والبناء والتعمير، ويصفون أهل الإيهان الفساد، فها هو فرعون

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مجا، ج۱، ص۲۸٤.

۲. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱، ص۱۵۷.

يقول لقومه: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (الله عن نبي الله موسى الذي جاء بكل صلاح له ولقومه: ﴿ إِنِّ آخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِ ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ اللهِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله

ثانيًا. سياسة المدارة التي يتبعها المنافقون مع المسلمين والكافرين هي عين الفساد:

لقد تنبَّه أعداء الإسلام إلى أن هذا الدين القوي الحق لا يمكن أن يتأثر بطعنات الكفر، بل يواجهها ويتغلب عليها، فما قامت معركة بين حق وباطل إلا انتصر الحق، ولقد حاول أعداء الإسلام أن يواجهوه سنوات طويلة، ولكنهم عجزوا، ثم تنبه وا إلى أن هذا الدين لا يمكن أن يهزم إلّا من داخله، وأن استخدام المنافقين في الإفساد هو الطريقة الحقيقية لتفريق المسلمين، فانطلقوا على المسلمين اسمًا ليتخذوا منهم الحربة التي يوجهونها ضد الإسلام، وظهرت مذاهب واختلافات وما أسموه العلمانية واليسارية وغير ذلك، كل هذا قام به المنافقون في الإسلام وغلفوه بغلاف إسلامي؛ ليفسدوا في الأرض ويحاربوا منهج الله، وإذا لفت المؤمنون نظرهم إلى أنهم يفسدون في الأرض، وطلبوا منهم أن يمتنعوا عن الإفساد ادعوا أنهم لا يفسدون ولكنهم يصلحون^(۱).

ولذارد الله على على هو لاء المنافقين الزاعمين لأنفسهم الصلاح فقال: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُهُونَ اللهِ (البقرة) فهم أهل الفساد لتركهم

الحق واتباعهم للباطل ولفعلهم المعاصي، ولكنهم لا

- يعيش المنافقون دائمًا على الوشايات والفتن، وهذا دأبهم وديدنهم، وظهر ذلك جليًّا في المدينة حينها هاجر إليها النبي ﷺ والمسلمون بينهم يعلمون ذلك، وعندما نبصحوا المنافقين ردعليهم المنافقون بأنهم مصلحون وقد تصوروا الفساد بصورة المصلاح لما في قلوبهم من المرض.
- يعتقد المنافقون للمرض الذي ملأ عقولهم وقلوبهم أن سياسة المداراة التي يتبعونها مع المسلمين والكافرين هي عين الإصلاح، رغم أن الله كلَّ ألزمهم عداوة اليهود المحاربين والكفار كما ألزم المسلمين، وألزمهم التصديق بكل ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ، شأنهم في ذلك شأن المؤمنين حتى ينقطع دابر النفاق.
- حرَّم الإسلام ونهى عن موالاة غير المسلمين من دون المسلمين.

يـشعرون أن ذلـك فـسادٌ، ولا يعلمـون أن محاولـة مداراتهم الفريقين من المؤمنين والكافرين هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادًا؛ لأن الله قد فرض عليهم عداوة اليهود لحربهم المسلمين، وألزمهم التصديق بها جاء بــه رســول الله ﷺ كالذي ألزم من ذلك المؤمنين به، وقد قطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين بقول ه تعالى: ﴿ لَا نَنَّخِذُواْ ٱلْكَنفِرِينَ أَوْلِيَـآةً مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ١٤٤). الخلاصة:

١. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ج١، ص ۱۵۵، ۱۵۵.

الشبهة الخامسة والأربعون

دعوى الاكتفاء بما كان عليه الآباء والأسلاف من معتقدات وعبادة ولا حاجة لمعتقدات أو شعائر جديدة (*) ®

مضمون الشبهة:

ادّعى الضالون والكفرة من المشركين أن ما عليه آباؤهم من عبادة الأصنام والأوثان هو المعتقد الصحيح الذي هم به مؤمنون وله متبعون، وعلى آثاره مقتفون، ومن ثم فهم ليسوا في حاجة إلى أية معتقدات جديدة يأتي بها الإسلام ورسوله. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ اتّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُوا بَلَ نَتّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عَلَى اللّهُ وَالرّهِم مُهَمّدُونَ ﴿ بَلُ قَالُوا إِنّا وَجَدُناً عَلَيْهِ الزّارة قال تعالى: ﴿ بَلُ قَالُوا إِنّا وَجَدُناً عَلَيْهِ عَلَى اللّهِ الزّرون)، وقال تعالى: ﴿ بَلُ قَالُوا إِنّا وَجَدُناً عَلَيْهِ اللّهِ الزّرون).

وجها إبطال الشبهة:

- التقليد على إطلاقه مذموم، في بالنا إذا كان تقليدًا في الجهل والسفه والضلال، فلا شك أن يكون أشد ذمًا.
- القرآن الكريم دائم الدعوة إلى النظر والتأمل
 والتعقل في المقارنة بين دعوة الرسل وما فيها من
 الصدق والحق وما كان عليه الآباء من ضلال وعيً.

التفصيل:

أولا. التقليد مذموم، ويكون أشد ذمًّا في تقليد الجهل والسفه والضلال:

هذه شبهة واهية تعلَّق بها هولاء المشركون عندما أُمِروا باتباع ما أنزل إليهم من ربهم وعدم اتِّباع أولياء من دونه، فقالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك والعقائد والمذاهب، وحسبنا ما تقلدناه من ساداتنا وكبرائنا وشيوخ علمائنا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُمُ التَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلُ نَتَيِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنا ﴾ (لقان: ٢١).

وقد ردّ الله تعالى عليهم مقولتهم هذه وأبان عن فساد مذهبهم بقوله على: ﴿ أَوَلَوْ كَاكَ ءَاكَ وُهُمْ لَا يَعْقُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْمَا وَلَا يَهْمَا وَلَا يَعْقُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْمَا وَقُوله أيضًا: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآوُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْمَدُونَ الله وَ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآوُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْمَدُونَ الله (المائدة)، والمعنى: أيتبعون ما ألفوا عليه آباءهم في كل حال وفي كل شيء، ولو كان آباؤهم لا يفهمون شيئًا حال وفي كل شيء، ولو كان آباؤهم لا يفهمون شيئًا ولا يعقلون شيئًا من عقائد الدين ولا يهتدون إليه فكيف يتبعونهم والحال هذه، لا يتبعهم إلا من هو أخهل منهم وأضلُّ سبيلًا.

وكأن القرآن بذلك أنزلهم منزلة من لا يفهم الخطاب ولا يعقل الحُجج والدلائل، ولو كان لهؤلاء المقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية لتنفيرهم من التقليد الأعمى للآباء والكبراء، فإنهم في كل مِلَّة، وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناسًا بها ألفوه مما وجدوا آباءهم عليه، كها حكى القرآن عن قوم إبراهيم في عبادتهم للأصنام من دون الله المؤلفة في أَمَّة وَإِنَّا عَلَى المُؤهم

^(*) الآيات التي وردت فيها الـشبهة: (البقـرة/ ١٧٠، المائـدة/ ١٠٤، الأنبيـاء/ ٥٣، المؤمنـون/ ٢٤، القـصص/ ٣٦، لقـــان/ ٢١، سبأ/ ٤٣، الزخرف/ ٢٢، ٢٢).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١٧٠، المائدة/ ١٠٠ الأنبياء/ ٥٤، ٥٦، الأنبياء/ ٥٤، ٢٤).

[®] في "حقيقة الإيمان ومنافاتها للتقليد" طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثالثة، من الجزء السابع (الإيمان والتدين).

مُهْتَدُونَ الله (الزحرف)، وكقول قوم موسى لما جاءهم الحق: ﴿ فَلَمَا جَاءَهُم مُوسَى بِثَايِنِينَا بَيِنَتِ قَالُواْ مَا هَلَا آلِاً لَا سَحِعْنَا بِهَدَا فِي ءَابِكَ إِنَا ٱلْأُولِينَ الله سِحْرُ مُفْتَرَى وَمَا سَحِعْنَا بِهَدَا فِي ءَابِكَ إِنَا ٱلْأُولِينَ الله (القصص)، ومثل ذلك قول قوم نوح لما أمرهم بعبادة الله تعالى وحده: ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَدَا فِي ءَابَ إِنَا ٱلْأُولِينَ الله (المؤمنون).

وحسبُك بهذا القول شناعة، إذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس، وإن كبُر عقله وحسُن سيره، فها من عاقل إلا وهو عُرضة للخطأ في فكره، وما من مهتد إلا ويحتمل أن يضل في بعض سيره، فلا ثقة في الدين إلا بها أنزل الله، ولا معصوم إلا من عصم الله، فكيف يرغب العاقل عها أنزل الله إلى اتباع الآباء مع فكيف يرغب العاقل عها أنزل الله إلى اتباع الآباء مع دعواه الإيهان بالتنزيل، على أنه لو لم يكن مؤمنًا بالوحي دعواه الإيهان بالتنزيل، على أنه لو لم يكن مؤمنًا بالوحي لوجب أن ينفره عن التقليد قوله في ﴿ أَوَلَوْ كَانَ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ الله

ولذلك وجدنا القرآن الكريم يسفّه أحلامهم ويضلل آباءهم حينها ذكروا أنه لا حجة لهم سوى صنيع آبائهم، فقال لهم كما قال إبراهيم اللي لقومه مقيمًا الحجة عليهم: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَوَابا آوُكُمْ فِي ضَلَالِ مُبِينٍ ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَوَابا آوُكُمْ فِي

أي أن الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم، فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم، ولهذا قال الله أيضًا: ﴿ أُوَلَوْكَ انَ اَلشَيْطُنُ الشَيْطُنُ الشَيْطُنُ السَّعِيرِ اللهِ القان).

وهذه الحجمة الباطلة شنشنة أهل الضلال من

ثانيًا. دعوة القرآن لأهل الشرك أن يمعنوا النظر فيما يعتقد آباؤهم وما جاء به النبي الطّيِّكُمّ :

من ردود القرآن الكريم عليهم أيضًا أن دعاهم إلى النظر والتعقل فيها اتبعوا فيه آباءهم، لعل ما دعاهم إليه الرسول أهدى منهم، إذ كان عليهم أن يقارنوا بين ما جاءهم به الرسول وبين ما تلقوه من آبائهم، فإن شأن العاقل أن يميز ما يلقى إليه من الاختلاف ويعرضه على معيار الحق، وشأن المقلد أن يغتر بأحوال من سبقوه فلا يتأمل في مصادفة أحوالهم للحق، وفي ذلك يقول الحق تعالى لنبيه على: ﴿قَلَلَ أَوَلَوْ عِنتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا إِنَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِء كَفِهُونَ الزخون).

وهذا فيه من نقض حجتهم الواهية ما فيه؟ إذ لو كانوا عقلاء حقًا لأقاموا الموازنة بين الأمرين، لكنهم لعنادهم وضلالهم وضعف حجتهم ثبتوا على دين آبائهم لا ينفكون عنه، وإن كان ما جاء به الرسول أرشد وأهدى، وما ذاك إلا بسبب التقليد المذموم.

ولذا يعقب السياق القرآني على موقفهم ذاك تعقيبًا

فيه من التعجب والتأنيب ﴿ أُولُو كَانَ ءَابَاۤوُهُمْ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡعًا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿ اللهٰ اللهٰ ولسيس معنى هذا الاستنكار لاتباعهم لآبائهم ولو كانوا لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون أن لو كان يعلمون شيئًا لجاز لهم اتباعهم وترك ما أنزل الله وترك بيان الرسول! إنها هذا تقرير لواقعهم وواقع آبائهم أو ما شرعوه لأنفسهم، ولا يركن أحد إلى شرع نفسه أو شرع أبيه وبين يديه شرع الله وسنة رسوله، إلّا وهو لا يعلم شيئًا ولا يهتدى!

وليقل عن نفسه أو ليقل عن غيره ما يشاء: إنه يعلم وإنه يهتدي فالله سبحانه أصدق، وواقع الأمر يشهد أنه لا يعدل عن شرع الله إلى شرع الناس إلا ضال جهول، فوق أنه مفتر كفور(١).

الخلاصة:

- الإسلام رسالة التحرر الفكري، لا تقر التقليد المزري، ولا تقر محاكاة الآباء والأجداد اعتزازًا بالإثم والهوى. فلا بد من سند، ولابد من حجة، ولابد من تدبر وتفكير، ثم اختيار مبنيٌّ على الإدراك واليقين.
- دعا الإسلام هؤلاء المقلدين إلى النظر والعبرة في جاء النبي به وما يقولونه عن الآباء، فإن شأن العاقل أن يميز بين الغث والسمين إن كان يريد الصواب وسوف يجدون أن ما يدَّعونه باطل لا أساس له.

AND EAST

الشبهة السادسة والأربعون

ادِّعاء اليهود أن عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ، سببه نزول جبريل السَّارُ بها (*)

مضمون الشبهة:

يزعم اليهود أن جبريل عدوً لهم وأن ميكائيل ولي لهم، والسّبب في ذلك أنهم سألوا الرسول الله عن الملك الذي يأتيه فأخبرهم بأنه جبريل فقالوا له: لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقَطْر والنبات لصدقناك، أمّا جبريل فينزل بالرحمة والقطر والقتال والعذاب، فهو عدو لنا؛ فلا نؤمن بوحي جاء به. قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوُّ لِلَمَةِ وَمَلَتَهِ كَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبِيلَ وَمِيكُنلَ فَإِنَ اللّهَ عَدُوُّ لِلْكَفِرِينَ اللهُ (البقرة).

وجوه إبطال الشبهة:

1) سبب عداوة اليهود لجبريل الطّيلاً ظَنهُم أنه ينزل بالحرب والعذاب، وهو ظنٌّ باطل وفاسد؛ لأن جبريل هو الروح الأمين الذي ينزل على جميع رسل الله، وهو ملك الوحي.

۲) من عادى رسولا عادى جميع الرسل؛ لأنهم جميعًا يتنزلون بأمر الله، فلا وجه للتفرقة بين عداوة جبريل وميكائيل.

٣) العاقل ينظر في كنه ما ينزل وحقيقة ما يُقال على لسان الأنبياء إذا رغب في تقبل الهداية والحق، أما من يتعلل بأن الأمر نزل به ملك دون آخر ويعلق تصديقه وإيانه على ذلك، فهذا محض غباء وضيق أفق.

۸۹).

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص٩٩١.

^(*) الآيتان اللتان ورد فيهما الرد على الشبهة: (البقرة/ ٩٧،

التفصيل:

أولا. سبب عداوة اليهود لجبريل الطَّيْقَ ظنهم أنه ينزل بالحرب والعذاب:

سبب مقولة اليهود السابقة هو المناظرة التي جرت بينهم وبين النبي في أمر نُبُوَّته، حيث سألوه عن أسئلة لا يعلمها إلا نبي، ومن هذه الأسئلة أنهم سألوه عن وليه من الملائكة، فقال: إن وليي جبريل ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليه، فعند ذلك قالوا: نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك، وصدقناك. وفي رواية أنهم قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالرحمة والقطر والقتال، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان، فقال لهم: في يمنعكم أن تصدقوه؟ والنبات لكان، فقال لهم: في يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا، فأنزل الله في : ﴿ قُلُمَن كَانَ عَدُوًا لِيَا بَيْنَ لِيَهُوْمِنِينَ لَا اللّهِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ لَيُدَيْدِ وَهُدُى وَبُشَرَى لِلمُؤْمِنِينَ اللّهِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ

فيؤخذ مما سبق أن اليهود في عهد النبي كانوا يجاهرون بعداوتهم لجبريل الكيلا، وأن هذه المجاهرة قد تكررت منهم في مواقف متعددة بينهم وبين النبي لله، وأن الذي حملهم على ذلك هو حسدهم له وغيظهم منه؛ لأنه ينزل بالوحي عليه. قال ابن عاشور: "ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من عند الله، ومع ذلك يبغضونه، وهذا أحط درجات الانحطاط في العقل والعقيدة، ولا شك أن الاضطراب في العقدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة؛ لأنه ينبئ عن تضافر آرائهم على الخطأ والأوهام"(۱).

ثانيًا. من عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل؛ لأنهم جميعًا يتنزلون بأمر الله، فلا وجه للتفرقة بين عداوة جبريل وميكائيل عليهما السلام:

يردُّ الله ﷺ على هو لاء اليهود مقالتهم الحاقدة، وعداوتهم لجبريل الطيلا ويقيم الحجج الواضحة على حماقتهم وسمخفهم وفساد علتهم في دعوى عداوة جبريل، مؤكدًا أن مَنْ عادى جبريل، فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلب النبي من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله من الملائكة، ومن عادي رسولًا فقد عادي جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيهان بجميع الرسل، كما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُوِّمِنُ بِبَغْضٍ وَنَكَفُرُ بِبَغْضِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَالِكَ سَبِيلًا اللَّ أُولَئِهِكَ هُمُ ٱلكَفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ((١٠٠٠) ﴾ (النساء)، فحكم الله عليهم بالكفر المحقق إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم، وقـال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَفْنَكُهُمْ وَجَعَلْنَكُمُ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾ (الفرقان: ٣٧)، وإنها أُرسل إليهم نوح فقط، وقال الله أيضًا: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (الشعراء)، وإنها أُرسل إليهم هود فقط، وقال ؟ ﴿ كُذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ الله ﴾ (السعراء)، وقسال ؟ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ إِلَّالْنَذُرِ ﴿ اللَّهُ ﴿ (القمر).

فمن كفر برسول وكذبه فقد كفر بالرسل جميعًا وكذبهم، وكذلك من عادى جبريل الطيخ فإنه عدو لله؛

التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة الرسالة،
 القاهرة، ط۳، ۱۹۸۷م، ج۱، ص۲۸۳.

ثم بين على حقيقة الأمر فيمن يعادي جبريل وأن عداوته عداوة الله على فإنه أمين وحيه إلى رسله، ليس له في ذلك شيء إلا أن يبلغ ما أمر به فقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوَّا لِللّهِ وَمَلَتهِ حَيْدِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكُللَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوُّ لِلْكَنْمِرِينَ ﴿ اللّهِ عَدُوُ لِلْكَافِرِينَ اللهِ وَمَلْتهِ حَيْدِينَ اللهِ وَمَلْتهِ حَيْدِيلَ وَمِيكُللَ فَإِنْ اللّهَ عَدُوُّ لِلْكَنْمِرِينَ ﴿ اللّهِ مَا أَمْ عَدَاوة عَمَد عداوة للله عداوة على عداوة لله عداوة الله وملائكته ورسله وحدة لا تتجزأ فمن كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع.

ومعنى عداوة العبد لله: كفره به ومخالفته لأوامره ونواهيه، ومعنى عداوته لملائكته: إنكار فيضلهم ووصفهم بها ينافي عصمتهم ورفعة منزلتهم، ومعنى عداوته لرسله: تكذيبه لهم وتعمُّده إلحاق الأذى بهم، ومعنى عداوة الله لعبده: غضبه على عليه، ومجازاته له على كفره، وصدّر على الكلام باسمه الجليل؛ تفخيه لشأن ملائكته ورسله وإشعارًا بأن عداوتهم إنها هي عداوة له على.

وأفرد الله جبريل وميكال بالذكر، مع اندراجها تحت عموم ملائكته، لتصريح اليهود بعداوة جبريل وتعظيم ميكائيل، فأفردهما بالذكر للتنبيه على أن المعاداة لأحدهما معاداة للجميع، وأن الكفر بأحدهما

كفر بالآخر.

قال ابن جرير: "فإن قال قائل: أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة؟ قيل بلي، فإن قال: فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما في الآية في جملة أسماء الملائكة؟ قيل: معنى إفراد ذكرهما بأسمائهما أن اليهود لما قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا، وزعمت أنها كفرت بمحمد رضي من أجل أن جبريل صاحبه، أعلمهم الله علل أن من كان لجبريل عدوًا فإن الله عدو له وأنه من الكافرين، فنص عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه، لئلا يقول منهم قائل: إنها قال الله: من كان عدوًا لله وملائكته ورسله، ولسنا لله ولا لملائكته، ولا لرسله أعداء، لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصًا، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه، وكذلك قوله ورسله فلست يا محمد داخلا فيهم، فنص الله على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم ليقلع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم، ويحسم تمويهم أمورهم على ضعاف الإيهان".

وقال على ختام الآية الكريمة: ﴿ فَإِنَّ الله عَدُو لَه أُو لِلكَيْفِرِينَ ﴿ البَقِرَةِ)، ولم يقل: فإن الله عدو له أو لهم؛ ليدل على أن عداوة كل واحد عمن اشتملت الآية الكريمة على ذكرهم كفر وجحود، وليكون اندراجهم تحت هذا الحكم العام من باب إثبات الحكم بالدليل، وللإشعار بأن عداوة الله لمم سببها كفرهم، فإن الله لن يعادي قومًا لذواتهم ولا لأنسابهم، وإنها يكره لهم الكفر ويعاقبهم عليه معاقبة العدو للعدو.

قال صاحب المنار: "فهذه الآية الكريمة وعيد لهم بعد بيان فساد العلة التي جاءوا بها، فهم لم يدعوا عداوة

لهؤلاء كلهم، لكنهم كذلك في نفس الأمر، فأراد أن يبين حقيقة حالهم في الواقع، وهي أنهم أعداء الحق وأعداء كل من يمثله ويدعو إليه، فالتصريح بعداوة جبريل كالتصريح بعداوة ميكائيل الذي يزعمون أنهم يجبونه. وأنهم كانوا يؤمنون بالنبي الله لو كان هو الذي ينزل بالوحي عليه، ومعاداة القرآن الكريم كمعاداة سائر الكتب الإلهية لأن المقصود من الجميع واحد، فقولهم السابق وحالهم يدلان على معاداة كل من ذكر، وهذا من ضروب إيجاز القرآن التي انفرد بها"(۱).

ثَالثًا. العاقل يتفحص طبيعة ما يُقال على لسان الأنبياء إذا رغب في تقبل الهداية، أما التعلل بملكِ دون الآخر للإيمان من عدمه فهو محض غباء:

مقولة اليهود هذه هي من اعتذاراتهم عن الإيان بها جاء به رسول الله وهي تَعِلّة غريبة، ومرادهم منها أن يقولوا: إن جبريل ينزل بالوحي على النبي ، ولما كان هو عدوهم فهم إذا لن يؤمنوا بوحي يجيء به، وهذا في الحقيقة من غبائهم وشدة جهلهم، فإن العاقل لا يرفض الهداية التي تأتيه وتنقذه من الضلال الذي هو فيه، فإن دعوى عداوة جبريل لا يصح أن تكون مانعة من الإيان بكتاب أنزله الله، فمن كان عدوا جبريل فإنه عدو الحق، وعدو كل من يمثله وينقله ويدعو إليه، فالتصريح بعداوة جبريل هو تصريح بعداوة ميكائيل، ومعاداة القرآن كمعاداة سائر الكتب، ومعاداة عمد كل عمادة سائر الكتب، ومعاداة عمد الله عمادة من ضروب إيجاز القرآن التي انفرد جميعًا واحدة، وهذا من ضروب إيجاز القرآن التي انفرد بها، وهكذا أبان لهم فساد العلة التي جاءوا بها.

الخلاصة:

- سمع اليهود أن جبريل الكلا ينزل بالوحي على سيدنا محمد الله ولما كان عداؤهم لرسولنا قد بلغ مرتبة الحقد والحنق فقد لج بهم الضغن أن يخترعوا قصة واهية وحجة فارغة، فزعموا أن جبريل عدوهم، لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب؛ وأن هذا هو الذي يمنعهم من الإيمان بمحمد الله ولو كان الذي ينزل إليه بالوحي هو ميكائيل لآمنوا، فميكائيل يتنزل بالرخاء والمطر والخصب.
- مسألة الإيهان ليست مجزأة، ولكنها قضية واحدة، فمن كان عدوًّا للملائكة وجبريل وميكائيل ورسل الله؛ فهو أولًا عدُوُّ لله؛ لأنه لا انقسام بينهم فكلهم دائرون حول الحق، والحق الواحد لا عدوان فيه، وإنها العدوان ينشأ من تصادم الأهواء والشهوات، وهذا ما حدث مع اليهود في موقفهم من دعوة النبي.

33 gr

الشبهة السابعة والأربعون

ادّعاء أن سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام أفضلُ من الإيمان بالله والجهاد في سبيله (*)

مضمون الشبهة :

يزعم المشركون أن عهارة المسجد الحرام والقيام على سقاية الحجيج خير ممن آمن وجاهد في سبيل الله تعـالى

١. المرجع السابق، ص٢٨٥، ٢٨٦.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (التوبة/ ١٩).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (التوبة/ ٢٠: ٢٢، المؤمنون/ ٢٦: ٢٠).

وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون من أجل أنهم أهله وعُرَّارُه، قدال تعدالى: ﴿ أَجَعَلْتُمُ سِقَايَةَ لَلْحَاجَ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنَ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَلهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُرُنَ عِندَ ٱللّهِ ﴾ (النوبة: ١٩).

وجها إبطال الشبهة:

 لا تتساوى كفة سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام مع كفة الإيمان بالله واليوم الآخر، فقد قضى الله تعالى ألا يقبل عملا بغير الإيمان به وباليوم الآخر.

لاء المشركون لم يكونوا يعمرون البيت الحرام كما زعموا؛ لأن عمارة البيت تكون بعبادة الله وحده، لا بالاستكبار والفساد في الأرض.

التفصيل:

أولا. لا يقبل الله ﷺ عملا بلا إيمان:

لقد كان مشركو مكة مع كفرهم يفتخرون بسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام، وكان منهم العباس عم رسول الله على حين تحدث إليه بعض الصحابة يدعونه للإسلام والجهاد في سبيل الله حين أُسريوم بدر فقال: إننا نسقي الحجيج ونرعى البيت، ونفك العاني، ونقوم بعمارة البيت الحرام "، قال العباس ذلك ولم يكن قد أسلم بعد، وما قاله العباس هو موجز رأي أهل الشرك من قريش، الذين جعلوا هذه المسائل مقابل الإيمان بالله والجهاد في سبيله...

وقد ردّ الله على هؤلاء مقولتهم وبيَّن لهم أن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مع البقاء على الشرك لا تعدل الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله تعلى، فهما أمران لا يستويان أبدًا عند الله عَلَى، وما

زعمتم من أنكم عُمَّار البيت وسدنته وأهله فإن هذه العمارة والسقاية لا تُغني عنكم شيئًا بشرككم، وإن كنتم تجعلون هذا في مقابل الإسلام، فذلك لا يصلح أبدًا مقابلًا للإيهان، ولا تتساوى كفة الإيهان بالله واليوم الآخر أبدًا مع كفة سقاية الحجيج، وعهارة المسجد الحرام، ومن يقدِّر ذلك هو الله من وله مطلق المشيئة في أن يتقبل العمل أو لا يتقبله، والمؤمن المجاهد في سبيل الله إنها يطلب الجزاء من الله، أما من يسقي الحجاج، ويعمر بيت الله دون أن يعترف بوحدانية الله من أجلهم، ولأنه من الإسلام فهو يطلب الجزاء عمن عمل المن المعملين لا يستويان عنده؛ أي: لا يساوي المدن الغملين لا يستويان عنده؛ أي: لا يساوي أحدهما الآخر في الجزاء (1).

ثم حكم الله بقضائه في هذا الحكم بين الفريقين اللذين افتخر أحدهم بالسّقاية والعِمارة، والآخر بالإيهان بالله والجهاد في سبيله، فقال: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَلِمْ وَأَنفُسِمٍمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُولَيِّكَ هُمُ الْفَايِرُونَ ﴿ يُبَانِعِهُمْ وَبُهُم مِ رَبّهُم مِرَحَمة مِنهُ وَرضُونِ وَجَنّتِ لَمُمْ فِيهانِعِيمُ مُقِيدً اللّهِ وَرضُونِ وَجَنّتِ لَمُمْ فِيهانِعِيمُ مُقِيدًا فَي مَنْ اللهِ مِن خَلِين

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ج٨، ص٤٩٦٣، ٤٩٦٤ بتصرف.

فِهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ وَأَجْرُ عَظِيمٌ ١

ثانيًا. المشركون لم يكونوا يعمرون البيت الحرام كما زعموا، وإنما كانوا يستكبرون به ويفسدون في الأرض:

ومن ردِّ الله عليهم أيضًا أنه ذكر لهم استكبارهم وإعراضهم؛ حيث كانوا يستكبرون من أجل أنهم أهل الحرم وعيّاره، وكانوا يسمرون ويهجرون القرآن الكريم والنبي على ويهجرون البيت ولا يعمرونه، فقال على مُوبِّخًا لهم : ﴿ قَدْ كَانَتُ عَايَتِي نُتَلَى عَلَيْكُمُ فَقَالِ عَلَى الْمَعْرِينَ بِعِد سَنِعِرًا فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَالِكُمْ المؤمنون الله مُستَكَبِرِينَ بِعِد سَنِعرًا تَهَجُرُونَ الله (المؤمنون).

والضمير في "به" في قوله تعالى: ﴿ مُسْتَكُمِرِينَ بِهِ - ﴾ وإن لم يسبق له ذكر في الآيات التي قبل هذه الآية ؛ لأن اشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم قوامه وسدنته وعباره أغنى عن سبق ذكره، وكانت العرب تدين لهم بذلك لامتيازهم عليهم به وبسقاية حجاجه، وكذا ضيافتهم وإن لم تكن عامة كالسقاية ؛ لأن الحاجة إليها لم تكن عامة إذ من المعلوم أن الحجاج كانوا وما زالوا أحوج إلى الماء في الحرم من الزاد؛ لأن كل حاج كان يمكنه أن يحمل من الزاد ما يكفيه مدة سفره إلى الحرم وعودته بعد أداء المناسك، ولا سيها العربي القنوع يكفيه كل هذه المدة ولا نصفها، ولذلك كان أول شروط استطاعة الحج الزاد لإمكانه مع كفالة أولي الأمر في الحرم لتوفير الماء فيه.

وإن فضيلة البيت الحقيقية التي بُني لأجلها هي عبادة الله وحده فيه بها شرعه كما يحب ويرضى، وقد جنى عليه المشركون ودنسوه بعبادة غيره فيه، ثم بصد

المؤمنين الموحدين له عنه، كما قال: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواً وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْمَدِّى مَعَكُوفًا أَن يَبَلُغَ عَلَمُدُ وَكَالَمَ عَن الْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْمَدِّى مَعَكُوفًا أَن يَبَلُغَ عَمِلَدُ وَكَالَمُ (الفتح: ٢٥)، شم إخراجهم إياهم من جواره لإيمانهم بربوبيته وألوهيته تعالى وحده دون ما أشركوه معه، كما قال للمؤمنين: ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمُ أَن تُوْمِنُوا مِن معه، كما قال للمؤمنين: ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمُ أَن تُوْمِنُوا مِن مِعْه، كما قال للمؤمنين: ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمُ أَن تُوْمِنُوا مِن اللهِ رَبِّكُمْ ﴾ (المتحنة: ١)، وقال فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱخْرِجُواْ مِن وَيَكُمْ مِنْ اللهِ مَنْ اللهِ عَلَى مَزِيَّة تبقى مع هذه الجرائم لخدمة حجارته واحتكار مفتاحه وسقاية المشركين من حُجَّاجه؟ وأي ظلم أشد من هذا الظلم في موضوعه (١٠)؟

الخلاصة:

- لقد ردَّ الله ﷺ على مشركي مكة الذين زعموا أن سقاية الحاج وعارة المسجد الحرام مع الشرك أفضل من الإيان بالله والجهاد في سبيله؛ بأن هذين الأمرين لا يستويان أبدًا، فهذه السقاية والعارة لا تساوي مع الشرك عند الله شيئًا، فالله لا يقبل عملًا بغير الإيان بالله واليوم الآخر.
- ما كان يفعله هؤلاء المشركون لم يكن عهارة للمسجد الحرام كها زعموا، وإنها كانوا يستكبرون على الناس بذلك لكونهم أهل الحرم وعيّاره، فلا فضل لهم؛ لأن فضيلة البيت الحقيقية هي عبادة الله وحده، لا خدمة أحجاره واحتكار مفتاحه وسقاية المشركين من حجاجه.

ades.

۱. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۰، ص۲۱۸، ۲۱۹.

الشبهة الثامنة والأربعون

دعوى تعليق الإيمان على رؤية الله علانيةً ^(*)

مضمون الشبهة:

الله على بنو إسرائيل أن إيهانهم معلَّقٌ على رؤيتهم الله على على على رؤيتهم الله على على على على الله على على الله على على على الله على على على الله على على على الله على على الله على على الله على على الله على ا

وجها إبطال الشبهة:

1) إن تعليق هؤلاء الإيهان بالله على رؤيته علانية عَنْ تعننت؛ مردُّه عنادهم واستكبارهم؛ ذلك أن الناس لن ترى الله ﷺ في الدنيا، وعلى زعمهم هذا لن يؤمن الناس إلا بعد موتهم في الدار الآخرة، وهذا ما لم يقل به عاقل.

٢) ردُّ المولى ﷺ على تعنتهم في مطالبهم بأخذهم
 بالصاعقة وهم يشاهدونها بأعينهم.

التفصيل:

أولا. تعليق الإيمان على رؤية الله ﷺ علانية، وذلك للاستكبار والعناد:

تدل مقولة بني إسرائيل هذه على عنادهم وتعنَّتهم، وهو من سياتهم الواضحة التي توضحها أحوالهم مع نبي الله موسى السَّكِيلاً وهم هنا يقولون له: لن نصدق بها

جئت به تصديق إذعان واتباع حتى نرى الله عيانًا جَهرة فيأمرنا بالإيهان لك، وهذا من ضعف إيهانهم ومن أدلة جهلهم وكفرهم بالله على لأنهم ظنوا أنه جسم محدود تُدركه الأبصار وتُحيط به أشعة الأحداق، فشبهوا ربه بأنفسهم، ورفعوا أنفسهم إلى ما فوق مرتبتها وقدرها، ولم يقدروا الله حق قدره، وكان ينبغي عليهم أن يؤمنوا بها جاء به نبيهم لاسيها بعد الكثير من الآيات والمعجزات التي ظهرت على يديه.

والظاهر أن هذا القول وقع منهم بعد العفو عن عبادتهم العجل كما هو ظاهر من ترتيب الآيات، روى ذلك البغوي عن السدي، وقيل: إن ذلك سألوه عند مناجاته، وأن السائلين هم السبعون الذين اختارهم موسى الكي للميقات وهم المعبر عنهم في التوراة بالكهنة وبشيوخ بني إسرائيل، وقيل: سأل ذلك جمع من عامة بني إسرائيل نحو العشرة الآلاف، وهمذان القولان حكاهما في "الكشاف" وليس في التوراة ما هو صريح لترجيح أحد القولين، ولا ما هو صريح في وقوع هذا السؤال، ولكن ظاهر ما في سفر التثنية منها ما يشير إلى أن هذا الاقتراح قد صدر وأنه وقع بعد كلام الله تعالى الأول لموسى؛ لأنها لما حكت تـذكير موسى في مخاطبة بني إسرائيل ذكرت ما يغاير كيفية المناجاة الأولى، إذ قال: فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار تقدم إلى جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم وقلتم هو ذا الرب إلهنا قـد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار... إننا عندما نسمع صوت الرب إلهنا أيضًا نموت ... تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا بكل ما

^(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (البقرة/ ٥٥، النساء/ ٥٥٠)

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ٥٥، الأنعام/ ١٠٣، الأعراف/ ٢١).

يكلمك به الرب إلخ. فهذا يؤذن أن هنالك ترقبًا كان منهم لرؤية الله تعالى وأنهم أصابهم ما بلغ بهم مبلغ الموت، وبعد فالقرآن حُجَّةٌ على غيره مُصدِّق لما بين يديه ومُهَيمِن عليه. والظاهر أن ذلك كان في الشهر الثالث بعد خروجهم من مصر.

ثانيًا. رد المولى على تعنت اليهود في مطالبهم بإرسال الصاعقة عليهم وهم ينظرونها:

وقد ردَّ الله عليهم ردًّا عمليًّا بأن أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ذلك بأعينهم، قال على: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّنْعِقَةُ وَأَنتُمْ نَنظُرُونَ ﴿ وَالبقرة). وقوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّنْعِقَةُ ﴾ إشارة إلى أن العقوبة قد فاجأتهم بعد وقت قصير من مطالبهم المتعنتة ؛ لأن الفاء تفيد التعقيب.

وجملة ﴿ وَأَنتُمْ نَنظُرُونَ ﴾ تفيد أن العقوبة نزلت عليهم وهم يشاهدونها، وفي مشاهدتها رعب وخوف أخذ بمجامع قلوبهم، قبل أن يأخذ العذاب أجسادهم، وأن إصابتهم بهذه العقوبة كان في حالة إساءتهم وتمردهم وطمعهم في أن ينالوا ما ليس من حقهم.

والآية الكريمة تفيد أن بني إسرائيل طلبوا من نبيهم رؤية الله جهرة في الدنيا، وأنهم علقوا إيهانهم عليها، ولم يأبهوا للآيات الدالة على صدق موسى الطيخ فكان ذلك محض تعنت وعناد منهم، فأخذتهم الصاعقة عقوبة لهم على ذلك، وليس على مجرد سؤالهم رؤية الله رؤية الله الكن، ومن هنا يتبين أن الآية لا تدل على استحالة الرؤية كها يقول المعتزلة.

وجملة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَكُم مِّنَ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ (البقرة: ٥٦) هي

عل النعمة والمنة، وهي معطوفة على قوله: ﴿ فَأَخَذَتُكُمُ النَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا

وقد اشتملت الآيتان الكريمتان على تحذير اليهود المعاصرين للعهد النبوي من محاربة الدعوة الإسلامية، حتى لا يصابوا بها أصيب به أسلافهم من الصواعق وغيرها، وفيهما أيضًا تسلية للنبي على عما لاقاه من اليهود، لأن ما فعلوه معه قد فعل ما يشبهه آباؤهم مع أنبيائهم، وفيها كذلك لون جديد من نعم الله عليهم ما أجدرهم بشكرها لو كانوا يعقلون (۱).

هذا وقد اختلف العلماء في بيان السبب الحامل لهم على سؤالهم رؤية الله على فقد ذكر بعض العلماء أنهم أرادوا أن يتأكدوا أن الذي يكلمهم هو الله هي، لكن لا دليل من كتاب ولا سُنَّة عن رسول الله على يوضح ذلك.

وهذا السؤال من بني إسرائيل أمرٌ عظيم وشيء كبير، قال الله على: ﴿ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى ٓ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أُرِنَا الله عَلَى لا تدركه الأبصار، قال عَلَى: ﴿ لَا تُدْرِكُ النساء: ١٥٣)، والله عَلَى لا تدركه الأبصار، قال على: ﴿ لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَدُرُ وَهُو يُدْرِكُ الْأَبْصَدُرُ وَهُو يُدْرِكُ الْأَبْصَدُرُ وَهُو يُدْرِكُ الْأَبْصَدُرُ وَهُو اللَّهِيفُ الْمُنْبِيرُ اللَّهُ (الأنعام).

التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج١، ص١٧٤، ١٧٤.

وقال النبي ﷺ: "لن يسرى أحدٌ منكم ربه ﷺ حتى يموت"(١).

وقدعد الله على من سأل رؤيته في الدنيا مستكبرًا عاتيًا عُتوَّا كبيرًا، قال على وقالَ الَّذِينَ لَا مستكبرًا عاتيًا عُتوَّا كبيرًا، قال على وقالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَكْمَ كُمُ أَوْ نَرَىٰ رَبِّنَا لَقَدِ السَّعَامُولُ فِي الفَرْقان).

الخلاصة:

• تعنت بنو إسرائيل في طلبهم من نبيهم موسى الطِّين، حيث قالوا له بجفاء وغلظة: لن نؤمن

لك، ولن نقر بها جئتنا به حتى نرى الله عيانا وعلانية، فيأمرنا بالإيهان بك، وبها جئت به، فأخذتهم العقوبة التي صعقتهم -بسبب جهالتهم وتطاولهم -وهم يشاهدونها بعيونهم، ثم من الله على عليهم بلطف ورحمته فأحياهم لعلهم يشكرونه على نعمه.

حذرت الآيات اليهود المعاصرين للعهد النبوي
 من محاربة الدعوة حتى لا يصابوا بها أصيب به أسلافهم
 من الصواعق وغيرها.

AND DE

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة،
 بات ذكر ابن صياد (٧٥٤٠).

المحورالخامس

شبهات تتعلق بالأنبياء والرسل

أولا. شبهات عامَّة في حقِّ الأنبياء والرُّسل جميعًا

الشبهة التاسعة والأربعون

دعوى تعليق الإيمان بما جاء به النبي ﷺ حتى يُنزُّل آيات من السماء (*)

مضمون الشبهة:

(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (النساء/ ١٥٣، الأنعام/ ٨، ٣٧، ٩٠، ١٢٤، ١٢٩، الرعد/ ٧، ٨، ٣٧، إبراهيم/ ١٠، الحجر/ ٧، الإسراء/ ٩٠: ٩٣، طه/ ١٣٣، الأنبياء/ ٥، المؤمنون/ ٢٤، الفرقان/ ٧، ٨، العنكبوت/ ٥٠، المشعراء/ ١٥٤، فصلت/ ١٤، الزخرف/ ٥٣، المدثر/ ٥٠).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (آل عمران/ ١٦٤، النساء/ ١٠٥، ١٥٥، الأنعام/ ٤، ٢، ٧، ٨، ٢٤، ٧٧، ١٠٩: النساء/ ١٠٤، ١٠٩، ١٠٩ هـود/ ١١، الرعد/ ٧، ٧٧، إبراهيم/ ٩، ١١، الحجر/ ٥، ٨، ١٤، ١٥، الإسراء/ ٥٩، ٩٩، ٩٥، ١٩، الفرقان/ ١٠، ١١، الجمعة/ ٢، المدرر/ ٥٠).

مَعَهُ. نَذِيرًا ﴿ الْوَ يُلْفَى إِلَيْهِ كَنزُ أَوْ تَكُونُ لَهُ, جَنّةُ يَأْكُونَ إِلَا رَجُلًا يَأْكُونَ إِن تَنَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿ اللهِ قَالَ الظّللِمُونَ إِن تَنَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿ اللهِ قَالَ، بِل يُقسِم المشركون بالأيهان المغلظة المؤكدة أنهم إن جاءتهم آية ومعجزة خارقة فسوف يؤمنون بها، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهّدَ أَيْسُونَ يَهَا قُلُ إِنّهَا اللّايَتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَهُمْ عَايَةً لَيُؤْمِنُونَ إِنّا عَلَى اللّهُ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَهُمْ إِذَا جَآةَ تَ لَا يُؤْمِنُونَ إِنّا ﴾ (الانعام).

وجوه إبطال الشبهة:

1) المـولى ﷺ وحـده القـادر عـلى الآيـات والمعجزات، والمتصرف فيها، يعطيها من يشاء ويمنعها من يشاء بحكمته، ولا دخل لنبي أو رسول في ذلك، أما تعليق الإيهان على ذلك فهذا شـأن المكـذبين وأهـل الضلال في كل وقت وزمان.

۲) منع الإتيان بالآيات سببه تكذيب الأولين بها
 عنادًا واستكبارًا كما أن المشركين لا تقنعهم الآيات
 الحسية.

٣) طلب المشركين واليهود من النبي الشي أن ينزل
 عليهم كتابًا من السهاء لم يكن بقصد طلب الحجة لأجل
 الاقتناع، ولكن كان على سبيل التعنت والتعجيز.

عدم استجابة الله للمشركين فيها طلبوه من
 آيات هو رحمة بهم؛ لأن من سنة الله في الأمم إهلاك من
 يكذب بالآيات بعد نزولها.

لو أنزل الله ملكًا من السهاء على البشر لزهقت أرواحهم من هول ما يشاهدونه، ولو جعله الله في صورة بشر لزعموا أنه بشر، فكان من رحمة الله أن أرسل إلى البشر رسلا منهم.

التفصيل:

أولا. الآيات والمعجزات عطاء الله لمن يشاء ولا دخل لنبي في ذلك، وتعليق الإيمان عليها شأن المكذبين:

هذه شبهة طالما أثارتها كثير من الأمم النها و المكذبة لرسلها، فقوم عاد قالوا لنبي الله هود المنية:

﴿ يَكُو مُا حِثْنَا بِبَيِنَةِ وَمَا نَحَنُ بِسَارِكِي وَالِهَ لِمَا عَنُ وَمَا نَحَنُ بِسَارِكِي وَالهَلِنَا عَن وَوَ لِكَ وَمَا نَحَنُ لِكَ بِمُوْمِنِين ﴿ وَمَا نَحَنُ بِسَارِكِي وَالسَدِين وَ السَدِين وَ السَدِين وَمَا نَحَنُ لَكَ بِمُوْمِنِين ﴿ وَالسَدِين وَ السَدِين فَوَ اللهِ اللهِ الله الله ما الله المنافقة الله المنافقة الله والله والمعجزة نقتر حها عليكم، وقوم ثمود قالوا لنبي الله صالح المنافقة: ﴿ فَأْتِ بِثَايَةٍ إِن كُنتَ مِن الصَّلِقِينَ الشَّالِوقِينَ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ ا

أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِنْبَا نَقَرَوُهُ ﴾ (الإسراء).

وعن ابن عباس - رضي الله عنها - قال: قالت قريش للنبي الله : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك، قال: "وتفعلون"، قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل المنظ فقال: "إن ربك المنظ يُقْرِأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذّبته عذابًا لا أُعذّبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة"، قال: "بل باب التوبة والرحمة".

ثانيًا. تكذيب الأولين بالآيات عنادًا واستكبارًا هو سبب منع الإتيان بها:

وقد ردَّ القرآن على هـؤلاء المعانـدين في كـل عـصر بالردود التالية:

إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، من مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنها (٢١٦٦)، والحاكم في مستدركه، كتاب الإيهان (١٧٤)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

الأمر في ذلك، كما قال الرسل لقومهم: ﴿ وَمَا كَاتَ لَنَا آ أَن نَا أَتِيكُم بِسُلُطَننِ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (إبراهيم: ١١).

 بيّن الله ﷺ أن هؤلاء المعاندين من المشركين مهما أتتهم الآيات الواضحات والبيّنات الظاهرات فلن يؤمنوا، وذلك لاستكبارهم وعنادهم، وكم سبقهم من أناس في التكذيب والتضليل جاءتهم رسلهم بالبينات، فها زادهم ذلك إلا عنادًا فوق عنادهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمُ أَنَّهَا ۚ إِذَا جَأَةَتَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ﴿ ﴾ (الانعام)، أي فها يدريكم بصدقهم في هذه الأيهان التي يقسمون بها، وأن هذه الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ اللهُ وَلَوْجَاءَ تُهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَ (يونس)، وقال أيضًا: ﴿ وَمَا مَنَعَنَاۤ أَن نُرْسِلَ بِٱلْأَيَنتِ إِلَّاۤ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (الإسراء: ٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ فَنَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ (اللَّهُ لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَلُونَا بَلْ نَعْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ١٠٠٠ ﴿ (الحجر)، وقال ﷺ أيضًا: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوُّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوجٍ وَعَكَادٍ وَتَسُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِ هِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ. وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا نَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ١٠٠٠ ﴾ (إبراميم).

وكأن القرآن يريد أن يقرر لهؤلاء أنه إذا لم تقنعهم آيات القرآن وما اشتمل عليه من أدلة نقلية وعقلية وعلمية، فلن يقنعهم ما يرونه من الآيات الحِسِّية، بل قد يدعون أن أعينهم أصابتها آفة وخدع وتخييل، فلا ترى إلا صورًا خيالية أو تحسب ذلك سحرًا، فهم دائهًا

معاندون معارضون، قال ﷺ: ﴿ وَمَا تَأْنِيهِ مِ مِنْ ءَايَةِ مِنْ اَيَةِ مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَةِ مِنْ ءَايَتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَ أَيْضًا: ﴿ وَمَا يَأْنِيهِم مِن ذِكْرِ مِنَ ٱلرَّمْنِ مُحْلَثُ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (الشعراء).

ثالثًا. طلب اليهود والمشركين من النبي ﷺ إنزال كتاب من السماء لم يكن بقصد الحجة لأجل الاقتناع، ولكن على سبيل التعنت والتعجيز؛

سؤال اليهود ـ وكذلك المشركون من بعدهم ـ هذا هو من قبيل تعنتهم وتعجيزهم وجهلهم بحقيقة الدين، وهذه عادتهم، وذلك شأنهم في كثير من مواقفهم مع موسى النه مع رسول الله من اليهود المعاصرين له، وهم هنا يسألون رسول الله أن أن ينزل عليهم كتابًا مكتوبًا من السهاء كالألواح التي ينزل عليهم كتابًا مكتوبًا من السهاء كالألواح التي أزلت على موسى النه أو أنهم أرادوا كتابًا خاصًا بهم، أو أنهم كانوا يريدون لكل واحد منهم كتابًا مستقلًا، كما قال الله في بريدون لكل واحد منهم كتابًا مستقلًا، كما قال الله فقد كان كل واحد من المشركين يريد أن ينزل عليه كتاب كما أنزل على النبي في النبي الله كتاب كما أنزل على النبي الله كتاب كما أنزل عليه كتاب كما أنزل عليه كتاب كما أنزل عليه كتاب كما أنزل عليه كتاب كما أنزل على النبي الله كما أنزل على النبي الله كناب كما أنزل على النبي الله كما أنزل على النبي الله كناب كما أنزل على النبي الله كما أنزل على النبي الله كله كناب كما أنزل على النبي الله كله كناب كما أنزل على النبي الله كما

وهؤلاء اليهود يطلبون ذلك من رسول الله ﷺ لا

بقصد طلب الحجة لأجل الاقتناع، ولكن على سبيل التعنت والتعجيز.

ومن ردِّ القرآن عليهم أيضًا في هذا الشأن أنْ بيِّن أنّ هؤلاء اليهود وأمثالهم من المشركين لن يقفوا عند حدّ في مطالبهم التعجيزية، والدليل على ذلـك أنهـم سـألوا موسى أكبر من سؤال النبي ري أن ينزل عليهم كتابًا من السهاء؛ إذ سألوه أن يروا الله علانية، وكلا السؤالين يدل، على جهلهم وعنادهم، أما سؤال إنزال الكتاب فهو يدل على أحد أمرين: إما أنهم لا يفهمون معنى النبرة والرسالة على كثرة ما ظهر فيهم من الأنبياء والرسل، ولا يميزون بين الآيات الصحيحة التي يؤيِّد الله بها رسله، وبين سائر الأمور المستغربة كحيل السحر والشعوذة لمخالفتها للعادة، وقد بيَّنت لهـم كتُبهم أنـه يقوم فيهم أنبياء مدّعون كذبة، وأن النبي يُعْرَف بدعوته إلى التوحيد والحق والخير لا بمجرد آية أو أعجوبة يعملها، وإما أنهم معاندون يقترحون ما يقترحون تعجيزًا ومراوغة، وأيًّا مّا قصدوا من هذين الأمرين فلا فائدة في إجابتهم إلى ما سألوا.

ثم بين القرآن عقب ذلك أن هؤلاء جاءتهم البينات والآيات الواضحات من موسى الطيخ كاليد والعصا وفلت البحر والحجر وتظليل الغمام وإنبزال المن والسلوى، وإنجائهم من عدوهم والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ورفع الطور فوقهم وبعثهم بعد موتهم وإنزال الألواح والتوراة، ورغم كل ذلك فقد اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم هذه الآيات، قسال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَغَذُوا العِجْلِ مِنْ بَعَدِ مَا جَاءَتُهُمُ وَالنساء: ١٥٣)، فهؤلاء يطلبون منك لاعلى

سبيل الاقتناع وإنّما تعنُّتًا وعنادًا وتعجيزًا؛ ولذا لن يُجابوا إلى طلبهم فهم مفترون كندّابون مطبوع على قلوبهم فلا يؤمنون.

رابعًا. رحمة الله بالمشركين في عدم إجابة مطالبهم:

هذه المقالة كم قالها كثير من المكذبين لرسلهم الذين أرسلوا إليهم، وملّة الكفر واحدة تشابهت قلوبهم، ففرعون يقول عن موسى الكين: ﴿ فَلَوْلَا أَلَقِي عَلَيْهِ فَفرعون يقول عن موسى الكين: ﴿ فَلَوْلَا أَلَقِي عَلَيْهِ أَسْوِرَهُ مِن ذَهَبٍ ﴾ (الزخرف: ٥٠)، وهؤلاء يقولون عن رسول الله على: ﴿ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزُأُو تَكُونُ لَكُهُ جَنَّةً وَسُول الله عَلَيْهِ الفرقان: ٨).

بل يعلِّق الكفار والمشركون إيهانهم على تحقيق الرسول لهم بعض الخوارق أو المعجزات فهم يقولون له: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُوْمِنَ لَكَ حَتَى تَفْجُر لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَلْبُوعًا لَه: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُوْمِنَ لَكَ حَتَى تَفْجُر لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَلْبُوعًا لَنَ اللهُ الله

لِيُوْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الأنعام: ١١١).

وبيّن الله تعالى أيضًا لهم أن سُنَّة الأمم المرسَل إليهم قبلهم هي التكذيب بالآيات، وقيد جرت سُنّة الله فيهم أنه لا يؤخُّر عنهم العذاب إن كنَّبوا بها بعد نزولها، كما قال تعالى عن عيسى الطِّيلاً والحواريين بـشأن قصة المائدة: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْتُكُمْ ۖ فَمَن يَكُفُّرُ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّ أُعَذِّبُهُ. عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ. أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَلَمِينَ السَّاكِ (المائدة)، وأخبر الله تعالى أيضًا عن ثمود حين سألوا صالحًا الطَّيْكُمْ آيةً؛ فأخرج لهم الناقة من صخرة عَيَّنوها، ثم ظلموا بها وكفروا بمن خلقها وعقروها، فـأهلكهم الله عَلَى: ﴿ وَءَالَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيْنَتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ١٠ ﴿ ﴿ (الإسراء)، فشأن الأمم السابقة أنهم يطلبون الآيات، ثم إذا أُجيبوا لطلبهم كفروا بهـا فعـذبهم الله؛ ولـذا قـال الله تعـالى رادًا عليهم: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُرُسِلَ بِٱلْآيَنتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾

ومن ردود القرآن الكريم عليهم أيضًا قوله على لسان نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَقِي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا

رَسُولًا (الإسراء)، أي يتنزّه ربِّي عن أن يعجز عن شيء من ذلك، وما أنا إلا بشر أتبع ما يوحى إليَّ من ربِّي ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحدًا من البشر أتى بهذه الآيات؟!

ثم إنه ليس لي أن أتخيّر على ربي ولم تكن الرسل قبلي يأتون أعمهم بكل ما يطلبونه، وسبيلي سبيلهم، وكانوا يقتصرون على ما آتاهم الله من آياته الدّالة على صحّة نبوّتهم، فإذا أقاموا عليهم الحجة لم يجز لقومهم أن يقترحوا غيرها، ولو وجب على الله أن يأتيهم بكل ما يقترحونه من الآيات لوجب عليه أن يأتيهم بمن يغتارونه من الرسل، ولجاز لكل إنسان أن يقول: لا أومن حتى أُوتي بآية خلاف ما طلب غيري، وهذا يئول إلى أن يكون التدبير إلى الناس، وإنها التدبير إلى الناس، وإنها التدبير إلى الله على ولهذا ردّ عليهم فقال: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ﴾ (مود: ١٢)، فعليك أن تنذرهم لا أن تأتيهم بها يقترحون من الآيات.

خامسًا. الحكمة في كون الرسول من البشر:

وبذلك جمعوا بين الاقتراحين، وكان النبي ﷺ قــد

إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، من مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنها (٢١٦٦)، والحاكم في مستدركه، كتاب الإيمان (١٧٤)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

أخبرهم بأنه ينزل عليه الملك، وكأنهم ظنُّوا أن مساواتهم له الله في البشرية تقتضي مساواته في الاستعداد لرؤية الملائكة وتلقِّي العلم عنهم، وهذه من أقوى شُبه الكفار على الوحي، فإنهم لغرورهم بأنفسهم ينكرون كل ما لا يصلون إليه بأنفسهم.

وقد ردَّ الله عليهم هذين الاقتراحين بها يلي:

1. أن الله لو أنزل ملكًا كها اقترحوا لَقُضي الأمر بإهلاكهم شم لا يُمْهَلُون ولا يُوَخُرُون ليؤمنوا، بل يأخذهم العذاب عاجلًا، كها مضت به سنة الله فيمن قبلهم ممن قامت عليهم الحجة، وذلك أنهم كانوا إذا اقترحوا آية وأعطوها ولم يؤمنوا يعذبهم الله بالهلاك والاستئصال، قال الله في ما نُنزِلُ ٱلمَكتمِكة إلا يألَيَ وَمَا كَانُوا إذا أَمُنظرِينَ فَلَى المجري، وقال أيضًا: ﴿ يَوْمَ وَمَا كَانُوا إذا مُنظرِينَ فَي مَمْ لِللهِ المجري، وقال أيضًا: ﴿ يَوْمَ الله عَلَى لا يريد أن يستأصل هذه الأمة المحمديّة التي بعث فيها خاتم الرسل نبي الرحمة، إذ الرحمة العامة تنافي هذا العذاب العام: ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ إِلَا رَحْمَةُ لا يُعْلَمُ مِن الأنهاء؛ ولذا قال الله في الرد عليهم: يُظرُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ إِلَا مَمْ ثُمَّ مُنكُ مُكَا لَقُضِيَ ٱلأَمْنُ ثُمَّ لا يُنظرُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ اللَّهُ فِي الرد عليهم: يُظرُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ اللَّهُ فِي الرد عليهم: يُظرُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ الْمُعْمُ ثُمَّ لا يُنظرُونَ اللهِ فَي الرد عليهم: يُظرُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ المُعْمَى الْأَمْنُ ثُمَّ لا يُنظرُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ اللَّهُ فِي الرد عليهم: يُظرُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلَنكَ الْمُعْمَى الْمَامِ الله الله في الرد عليهم: يُظرُونَ وَاللَّهُ أَوْلَا أَنْ لَعَلَيْكُمْ مَلكُ وَلَوْ أَنزَلنا مَلكا لَقُضِيَ الْأَمْنُ ثُمَاللهُ اللهُ فِي الرد عليهم: يُظرُونَ ﴿ الأَنهُ اللهُ عَلَيْهُ مَلَكُ وَلَوْ أَنزَلنا مَلكا لَقُضِيَ الْأَمْنُ ثُمَالًا الله في الرد عليهم: يُظرُونَ ﴿ الأَنهامِ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكُ وَلَوْ أَنزَلنا مَلكا لَقُضِيَ الْأَمْنُ ثُمَالًا اللهُ فِي الرد عليهم المُنامِ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكُ وَلَوْ أَنزَلنا مَلكا لَقُضِيَ الْمَالِعِلْ اللهِ فَي المَالمُسُلَّا لَكُونَ الْمَامُ اللهُ فَي المِن اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ فِي المَليهِ المَامِونَ المُنامِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنامُ اللهُ المُنامُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنامُ المُنامُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنامُ المُنامُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنامُ المُنامُ المُنامُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنَامُ المُنَامُ المُنَالِهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنامُ اللهُ المُنامُ المُنامُ ال

٢. أنهم لو شاهدوا الملك بصورته الأصلية كها يطلبون لزهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون، قال ابن عباس: لو رأوا الملك على صورته لماتوا؛ إذ لا يطيقون رؤيته، وقال الله في الرَّضِ فَل لَوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَيَهِم ٱلسَّمَاء مَلَيَهِم ٱلسَّمَاء مَلَكَ رَسُولًا الله الإسراء).

٣. أن الله لو جعل الرسول مَلكًا لَجَعل المَلكَ مَتمثّلًا في صورة بشر، حتى يتمكّنوا من رؤيته وسماع كلامه الذي يبلِّغه عن الله ﷺ، ولو جعله ملكًا في صورة بشر لاعتقدوا أنه بشر؛ لأنهم لا يدركون منه إلا صورته وصفاته البشرية التي تَمَثّل بها.

الخلاصة:

حكى القرآن بعض المقترحات المتعنتة التي كان
 يقترحها المشركون على رسول الله، وأقسموا بالله

• سبب منع نزول الآيات التي يطلبونها هو فساد آبائهم وعدم امتثالهم وتكذبيهم كفرًا واستكبارًا، فضلًا عن أنهم إذا لم يؤمنوا بالآيات القرآنية فلن تنفعهم آيات حسية أخرى، كما أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الآيات فسوف يهلكهم الله كما أهلك المكذبين قبلهم حين لم يؤمنوا بتلك الآيات الحسية التي طلبوها واستجاب الله لهم فيها، ومن ثم فعدم استجابة مطالبهم هو رحمة بهم.

• طلب اليهود والمشركين من النبي التَّعنُّت والتعجيز عليهم كتابًا من السهاء كان من باب التَّعنُّت والتعجيز لا من باب الاقتناع؛ حيث إن اليهود نزلت عليهم آيات من قبل أنبيائهم فقتلوهم، والمشركون جاءتهم الآيات من قبل كمعجزة شق القمر، ولكنهم لم يؤمنوا.

SA PAS

الشبهة الخمسون

دعوى تعليق الإيمان بالرسل حتى يتحقق ما وعدوا به من العذاب وقيام الساعة (*)

مضمون الشبهة :

يتساءل المشركون والكافرون عن وقت الوعد الذي وعدهم به الرسل، ويقولون: متى هذا الوعد حتى نصدً قكم فيها تزعمون؟! وجذا يستعجلون العذاب ويسألون عن وقته، ويستبعدون قيام الساعة والبعث وذلك لعدم عودة آبائهم الموتى. قال عن عند في أفير وأذ في الله الله الله الله المناه الموتى عن عندك فأمطر عكن عكن المناه المناه الموتى عند في المناه وقال المناه ا

وجها إبطال الشبهة:

 ۱) استبعاد المشركين والكافرين وقوع العذاب ومجىء يوم القيامة.

٢) الآيات والساعة والعذاب أمورٌ مردها إلى
 الله تبارك وتعالى فقط، وإذا أتى العذاب لا ينفع نفسًا

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (يونس/ ٤٨، النمل/ ١٧، الأعراف/ ٢٠، الأعراف/ ٢٠، الأعراف/ ٢٠، الأعراف/ ٢٠، الأعراء/ ٢٠، الرعد/ ٢٠، الإسراء/ ٢٠، السنعراء/ ١٨٧، العنبكوت/ ٢٠، ٥٠، يس/ ٤٨، الأنبياء/ ٣٨، سبأ/ ٢٠، الملك/ ٢٥، المعارج/ ١، الجن/ ٢٤، ص/ ١٦).

الآيات التي ورد فيها الردعلى الشبهة: (يونس/ ٤٩: ٥١، النمل/ ٧٧، الأحقاف/ ٢٣، هود/ ٨، ٣٣، الرعد/ ٦، فاطر/ ٥٤، الإسراء/ ٩٣، طه/ ١٣٤، القصص/ ٤٧، الشورى/ ١٨، الجن/ ٢٥، الأنفال/ ٣٣، النحل/ ٦١).

التفصيل:

أولا. استبعاد المشركين والكافرين وقوع العناب وقيامر الساعة:

يستبعد المشركون والكفار يـومَ القيامــة، ويقولــون لرسول الله ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين: متى يقع هـذا الوعد الذي تعدوننا به إن كنتم صادقين في قـولكم أنَّ الله ﷺ سينتقم لكم منا وينصركم علينا، وهكذا كان أقوام الرسل _ عليهم السلام _ من المكذبين يقولون لرسلهم: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ هود الطِّينَا: ﴿ فَأَلِنَا بِمَا تَهِدُنَاۤ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ 💞 ﴾ (الأعراف)، وكما قال قوم نـوح الطِّيعًا له: ﴿ فَأَلِنَا بِمَاتَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلِدِقِينَ اللهِ (مود)، وكما قال قـوم صـالح الطِّيلا لـه: ﴿ أَتْتِنَا بِمَا تَعِدُنَاۤ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ الله ﴿ الاعراف)، وكما قال أصحاب مدين لشعيب العَيْلًا: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ ﴿ السَّعِراء)، وكما قال قوم لوط الطَّيْنِ ﴿ له: ﴿ أَتْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ (العنكبوت)، وقالت قريش لرسول الله ﷺ: ﴿ ٱللَّهُ مَّ إِن كَاكَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِـرْ عَلَيْـنَا حِجَـارَةً مِّنَ ٱلسَّكَمَآ وَأُواتَٰتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيهِ ﴿ اللَّهُ ﴿ (الْأَنْصَالَ)، ومشل ذلك كثير في القرآن الكريم.

ثانيًا. الآيات والساعة أمور لا يعلمها إلا الله، وعدمر وقوع العذاب بقوم النبي وكلامة من الله له:

وقد لقَّن الله ﷺ الجواب عليهم في مواطن عدة من كتابه، ومن ذلك:

ومثل ذلك قوله ﷺ: ﴿ قُل لَا آمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكَثَرْتُ مِنَّ الْغَيْبَ لَاسْتَكَثَرْتُ مِنَ الْغَيْرِ وَمَا مَسَنِى السُّوَةُ ۚ إِنْ أَنَا ۚ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ مِنَ الْغَيْرِ وَمَا مَسَنِى السُّوَةُ ۚ إِنْ أَنَا ۚ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ مِنَ الْغَيْرِ وَمَا مَسَنِى السُّوَةُ ۚ إِنْ أَنَا ۚ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ لِمَا مُنْ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُولَالِمُ اللَّهُ الْمُلِلَّةُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْلِمُ اللَّهُ الْمُلِلْمُ اللَّلْمُ اللَّالْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللْمُؤْمِلُولَ الْمُلِ

٥. وأما قول كفار قريش: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُو اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُو اللَّحَقّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْمَا حِجَارَةً مِّنَ السّكَمَاءِأُو المُتَعَا بِعَدَابٍ أَلِيمٍ ﴿ الْأَنْمَالَ)، فهــٰذا مــن كثــرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعُتوَّهم وسَفههم،

وهذا مما عيبوا به؛ إذ كان الأولى أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ووفقنا لاتباعه، ولكنهم استفتحوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب وتقديم العقوبة، كما قال الله في ويَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَيْ الْمِنْكُم بَغْتَةً وَهُم لا وَلَيْلَا أَجُلُ مُستَى لِمَا عُمْدُ الْعَذَابِ وَلِيَ بَعْتَةً وَهُم لا يَشْعُرُونَ السّعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلِنَ جَهَنّم لَمُحِيطَةً المَحْدِينَ الله المنكبوت).

الخلاصة:

• لم يكتف المشركون والكافرون _ كغيرهم من كفار الأمم السابقة _ بالإعراض عن دعوة الحق، بل قالوا لرسولهم الله الذي حذرهم من عذاب الله إذا ما استمروا في كفرهم: متى يقع علينا هذا العذاب الأليم الذي تهددنا به؟ إننا نتعجله فأت به إن كنت من

الصادقين في دعواك أن هناك عذابًا ينتظرنا، وهذا القول منهم يدل على توغلهم في الكفر والجحود وعدم اكتراثهم بها يخبرهم به الرسول .

• لقّن الله نبيه ﷺ الجواب على هؤلاء المشركين في مواطن عدة من كتابه؛ منها: أنه ﷺ بشر لا يملك لنفسه ضرَّا ولا نفعًا، والضر والنفع بيد الله كان، ويوم أن تقع الساعة لا ينفع نفسًا إيانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيهانها خيرًا، ويخبرهم الله تعالى أنه لا يعذبهم والرسول ﷺ بينهم؛ كرامة منه ﷺ لنبيه ﷺ.

الشبهة الحادية والخمسون

تعليق الإيمان بالرَّسول ﷺ حتى يأتي بقربان ٍتاكلُه النَّار (*)

مضمون الشبهة:

يزعم اليهود أن الله عَهِد إليهم في كتبهم ألا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن يأتي بقربان يتقرب به إلى الله، فتنزل نار من السهاء تأكل هذا القربان، قال تعالى: ﴿ اللَّذِيكَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُوْمِنَ لِلسَّاءِ لَكُمُ النَّارُ ﴾ (آل عمران: ١٨٣).

وجها إبطال الشبهة:

ا زعم اليهود باطل؛ لأن كون الإتيان بقربان
 تأكله النار وإن كان معجزة لبعض الرسل؛ فهذا لا يلزم

أن يكون معجزة لكل رسول.

لقد جاء الكثير من الأنبياء بالمعجزات
 والبراهين التي طلبها اليهود، وعلى الرغم من هذا لم
 يؤمنوا بهم، بل كذبوا بعضهم وقتلوا بعضهم الآخر.

التفصيل:

أولا. الإتيان بقربان تأكله النار وإن كان معجزة لبعض الرسل، فهذا لا يستلزم أن يكون معجزة لكل رسول:

لقد ذكر جماعة من المفسرين أن بعض اليهود منهم: كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء، وحيي بن أحطب، وغيرهم، أتوا النبي وقالوا له هذا القول، وهو: ﴿إِنَّ اللَّهُ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانِتَأْكُهُ أَلنَّارُ ﴾ (آل عمران:١٨٣).

والقربان: هو ما يُتقرَّب به إلى الله من نعم أو غير ذلك، ومقصدهم من وراء هذا القول الذي حكاه القرآن عنهم أن يظهروا أمام الناس بمظهر المحافظين على عهود الله. وأنهم ما تركوا الإيمان بالنبي على حسدًا له، وإنها تركوا الإيمان به؛ لأنه لم يأتِ بالمعجزات التي أتى بها الأنبياء السابقون، فهم معذورون إذا لم يؤمنوا به؛ لأنه ليس نبيًا صادقًا في زعمهم.

ولا شك أن قولهم هذا ظاهر البطلان، لأن الإتيان بالقربان إذا كان معجزة لرسول لا يستلزم أن يكون معجزة لكل رسول، إذ إن آيات الله في إثبات رسالات رسله متعددة النواحي، مختلفة المناهج، وكون هذا الإتيان بالقربان الذي تأكله النار معجزة لبعض الرسل لا يستدعى أن يكون معجزة لجميعهم (۱).

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (آل عمران/ ١٨٣).

الآيتان اللتان ورد فيهما الرد على السبهة: (آل عمران/ ١٨٣،

التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٤، ٤٧٥ بتصرف يسير.

وقد حصل هذا في زمن موسى الطّيّة حين ذُبح أوّل قُربان على النحو الذي شَرعه الله لبني إسرائيل، فخرجت نار من عند الرّب فأحرقته، إلّا أنها معجزة لا تطّرد لسائر الأنبياء كما زعمه اليهود؛ لأنَّ معجزات الرسل تجيء على ما يناسب تصديق الأمّة، وفي الحديث: "ما من الأنبياء نبي إلَّا أعطى ما مثله آمَن عليه البشر، وإنّا كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يوم القيامة"(١)(٢).

ثانيًا. إنكار القرآن عليهم قتلهم أنبياء الله ﷺ الذين جاءوهم بما طلبوا:

أي: قل لهم يا محمد: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلُ مِن قَبْلِ ﴾ كثير عددهم ﴿ بِالبَيِنَاتِ ﴾، أي: بالحجج الواضحة، وبالمعجزات الساطعة الدالة على صدقهم ﴿ وَبِاللَّذِي قُلْتُمْ ﴾، أي: وجاءكم هؤلاء الرسل بالقربان الذي تأكله النار ﴿ فَلِمَ قَتَلَتُمُوهُمْ ﴾ بعد أن جاءوكم بتلك المعجزات الباهرة ﴿ إِن كُنتُمْ صَلاقِينَ ﴾ في دعواكم الكم تتبعون الحق وتطيعون الرسل متى أتوكم بها أنكم تتبعون الحق وتطيعون الرسل متى أتوكم بها

يشهد بصدقهم؟

فالجملة الكريمة تردعلى هؤلاء اليهود بأبلغ الوجوه التي تثبت كذبهم فيها يدعون، لأن قتلهم للأنبياء بعد أن جاءوهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صدقهم دليل على أن هؤلاء اليهود قد بلغوا منتهى الجحود والظلم والعدوان، وأن دعواهم أن إيهانهم بمحمد والقلم على مجيئه بالقربان الذي تأكله النار دعوة كاذبة؛ لأن من جاءهم بالقربان كان جزاؤه القتل دعوة كاذبة؛ لأن من جاءهم بالقربان كان جزاؤه القتل

ويؤكد هذا قول الفخر الرازي: "وقد بين الله بهذه المدلائل أنهم لا يطلبون هذه المعجزة على سبيل الاسترشاد، وإنها على سبيل التعنبُ وذلك لأن أسلافهم طلبوا هذه المعجزة من الأنبياء المتقدمين؛ مثل: زكريا ويحيى وعيسى، فلها أظهروا لهم هذه المعجزة سعوا في قتلهم بعد أن قابلوهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة، وذلك يدل على أن مطالبهم كانت على سبيل التعنت، إذ لو لم يكن الأمر كذلك لما سعوا في قتلهم، ومتأخرو اليهود راضون بفعل متقدميهم. وهذا محتفي كونهم متعنتين - أيضا - في مطالبهم؛ ولهذا لم يجبهم الله فيها"(٢).

الخلاصة:

• لقد أراد اليهود أن يتملصوا من الإيهان بصدق محمد الله بحجة أنه لم يأتهم بالمعجزات التي جاء بها الأنبياء السابقون كالإتيان بقربان تأكله النار، وقولهم هذا باطل؛ لأن الإتيان بالقربان إذا كان معجزة لرسول

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب
 كيف نزول الوحي وأول ما نزل (٤٦٩٦)، ومسلم في صحيحه،
 كتاب الإيان، باب وجوب الإيان برسالة نبينا محمد 業 إلى جميع الناس (٤٠٢).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣.
 ج٤، ص١٨٥.

۳. التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٦، ٤٧٥.

لا يستلزم أن يكون معجزة لكل رسول.

• قدردالله عليهم شبهتهم هذه بأن الرسل جاءوهم من قبل بالبينات والحجج والبراهين الواضحة، فلِمَ قتلوهم وقابلوهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة إن كانواحقًا يتبعون الحق وينقادون للرسل؟

AND DES

الشبهة الثانية والخمسون

دعوى أن عدم الإتيان بالآباء الموتى دليلٌ على كذب الرُسل (*) ®

مضمون الشبهة:

ينكر المشركون البعث والمعاد والحياة بعد المات ويقولون: لا بعث ولا نشور ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ماتوا ولم يرجعوا، فإن كان البعث حقًا، فليأت الرسل والأنبياء بالآباء حتى نصدقهم فيها جاءوا به. يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنُنَا بَيْنَتِ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَا أَنْ وَالْمَا إِنَا أَنْ كُنتُمْ صَلاقِينَ اللهِ المائية).

وجوه إبطال الشبهة:

- ان البعث بعد الموت لا يكون في هذه الحياة الدنيا، إنها هو يوم القيامة، بعد انقضاء الدنيا وفراغها.
- ٢) إن اعتراض المشركين على البعث بعد الموت لا

(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (الدخان/ ٣٦، الجاثية/ ٢٥).

الآيتان اللتان ورد فيهما الرد على الشبهة: (الدخان/ ٣٧، الجاثية/ ٢٦).

® في "إنكار عقيدة البعث في الفكر الإلحادي" طالع: الشبهة التاسعة، من الجزء السابع (الإيهان والتدين).

يقوم على حجة أصلا، بل هو مجرد سفسطة أشبه بالبهتان.

٣) الله هو المحيي وهو الذي خلق الناس من عدم،
 وهو القادر على البعث والإعادة بطريق الأولى.

التفصيل:

أولا. البعث والمعاد يكونان يوم القيامة لا في الدار الدنيا:

إن لهؤلاء المشركين في نَفْي الحياة بعد الموت أفانين من أقوال الجحود، وهم هنا ينفون البعث بحجة أن الأموات السابقين لم يرجع أحد منهم إلى الحياة، وهذا سفسطة منهم؛ لأن البعث الموعود به لا يحصل في الحياة الدنيا(١).

قال ابن كثير: وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنها هو يوم القيامة لا في دار الدنيا، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها، يعيد العالمين خلقًا جديدًا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا.

ولقد أنذرهم ﴿ بأسه الذي لا يُردُّ كما حلَّ بأشبهاههم من المشركين بقوله ﴿ أَهُمْ خَيْرُ أَمْ قَوْمُ لَمُ بَعْدِهِ مَا المُشركين بقوله ﴿ أَهُمْ كَانُوا بُحْرِمِينَ اللهُ اللهُ عَلَيْكُنَاهُمُ لَا إِنَّهُمْ كَانُوا بُحْرِمِينَ اللهُ ﴾ (الدخان) (٢).

أي: هم ليسوا خيرًا من قوم تُبَّع والأمم المكذّبة بالبعث والساعة من قبل وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعًا، فلم الجّوا في طغيانهم أهلكهم الله، وإن مصير هؤلاء المشركين إذا ما استمروا في عنادهم

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٢٥، ص٧٠٧، ٢٠٨.

۲. محاسن التأويل، القاسمي، مرجع سابق، ج٨، ص١٦.

سيكون كمصير قوم تُبَّع (١).

ثانيًا. اعتراض المشركين على البعث مجرد سفسطة أشبه بالبهتان:

وهذا القول من المشركين والمنكرين للبعث من أضعف الحجج، بل ليس فيه حجة على الإطلاق، يقول الزنخشري: فإن قلت: لم سُمِّي قولهم: "حجة"، وهو ليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلوا به كها يُدْلي المحتجُّ بحجته، وساقوه مساقها، فسُمِّيت "حجة" على سبيل التَّهكُم، أو لأنها في حسبانهم وتقديرهم حجة.

فبان مما سبق أن هذا ليس بحجة وإنها هو منهم سفسطة وشنشنة.

بل هذا تسجيل عليهم بالتلجلج عن الحجة البينة واللجوء إلى سلاح العاجز المكابر، والخروج عن دائرة البحث ومحل النزاع ولب القضية.

ثَالثًا. الله تعالى هو الذي بدأ الخلق وهو القادر على إعادته:

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية من سورة الدخان أن أبا جهل قال: يا محمد إن كنت صادقًا في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا أحدهما قصي بن كلاب؛ فإنه كان رجلًا صادقًا لنسأله عما يكون بعد الموت.

وهذا القول من أبي جهل من أضعف السبهات أيضًا؛ لأن الإعادة إنها هي للجزاء لا للتكليف، فكأنه قال: إن كنت صادقًا في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف، وهو كقول من قال: إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبناء فلم لا يرجع من مضى من الآباء؟!

فلما أنكروا البعث وكذّبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مُبكّت أُلزِموا ما هم مقرُّون به من أن الله على هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم إلى يوم القيامة، ومن كان قادرًا على ذلك كان قادرًا على الإتيان بآبائهم، وكان أهون شيء عليه.

الخلاصة:

- إنكار البعث بعد الموت بحجة عدم رجوع أحد من الأموات السابقين هو شبهة فاسدة؛ لأن البعث بعد الموت لا يكون إلا يوم القيامة بعد انقضاء الدنيا وفراغها.
- إن كلام المشركين في إنكار البعث ليس له حجة أصلاً، بل هو مجرد تعنت واستهزاء وسفسطة وبهتان،
 وإنها سمّى الله قولهم حجة تهكمًا واستهزاء بهم.

۱. التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج۱۳، ص١٦٦.

لقد رد القرآن الكريم على هؤلاء المشركين
 بالحجة الدامغة والبرهان العقلي، فإذا كان الله تعالى قد
 خلق الناس من عدم، فهو قادر على إعادة الخلق بطريق
 الأولى والأحرى.

AGES.

الشبهة الثالثة والخمسون

ادعاء المشركين أن سبب امتناعهم عن الإيمان هو عدم مجيء رسول لهم (*)

مضمون الشبهة:

ادعى كفار قريش أن السبب في عدم إيهانهم هو عدم مجيء رسول لهم، ولذا أقسموا بالله - قبل إرسال الرسول الله إليهم - أنهم إن جاءهم نذير ليكونن أهدى من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل، قال تعالى: ﴿ وَأَقَسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمُمِ فَلَمَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَا نَفُورًا اللهِ فَاطر).

وجها إبطال الشبهة:

- ا مقولتهم هذه تدل على أنهم كانوا على بصيرة من أمر الرسول ويعلمون صدق رسالته.
- ٢) أرسل الله الرسل فكُذِّبوا من أقوامهم عنادًا واستكبارًا وحسدًا.

التفصيل:

أولا. مقولة المشركين هذه تدل على علمهم بصدق الرسول :

هذه المقالة صدرت عن هؤلاء القوم قبل بعشة النبي ﷺ لما بلغهم أن اليهود والنصاري كذبوا الرسل، فصدرت عنهم في مجرى المحاورة والمفاخرة بينهم وبين بعض أهل الكتاب ممن يقدم عليهم بمكة أو يقدمون هم عليهم إلى يترب، أو بلاد الشام في أسفارهم، فربها كان أهل تلك البلدان يدعون المشركين إلى اتباع اليهودية أو النصرانية، فكان المشركون لا يجرءون على تكذيبهم؛ لأنهم كانوا مرموقين عندهم؛ إذ كانوا يفضلونهم بمعرفة الديانة وبأنهم ليسوا أمّين، وهم يأبون أن يتركموا دين الشرك، فكانوا يعتذرون بأن رسول القوم الذين يدعونهم إلى دينهم لم يكن مرسلًا إلى العرب، ولو جاءنا رسول لكنا أهدى منكم؛ وذلك كما قال ؟ ﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ ٱلْكِنْبُ عَلَى طَآيِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمَ لَعَنفِلِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِنْبُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾ (الانعام)، وهذا يشبه قوله ﷺ: ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرُ إِ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (المائدة: ١٩)، وكذلك قوله ١٠٠٠ ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ١٠٠٠ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٠٠٠ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ الله المُعْات).

وهذه الآيات _ وغيرها _ تدل على أنهم كانوا يعلمون صدق الرسل؛ ولذا ردَّ الله عليهم شبهتهم هذه بإرسال الرسل إليهم لكنهم لم يزدادوا إلا نفورًا واستكبارًا وعنادًا، قال على فَكَمًا جَآءَمُمُ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمُ

^(*) الآيات التي وردت فيها الـشبهة: (فـاطر/ ٤٢، الأنعــام/ ١٥٦، ١٥٧، الصافات/ ١٦٧: ١٦٩).

الآيات التي ورد فيها الردعلي الشبهة: (فاطر/ ٤٣،٤٣، المائدة/ ١٩، الأنعام/ ١٥٧).

إِلَّا نُفُورًا الله (فاطر)، وقال أيضًا: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَّيِكُم وَهُدَى وَرَحْمَةً ﴾ (الانسام: ١٥٧)، وقال أيضًا: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (المائدة: ١٩). والمعنى: أنّنا حققنا لكم ما كنتم تقسمون عليه فهلّا أحللتم قسمكم ووفيتم بوعدكم.

ثانيًا. سبب تكذيب هؤلاء المشركين للرسل هو الاستكبار والعناد والحسد:

ويبين الله على أيضًا أن الذي منعهم من الإيان بها جاء به الرسل هو استكبارهم وعنادهم، حيث يعلمون الحق ولا يتبعونه، قال الله السَّيّ الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيّ فَي (فاطر: ٤٢)، وقال الله أيضًا: ﴿ فَنَ أَظْلَمُ مِمَّن كُذَّبَ بِنَايَنتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ (الأنعام: ١٥٧)، وقال الله فكفَرُوا بِدِّ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ الله (الضافات).

وهذا التأكيد بالقسم مبني على اعتقادهم أنهم أكمل البشر فطرة، وأعلاهم استعدادًا لكل فضيلة، وكان اعتقادًا راسخًا في عقولهم متمكنًا من وجدانهم ومن أدلته ما رواه التاريخ لنا من المفاخرات بين بعض العرب والفرس، وإذا كانت قبائل العرب كلها تعتقد أن شعبهم أزكى من جميع الأعاجم فطرة وأذكى أفئدة وأعز أنفسًا وأكمل عقولًا وأفهامًا وأفصح ألسنة وأبلغ بيانًا، فها القول بقريش التي دانت لها العرب واعترفت بفضلها على غيرها منهم.

ولكن جمهور سادة قريش وكبرائها قد استكبروا بذلك وعتوا عتوًّا كبيرًا، حتى كذبوا بأعظم ما فضل الله به جيلهم وقومهم على جميع الأجيال والأقوام بالحق وهو القرآن وصدوا عنه وصدفوا عن آياته، فكان إقسامهم أنهم لو جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم المجاورة لهم حجة عليهم، وإن صدق على غيرهم من قريش ومن سائر العرب الذين اهتدوا بالكتاب فسادوا به جميع الأمم، وكانوا أثمة لها في دينها ودنياها ما داموا مهتدين به معتصمين بحبله، وإذا كان ذلك القسم صادرًا عن عقيدة راسخة فلا جرم أنه لو لم يأتهم النذير بهذا الكتاب المنير لاعتذروا

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٢٢، ص٣٣٢.

في الآخرة بهذا العذر(١).

الخلاصة:

- لقد كان مشركو العرب يتفاخرون على أهل الكتاب بأنهم لو جاءهم رسول ـ كها جاء أهل الكتاب لآمنوا به ولكانوا أهدى من جميع الأمم، وقد بين الله تبارك وتعالى بطلان زعمهم هذا، فأرسل إليهم ما كانوا يرجون فكفروا به على بصيرة من أمره وعلى علم بصدقه.
- إن السبب الحقيقي في امتناع هؤلاء المشركين عن الإيهان هو استكبارهم وعنادهم، إذ كانوا يعلمون الحق ولا يتبعونه، كما أخبر الله على عنهم في قوله:
 ﴿ أَسْتِكَبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِي ﴾ (فاطر: ٣٤).

AND DES

الشبهة الرابعة والخمسون

دعوى التشاؤم والتطيَّر من الرُّسل وأتباعهم ودعوتهم ^(*)

مضمون الشبهة :

ادَّعى المشركون والكفار على رسلهم بأنهم لم يجدوا على وجوههم ووجوه من اتبعوهم خيرًا، ويقولون لهم: إن أصابنا شر فإنها هو من أجلكم، ويتهكمون عليهم

سخرية وافتراءً قال ﷺ: ﴿ فَإِذَا جَاءَتُهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبَهُمْ سَيِّفَةٌ يَطَّيَرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَعَهُۥ أَلَا إِنَّمَا طَلِيْرُهُمْ عِندَ اللّهِ وَلَكِنَ أَحَةُرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ إِنَّهُ إِنَّا مَطَيْرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ إِنَّهُ إِنَّا مَطَيْرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَعَهُۥ أَلَا إِنَّا تَطَيَّرُوا بِكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ اللّهُ واللّه والمشركون النبي محمدًا ﷺ بالشؤم، والمشركون النبي محمدًا ﷺ بالشؤم، والخير به، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبّهُمْ سَيّتُهُ يَعُولُوا هُوا النّطير به، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبّهُمْ سَيّتُهُ يَعُولُوا هَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللمُ اللللللمُ الللللمُ الللللمُ اللللمُ اللللمُ الللللمُ الللللمُ اللللمُ اللللمُ اللللمُ اللللمُ اللللمُ الللمُ الللمُ اللللمُ ال

وجها إبطال الشبهة:

- البلاء بالشر والخير اختبار من الله، أما السؤم والتطير فراجع إلى من يتشاءم.
- الإصابة بالحسنة والسيئة لا دخل للرسول فيها؛ وإنها هو قضاء الله وقدره، فضلا عن كون ذلك انعكاسًا لحالة العبد من الطاعة والمعصية.

التفصيل:

أولا. الشر والخير ابتلاء من الله، أما الشؤم والتطير فراجع إلى الإنسان المتشائم:

هذه الفرية ـ وهي التشاؤم من الرسل والأنبياء ـ قالها كثير من الأمم الضالَّة المكذِّبة لرسلهم، فقد قال قوم صالح الطَّيِّلُ له: ﴿ قَالُواْ اَطَّيَرَنَا بِكَ وَبِمَن مَعَكَ ﴾ قوم صالح الطَّيِّلُ له: ﴿ قَالُواْ اَطَّيَرَنَا بِكَ وَبِمَن مَعَكَ ﴾ (النمل:٧٤)، وقوم موسى الطَّيِّلُ قال الله عنهم: ﴿ فَإِذَا جَاءَتُهُمُ الْحُسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَلَذِيَّهِ وَإِن تُصِبَهُمْ سَيِّنَةٌ يَطَيَرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَعَهُ ﴿ (الأعراف: ١٣١)، وأصحاب القرية _ وهي إنطاكية _ قالوا لرسلهم: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرُنَا بِكُمْ ﴾ وهي إنطاكية _ قالوا لرسلهم: ﴿ إِنَّا تَطَيِّرُنَا بِكُمْ ﴾ (بس: ١٨)؛ والمنافقون يقولون لرسول الله على ما أصابنا

۱. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٨، ص٥٠٠.
 (*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (يس/ ١٨، النمل/ ٤٧) النساء/ ٧٨، الأعراف/ ١٣١، الحج/ ١١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (يس/ ١٩، ١٩، النمل/ ٤٧، الأعراف/ ١٣١، السشوري/ ٣٠، النسساء/ ٧٨: ٨٠. النمل/ ٤٧، الحج/ ١١).

فهؤلاء يسندون الشر إلى الرسل، ويتهمونهم بأن ما أصابهم من قحط وجدب وبلاء هو بسبب اتباعهم للرسل، فأرشد الله الرسل أن يردُّوا عليهم تلك الدعوى وذلك الزعم، وأن يقولوا لهم إن طائركم معكم، وطائركم عند الله، قال الله في فَالُوا طَكِيرُكُم مَعَكُمْ في (بس: ١٩)، فالشؤم إنها يقع على من يتشاءم ولا يسمع المواعظ.

والتطير في الأصل: تكلف معرفة دلالة الطير على خير أو شر من تعرض نوع الطير ومن صفة اندفاعه أو مجيئه، ثم أطلق على كل حدث يتوهم منه أحد أنه كان سببًا في لحاق شر به فصار مرادفًا للتشاؤم.

وفي الحديث: "لا عَدوى ولا طِيرَة..."(١). وبهذا المعنى أطلق في هذه الآية الكريمة، أي قالوا: إنا تشاءمنا بكم.

ومعنى ﴿ يِكُمْ ﴾ بدعوتكم، وليسوا يريدون أن القرية حلّ بها حادث سوء يعمّ الناس كلهم من قحط أو وباء أو نحو ذلك من الضرّ العام مقارن لحلول الرسل أو لدعوتهم، وقد جوزه بعض المفسرين، وإنها معنى ذلك: أن أحدًا لا يخلو في هذه الحياة من أن يناله مكروه.

ومن عادة أصحاب الأوهام السخيفة والعقول المأفونة أن يسندوا الأحداث إلى مقارناتها دون معرفة أسبابها، ثم أن يتخيروا في تعيين مقارنات الشؤم أمورًا لا تلائم شهواتهم وما ينفرون منه، وأن يعينوا من المقارنات للتيمن ما يرغبون فيه وتقبله طباعهم، يغالطون بذلك أنفسهم شأن أهل العقول الضعيفة؛ فمرجع العلل كلها لديهم إلى أحوال نفوسهم ورغائبهم، كما حكى الله تعالى عن قوم فرعون: ﴿ فَإِذَا مَا تَصِبُهُمُ سَيِّتُهُ يُعَولُوا هَذِهِ عِن مشركي بِمُوسَىٰ وَمَن مّعَهُم الميّية الله الأعراف: ١٣١)، وحكى عن مشركي مكة: ﴿ وَإِن تُصِبْهُم سَيِّتُهُ يَقُولُوا هَذِهِ عِن عِن عِندِكَ ﴾ مكة: ﴿ وَإِن تُصِبْهُم سَيِّتُهُ يَقُولُوا هَذِهِ عِن عِن عِن عِندِكَ ﴾ مكة: ﴿ وَإِن تُصِبْهُم سَيِّتُهُ يَقُولُوا هَذِهِ عِن عِن عَن عَن مشركي من عَندِك ﴾ مكة: ﴿ وَإِن تُصِبْهُم سَيِّتُهُ يَقُولُوا هَذِه عِن عَن عَن عَن عَندِك ﴾ النساء: ٧٨).

ويجوز أن يكونوا أرادوا بالشؤم أن دعوتهم أحدثت اختلافًا بين أهل القرية، فلم تمالأت نفوس أهل القرية على أن تعليل كل حدث مكروه يصيب

١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الجذام
 (٥٣٨٠)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب
 السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة (٥٩٢٠).

أحدهم بأنه من جراء هـؤلاء الرسل اتفقت كلمتهم على ذلك فقالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ (بس: ١٨)؛ أي: يقولها الواحد منهم أو الجمع فيوافقهم على ذلك جميع أهل القرية.

ويقص القرآن خبر سيدنا صالح العَيْن حين قال لقومه الذين لشقائهم كان لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قالوا: هذا من قِبَل صالح العَيْن، فردَّ عليهم قائلًا: ﴿ قَالَ طَهَ بِرُكُمْ عِندَاللَّهِ ﴾ (النمل: ٤٧)، أي: فالله يجازيكم على ذلك، وبمثل ذلك رد موسى العَيْن على قومه قائلًا لهم: ﴿ إِنَّمَا طَلْبُرُهُمْ عِندَاللَّهِ ﴾ (الأعراف: ١٣١).

ومن ردِّ الرسل على أقوامهم أيضًا أن بيَّنوا لهم أن هذا البلاء وتلك النعمة إنها هو ابتلاء من الله لهم بالطاعة والمعصية؛ ولذا قال صالح الطَّيِّةُ لهم: ﴿ بَلَ أَنتُمُ مُثَمِّ تُفْتَنُونَ ﴿ بَلَ أَنتُمُ النمل).

ثانيًا. الإصابة بالحسنة والسيئة لا دخل للنبي بها، وإنما مردُّها لموقف العبد من الله:

لقد كان حال المنافقين النين دخلوا في الإسلام ظاهرًا، وهم كارهون له في الباطن، إذا أصابهم شر كمصيبة في أموالهم أو أهليهم أو أولادهم أو أبدانهم، فإنهم يقولون: أصابنا ذلك بشؤمك يا محمد وشؤم أصحابك، ويقولون: منذ أن جاءنا هذا الرجل والبلاء يحل علينا، وقد قلَّت ثهارنــا وضـعفت مواشــينا ومات أولادنا، فيسندون الـشر إلى اتّبـاعهم للنبـي ﷺ تشاؤمًا به وبدينه وما جاء به، ﴿ وَإِن تُصِبُّهُمْ سَيِّتَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾ (النساء: ٧٨)، أما إن أصابتهم حسنة من خصب ورزق وثهار وزروع وأولاد وماشية ونحـو ذلك أضافوا الحسنة إلى الله كَاللَّا: ﴿ وَإِن تُصِّبُّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ أَللَّهِ ﴾ (النساء: ٧٨)، فهم يضيفون الحسنة إليه ﷺ لا بشعور التوحيد الخالص، بل غرورًا بأنفسهم وزعمًا منهم أن الله أكرمهم بها عناية بهم، وهروبًا من الإقرار بأن شيئًا من ذلك أثر ما جاءهم بــه الرسول من الهداية، وما حاطهم به من التربية والرعاية، ولذلك كانوا ينسبون إليـه الـسيئة، وهـو ﷺ بريء من أسبابها.

وقد رد القرآن على هؤلاء معلمًا إياهم أن كلا من الحسنة والسيئة من عند الله بقضائه وقدره لوقوعها في ملكه على حسب سنته في نظام الأسباب والمسببات، وقضاؤه وقدره نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر، قال على: ﴿ قُلُكُم مِنْ عِندِ اللهِ هِ الشدة والرخاء كل ذلك والجدب والنصر والهزيمة والشدة والرخاء كل ذلك من عند الله على، ولا دخل للرسول فيها أصابكم من

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١١، ج٢٢، ص٣٦٢، ٣٦٣.

مصيبة وسوء.

ثم بيَّن الله لهم أن مقالتهم هذه قد صدرت عن شك وريبة وقلة فهم وضعف عقل وعدم فقه لحقائق الأمور، قال عَلَّد: ﴿ فَمَالِ هَكُولاً مَا الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿ السَاء).

أي: ماذا أصاب هؤلاء القوم وعقولهم حال كونها بمعزل عن الغوص في أعماق الحديث وفهم مقاصده وأسراره! فهم لا يدركون حقيقة حديث يلقونه ولا يعقلون حقيقة حديث يلقى إليهم، وإنها يأخذون ما يطفو من المعنى على ظاهر اللفظ بادئ الرأي، وإنها الفقه معرفة مراد صاحب الحديث من قوله وحكمته فيه من العلة الباعثة عليه والغاية له، وعلى العاقل الرشيد أن يطلب فقه القول دون الظواهر الحرفية، فمن اعتاد الأخذ بظواهر الأقوال دون ما رسب في أمنا الكلام وما تغلغل في أنحائه يبقى جاهلا طول حياته.

وهكذا فشؤم القوم متصل بذواتهم، ولم يجيء من قبل المرسلين، فالرسل ومن معهم ليسوا شؤمًا، وإنها سبب طول المضار والمصائب بهؤلاء القوم إنها هو عنادهم للرسل وتكذيبهم للأنبياء وشركهم بالله كالتا

ولهذا قدال ﷺ: ﴿ مَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَيَنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَيِن نَّفْسِكَ ﴾ (انساه: ٧٩).

وأهل الإيهان يعلمون هذه الحقيقة بأخبار الرسل، أما المشركون وأضرابهم من المنافقين وأصحاب العقائد الضالَّة فيسندون صدور الضرر والنفع إلى أشياء تقارن حصول ضرر ونفع فيتوهمون تلك المقارنة تسببًا، وهذا الفهم أيضًا من عادة أصحاب الأوهام السخيفة والعقول المأفونة أن يسندوا الأحداث إلى مقارنتها دون معرفة أسبابها، وأن يتخيَّروا في تعيين مقارنات الشؤم أمورًا لا تلائم شهواتهم وما ينفرون منه، وأن يُعيِّنُوا من المقارنات ما يرغبون فيه وتقبله طباعهم، يغالطون بذلك أنفسهم شأن أهل العقول المريضة.

الخلاصة:

- من الأشياء التي اعتادها المشركون والضالون دائمًا إسناد الشر والجدب إلى الرسل وأتباعهم، لكن الله أرشد رسله أن يردوا عليهم تلك الدعوى وذلك الزعم وأن يخبروهم أن طائرهم معهم والشؤم يقع على صاحبه.
- النعم والبلاء من أقدار المولى ﷺ ولا دخل للرسول فيها، وإنها هما من قضاء الله وقدره، فضلًا عن كون الإصابة بالنعمة والنقمة يكون انعكاسًا لحالة العبد وقربه من الله أو بعده عنه.
- حالة الاتهام للرسل وأتباعهم دائمًا هي دين
 الكافرين، وكأنهم تواطئوا على ذلك.

AGES

الشبهة الخامسة و الخمسون

اتِّهام الأنبياء والرُّسل بالجنون والسِّحْر والكذب والافتراء (*)

مضمون الشبهة:

يتَّهم المشركون المكذِّبون لدعوة الرسل رسلَهم بأنهم كذابون مفترون يتكلمون بها لا معنى له، وأن الرسول مفتر فيها يزعمه من أن الله أرسله إليهم واختصه من بينهم بالوحي، ويرمون رسلهم بالسحر والحذب والجنون، قال الله الله الذي مَا أَنَى الله يَن رَسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَلِحُ أَوْ بَعَنُونُ الله (الذاريات).

وجوه إبطال الشبهة:

 هذه مقولة كل الأمم المكذبة لرسلها على مرّ العصور.

إنكار هذه المقولة والتعجب من التوافق عليها،
 ولكن الكفر ملَّة واحدة تتشابه قلوب أصحابه.

٣) المشركون يعلمون صدق الرسول وبراءته من
 هذه التهم لكنهم يجحدون بآيات الله، ولكن ما على
 الرسول إلا البلاغ.

التفصيل:

أولا. توافق كل الأمم على هذه المقولة:

تلك مقولة الأمم المكذبة لرسلها على مرِّ العصور،

(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (هود/ ٥٤، المؤمنون/ ٥٤، ١٨٦، ١٥٨، ١٥٨، ١٨٦، ١٨٦، السبأ/ ٨، ص/ ٤، الذاريات/ ٣٩، ٢٥، القمر/ ٩، ٢٥، الصف/ ٦). الآيات التي ورد فيها الدعل الشبهة: (البقة ة/ ١١٨، الأنعام/

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١١٨، الأنعام/ ٣٣، النمل/ ١١٨، الذاريات/ ٥٣).

يتهمون رسلهم بالسحر والجنون والكذب والافتراء، فقد قال قوم نوح العَلِين عنه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُ بِهِ، حِنَّةً ﴾ (المؤمنون: ٢٥)، وقال الله عنهم أيضًا: ﴿ كُذَّبَتُ قَبَّلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ فَكُذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَحْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ١٠ ١١ ١١ (القمر)، وقوم عاد قَـالُوا عَـن نبـي الله هـود الطَّيْكِينُ: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا آعَتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوَءٍ ﴾ (مود: ٥٤)، وقوم ثمود قـالوا لنبـي الله صالح الطِّينِينُ: ﴿ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّدِينَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (الشعراء)، وقالوا أيضًا: ﴿ بَلُّ هُوَكَّذَّاكُ أَشِرٌ ١٠٠٠ ﴾ (القمر)، وقال قوم موسى الليلا عنه: ﴿ سَنحِرُ كَذَّابُ ﴾ (غانر: ٢٤)، وقال عنه فرعون: ﴿ وَقَالَ سَاحِرُ أَوْبَحَنُونُ ۗ ۗ ﴾ (النداريات)، ويقولون عنه وعن أخيه هارون: ﴿ إِنَّ هَلَانِ لَسَنجِرَانِ ﴾ (طه: ٦٣)، وقوم عيسى الطَّيِّئلاً يرمون مــا جــاء به من البينات بالسحر، قـال ﷺ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مِأْلِمَيِّنَتِ قَالُواْ هَلَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿ الصف).

وقوم النبي على يتهمونه وما جاء به من الآيات بالسحر والجنون والشعر والكهانة كما حكى القرآن: ﴿ بَلُ قَالُواْ أَضَعَنْ أَحْلَامٍ بَلِ آفَتَرَنهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ ﴿ بَلُ قَالُواْ أَضَعَنْ أَحْلامٍ بَلِ آفَتَرنهُ بَلْ هُو شَاعِرٌ ﴾ (الانبياء: ٥)، وكذلك قوله: ﴿ وَيَعُولُونَ أَبِنًا لَتَارِكُواْ عَالِهَتِنا لِشَاعِرِ مَجْنُونِ ﴿ آَ الصافات)، وقالوا عن القرآن: ﴿ إِنّ هَذَا إِلَّا سِعَرٌ يُؤْثُرُ ﴿ آَ ﴾ (المدنر)، وهذه الدعوى قالتها الأمم السابقة لرسلها، قال الله : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبِلِهِم مِن رَسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرُ أَوْ بَعَنُونُ ﴿ آَ الله والذاريات).

ثَانيًا. التعجب من هذا التوافق؛ لكن الكفر ملَّة واحدة:

ويرد القرآن على ذلك متعجبًا من اتفاقهم في كل عصر ومع كل نبي على هذه المقولة كأنهم تواصوا بها،

ثم يؤكد القرآن أنه لم يوصِ أحدٌ منهم أحدًا، ولم يوص بعضهم بعضًا بذلك، وإنها الكفر ملة واحدة، يتفق أهله في التكذيب والضلال والطغيان، فهؤلاء القوم قوم طغاة جمعهم الطغيان ومجاوزة الحد في الكفر، فتشابهت قلوبهم، وهذا أصل معهود من أمثالهم من المشركين البذين سبقوهم بالبضلال، كما قال الله المسركين البذين سبقوهم بالبضلال، كما قال الله المسركين البذين سبقوهم بالبضلال، فهؤلاء قد ساوى بينهم الطغيان حتى كأنهم تواصوا بها يقولون.

قال المنابعة واحده وإن تعددت طرقه في منابعة واختلفت وجوهه، وتباعدت أزمنته واختلفت أمكنته، واختلفت وجوهه، وتباعدت أزمنته واختلفت أمكنته، أي: ما هو بتواص، ولكنه تماثل في منشأ ذلك القول، أي: سبب تماثل المقالة تماثل التفكير والدواعي للمقالة، إذ جميعهم قوم طاغون، وأن طغيانهم وكبرياءهم يصدهم عن اتباع رسول يحسبون أنفسهم أعظم منه، وإذ لا يجدون وصمة يصمونه بها اختلقوا لتنقيصه عللا لا تدخل تحت الضبط، وهي أنه مجنون أو ساحر، فاستووا في ذلك بعلة استوائهم في أسبابه ومعاذيره (٢).

ويؤكد هذا قول الشيخ سيد قطب معلقًا على هذا

الحال: "فهي طبيعة واحدة للمكذبين؛ وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون.. كأنها تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون، وما تواصوا بشيء إنها هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق والقصد تجمع بين الغابرين واللاحقين"(٢).

ثَالثًا. رغم جحود المشركين ما على الرسول إلا البلاغ:

كما يؤكد القرآن أيضًا أن هؤلاء المشركين المعاندين لا يرون الرسول في الحقيقة كذابًا، ولا يعتقدون أنه يكذب على الله فيها جاء به، وهم لم يُجرِّبوا عليه كذبًا، ولكنهم يجحدون بالآيات الدالة على صدقه بإنكارها بألسنتهم فقط وإن استيقنتها أنفسهم، وما ذاك إلا لاستكبارهم وعلوهم وعنادهم وظلمهم، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُم لَا يُكَذِّبُونَكُ وَلَكِنَ الظّلِمِينَ بِعَايَنتِ اللّهِ يَعَالَى: ﴿ فَإِنَّهُم لَا يُكَذِّبُونَكُ وَلَكِنَ الظّلِمِينَ بِعَايَنتِ اللّهِ يَعَمَدُونَ ﴿ وَالْنَعَامِ)، وقال عَلَى عن قوم فرعون: يَعَمَدُونَ مِن السّاسِة الله عن قوم فرعون: ﴿ وَحَمَدُونَ مِن اللّهِ اللّهِ النّه الله الله عن قوم فرعون:

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١٣،
 ح٢، ص٢٢.

٢. المرجع السابق، مج١٣، ج٢٧، ص٢٣.

٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٦، ص٣٣٨٦.

الله تعالى وحده(١).

الخلاصة:

- اتهام الأنبياء والرسل بالجنون والسحر
 والكذب والافتراء أمرٌ دأبت عليه كل الأمم، فالكفر
 كله ملة واحدة، كأنها توحدوا بذلك على مدار القرون.
- المكذبون لم يتواصوا بشيء، إنها هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق تجمع بين اللاحقين والغابرين.
- وظيفة الرسول البلاغ والتذكير، أما الهدى والضلال فالأمر فيهما لله وحده.
- مشركو مكة لم يكذبوا رسول الله إوانها أنكروا الآيات ورفضوا الإيهان بها ظلمًا وعلوًا وعلوًا واستكبارًا على الحق رغم تيقنهم من كونه حقًا، قال تعالى: ﴿ فَإِنَهُمْ لَا يُكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّلِلِينَ بِعَايَتِ اللّهِ يَجَمَدُونَ ﴿ الأنعامِ).

AND DES

الشبهة السادسة والخمسون

دعوى الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعضهم ^(*)

مضمون الشبهة :

يفرق اليهود والنصارى بين الله ورسله في الإيان، فيؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض بمجرد

الآيات التي ورد فيها الرد على الـشبهة: (النـساء/ ١٥١، ١٥٢،) البقرة/ ١٣٦، ٢٨٥، آل عمران/ ٨٤، ٨٥).

العصبية والهوى والعادة، فاليهود آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمدًا، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم محمد على والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى الكلا، قال الله في الذيت يكفرون بألله ورسم الكلا، قال الله في الله ورسم الكلا، قال الله في الله ورسم الله ورسم ونصف أن يُفرِقُوا بَيْنَ الله ورسمون ويكويدون وتشفي ويريدون الله ويربيدون النها والساء).

وجها إبطال الشبهة:

- الإيهان ببعض الأنبياء دون بعض هو تفريق بين
 الله ورسله، وهو كفر بالله ورسله؛ لأن:
 - الإيهان واجب بكلِّ نبي أرسله الله.
- من كذَّب رسو لا فقد كذَّب جميع الرسل؛ إذ كلل من عند الله.

٢) المؤمنون حقًا هم من يصدقون بجميع الرسل
 والكتب المنزَّلة.

التفصيل:

أولا. إيمان اليهود والنصارى ببعض الرسل دون بعض كفربالله:

ومن ردّ القرآن على هـؤلاء أن بـيّن لهـم أن إيهانهـم

١. المرجع السابق، ص٣٣٨٦.

^(*) الآيتان اللتان وردت فيهما الشبهة: (النساء/ ١٥٠، الحجر/ ٩١).

إن الإيمان وحدة لا تتجزأ.. الإيمان بالله إيمان بوحدانيته، ووحدانيته تقتضي وحدة الدين الذي

ارتضاه للناس لتقوم حياتهم كلها - كوحدة - على أساسه، ويقتضي وحدة الرسل الذين جاءوا بهذا الدين من عنده - لا من عند أنفسهم ولا في معزل عن إرادته ووحيه - ووحدة الموقف تجاههم جميعًا، ولا سبيل إلى تفكيك هذه الوحدة إلا بالكفر المطلق؛ وإن حسب أهله أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض! وكان جزاؤهم عند الله أن أعد لهم العذاب المهين أجمعين. قال في المراق المراق الكفرون كَقًا وَأَعْتَدُنا المحين.

ثانيًا. المؤمنون يصدقون بجميع الأنبياء والمرسلين دون تضرقة:

لقد أرشد الله عباده المؤمنين إلى الإيهان بها أنزل عليه الأنبياء المتقدمين، وألا يفرقوا بين أحد منهم به يؤمنوا بهم جيعًا، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿ وَيَقُولُونَ جَمِعًا، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿ وَيَقُولُونَ نَوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَحَمُّ مُ بِبَعْضِ ﴾ (النساء:١٥٠)، بل أمرهم كمسلمين فقال ﷺ: ﴿ قُولُواْ ءَامَنَا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِهِم وَلَى اللّهِ وَلَا مدحهم وقد استجابت أُمّة محمد ﷺ لما دعاها إليه؛ ولذا مدحهم والمُولِي بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِهِم وَلَا مَدَهِم وَاللّهُ وَمَلَكَ كِيْهِ وَمُلْكَ مِن وَلِهِ وَلَا اللّه وَلَا الله وَلَا الله

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص٧٩٨.

فالمؤمنون يصدقون بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة من السماء، لا يفرقون بين أحد منهم، فالجميع عندهم صادقون بارُّون راشدون هادون مهديُّون؛ لذا كان المسلمون هم الذين يشتمل تصورهم الاعتقادي على الإيمان بالله ورسله جميعًا بلا تفرقة.

فكل الرسل عندهم موضع اعتقاد واحترام، وكل الشرائع السهاوية عندهم حق ما لم يقع فيها التحريف، فلا تكون عندئذ من دين الله، وإن بقي فيها جانب لم غيرًف، إذ إن الدين وحدة، وهم يتصورون الأمركا هو في حقيقته إلما واحدًا، ارتضى للناس دينًا واحدًا؛ ووضع لحياتهم منهجًا واحدًا، وأرسل رسله إلى الناس بهذا الدين الواحد وهذا المنهج الواحد وموكب الإيمان وعيسى ومحمد وإخوانهم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا ونسبهم هم إلى هذا الموكب وسلامه عليهم جميعًا ونسبهم هم إلى هذا الموكب ورثة هذا الخير الموصول على طول الطريق المبارك. لا تفرقة ولا عزلة ولا انفصام، وإليهم وحدهم انتهى ميراث الدين الحق، وليس وراء ما عندهم إلا الباطل ميراث الدين الحق، وليس وراء ما عندهم إلا الباطل

وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله غيره من أحد، وهؤلاء هم المسلمون الذين يستحقون الأجر من الله على ما عملوا، ويستحقون منه المغفرة والرحمة فيها قصروا فيه: ﴿ أُولَكِنكَ سَوْفَ يُؤتِيهِمَ أُجُورَهُمَ ۗ وكانَ اللهُ عَفُورًا رَحِيمًا اللهُ (النساء).

والإسلام إنها يتشدد هذا التشدد في توحيد العقيدة

في الله تعالى ورسله؛ لأن هذا التوحيد هو الأساس اللائق بتصور المؤمن لإلهه كما أنه هو الأساس اللائق بوجود منظم غير متروك للتعدد والتصادم؛ ولأنه هو العقيدة اللائقة بإنسان يرى وحدة الناموس في هذا الوجود أينها امتد بصره، ولأنه هو التصور الكفيل بضم المؤمنين جميعًا في موكب واحد، يقف أمام صفوف الكفر، وفي حزب واحد يقف أمام أحزاب الشيطان.

ولكن هذا الصف الواحد ليس هو صف أصحاب الاعتقادات المحرفة _ ولو كان لها أصل سماوي _ إنها هو صف أصحاب الإيمان الصحيح والعقيدة التي لم يدخلها انحراف (١).

الخلاصة:

- إذا كان جميع الأنبياء والرسل من عند الله تعالى،
 فها العلّة وراء الإيهان ببعض والكفر ببعض، طالما أن
 مصدرهم واحد وهو الله ﷺ.
- المؤمنون حقًا هم من يصدقون بجميع الرسل والكتب المنزلة، فمن كذّب واحدًا منهم فقد كذب جميع الرسل.
 - الإيهان واجب بكل نبي أرسله الله.

AGES

١. المرجع السابق، ص٧٩٨.

الشبهة السابعة والخمسون

إنكار بشريَّة الرَّسول ﷺ والتَّعجُّب من إرسال رسول من البشر (*)

مضمون الشبهة:

أنكر مشركو قريش إرسال محمد ﷺ إليهم رسولا، وحجّتهم في ذلك أنه من البشر، كما اعترض كل الأقوام قبله على الرسل والأنبياء بأنهم بيشر، لا فيضيلة لهم عليهم في خلق ولا رزق ولا حال، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، فهلا بعث إلينا ملكًا! قال من أن يكون رسوله بشرًا، فهلا بعث إلينا ملكًا! قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًّا أَنَ أَوْحَيّناً إِلَى رَجُلِ مِنْهُمْ أَنَ أَنْدِ النَّاسَ وَيَثِيرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (بيونس: ٢)، وقال ﷺ: ﴿ فَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّ

وجها إبطال الشبهة:

 من لطف الله بعباده أن أرسل إليهم رسلا من البشر؛ إذ لو كانت الرسل من الملائكة ما أطاق الناس رُؤيتهم ولحدثت النفرة منهم.

٢) إرسال رسول من البشر يؤدي إلى السَّكَن

والأنس وتآلف الطباع، وهم وإن كانوا بـشرًا، فإن الله هو الذي اصطفاهم واختصهم بذلك.

التفصيل:

أولا. من لطف الله أن يرسل الرسل من جنس البشر؛ فلوكانت الرسل من الملائكة ما أطاق الناس ذلك:

يتحدث القرآن الكريم عن المشركين من أهل مكة، ورفضهم لنبوة سيدنا محمد بسيدعوى بسيريته قائلاً: أبلغ الجهل وسوء التفكير بمشركي مكة ومن على شاكلتهم أن كان إيحاؤنا إلى رجل منهم يعرفهم ويعرفونه لكي يبلغهم الدين الحق أمرًا عجبا، يدعوهم إلى الدهشة والاستهزاء بالموحى إليه على حتى لكأن النبوة في زعمهم تتنافى مع البشرية.

إن الذي يدعو إلى العجب حقا هو ما تعجبوا منه، لأن الله على اقتضت حكمته أن يجعل رسله إلى الناس من البشر، لأن كل جنس يأنس لجنسه، وينفر من غيره، وهو أعلم حيث يجعل رسالته (١).

وينبه الله على على لطفه ورحمته بعباده أنه بعث الرسل إلى الناس من جنسهم ليفقهوا منه، وليتمكنوا من من مخاطبته ومكالمته، ولذلك قال الله الله الله عمل من مخاطبته ومكالمته، ولذلك قال الله الله الله عمران ١٦٤)، المُعْرِّمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِم رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهم الله الله عمران ١٦٤)، وقال الله عمران المؤلث مِن أَنفُسِكُم التوبة ١٢٨)، وقال الله الله المناسلة على المرسلة المناسلة المناس

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (الأنعام/ ٩١، الإسراء/ ٩٤، يونس/ ٢٠، إبسراهيم/ ١٠، يـس/ ١٥، ص/ ٤، ق/ ٢، التغابن/ ٦).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الأعراف/ ٦٣، ٦٩، و٠، يوسف/ ١٩، النحل/ ٤٣، الإسراء/ ٩٥، ٥٦، الكهف/ ١١، الأنبياء/ ٧، ٨، الفرقان/ ٢٠، يس/ ١٦، ١٧).

التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج٧، ص٢٢.

فَاذَكُرُونِيَ آذَكُرُمُ وَاشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكُفُرُونِ اللهُ (البقرة)، وقال الله أيضًا: ﴿ هُو اَلَذِى بَعَثَ فِى اَلْأُمِيَّةِ نَرَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (الجمعة: ٢).

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن إرسال الله للرسل والأنبياء من جنس البشر والناس وليس من جنس آخر مختلف _ لُطْفٌ من الله ورحمة بعباده ونعمة منه تستحق الشكر، فكأنه يقول لهم: لمَّا كنتم أنتم بشرًا بعثنا فيكم رسلًا بشرًا منكم لطفًا منا ورحمة، وعلى هذا فياكان ينبغي منكم أن تتعجبوا من بعثة الرسل بشرًا أو تستبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداكم على يد بشر مثلكم.

قال الحسن وقتادة: لأُهلِكُوا بعـذاب الاستئـصال؛

لأن الله أجرى سننه بأن من طلب آية فَأُظْهِرَت لـه فلـم يؤمن أهلكه الله عَلَا في الحال: ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۞ ﴾ (الأنعام) أي لا يُمهَلون ولا يؤخّرون، ولهذا كان لا بـد من إرسال رسول من البشر، فقال على الله وَلَو جَعَلْنَهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (الأنمام) فهم لا يستطيعون أن يسروا الملك في صورته إلا بعد التجسُّم بالأجسام الكثيفة؛ لأن كـل جنس يأنس بجنسه، وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله ﷺ الرسولَ إلى البشر ملكًا لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به ولدانحلَهم من الرعب من كلامه، والاتقاء لـه ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم عن سؤاله فلا تعُمُّ المصلحة، ولو نقله من صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه لقالوا: لست ملكًا وإنا أنت بشر فلا نؤمن بك، كما أعلمهم الله عَلَىٰ أنه لو أنزل ملكًا في صورة رجل لوجدوا سبيلًا إلى اللبس والخلط، وقـ د يقولون: هذا ساحر مثلك.

ثانيًا. إرسال رسول من البشر يؤدي إلى السكن والأنس وتآلف الطباع، وهم وإن كانوا من البشر فإنَّ الله قد اصطفاهم وخصَّهم بالرسالة:

من ردود القرآن أيضًا على شبهة هؤلاء الأقوام المرسل إليهم أن هؤلاء الرسل وإن كانوا في الحقيقة بشرًا مثلَ من أُرسلوا إليهم؛ فإن الله على قد اصطفاهم دون الناس بالنبوة والتوفيق، والحكمة، والعلم، والمعرفة، والهداية، وبهذا ردَّ الرسل على أقوامهم فقالوا: ﴿ قَالَتَ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَا بَشَرُ مِثَلُكُمْ وَلَيكِنَ اللهَ يَمُنُ عَلَى مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (إبراهيم: ١١)،

أي يتفضَّل عليه بالنبوة والرسالة، وهذا امتحان من الله للناس بعضهم ببعض، فقد جعل هذا نبيًّا وخصَّه بالرسالة، وهذا فقير وحرمه بالرسالة، وهذا ملكًا وخصَّه بالدنيا، وهذا فقير وحرمه الدنيا ليختبر الفقير بصبره على ما حُرِم، والغني والملك بصبره على ما أُعطي الرسول من الكرامة؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَبَحَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِيَعْضِ فِتَنَةً أَتَصَيرُونَ مُنَا لَا يَعْمَلُونَ الفراد الفراد الله وكان رَبُّك بَصِيرًا (الفراد)).

ومن ردود القرآن على المشركين أيضًا حين أنكروا رسالة النبي الله لكونه رسولًا بشرًا أن الله ما أرسل إلى الأمم الماضية إلا رجالًا آدميين، ويوجههم القرآن إلى أن يسألوا أهل الذكر من مؤمني أهل الكتاب فسوف يخبرونكم أن جميع الأنبياء كانوا من البشر، قال الله وَمَا آرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّارِجَالًا نُوْحِيّ إِلَيْهِمْ فَسَتَلُوّا أَهْلَ الذّي إِلَارِجَالًا نُوْحِيّ إِلَيْهِمْ فَسَتَلُوّا أَهْلَ الذّي إِلَارِجَالًا نُوحِيّ إِلَيْهِمْ فَسَتَلُوّا أَهْلَ الذّي إِلَارِجَالًا نُوحِيّ إِلَيْهِمْ فَسَتَلُوّا أَهْلَ الذّي إِلَارِجَالًا نُوحِيّ إِلَيْهِمْ فَسَتَلُوّا أَهْلَ الذّي إِلَا مِنْ النحل).

كها يبين القرآن أن الله لم يجعل الرسلَ قبل محمد الشخار جين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون، فقال الشيق وَمَا جَمَلَنَهُمْ جَسَدُالًا يَأْكُونَ ٱلطَّعَامُ وَمَا كَانُوا خَلِدِينَ (وَمَا جَمَلَنَهُمْ جَسَدُالًا يَأْكُونَ ٱلطَّعَامُ وَمَا كَانُوا خَلِدِينَ (الأنياء)، وقال أيضًا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلُكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (الانياء)، وقال أيضًا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلُكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَا كُونَ ٱلطَّعَامُ وَيَعْشُونَ فِي الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَا كُونَ ٱلطَّعَامُ وَيَعْشُونَ فِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الفرقان: ٢٠).

فهذا جواب الله تعالى على قول المشركين: ﴿ مَالِ هَدُذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِ ٱلْأَسُولَقِ ﴾ هَذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِ ٱلْأَسُولَقِ ﴾ (الفرقان: ٧)؛ حيث إنهم نقموا على رسول الله ﷺ أنه يأكل الطعام ويقف في الأسواق فعيروه بذلك؛ لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكًا حيث رأوا الملوك

والقياصرة والأكاسرة يترفعون عن الأسواق بينها كان الله يخالطهم في أسواقهم ويأمرهم وينهاهم، فأجاب الله على عن شبهتهم هذه وأبان لحبيبه الله أل السائل الطعام والمشي في الأسواق عارًا على منصب الأنبياء، وليس الحاجة إلى التغذي والتكسب والتجارة منافيًا لحالهم، ولذا لمَا نُحيرٌ رسول الله الله النه الكون نبيًّا مَلِكًا أو عبدًا رسولًا اختار أن يكون عبدًا رسولًا.

وينتهي القرآن من ذلك إلى إبطال حجة هؤلاء الأمم المكذبين؛ إذ ما من رسول إلا كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فليس محمد الشبدعًا في ذلك من الرسل قبله ...

الخلاصة:

- المناسب للعقل والمنطق والفطرة أن يأتي الرسل بشرًا لا ملائكة، أما القول بحتمية كون الرسل من الملائكة فهو جمود عقلي، وانطهاس نفسي يحمل أصحابه على قلب الحقائق وإيشار طريق النضلالة على طريق المداية.
- إرسال الله للرسل من البشر يؤدي إلى السكن والأنس والتآلف فضلًا عن أنهم مصطفون من قبل المولى المؤلى الله ولو كان الرسول من غير جنس قومه لما استطاع الناس تحمله ونفروا منه.

33 638 8 8 9 8 8 8

ق "الحكمة من كون الأنبياء والرسل من البشر" طالع: السبهة التاسعة والتسعين، من الجزء العاشر (الأنبياء والرسل ٢).

ثانيًا. شبهات خاصَّة بانبياء بعينهم

١. إبراهيم الطيخة

الشبهة الثامنة والخمسون

دعوَى أن إبراهيم الني كان يهوديًّا أو نصرانيًّا وكذلك أبناؤه (*)

مضمون الشبهة :

يدعي كل من النصارى واليه ود أن إبراهيم الطيكة كان منهم؛ فيقول اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وتقول النصارى: ما كان إلا نصرانيًا، وكذلك ادَّعوا أن إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا على مِلَّتهم اليهودية أو النصرانية، قال في ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَهِهُمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْمَاتَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْمَاتَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْمَاتَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْنَصَلَرَىٰ اللهِ (البقرة: ١٤٠).

وجوه إبطال الشبهة:

- مقولة اليهود سببها قلة العقل وسوء الفهم،
 ولا دليل عليها.
- اليهود كتموا ما هو موجود في كتابهم من أن إبراهيم التيال وهؤلاء الأنبياء كانوا مسلمين.
- ٣) التوراة والإنجيل أنزلا بعد إبراهيم التلك فكيف يكون يهوديًا أو نصرانيًا؟!
 - ٤) المحاجة بلا علم تؤدي إلى الخطأ.

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ١٤١،١٤٠، آل عمران/ ٦٥: ٦٨).

التفصيل:

أولا. سوء فهم اليهود والنصارى هو سبب دعواهم التي لا دليل عليها:

أنكر الله على هؤلاء دعواهم أن إبراهيم السلا ومن ذكروا من الأنبياء مثل: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط كانوا على ملة اليهودية أو النصرانية، وإن كنتم تقولون هذا فإن الله يكذبكم فيه، وأنتم تعلمون أيضًا أن اسمَيْ اليهودية والنصرانية حَدَثًا بعد هؤلاء، بل حدث اسم اليهودية بعد موسى، واسم النصرانية بعد عيسى، كما حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مُميِّزًا لهم، وأما النصرانية حادثة، لم يأت تقاليدهم الخاصة بهم المميزة للنصرانية حادثة، لم يأت بها عيسى السلام. وقال الله على في الردِّ على هؤلاء: وقال الله على في الردِّ على هؤلاء: وقد أخبر على بأنهم لم يكونوا يهودًا ولا نصارى، كما قال تعالى: ﴿ مَاكَانَ إِنَرَهِيمُ يَهُودِيًا وَلَا نَصَرَانِيَّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا تعالى: ﴿ مَاكَانَ إِنَرَهِيمُ يَهُودِيًا وَلَا نَصَرَانِيَّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا

فإن اليهودية والنصرانية غير الحنيفية، لأنّ موسى وعيسى عليها السلام -لم يخبرا بأنها على الحنيفية، فأنتج أنَّ إبراهيم الطَّيِّ لم يكن على حال اليهودية أو النصرانية؛ إذ لم يؤثر ذلك عن موسى ولا عيسى عليها السلام - فهذا سنده خلوً كتبهم عن ادّعاء ذلك، وكيف تكون اليهودية أو النصرانية من الحنيفية مع خلوِّها عن فريضة الحج، وقد جاء الإسلام بذكر فرضه لمن تمكن منه، ومما يؤيد هذا ما ذكره ابن عطية في تفسير قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ١٤٠).

نزلت الآية قال أهل الملل: قد أسلمنا قبلك، ونحن المسلمون، فقال الله له: فحُجهم يا محمد، وأنزل الله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ (آل عمران: ٩٧)، فحبجً المسلمون وقَعد الكفار.

ثمّ تممّ الله ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَلَكِن كَانَ عَنِيفًا مُسْلِمًا وَلَا السلام، ولذلك المُسْرِكِينَ ﴿ وَلَا يَوْمَنُونَ بِالإسلام، فأعلمهم أنّ الإسلام، ولذلك المنيفية ولا يؤمنون بالإسلام، فأعلمهم أنّ الإسلام هو الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام، فأعلمهم أنّ الإسلام والحنيفية، وقال: ﴿ وَمَاكَانَ مِنَ ٱلمُشْرِكِينَ ﴾ فنفي عن السراهيم المنظم الله موافقة النصرانية، وموافقة المشركين، وإنه كان مسلمًا، فثبتت موافقته الإسلام.

ومن الثابت أن إبراهيم الني سأل أن يكون مسلمًا، وأن الله أمره أن يكون مسلمًا، وأن الله أمره أن يكون مسلمًا، وأنه كان حنيفًا، وأن الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله على هو الذي كان جاء به إبراهيم: ﴿ وَقَالُوا حَكُونُوا هُودًا أَوْنَصَكَرَىٰ مَهْ تَدُواً فَلُ بَلُ مِلَةً إِزَهِمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

ولذا قال لهم في موضع آخر: ﴿ فَلِمَ تُعَاَّجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِمِ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعَلَمُ وَأَنتُ مَ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ اللَّهِ اللهِ عَلَمُ اللهِ عَلَمُ

ثانيًا. كتمان اليهود والنصاري للحق:

وهؤلاء اليهود والنصارى قد كتموا شهادةً عندهم من الله وهي كون إبراهيم، وإسماعيل، وإسماعين، وإسماق، ويعقوب عليهم السلام، والأسباط مسلمين، وقد ذكر بعض أهل التأويل أنهم كانوا يقرءون ذلك في كتاب الله مالذي أتاهم مأن هؤلاء الأنبياء، والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك، قال في وَمَن أَظَلَمُ مِمَن كَتَمَ شَهكدةً عِندُهُ،

إن هؤلاء إلا مجادلون في الحق بعدما تبين، مباهتون للنبي مع العلم بأنه نبي، إذ ما كان لهم أن يشتبهوا في أمره بعد شهادة كتابهم له، فإذا كان ظلمهم أنفسهم قد انتهى بهم إلى آخر حدود الظلم، وهو كتمان شهادة الله تعالى تعصبا لجنسيتهم الدينية التي ارتبط بها الرؤساء بالمرء وسين بروابط المنافع الدنيوية من مال وجاه، فكيف يُنتظر منهم أن يُصْغُوا إلى بيان أو يخضعوا لبرهان؟ والاستفهام هنا يتضمن التوبيخ والتقريع المؤكدين بالوعيد في قوله: ﴿ وَمَا اللهُ بِعَنْفِلٍ عَمّا والتقريع المؤكدين بالوعيد في قوله: ﴿ وَمَا اللهُ بِعَنْفِلٍ عَمّا والتقريع المؤكدين بالوعيد في قوله: ﴿ وَمَا اللهُ بِعَنْفِلٍ عَمّا والتقريع المؤكدين بالوعيد في قوله: ﴿ وَمَا اللهُ بِعَنْفِلٍ عَمّا

وإنها الجزاء على الأعمال، ثم ختم المحاجة بتأكيد أمر العمل وعدم فائدة النسب فقال: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتُ لَهُا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُم وَلَا تُتَعَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُم وَلَا تُتَعَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ عَن أعالكم وتجاوزن عليها، فلا ينفعكم ولا يضركم سواها، وهذه قاعدة عليها، فلا ينفعكم ولا يضركم سواها، وهذه قاعدة يثبتها كل دين قويم، وكل عقبل سليم، ولكن قاعدة الأخرة الوثنية القاضية باعتهاد الناس في طلب سعادة الآخرة

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٣، ص٢٧٤، ٢٧٥ بتصرف.

وبعض مصالح الدنيا على كرامات الصالحين تغلب مع الجهل كل دين وكل عقل، ومنبع الجهل التقليد المانع من النظر في الأدلة العقلية والدينية جميعًا؛ اللهم إلا مكابرة الحس والعقل، وتأويل نصوص الشرع، تطبيقًا لها على ما يقول المقلّدون المتبعون، وقد أوَّلَ المؤوِّلون نصوص أديانهم تقريرًا لاتباع رؤسائهم والاعتباد على جاههم في الآخرة؛ لذلك جاء القرآن يبالغ في تقرير قاعدة ارتباط السعادة بالعمل والكسب وتبيينها، ونفى الانتفاع بالأنبياء والصالحين لمن لم يتأس بهم في العمل الصالح (۱).

ثَالثًا. نزول التوراة والإنجيل بعد إبراهيم السَّيِّيِّ بدهر عويل:

ومن ردود القرآن عليهم أيضًا في موضع آخر ما أنكره عليهم في محاجتهم في إسراهيم الخليل الكلية ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، فقال الله لهم: ﴿ يَتَأَهّلَ ٱلْكِتَبِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ الله التَورَنهُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلّا مِنْ بَعْدِوةً أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿ ثَلَي الله التَوراة على موسى؟ (آل عمران). فكيف يدعي هؤلاء اليهود أنه كان يهوديًا، وقد كان زمنه قبل أن يُنزِل الله التوراة على موسى؟ وكيف يدَّعي هؤلاء النصارى أنه كان نصرانيًّا، وإنها حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ وهذه حجة عقلية بدهية، ولذا قال لهم: ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا تعقلون دحوض حجتكم وبطلان قولكم؛ ولذا قال الزجاج: هذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى، إذ التوراة والإنجيل أُنزلا من بعده، وليس فيها اسمٌ التوراة والإنجيل أُنزلا من بعده، وليس فيها اسمٌ

لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتابة.

وقوله: ﴿ وَمَا أَنزِلَتِ ٱلتَّوْرَكَةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّامِنَ بَعْدِهِ ﴾ يكون على حسب الرواية الأولى مَنْعًا لقولهم: فقد زدت فيه ما ليس مِنْه، المقصودِ منه إبطال أن يكون الإسلام هو دين إبراهيم الطِّيِّكم، وتفصيلُ هذا المنع: إنكم لا قبل لكم بمعرفة دين إبراهيم الطِّيِّلا، فمن أين لكم أنّ الإسلام زاد فيها جاء به على دين إبراهيم الطَّيْلاً؟ فإنكم لا مستند لكم في علمكم بأمور الدين إلَّا التوراةُ والإنجيل، وهما قد نَزلا من بعد إبراهيم، فمن أين يعلم ما كانت شريعة إبراهيم حتى يعلمَ المزيد عليهًا، وذكر التوراة على هذا لأنها أصل الإنجيل. ويكون على حسب الرواية الثانية نفيًا لدعوى كلّ فريق منهما أنه على دين إبراهيم، بأنّ دين اليهود هو التوراة، ودينَ النصاري هو الإنجيل، وكلاهما نزل بعد إبراهيم، فكيف يكون شريعةً له. قال الفخر: يعني ولم يُصرّح في أحد هذين الكتابين بأنه مطابقٌ لشريعة إبراهيم، فذكر التوراة لإبطال قول اليهود، وذكرَ الإنجيل لإبطالِ قول النصاري، وذكر التوراة والإنجيل هنا لقصد جمع الفريقين في التخطئة.

ا. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱، ص ٤٩،
 ۲۹۱ بتصرف.

وَ آلِانجِيلُ إِلَّا مِنْ بَمْدِوتِ ﴾ يدل على أنّ علمهم في الدين منحصر فيهما، وهما نزلا بعد إبراهيم فلا يجوز أن يكونا عين صُحُف إبراهيم.

وقوله على: ﴿ فَلِمَ تُعَاجُونَ فِيما لَيْسَ لَكُمُ بِهِ عِلْمُ ﴾ يُبطل قولهم: إنّ الإسلام زاد على دين إبراهيم، ولا يدل على أنهم على دين إبراهيم؛ لأنّ التوراة والإنجيل لم يَرد فيها التصريح بذلك، وهذا هو الفارق بين انتساب الإسلام إلى إبراهيم وانتساب اليهودية والنصرانية إليه، فلا يقولون: وكيف يُدّعَى أنّ الإسلام دين إبراهيم مع أنّ القرآن أنزل من بعد إبراهيم كما أنزلت التوراة والإنجيل من بعده؟

وقوله: ﴿وَاللّهُ يُعَلّمُ ﴾ يدل على أنّ الله أنبأ في القرآن الكريم بأنه أرسل محمدًا ﷺ بالإسلام دين إبراهيم، وهو أعلم منكم بذلك، ولم يسبق أن امتنّ عليكم بمثل ذلك في التوراة والإنجيل فأنتم لا تعلمون ذلك، فلها جاء الإسلام وأنبأ بذلك أردتم أن تنتحلوا هذه المزية، واستيقظتم لذلك حسدًا على هذه النعمة، فنهضتْ الحجة عليهم، ولم يبق لهم معذرة في أن يقولوا: إنّ بجيء التوراة والإنجيل من بعد إبراهيم مشترك الإلزام لنا ولكم؛ فإنّ القرآن أنزل بعد إبراهيم، وليولا انتظام الدليل على الوجه الذي ذكرنا لكانَ مشترك الإلزام.

رابعًا. الجدال بغير علم يؤدي إلى الخطأ:

أنكر الله عليهم محاجتهم فيها لا علم لهم بـه، وأمر

برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها، فقال ﴿ فَلِمَ تُعَلَّمُونَ وَلَا اللهُ عَمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعَلَمُ وَانتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ اللهُ الله المعمران)، والاستفهام في قوله: ﴿ فَلِمَ تُعَالَمُونَ الله مقصود منه التنبيه على الغلط.

وقد أعرض في هذا الاحتجاج عليهم عن إبطال المنافاة بين الزيادة الواقعة في الدين الذي جاء به عمد على على الدين الذي جاء به إبراهيم النيلا، وبين وصف الإسلام بأنه ملّة إبراهيم النيلا؛ لأنهم لم يكن لهم من صحة النظر ما يفرقون به بين زيادة الفروع، واتحاد الأصول، وأنّ مساواة الدينين منظور فيها إلى اتحاد أصولهما فاكتُفي في المحاجّة بإبطال مستندهم في قولهم: "فقد زدت فيه ما ليس فيه" على طريقة المنع، ثم بقوله كلن: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَهِيمُ يَهُودِيًا وَلَا مَسْرَانِينًا وَلَكِين كَانَ حَنِيفًا مُسلّمًا وَمَا كَانَ مِن الفطاع المعترض كافي في اتجاه دعوى المستدل (٢).

وقوله على: ﴿ وَاللّهُ يَمْلُمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ آ اللّهِ مَن اللّهِ مَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الهُ اللهِ المَا اللهِ الهِ اللهِ الهِ اللهِ

٢. المرجع السابق، ص٢٧٣.

٣. المرجع السابق، ص٢٧٤.

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٣، ج٣، ص٢٧٢.

تخلقوا بأصول شرعه، وعرفوا قدره، وكانوا له لسان صدق دائبًا بذكره فهؤلاء أحق به ممن انتسبوا إليه كنهم نقضوا أصول شرعه، ومن الذين انتسبوا إليه وأنسوا ذكر شرعه وهم اليهود والنصارى، والله ولي إبراهيم والذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا؛ لأن التذييل يشمل المذيّل قطعا، ثم يشمل غيره تكميلًا كالعام على سبب خاص، وفي قوله على: ﴿ وَاللهُ وَلِي المُورِيّلُ ﴾ بعد قوله على: ﴿ مَا كَانَ إِنْهِيمُ وَلِي تعريض بأن الذين لم يكن إبراهيم منهم ليسوا مؤمنين (۱).

الخلاصة:

- اليهود كعادتهم كتموا ما هو موجود في كتابهم من أن إبراهيم الكيلا وهولاء الأنبياء كانوا مسلمين.
- التوراة والإنجيل أنزلا بعد إبراهيم الكيلا
 فكيف يكون هو ديًّا أو نصر انيًّا؟!
- الآيات المذكورة تنفي كون إبراهيم الكنائات المذكورة تنفي كون إبراهيم الكنائات المدين لم يهوديًا أو نصر انيًا، وتعرّض في الوقت ذاته بأن المذين لم يكن إبراهيم الكنائل منهم ليسوا مؤمنين.

AGE.

١. المرجع السابق، ص٢٧٧، ٢٧٨.

٢. موسى الطَّيْكُانُ

الشبهة التاسعة والخمسون

اتهام موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بالسحر (*)

مضمون الشبهة :

اتم فرعون ومن معه موسى وهارون عليها السلام - بأنها ساحران عالمان خبيران بصناعة السّحر، وأن ما أتى به موسى الطّيك من الآيات الظاهرة الواضحة ما هو إلا سحر مبين. قال تعالى: ﴿ قَالُواْ إِنْ هَذَانِ لَسَحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِخْرِهِمَا وَبَذْ هَبَائِطُرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثَلِ اللهِ (طه).

وجها إبطال الشبهة:

- ۱) ما قاله فرعون ومن معه من اتهام موسى
 وهارون بالسحر هو مجرد زعم باطل، ومقولة ظالمة
 ناشئة عن البهتان والكذب والاستكبار.
- ليهان السحرة برب موسى وهارون عليها
 السلام يُعد من أكبر الأدلة على براءة موسى وهارون
 عليها السلام من تهمة السحر.

التفصيل:

أولا. اتهام موسى وهارون - عليهما السلام - بالسحر مجرد زعم باطل:

تلك مقولة مبنية على الكذب والبهتان والاستكبار والعناد والتعالى، يتهمون ما جاء به موسى الطيمة

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (طه/ ٦٣، النمل/ ١٣، غافر/ ٢٤، القصص/ ٣٦، ٤٨، يونس/ ٧٦).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (يونس/ ٧٧، طه/ ٧٠، ٧٢، ٧٣).

وهارون عليها السلام من المعجزات الباهرة والدلائل القاهرة والآيات الظاهرة على صدقها، بأنه سحر ظاهر رغم أنهم شاهدوا ذلك وتحققوه وأيقنوا أنه من عند الله، يقول في في فكمًا جَآءَهُمُ الْحَقُ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ مُينِ فَلَمًا جَآءَهُمُ الْحَقُ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ مُينِ أَنَ اللَّهُ وَسَى اَتَقُولُونَ لِلْحَقِ لَمَا عَلَيْ اللَّهُ السَّاحِرُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ مُوسَى السَّلِي اللَّهُ صادق تدرجوا من مجرّد الإباء المنبعث عن موسى السَّلِي صادق تدرجوا من مجرّد الإباء المنبعث عن السعور بالمغلوبية.

والحقُّ: يطلق اسمًا على ما قابل الباطل، وهو العدل الصالح، ويطلق وصفًا على الثابت الذي لا ريبة فيه، والذي أثبت له المجيء هنا هو الآيات التي أظهرها موسى الطلخ إعجازًا لهم لقوله قبله: ﴿ ثُمَّ بَعَنْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِعَايَدِنَا ﴾ (الأعراف: ١٠٣)، فكان جعل الحق بعّدِهِم مُوسَى بِعَايَدِنِنَا ﴾ (الأعراف: ١٠٣)، فكان جعل الحق جائيًا بتلك الآيات صالحًا لمعنيي الحقّ؛ لأنّ تلك جائيًا بتلك الآيات شابتة لا ريبة فيها كانت في ذاتها حقًّا، فمجيئها حصولهًا وظهورها المقصود منه إثبات صدق فمجيئها حصولهًا وظهورها المقصود منه إثبات صدق موسى الطبخ في رسالته فكان الحق جائيًا معها، فمجيئه ثبوته كقوله من أبني رسالته فكان الحق جائيًا معها، فمجيئه ثبوته كقوله من أبنيطِلُ ﴾

واعتذارهم عن ظهور الآيات بأنها سحر هو اعتذار

المغلوب العديم الحجة الذي قهرته الحجة وبهره سلطان الحق، فلم يبق له منتشب من المعارضة المقبولة فهو يهرع إلى انتحال معارضات بمعاذير لا تدخل تحت التمحيص ولا تثبت في محكّ النقد:

ولا بدّ للمغلوب من بارد العذر

وإذ قد اشتهر بين الـدهماء من ذوي الأوهام أنّ السحر يظهر الشيء في صورة ضدّه، ادّعى هؤلاء أنّ ما ظهر من دلائل صدق موسى هو سحر ظهر به الباطل في صورة الحقّ بتخييل السحر.

ومعنى ادّعاء الحقّ سحرًا أنّ دلائله من قبيل التخيلات والتمويهات، فكذلك مدلوله هـو مـدلول السحر وهو إنشاء تخيل باطل في نفوس المسحورين(١). ولقد ردّ عليهم نبي الله موسى الطِّيِّلاً متعجبًا من قولهم: أتقولون هذا الذي قلتم للحق الظاهر الذي هو أبعد الأشياء عن كيد السحر الباطل لما جاءكم وعرفتموه واستيقنته نفوسكم ورأيتموه بأعينكم، ورجفت عن عظمته قلوبكم، فهذا لا يمكن أن يكون سحرًا من جنس ما تصنعه أيديكم، كيف والحال المعروف عندكم أن السحرة لا يفوزون في أمور الجـد العملية من دعوة دين وتأسيس ملك وقلب نظام، وهو ما تتهمونني به على ضعفي وقوتكم؛ لأن السحر أمـور شعوذة وتخييل لا تلبث أن تفتضح وترول، ولما نفي موسى التَّغِينَا عن آيات الله أن تكون سحرًا ارتقى، فأبان لهم فساد السحر وسوء عاقبة معالجيه تحقيرًا لهم؛ لأنهم كانوا ينوّهون بشأن السحر. فجملة: ﴿ وَلَا

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٦،
 ۲۲، ص۲٤۸، ۲٤٩ بتصرف.

يُفَلِحُ ٱلسَّنجِرُونَ ﴿ ﴿ إِن اللهِ ﴿ إِن اللهِ مَعطوفَ عَلَى جَمَلَةَ: ﴿ أَسِحْرُ هَاذًا ﴾ (يونس: ٧٧).

فالمعنى: هذا ليس بسحر وإنها اعلىم أن الساحر لا يفلح، أي لو كان ساحرًا لما شنع حال الساحرين؛ إذ صاحب الصناعة لا يحقر صناعته؛ لأنه لو رآها محقرة لما التزمها(١).

ثانيًا. إيمان السحرة برب موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ دليل على براءتهما من تهمة السحر:

ومن أدلً الأدلَّة على أن ما جاء به موسى الكلي ليس سحرًا - كها زعم فرعون وقومه - أن السحرة لما ظهرت لهم المعجزة واتضح لهم البرهان وبطل سحرهم أمام موسى الكلي وعاينوا ذلك وشاهدوه - وهم ذوو خبرة بفنون السحر وصناعته وطرقه ووجوهه - علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى الكلي ليس من قبيل السحر والحيل، بل حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا الا إله قادر حكيم يقول للشيء: كن فيكون، فعند ذلك وقعوا لله سُجَّدًا وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وفي آخره شهداء بررة، قال الله في أَنْ النهار سحرة، وفي آخره شهداء بررة، قال الله في السَحرة الله الله المها السلام - فكانوا أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء بررة، قال في المرة اللها المها السكرة المرة اللها المها المها

الخلاصة:

جاء موسى التلكي فرعون ومن معه بآيات باهرة ومعجزات بينة، وقد أيقن فرعون ومن معه بصدق موسى التلكي ، وأن ما جاء به هو الحق، ولكنه استكبر هو

ومن معه، فاتهم موسى وهارون بأنهم ساحران. عنادًا وتكذيبًا لهما.

• لما ألقى موسى التي عصاه ولقفت عصى وحبال السحرة أيقن السحرة أن ما جاء به موسى التي لا يمكن أن يكون من قبيل السحر، بل هو الحق من ربهم، فوقعوا سجدًا لله، وآمنوا برب موسى وهارون عليها السلام.

AND EX

٣. عيسى العَلِيْعُلِمُ

الشبهة الستون

دعوى قتل المسيح الطيخ (*) ®

مضمون الشبهة:

يزعم اليهود أنهم قتلوا المسيح عيسى ابنَ مريم رسول الله، قال على: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء: ١٥٧).

وجها إبطال الشبهة:

اليهود شاكون ومتوهمون قتل المسيح، فلم يقتلوه يقينًا، وإنها قتلوا الرجل الذي وقع عليه شبه عيسى التيليم، والحق أنه رُفع إلى السهاء حيًّا، وسينزل في آخر الزمان، ونزوله علامة على قرب الساعة.

١. المرجع السابق، ص٢٥٠.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (النساء/ ١٥٧).

الآيات التي ورد فيها الرد على الـشبهة: (النـساء/ ١٥٧: ١٥٩، الزخرف/ ٦١، آل عمران/ ٥٥، ٥٥).

[®] في "حَسْم القرآن الكريم مسألة صلب المسيح" طالع: الشبهة الثانية والتسعين، من الجزء العاشر (الأنبياء والرسل ٢).

Y) الوفاة المذكورة في شأن عيسى الطّيِّلاً في القرآن ليس المراد بها الموت، وإنها القبض والرفع إلى السهاء من غير موت، فإن احتملت معنى الموت، فإنها ستكون في الوقت الذي سيحدده الله على ويقوي ذلك وجود حرف العطف "الواو" الذي يفيد التشريك مطلقًا دون استلزام الترتيب.

التفصيل:

أولا. اليهود لم يقتلوا المسيح، وإنما قتلوا الرجل الذي وقع عليه شبه عيسى الطِّعَة:

يوضح لنا د. محمد سيد طنطاوي الحديث عن هذه الواقعة من خلال تفسيره للآيات قائلًا: "سجل الله على اليهود رذيلة سابعة وردَّ عليهم بها يخرس ألسنتهم، ويفضحهم على رءوس الأشهاد في كل زمان ومكان، فقال: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنَلْنَا الْمُسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمُ رَسُولَ اللّهِ فقال: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنَلْنَا الْمُسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمُ رَسُولَ اللّهِ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِكَن شُيهٌ لَمُمْ ﴾ (النساه: ١٥٧)، والمسيح: لقب تشريف وتكريم لعيسى الطيلا، وقيل: لأنه لقب بذلك لأنه عمسوح من كل خلق ذميم، وقيل: لأنه مسح بالبركة كها في قوله ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا صَكُنتُ ﴾ (مريم: ٣١)، وقيل لأن الله مسح عنه الذنوب. أي: وبسبب قولهم على سبيل التبجح والتفاخر إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، لعنهم الله وغضب عليهم - أيضًا وغضب عليهم - أيضًا وغضب عليهم - أيضًا وغضب عليهم - أيضًا وغضب عليهم السابقة.

وهذا القول الذي صدر عنهم هو في ذاته جريمة؟ لأنهم قالوه على سبيل التبجح والتفاخر لقتلهم ـ في زعمهم ـ نبيا من أنبياء الله تعالى، ورسولا من أولي

العزم من الرسل.

وقولهم هذا وإن كان يخالف الحقيقة والواقع، إلا أنه يدل على أنهم أرادوا قتله فعلا، وسلكوا كل السبل لبلوغ غايتهم الدنيئة، فدسوا عليه عند الرومان، ووصفوه بالدجل والشعوذة، وحاولوا أن يسلموه لأعدائه ليصلبوه، بل زعموا أنهم أسلموه فعلا لهم، ولكن الله على خيب سعيهم، وأبطل مكرهم، وحال بينهم وبين ما يشتهون، حيث نجى عيسى ابن مريم المحيية من شرورهم، ورفعه إليه دون أن يمسه سوء منهم.

ولا شك أن ما صدر عن اليهود في حق عيسى الطّيّلاً من محاولة قتله، واتخاذ كل وسيلة لتنفيذ غايتهم، شم تفاخرهم بأنهم قتلوه وصلبوه، لا شك أن كل ذلك يعتبر من أكبر الجرائم؛ لأنه من المقرر في الشرائع والقوانين أن من شرع في ارتكاب جريمة من الجرائم واتخذ كل الوسائل لتنفيذها ولكنها لم تتم لأمر خارج عن إرادته، فإنه يعد من المجرمين الذين يستحقون العقاب الشديد.

واليهود قد اتخذوا كافة الطرق لقتل عيسى الطّيّلاً -كها بينا ، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون لأسباب خارجة عن طاقتهم. ومعنى هذا أنه لو بقيت لهم أية وسيلة لإتمام جريمتهم النكراء لما تقاعسوا عنها، ولأسرعوا في تنفيذها فهم يستحقون عقوبة المجرم في تفكيره، وفي نيته، وفي شروعه الأثيم، لارتكاب ما نهى

قال صاحب "الكشاف": فإن قلت: كانوا كافرين بعيسى الطِّيلاً أعداء له، عامدين لقتله، يسمونه الساحر

ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فكيف قالوا: ﴿ إِنَّا قَنَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ؟

قلت: قالوه على وجه الاستهزاء؛ كقول فرعون:
﴿إِنَّ رَسُولُكُمُ الَّذِى أَرْسِلَ إِلَيْكُمُ لَمَجْنُونٌ ﴿ الشعراء)، ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم، رفعا لعيسى عها كانوا يذكرونه به، وتعظيهًا لما أرادوا بمثله كقوله: ﴿لَيَقُولُنَ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيرُ الْعَلِيمُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَمَلَ لَكُمُ اللَّهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شَيّة لَمُمُ ﴾ العليم ﴿ اللَّهِ الله وَمَا قَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شَيّة لَمُمُ الله وقوله ﴿ وَمَا قَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شَيّة لَمُمُ الله الله ود على مزاعمهم الكاذبة، وأقاويلهم الباطلة التي تفاخروا بها بأنهم قتلوا عيسى العليم، أي: إن ما قاله اليهود متفاخرين به، وهو زعمهم أنهم قتلوا عيسى العليم، هو من باب أكاذيبهم المعروفة عنهم؛ فإنهم ما قتلوه، وما صلبوه، ولكن الحق أنهم قتلوا رجلًا آخر يشبه عيسى العليم في الخلقة، فظنوه إياه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا. إنا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله.

قال الفخر الرازي: قوله: ﴿ شُبِّهَ ﴾ مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسندًا إلى المسيح فهو مشبه به وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول لم يجر له ذكر؟ والجواب من وجهين هما:

- أنه مسند إلى الجار والمجرور، وهو كقولك:
 خيل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم الشبه.
- أن يسند إلى ضمير المقتول، لأن قوله: ﴿ وَمَا قَنْلُوهُ ﴾ يدل على أنه وقع القتل على غيره فيصار ذلك
 الغير مذكورا بهذا الطريق فحسن إسناد ﴿ شُبِّهَ ﴾ إليه.

وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف قوله الله المسيح قَنَلُوهُ وَمَاصَلَبُوهُ ﴾: زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، فأكذبهم الله الله الله الله وقال: ﴿وَلَكِن شُيّهَ لَمُمْ ﴾، أي: شبه لهم المقتول بأن ألقى عليه شبه المسيح فلها دخلوا عليه ليقتلوه - أي ليقتلوا المسيح - وجدوا المشبيه فقتلوه وصلبوه، يظنونه المسيح وما هو في الواقع؛ إذ قد رفع الله عيسى إلى السهاء، ونجاه من شر الأعداء. وقيل المعنى: ولكن التبس عليهم الأمر؛ حيث ظنوا المقتول عيسى كها أوهم بذلك أحبارهم.

وللمفسرين في بيان كيفية التشبيه لهم وجوه من أهمها اثنان هما:

1. أن الله على ألقى شبه عيسى الطيخ على أحد الذين خانوه ودبروا قتله، وهو يهوذا الإسخريوطي الذي كان عينا وجاسوسًا على المسيح، والذي أرشد الجند الذين أرادوا قتله إلى مكانه، وقال لهم: من أقبله أمامكم يكون هو المسيح، فاقبضوا عليه لتقتلوه، فدخل بيت عيسى؛ ليدلهم عليه ليقتلوه، فرفع الله عيسى، وألقى شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه، وهم يظنون أنه عيسى.

وهذا الوجه قد جاء مفصلًا في بعض الأناجيل، وأشار إليه الألوسي بقوله: كان رجل من الحواريين ينافس عيسى التَّخِيل، فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه، وأخذ على ذلك ثلاثين درهما، فدخل بيت عيسى التَّخِيل، فرفع الله عيسى، وألقى شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه، وهم يظنون أنه عيسى.

٢. أن الله ﷺ ألقى شبه المسيح على أحد تلاميذه
 المخلصين حين أجمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه

سيرفعه إليه، فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم أنا. فألقى الله صورة عيسى عليه، فقتل ذلك الرجل وصلب.

وقد أطال الإمام ابن كثير في ذكر الروايات التي تؤيد هذا الوجه، ومنها قوله: عن ابن عباس قال: لما أراد الله كان أن يرفع عيسسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في البيت اثنا عشر رجلًا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: أما إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يُلقى عليه شبهي فيُقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًا فقال: أنا، فقال عيسى: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، قال: نعم أنت ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، قال: وجاء الطلب من روزر نَه أن البيت إلى السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود وأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن"(٢).

ومن بين الأناجيل التي كُتبت في فترة كتابة الأناجيل الكثيرة: إنجيل برنابا، وهو يخالف الأناجيل الأربعة المعتمدة في قصة القتل والصَّلْب، فيقول: "ولما دَنَت الجنود مع يهوذا، من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دُنُوٌ جَمِّ غفير. فلذلك انسحب إلى البيت خائفًا. وكان الأحد عشر نيامًا. فلما رأى الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سُفَراءه أن يأخذوا

يسوع من العالم. فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المُشْرِفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السهاء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح إلى الأبد. ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصْعِد منها يسوع. وكان التلاميذ كلهم نيامًا. فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيها بيسوع. حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يُفتِّش لينظر أين كان المعلِّم. لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيدي معلِّمنا. أنسيتنا الآن؟.. إلخ".

وهكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبرًا يقينًا عن تلك الواقعة، ولا يجد المختلفون فيها سندًا يرجح رواية على رواية، ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْنَلَفُواْ فِيهِ لَغِي شَكِ مِنْ مُ مَا لَهُم بِهِ عَلَى رَفَاية الْقَالِقَ ﴾ (النساء: ١٥٧).

والذي يجب اعتقاده بنص القرآن أن عيسى الطَّيْلُا لم يُقتل ولم يُصلب، وإنها رفعه الله إليه، ونجَّاه من مكر أعدائه، أما الذي قتل وصلب فهو شخص سواه.

إذًا فاليهود هم الذين ادّعوا أنهم قتلوا عيسى الكيلاً وصلبوه، وذلك أنهم حين همّوا بالفتك به وإرادته

١. الرَّوْزَنَة: الفتحة في سَقْف المنزل.

إسناده صحيح: أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٤٣١)، وصحح إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٥٠).

۳. التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج٣، ص٨٤٤: ٢٠٥.

بالسوء والصلب وتمالئوا عليه، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافرًا، وأخبروه أنَّ ها هنا رجلًا يُضل الناس، ويصدهم عن طاعة الملك، ويفند الرعايا، ويفرّق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم، ورموه به من الكذب، وأنه ولد زانية، حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه وينكل به ويصلبه، فلما أحاطوا به وظنوا أنهم قد ظفروا به، نجّاه الله من بينهم، ورفعه من روزنة (طاقة أو كوة) ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده في المنزل، فلما دخل اليهود اعتقدوا في ظلمة الليل أن هذا الرجل هو عيسى التي فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم، يعتقدون أنهم ظفروا بطلبتهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادًا للحق ملازمًا لهم، وأورثهم ذلَّة لا تفارقهم إلى يوم القيامة، قال على في ذلك: ﴿ وَمَكَدُواْ وَمَكَرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَنْكِرِينَ اللَّهُ الْمَنكِرِينَ اللَّهُ ﴾

وقـال ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْنَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكِ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اَبْبَاعَ ٱلظَّلِّ وَمَا قَنْلُوهُ يَقِينَا ﴿ إِلَا اَنْهَا اللَّهُ ﴾ (النساء).

فهؤلاء الذين اختلفوا في عيسى التَّكِينَّ هم اليهود الذين أحاطوا به وادعوا أنهم قتلوه، وهم يقينًا ما قتلوه ولا صلبوه، بل هم شاكُون متوهِّمون في ذلك، بل رفعه الله عَلَى إليه وطهَّره من الذين كفروا، قال عَلَى ﴿ إِذْ قَالَ الله عَلَى الله عَلَى

ومن ردود القرآن الكريم عليهم أيضًا في دعواهم قتل المسيح التي قوله في : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ إِلَّا فَتِل المسيح التَي قوله في : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ إِلَّا لَكُونُ عَلَيْهِم شَهِيدًا السَّ الْكُورُ عَلَيْهِم شَهِيدًا السَّ السَّاء)، والضمير في قوله: ﴿ مَوْتِهِ عَائِد على المسيح عيسى التَّكُ ، والمعنى: إذا نزل عيسى التَّك فقتل الدجال لم يبق يهودي في الأرض إلا آمن به، وذلك حين لا ينفعهم الإيهان.

ومن الأدلة على أن المسيح النفي لم يقتل ولم يصلب، وأن الله رفعه إليه، وأنه ينزل في آخر الزمان، أن الله جعل نزول عيسى النفي علامة من علامات اقتراب الساعة، قال الله : ﴿ وَإِنَّهُ رَلِيلَمُ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتُرُكَ بِهَا ﴾ (الزخرف: ٢١)، ويتأيد ذلك بالعديد من الأحاديث الصحيحة المتواترة في شأن نزول عيسى النفي في آخر الزمان وصفته وما يصاحب نزوله.

ثانيًا. الوفاة المذكورة في القرآن لسيدنا عيسى الطِّيَّةُ يقصد بها القبض والرفع إلى السماء من غير موت:

وأما قول من قال: إن عيسى العلام مات شم رفع؛ لأن الوفاة وردت قبل الرفع في قوله فلا: ﴿ إِنِّ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾ (آل عمران: ٥٥)، فهذا لا يفيد أن عيسى مات ثم رفع، والله فلا يقول: ﴿ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُيِّهَ لَمُمْ ﴾ (النساء: ١٥٧). وأما هذا الإشكال في ورود الوفاة قبل الرفع فيرد عليه بها يلي:

يرى بعض العلاء أن معنى الوفاة هذا:
 النوم، ولهذا نظائر في القرآن، كقوله ﷺ: ﴿وَهُوَ اللَّذِي يَتَوَفَّ اللَّذِي يَتَوَفَّ اللَّذِي إِللَّهَ يَتَوَفَّى اللَّهَ عَلَم مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَادِ ﴾ (الانعام: ١٠)،
 وقوله أيضًا: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُس حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ

تَمُتْ فِي مَنَامِهِ مَ أَفِيمُسِكُ اللِّي قَضَىٰ عَلَيْهَ الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَفْرَىٰ إِلَى الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَفْرَىٰ إِلَى الْجَلِ مُسَمَّى ﴾ (الزمر: ٤٢)، فعلى ذلك فمعنى متوفيك: أي مُنيمك.

- وبعض أهل العلم يرى أن معنى متوفيك: قابضك ورافعك إلى السهاء من غير موت، وفي معاجم اللغة: توفيتُ مالي من فلان أي قبضته.

عليسكِ ورَحْمَسةُ اللهِ السسَّلامُ

أي: عليك السلام ورحمة الله.

وعلى ذلك يكون المعنى: إني رافعك إلى ومتوفيك إذا جاء الأجل الذي قدرته لو فاتك.

الخلاصة:

• إن قضية قتل عيسى الكلي وصلبه قضية يخبط فيها اليهود _ كما يخبط فيها النصارى بالظنون _ فاليهود يقولون: إنهم قتلوه ويسخرون من قوله: إنه رسول الله، فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية! والنصارى يقولون: إنه صلب ودفن، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام. و"التاريخ" يسكت عن مولد المسيح ونهايته كأن لم تكن له في حساب! وما من أحد من هؤلاء أو هؤلاء يقول ما

يقول عن يقين، فلقد تتابعت الأحداث سراعًا؛ وتضاربت الروايات في تلك الفترة بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين. إلا ما يقصه رب العالمين.

- الأناجيل الأربعة التي تروي قصة القبض على المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته.. كلها كتبت بعد فترة من عهد المسيح؛ كانت كلها اضطهادًا لديانته ولتلاميذه يتعذر معه تحقيق الأحداث في جو السرية والخوف والتشريد، وقد كتبت معها أناجيل كثيرة. ولكن هذه الأناجيل الأربعة اختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد؛ واعتبرت رسمية، واعترف بها؛ لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات!
- أما القرآن فيقرر قراره الفصل: ﴿ وَمَا قَنْلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَمَا سَلَبُوهُ يَقِينًا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبّة إلَيْهِ وَكَانَ اللّه عَزِيزًا حَرِيمًا ﴿ السَاء) ، ولا يدلي القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة؟ أم كان بالروح بعد الوفاة؟ ومتي كانت هذه الوفاة وأين؟ وهم ما قتلوه وما صلبوه، وإنها وقع القتل والصلب على من شُبّه لهم.
- لا يدلي القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة؛ إلا ما ورد في السورة الأخرى من قوله ﷺ: ﴿ يَكِعِسَىٰ إِنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ ﴾ (آل عمران: ٥٥)، وهذه كتلك لا تعطي تفصيلًا عن الوفاة ولا عن طبيعة هذا التَّوفِّي وموعده (١).

AND DES

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٨،
 ٨٠٢

الشبهة الحادية والستون

دعوى أن المسيح وأمّه إلهان مع الله ﷺ (*⁾

مضمون الشبهة:

يدَّعي النصارى كذبًا وافتراء أن المسيح وأمه إلهان مع الله، فيجعلون الله بذلك ثالث ثلاثة، فيكون المسيح وأمه شريكين مع الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، قال الله على ذلك علوًا كبيرًا، قال الله على أبن مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ قَلْلَا الله عَلَيْ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَنْ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبَحَنكَ لِلنّاسِ التَّخِذُونِ وَأُمِّى إِلَهَ يَنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبَحَنكَ مَا يَكُونُ فِي وَأُمِّى إِلَهَ يَنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبَحَنكَ مَا يَكُونُ فِي اللّهَ اللهُ اللهُ عَلَيْ إِن كُنتُ قُلْتُهُ, فَقَدْ مَا يَكُونُ فِي آنَ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ, فَقَدْ عَلِمْ مَا فِي نَقْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَقْسِكَ إِنّكَ أَنتَ عَلَمُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

وجوه إبطال الشبهة :

ا زعم النصارى أن الله ثالث ثلاثة هـ و دعـ وى باطلة بلا دليل.

٢) المسيح النائلة بشر رسول كسائر الرسل، ولا يملك ضرَّا ولا نفعًا لأحد.

٣) إقرار المسيح الطلائة بالعبودية لله في مهده ويـوم
 القيامة.

التفصيل:

أولا. زعم النصارى أن الله ثالث ثلاثة زعم باطل:

أخبر الله الله عن فريق من النصارى قالوا كُفْرًا بربِّهم وشِرْكًا: الله ثالث ثلاثة، وهذا قول كان عليه

(*) الآيتان اللتان وردت فيها الشبهة: (المائدة/ ٧٣، النساء/ ١٧١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الـشبهة: (المائـدة/ ٧٣، النـساء/ ١٧١، ١٧٢، المائدة/ ١١٦: ١١٨).

جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكانية والنسطورية، حيث كانوا يقولون: الإله القديم جوهر والنسطورية، حيث كانوا يقولون: الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبا والدًا غير مولود، وابنا مولودًا غير والد، وزوجًا متتبعة بينها، وبذلك أرادوا أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، ويؤكد ذلك قول الله على للمسيح المنسية الله على المنسيح المنسية المنسية

فقولهم ﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةً ﴾ (الماندة: ٧٧) أي: أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة، وعلى هذا التقدير ففي الآية إضهار، حيث حذف ذكر الآلهة؛ لأن ذلك معلوم من مذاهبهم. قال الواحدي: ولا يكفر من يقول: إن الله ثالث ثلاثة، إذا لم يرد به ثالث ثلاثة آلهة، فإنه ما من شيئين إلا والله ثالثهما بالعلم، لقوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَجَوَى ثَلَاثَةً إِلّا هُوَ رَابِعُهُم وَلَا حَسَمةٍ إِلّا هُوَسَادِ سُهُم ﴾ من خَبُوى ثَلَاثةً إِلّا هُو رَابِعُهُم وَلَا حَسَمةٍ إِلّا هُو سَادِ سُهُم ﴾ (المجادلة: ٧).

فهذا هو الطريق الأول لتفسير قول النصارى: وَاللَّهُ ثَلَائَةٍ ﴾؛ أي: الله وعيسى ومريم، والطريق الثاني أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، كها أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالآب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر، واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الآب إله، والابن إله، والروح المواحد.

وهذا في الحقيقة معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن

الثلاثة لا تكون واحدًا، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالة النصارى هذه.

ثم يحتج الله لنبيه محمد ﷺ على فرق النصاري في قولهم في المسيح بأنه ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة من النصاري في المسيح، فالمسيح ابن مريم ولدته ولادة الأمهات أبناءهن، وذلك من صفة البشر، لا من صفة خالق البشر، وإنها هو رسول لله كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا، أجرى على يده ما شاء أن يجريه من الآيات والعبر حجة له على صدقه وعلى أنه رسول من عند الله إلى من أرسله إليه من خلقه كما أجرى على أيدي من قبله من الرسل من الآيات، وأما أمّه فصدّيقة صدّقت بآيات ربهـا وبكـل مـا أخـبر عنـه ولدها، كما قال الله عَلَىٰ في صفتها: ﴿ وَصَدَّفَتْ بِكُلِّمَنتِ رَبِّهَا وَكُنْبِهِ عَلَيْهِ التحريم: ١٢)، أو المراد بكونها صدِّيقة غاية بُعدها عن المعاصي وشدة جدها واجتهادها في إقامة مراسم العبودية، فإن الكامل في هذه الصفة يسمى صدِّيقًا، قال اللهِ: ﴿ فَأُوْلَتِهِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّكَنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (النساء: ٦٩).

أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن،
 وكل من كان كذلك كان مخلوقًا لا إلمًا.

7. أنها كانا محتاجين؛ لأنها كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة؛ أي إلى ما يغذوهما، وتقوم به أبدانها من المطاعم والمشارب، والإله هو الذي يكون غنيًّا عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون عيسى ومريم إلهين وهما محتاجان!

٣. قول بعضهم: إن قول الله: ﴿ كَانَا يَأْتُكُلَانِ
 ٱلطَّعَامَ ﴾ كناية عن الحدث؛ لأن من أكل الطعام فإنه
 لا بد وأن يحدث.

٤. أن الإله هو القادر على الخلق والإيجاد، فلو كان إلها لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب، فلما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلها للعالمين.

وبالجملة، ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل؛ لذا قال الله بعد ذلك: ﴿ اَنْظُرَ كَيْفَ مُنْكِبُ لَهُمُ الْآيِكِ مُنَا الْطُرَ أَنَّ يُؤْفَكُونَ الله الساطع (المائدة) فإنهم بعد هذا البيان الواضح والبرهان الساطع

أين يذهبون وبأي قول يتمسّكون، فأنّى يصرفون عن الحق إلى الحق، فدلّ هذا على أنهم مصروفون عن تأمل الحق إلى الباطل والكذب والجهل؛ إذ العاقل لا يختار لنفسه ذلك.

ثانيًا. المسيح بشر رسول كسائر الرسل ولا يملك ضرًا ولا نفعًا لأحد:

ومن ردود القرآن عليهم أيضًا ما أنكره على هؤلاء النصارى الزاعمين أن المسيح ربهم، والمسيح لا يملك لهم ضرَّا يدفعه عنهم إن أحله الله بهم، ولا يملك لهم نفعًا يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم، فكيف يكون ربَّا وإلمًا من كانت هذه صفته، بل الله هو المعبود الذي يملك ضركم ونفعكم، قال الله الله هو المعبود الذي يملك ضركم ونفعكم، قال الله الله هو المعبود الذي ون الله ما لا يَمْ الله لكم مَ ضَرَّا ولا نقعًا الله (المائدة: ٢٧).

1. أن اليهود كانوا يعادون المسيح ويقصدونه بالسوء، في قدر على الإضرار بهم، وكان أنصاره وصحابته يحبونه في قدر على إيصال نفع من منافع الدنيا إليهم، والعاجز عن الإضرار والنفع كيف يعقل أن يكون إلماً.

٢. أن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ومزّقوا أضلاعه، ولما عطش وطلب الماء منهم صبوا الخل في منخريه، ومن كان في الضعف هكذا كيف يعقل أن يكون إلمًا.

٣. إن إله العالم يجب أن يكون غنيًا عن كل ما سواه، ويكون كل ما سواه محتاجًا إليه، فلو كان عيسى المين كذلك لامتنع كونه مشغولًا بعبادة

الله على الأن الإله لا يعبد شيئًا، إنها العبد هو الذي يعبد الإله، ولما عرف بالتواتر كونه كان مواظبًا على الطاعات والعبادات، عَلِمْنا أنه إنها كان يفعلها لكونه محتاجًا في تحصيل المنافع ودفع المضارّ إلى غيره.

ومن كان كذلك كيف يقدر على إيصال المنافع إلى العباد ودفع المضارّ عنهم، وإذا كان كذلك كان عبدًا كسائر العبيد، وهذا هو عين الدليل الذي حكاه الله عن إبراهيم العَيْنُ حيث قال لأبيه: ﴿ لِمَ تَعْبُدُمَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْعًا ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ عَنهُ مُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ

ثَالثًا. إقرار المسيح بالعبودية في مهده ويوم القيامة:

ومن ردود القرآن القاطعة أيضًا على هؤلاء النصاري ما يخاطب به الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم _ عليهما السلام _ يوم القيامة قائلًا له بحضرة من اتخذه وأمه إله ين من دون الله، فيقـول ﷺ لــه: ﴿ وَإِذَّ قَالَ ٱللَّهُ يَنْعِيسَى ٱبْنَ مَرَّبَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَّهَ يْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: ١١٦)، وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع لهم على رءوس الأشهاد يـوم القيامـة، وفي هذا الموقف يقرّ عيسي الكليلة على رءوس الأشهاد بالعبودية لله، وأنه أمرهم بعبادته عَلَق، وينزِّه الله عَلَقُ أن يكون معه إله، فيقول: ﴿ سُبْحَنَّكَ مَا يَكُونُ لِي أَنَّ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَّ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّمُ ٱلْفُيُوبِ ١ مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمَّتُ فِيهِم ۚ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِم ۗ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّائدة).

ومن ردود القرآن أيضًا ما حكاه القرآن على لسان عيسى العلام حين تكلم في المهد، فكان أول شيء تكلم به ونطق به لسانه أن نزّه جناب ربه على وبرراه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه، قال في المهذ صَبِيًّا في فأشارَت إلَيه في أَلُوا كَيْفَ نُكِلِّمُ مَن كَانَ فِ ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا الله قال إلى قال إلى عَبْدُ الله عَاتَى نِي الْمِكْدِ مَن كَانَ فِ ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا الله قال إلى أن قال: عَبْدُ الله عَاتَى نِي الْمِكْدُ وَمُعَلِي بَيّيًا الله قال الله ولم يقال إلى أن قال: هو وَلِنَ الله رَبِي وَرَبُكُم فَاعَبُدُوه مُ هَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ الله الله ولم يقال: إني (مريم). وهكذا نطق المسيح بأنه عبد الله، ولم يقال: إني أنا الله ولا ابن الله.

الخلاصة:

- تجاوز أهل الكتاب الحدّ وغالوا في شأن عيسى النه أما اليهود فقد أنكروا رسالته واتهموا أمه مريم بها هي منه برئية، وأما النصارى فقد رفعوا عيسى النه إلى مرتبة فوق مرتبة البشرية، واعتبره بعضهم إلها، واعتبره بعض آخر منهم ابنا لله، تعالى الله عها يقولون علوًا كبيرا.
- فصّل الله عَلَىٰ في القرآن الكريم القول في شأن عيسى الطّيني، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُوكُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَٱلْقَلْهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ ﴾ (النساء: ۱۷۱)، فهو رسول أرسله على لهذاية الناس إلى الحق، وقد خلقه الله بكلمة ﴿ كُن ﴾ (آل عمران: ٤٧) ألقاها إلى مريم من غير واسطة أب ولا نطفة، ونفخ جبريل الطّيني في مريم، فكان عيسى الطّيني بإذن الله بشرًا
- تعلق النصارى بكون عيسى الكناكل كلمة الله دليل على ألوهيته تعلق باطل، فها كانت الكلمة من الله

إلمًا يعبد، وإنها سمي بذلك لأنه نشأ بكلمة من الله وروح من الله مرسل بها جبريل الطيكال.

• يقر عيسى الطّيّل بأنه عبد الله ورسوله آتاه الكتاب وجعله من الأنبياء وذلك في الدنيا، أما في الآخرة فسوف يُقرُّ كها حكى القرآن أنه الطّيّل ما قال لبني إسرائيل إلّا ما أوحى الله له، وهو عبادة الله وحده لا شريك، وهو ربي وربكم وما زلت أدعوهم إلى ذلك حتى توفيتني، وذلك على رءوس الأشهاد.

AND DES

الشبهة الثانية والستون

اتِّهام مريم.عليها السلام.بالزِّنا (*)

مضمون الشبهة:

يرمي اليهود _عليهم لعنة الله _مريم _عليها السلام _بالبهتان، وأنها حملت بولدها من الزنا، وزاد بعضهم وهي حائض، قال على: ﴿ قَالُواْ يَكُمْرِيكُمُ لَقَدُ جِعْتِ شَيْكَا فَرِيًّا ﴿ يَكُمْ يَكُأُخْتَ هَنُرُونَ مَاكَانَ أَبُوكِ آمْرَأُ سَوْءِ وَمَاكَانَ أَبُوكِ إَمْرَأُ سَوْءِ وَمَاكَانَ أَبُوكِ بَغِيًّا ﴿ يَكُمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وجها إبطال الشبهة:

 ا في كلام عيسى الطّن في المهد تبرئة لأمه مما رُمِيَت به.

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (النساء/ ١٥٦، مريم/ ٢٧، ٢٨).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (آل عمران/ ٤٢، مريم/ ٣٠، الأنبياء/ ٩١، التحريم/ ١٢)

۲) طهارة مريم وحفظها لفرجها، وتوضيح معنى نفخ جبريل في درعها وكيفية الحمل، فضلًا عن اصطفاء الله لها.

التفصيل:

أولا. البراءة القاطعة لمريم عليها السلام في كلام عيسى الطِّي في المهد:

لقد رمى هؤلاء اليهود - لعنهم الله تعالى - مريم بالبهتان، وهو الزنا، واتهموها به، قال الله في فالُوا يَمَرْيَمُ لَقَدْ حِنْتِ شَيْئًا فَرِيًا الله يَتَأَخْتَ هَرُونَ مَاكَانَ أَمُّكِ بَغِيًا الله يَتَأَخْتَ هَرُونَ مَاكَانَ أَمُّكِ بَغِيًا الله يَتَأَخْتَ هَرُونَ مَاكَانَ الله في وَمَا كَانَتُ أُمُّكِ بَغِيًا الله إلى المنافة إليه زيادة كان أخًا صالحًا في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ، أي ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك. وقولهم: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ آمَراً سَوْءٍ وَمَا كَانَتُ أُمَّكِ بَغِيًا الكلام الكناية عن كونها أتت بغيبًا بأمر ليس من شأن أهلها، أي أتت بسوء ليس من شأن أمها فهم أرادوا ذمها وأنها مبتكرة الفواحش في أهلها فأتوا بكلام صريح ثناء على أبويها مقتض أن شأنها أن تكون مثل أبويها أبويها أن شأنها أن تكون مثل أبويها أنه.

فهم يقولون لها: إنك من أهل بيت يعرفون بالصلاح والطهر والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك؟! وهكذا رموها بالفاحشة بغير ثبت ولا برهان.

وقد ردّ عيسى الطَّيِّةُ عليهم فريتهم وبرّاً أمّه مما نُسب إليها من الفاحشة، فقال متكلِّمًا في المهد: ﴿ قَالَ إِنِي عَبْدُ اللهِ عَالَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الل

المعجزات عند ولادة عيسى كافية في الدلالة على براءتها من كل عيب.

ثانيًا. عفة مريم واصطفاء الله ﷺ لها يتنافى مع التهام اليهود لها:

أكد القرآن براءة مريم عليها السلام عالمها به هؤلاء الملعونون، قال الله عند وَمَرْيَم البَنْ عِمْرُن اللّي المعونون ون قال الله عند وَمَرْيَم البَنْ عِمْرُن اللّي المحصنة فَرْجَهَا فَنَفَخْنَ فِيهِ مِن رُّوحِنا وَصَدَقَة بِكُلِمنة رَبِّهَا وَكُتُبِهِء وَكَانَة مِن الْقَيْنِينَ الله الله النحيم، وقال أيضًا: ﴿ وَالَّتِي الْحَصَلَة فَرْجَهَا فَنَفَخْنَ فِيهَا مِن وَقال أيضًا: ﴿ وَالَّتِي الْحَصَلَة وَمَا الله الله الله الله الله الله وصانته، والإحصان: العفاف، وقد أرسل الله جبريل الله الله الله الله والله في صورة بشر سوي، وأمره الله على أن ينفخ بفيه في عن مورة بشر سوي، وأمره الله على أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى الله وبهذا أكد الله على أن إحصانها كان الحمل بعيسى العَلَيْ وبهذا أكد الله على أن إحصانها كان مقارفة الفواحش، فظلت عذراء لما حملت.

وينفرد القرآن بأن ذكر أن الحمل كان بالنفخ في الفرج وليس بالمجامعة والإيلاج؛ لأن الفرج هو الطريق إلى الرحم الذي يكون فيه الحمل، والنفخ هو مجرّد أن يتنفس جبريل النه بكلمة ﴿ كُن ﴾ فكان أن حملت، ويقال: إن جبريل تنفس في جيب قميصها فوصل ذلك إلى فرجها، والجيب يسمى فرجًا، كما في قوله من وما لما ين فروج النه والجيب يسمى فرجًا، كما في قوله من والجيب شق أو فرج في الثوب.

وبسيّن الله ﷺ في آيات أخرى أنّه اصطفى مريم

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٨، ج٨١، ص٩٦.

- عليها السلام - واختارها على نساء العالمين بطاعتها إياه وفضّلها عليهن، وطهّرها من الأدناس، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَتِ كُمُ يَكُمْرِيكُمُ إِنَّ اللّهَ اَصَطَفَعْكِ وَطَهّركِ وَاصْطَفَعْكِ عَلَى نِسكَةِ الْعَكْمِينَ ﴿ اللّهُ اللّه الله مران). والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى، وذلك لما لابس مولد عيسى الطيخ من شبهات لم يتورّع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة، معتمدين على أن هذا المولد لا مشال له في عالم الناس فزعموا أن وراءه سرّا الا يشرّف؟!

الخلاصة:

- اشتهرت السيدة مريم عليها السلام بالعفة والطهارة والإيهان بين قومها، وما كان من الحمل بعيسى، فبأمر من الله لجبريل الكيلا أن ينفخ في درعها؛ فنزلت النفخة إلى فرجها، فكان الحمل في رحمها معجزة من الله كان.
- أتم الله ﷺ معجزة الحمل بغير زوج للسيدة مريم، فأنطق الله وليدها ليبرئ أمه مما رماها به اليهود، فكان ذلك شاهدًا حقًا على طهارتها وأن ما حدث لها معجزة.
- إذا كانت مريم -عليها السلام -كما يدعي
 هؤلاء فلم كان اصطفاء الله لها بأن تكون أمَّا لرسول
 من بني إسرائيل؟!

AND EX

٤. محمد ﷺ

الشبهة الثالثة والستون

إنكاررسالة محمدﷺ وبعثته ઋ

مضمون الشبهة:

أنكرت قريش على النبي الله رسالته وبعثته بشيرًا ونذيرًا، ويحتجُون بأنّهم لم يسمعوا بهذا الذي يدعو إليه محمد من التوحيد في الملّة الآخرة، يعنون النصرانية، ويقولون: لو كان هذا القرآن وما يقوله محمد حقًّا لأخبرتنا به النصارى، وعلى هذا يكون ما جاء به محمد اختلاقًا، قال الله حاكيًا عن المشركين قولهم: ﴿ مَا سَمِعَنَا الْحَلَقُ الْعَلَمُ اللهُ عَلَا الْكَالَةُ الْكَالَةُ الْكَالَةُ الْكَالَةُ اللهُ الْعَلَمُ اللهُ الْمَاكِينَ قولهم: ﴿ مَا سَمِعَنَا الْحَلَاقًا، قال اللهُ حَاكيًا عن المشركين قولهم: ﴿ مَا سَمِعَنَا إِلّهُ الْخِلِلَةُ اللهُ الْحَلِلَةُ اللهُ الْحَلَاقًا، واللهُ اللهُ عَلَا إِلّهُ الْخِلِلَةُ اللهُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

وجها إبطال الشبهة:

- إرسال الرسل واجب عقلي وواقع عملي.
- Y) الدلائل على صدق رسالة محمدﷺ، ولم يكن محمدﷺ أول رسول بل سبقه رسل قبله.

التفصيل:

أولا. إرسال الرسل واجب عقلي، وواقع عملي:

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (ص/ ٧).

الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الأحقاف/ ٩).

رَسُولًا الله الله الإسراء). وقال أيضًا: ﴿ رُسُلًا مُبَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَةُ أَبعَدَ الرُسُلِ ﴾ (البساء: ١٦٥)، وقال أيضًا: ﴿ وَلَوْ أَنَّا آهَلَكُنْهُم بِعَذَابِ مِن فَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَتَنَا رَسُولًا فَنَتَبِعَ ءَايننِكَ مِن قَبْلِ أَن نَيْدِ لَوْ وَنَعْ زَئ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ أَيضًا: ﴿ وَلَوْ لَنَا لَا لَكُولًا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَبِعَ ءَايننِكَ مِن قَبْلِ أَن نَيْدِ يَهُم مُصِيبَةً بِمَا فَدَمَتُ أَيْدِ يِهِمْ فَيَقُولُواْ وَلَوْلًا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَبِعَ ءَاينَئِكَ وَنَكُونَ رَبّنَا لَوْلًا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَبِعَ ءَاينَئِكَ وَنَكُونَ مِن الْمُؤْمِنِينَ اللهِ (النصص).

ثَالثًا. دلائل صدق رسالة محمد ﷺ، ولم يكن ﷺ أول رسول، بل سبقه رسل قبله:

دلت الدلائل على صدق رسالة محمد راي ومنها:

• بشارة الكتب السابقة به؛ كالتوراة والإنجيل،

- وشهادةُ المنصفين؛ كعبد الله بن سلام الله والنجاشي وهرقل عظيم الروم وغيرهم.
- ومن هذه الدلائل أيضًا الآيات التي أجراها الله
 على يديه يخرق فيها العادة؛ كخطاب الأحجار
 والأشجار وانقيادها له، وانشقاق القمر له وغير ذلك.
- ومن الدلائل أيضًا كهال أخلاقه وملاعنته على ما عنده، قال الله فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعَدِ مَاجَآءَكَ مِنَ الْمِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمُ وَفِسَاءَنَا وَفِسَاءَكُمُ وَفِسَاءَكُمُ وَفِسَاءَكُمُ وَفِسَاءَكُمُ وَفِسَاءَنَا وَفِسَاءَكُمُ وَانفُسَنَا وَأَنفُسَكُمُ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنجُعكل لَعَنت الله عَلَى وَأَنفُسَنا وَأَنفُسَكُمُ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنجُعكل لَعَنت الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وحمايته من كل ما يكاد به وله، وانتفاءُ الغرض الشخصي والمصلحة الخاصة لنفسه من هذه الدعوة، وإخباره والخيب، وغير ذلك بالنهايات في البدايات، وإخباره بالغيب، وغير ذلك من الآيات الدّالة على صدق نُبوَّتِه وبعثته.

ولذلك فإن قول المشركين: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَةِ
الْآخِرَةِ إِنَّ هَلْنَا إِلَّا الْخَلِلَةُ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ المُلْحَالِمُ المُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُولِ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ المُلْمُلْمُ المُلْمُلِمُ ال

دين النصارى، وعليه فالمشركون هنا يستدلون على بطلان توحيد الإله، وبعثة النبي بدين النصارى الذي لم يثبت فيه ذلك، وهذا كذب وافتراء، فالتوحيد دعوة جميع رسل الله، وبعثة النبي على قد بشرت بها كتبهم وأنبياؤهم.

وإنكار هؤلاء المشركين لم يريدوا به إنكار تجويز أصل الرسالة عن الله، وإنها مرادهم استقصاء الاستبعاد، وهذا هو الأصل الثاني من أصول كفرهم، وهو أصل إنكار بعثة رسول منهم، أما أصلهم الأول فهو إنكار أصل الرسالة.

ولهذا كان قوله الله كها حكى القرآن: ﴿ قُلْ مَاكُنتُ بِدْعَامِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ردًّا صالحًا على نصارى زماننا الذين طعنوا في نبوته بمطاعن لا منشأ لها إلا تضليل وتمويه على عامتهم.

الخلاصة:

- الفطرة والعقول السليمة تدل على وجود الخالق الله والله المستحق للعبادة، ولكن كيف تكون هذه العبادة وما شروطها؟ لذا وجب إرسال الرسل عقلًا وواقعًا عمليًّا للتعرف على هذه العبادة.
- هل كان محمد ﷺ بدعًا من الرسل؟ بمعنى هل
 هو وحده أول رسول ولم يسبقه رسل؟ وهل رسالته
 أول رسالة أم سبقتها رسالات متنوعة؟
- دلائل صدق النبي محمد الله كثيرة أكثر من أن تحصى؛ منها: البشارة به في الكتب السابقة، ومعجزاته الحسية والمعنوية.. إلخ.

AG EXE

الشبهة الرابعة والستون

اتّهام النبيﷺ بأنه ساحر (*)

مضمون الشبهة :

وجوه إبطال الشبهة:

- ا تخبُّط المشركين وضلالهم وتنضارب آرائهم في شأن رسول الله ﷺ يسقط اتهامهم.
- ۲) هذه تهمة يلقيها كل المكذّبين لرسلهم كأنهم تواصوا بها.
- ٣) حقيقة السحر وبطلان كون محمد السياحرًا، وانشقاق القمر معجزة ثابتة متواترة وليست سحرًا، لكن كفر بها المشركون عنادًا أو استكبارًا.

التفصيل:

أولا. تخبط المشركين وضلالهم يسقط اتهامهم:

هـذه تهمة طالما قـذف بها المكـذّبون المعاندون الرسول رية فتارة يقولون عنه: إنه ساحر، قال الله المارسول المارة الم

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (يونس/ ٢، ص/ ٤، الإسراء/ ٤٧، القمر/ ٢، الفرقان/ ٨، الذاريات/ ٥٢). الآيات التي ورد فيها الردعلى الشبهة: (الإسراء/ ٤٨، الفرقان/ ٩، الذاريات/ ٥٣).

﴿ قَالَ ٱلۡكَفِوۡونَ إِنَّ هَلْذَا لَسَحِرٌ مُبِينُ ۗ ﴿ فَالَا الْسَحِرُ مُبِينُ اللَّهِ (يونس)، وقــال ﷺ: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَفِرُونَ هَلاَا سَلْحِرٌ كُذَّابُ ۗ ۗ ﴾ (ص)، وكذلك يرمون ما جاء به من آيات الله ﷺ بأنها سحر ظاهر، قال ﷺ: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هَنَدَاۤ إِلَّاسِتُرْمُبِينُ ١٠٠٠ ﴾ (الصافات)، وقال ﷺ: ﴿ وَإِذَا نُتُلِّي عَلَيْهِمْ ءَايَنُنَا بَيِّنَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَلَا اسِخَرُّ مَّبِينٌ ﴿ ﴾ (الأحقاف). وتارة يتهمون الرسول ﷺ نفسه بأنه مسحور، وذلك بها استمعوه من الكلام الذي يتلوه، قال كا ﴿ نَحَنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ۚ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجُوكَ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَنَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (الإسراء)، وقال ﷺ: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ١٠ ﴿ (الفرقان)، ومنهم من قال: إنه شاعر، ومنهم من قال: إنه كاهن، قال ﷺ: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَنْتُ أَحْلَامِ بَلِ ٱفْتَرَىٰتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ (الانبياء: ٥)؛ لذلك رد عليهم القرآن: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ١٠ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنْ قَلِيلًا مَّانَذَكَّرُونَ ١٠ ﴾ (الحاقة)، ومنهم من قال: مجنون، ومنهم من قال: ساحر أو مسحور أو كذَّاب، ومن هذا أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا شرف فيهم، وقـد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قــد حـضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقـد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيُكذِّب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا، فقالوا: وأنت يا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقول به، قال: بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول: كاهن؟ قال: ما هو بكاهن، قالوا: فنقول: مجنون؟ قال:

ما هو بمجنون، قالوا: فنقول: شاعر؟: قال: ما هو بساحر. بشاعر. قالوا: فنقول: ساحر؟ قال: ما هو بساحر. قالوا: فهاذا نقول؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، فها أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطل، ثم إنه فكر وتروّي وقدّر ماذا يقول في القرآن وأعاد النظر والتروِّي ثم قبض بين عَيْنيْه وقطّب وصُرف عن الحق واستكبر عن الانقياد إلى القرآن، ثم قال: أقرب القول أن تقولوا: هو ساحر، فأنزل الله فيه: ﴿ إِنّهُ مُ فَكَرَ وَقَدَر الله فيه عَلَمُ الله فيه الله وَالله فيه الله في شأن هؤلاء أيضًا الله في شأن هؤلاء أيضًا: ﴿ الله الله في شأن هؤلاء أي السحر.

وقد ردّ القرآن على هذه التُّهم بأن ذلك تخبُّطٌ منهم وضلال وعدم اهتداء، ولو كانوا صادقين لاتَّفَقُ وا فيه على قول واحد، أما وقد تعدّدت أقوالهم وتضاربت آراؤهم فهم إذًا متخبطون ضالُون يضربون له الأمثال، ولا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه مخلصًا؛ لأن هذه الأقوال فيها من البطلان الواضح لكل من له أدنى فهم وعقل، قال مَن النظر كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثال فَصَلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا الله الإسراء).

والمعنى: أنّ أقوالهم المتضاربة السابقة كلها باطلة، فكل أحد يعرف كذبهم وافتراءهم؛ لأنهم ضالون عن طريق الهدى فلا يجدون سبيلًا؛ لأن الحق واضح ومنهجه متَّحد يصدِّق بعضه بعضًا.

ثانيًا. اتهام الرسل بالسحر من كل الأمم المكذبة:

كما يُبيِّن القرآن أن رمي الرسول بالسحر هي دعوى

كل الأمم المكذّبة لرسلها في امن رسول أتى قومه بالهدى إلا قالوا له: ما أنت إلا ساحر أو مجنون، وقال بالهدى إلا قالوا له: ما أنت إلا ساحر أو مجنون، قال الله في الله في

ويعلِّق صاحب "التفسير الوسيط" على هذه الآية بقوله: أي: الأمر _ أيها الرسول الكريم _ كما نُخبِرك، من أنه ما أتى الأقوام الذين قبل قومك من رسول يدعوهم إلى عبادتنا وطاعتنا إلا قالوا له كما قال قومك في شأنك: ساحر أو مجنون. والمقصود بالآية الكريمة تسلية الرسول على عما أصابه من مشركي قريش، حيث بين له كال أن الرسل السابقين قد كذبتهم أمهم، فصبروا حتى أتاهم نصره كل.

ثم أضاف على إلى هذه التسلية تسلية أخرى فقال: ﴿ أَتُواصَوْ أَبِهِ عِهِ ؟ والمضمير المجرور يعود إلى القول المدكور، والاستفهام للتعجيب من أحوالهم؛ أي: أوصى السابقون اللاحقين أن يقولوا لكل رسول يأتيهم من ربهم: أنت - أيها الرسول - ساحر أو مجنون؟ وقوله على: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿ وَ الذاريات) إضراب عن تواصيهم إضراب إبطال؛ لأنهم لم يجمعهم زمان واحد حتى يوصي بعضهم بعضًا، وإنها الذي جمعهم تشابه القلوب، والالتقاء على الكفر والعصيان.

و فَمَا أَنتَ ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿ بِمَلُومٍ ﴾ على الإعراض عنهم، وما أنت بمعاتب مناعلى ترك مجادلتهم. ﴿ وَذَكِرٌ فَإِنَّ الدِّكْرِي نَنفُعُ المُؤْمِنِينَ ﴿ وَذَكِرٌ فَإِنَّ الدِّكْرِي نَنفُعُ المُؤْمِنِينَ ﴿ وَالدَارِياتِ).. أعرض عن هؤلاء المشركين، وداوم على التذكير والتبشير والإنذار مها تقوّل المتقولون، فإن التذكير بها أوحيناه إليك من هدايات سامية، وآداب حكيمة... ينفع المؤمنين، ولا ينفع غيرهم من الجاحدين (١).

ثالثًا. اختلاف القرآن عن السحر، وشق القمر معجزة للنبي ﷺ:

وقد بيّنًا قبل ذلك عند الحديث عن شبهة اتهام القرآن بأنه سحر، بأن قول المشركين: القرآن سحر أتى به ساحر، يشير إلى إثبات رسالته و في فإن هذه المقالة تتضمن اعترافهم بأنه فوق المعهود والمعلوم للبشر في عالم الأسباب المقدورة لهم، إذ السحر ما كان بأسباب خَفِيّة خاصّة ببعض الناس يتعلمها بعضهم من بعض، ولو كان القرآن سحرًا لأثوا بمثله أو ببعض سوره كما تحدّاهم الله ولا لكنهم عجزوا، فدلّ ذلك على أن محمدًا و نبي الله ورسوله، وليس بساحر، وأن ما جاء به وحي من عند الله وللله السي بسحر.

وأما انشقاق القمر فهو معجزة ثابتة بـاهرة وقعـت في زمان النبي الله عنه ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة

ا. تفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج١١، ص٣٣، ٣٣.

الخلاصة:

- إن تضارب أقوال المكذبين للرسل واختلاف
 اتهامهم يبيِّن مدى الضلال والتيه الذي هم فيه
 يعمهون.
- اتهام الرسل بالسحر دعوى كل الأمم المكذبة، وتوافقهم على هذا الأمر رغم اختلاف الزمان والمكان هو ناتج عن تشابه قلوبهم والتقائهم على الكفر والفسوق والعصيان.
- السحر صناعة يمكن للبشر تعلمها فهل يستطيع أحد أن يأتي بمثل القرآن؟ مهما تعلم كل العلوم والمعارف اللغوية والاجتماعية والسياسية والعلوم المادية وغيرها.
- لو كان المكذبون يطلبون الخوارق من أجل الإيهان لآمنوا حين أجيبوا لطلبهم وشق القمر أمامهم نصفين حتى رأوا حراء بينها، ولكنه الاستهزاء

والجحود والكفر والعناد والطغيان الذي لا حدله.

ades

الشبهة الخامسة والستون

اتهام النبيﷺ بالجنون ઋ

مضمون الشبهة :

يدتعي المشركونَ الكذّابون أنّ محمدًا الشيخنون، وينسبون ما جاء به من الهدى والحق إلى الجنون فهو لا يدري ما يقول؛ حيث يتخبّطه الشيطان من المسّ، قال الله و وَقَالُواْ يَتَأَيُّهَا الّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكُرُ إِنّكَ لَمَحَنُونٌ الله المحبور).

وجها إبطال الشبهة:

كراهة المشركين لما جاء به رسول الله ﷺ،
 وعنادهم وكبرهم في الاعتراف بنبوته.

٢) تنزيه الله على نبيه ﷺ عن مثل ذلك.

التفصيل:

أولا. عناد المشركين وكبرهم:

هذه المقولة هي من عناد أولئك المشركين وكفرهم، يزعمون فيها أن رسول الله على قد افترى القرآن من عند نفسه، وأن به جنونًا، فهو لا يدري ما يقول، وهم يعلمون بطلان ما يقولون في القرآن، ومع ذلك يكثرون

^(*) الآيات التي وردت فيها الـشبهة: (الحجر/ ٦، المؤمنـون/ ٧٠، سبأ/ ٨، الصافات/ ٣٦، القلم/ ٥١).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (المؤمنون/ ٧٠، القلـم/ ٢: ٤، الطور/ ٢٩، التكوير/ ٢٢).

وقد ردَّ الله عليهم كذبهم وافتراءهم مبينًا أن السبب في مقولتهم تلك أن قلوبهم لا تؤمن بالقرآن، وهم يعلمون بطلان ما يقولون عن القرآن، فإنه قد أتاهم من كلام الله ما لا يطاق ولا يدافع، وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله إن استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين، ولهذا قال الله الله ما لا يُحقِّ وَلَتَ ثُرُهُمُ لِلْ مَاءَهُم بِٱلْحَقِ وَلَتَ ثُرُهُمُ للومنون).

ثانيًا. تنزيه الله نبيه ﷺ عن الجنون :

وقد نزّه الله عبده محمدًا الله فقال الله: ﴿ وَمَاصَاحِبُكُمُ يَمَجُنُونِ الله عبده محمدًا الله فقال الله: ﴿ وَمَاصَاحِبُكُمُ البَهْ الله البهان والفجور، فلست بحمد الله يبا محمد مجنونا يتخبطك الشيطان من المس كها يقول الجهلة من كفار قريش، قال الله : ﴿ فَذَكِرَ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنِ وَلَا مَحْتُونٍ الله (الطور)، وقال الله أيسفا: ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ وَلِلا مَحْتُونٍ الله (القلم).

وهذه المقالة الظالمة على رسول الله ﷺ أطلقها من المشركين عقبة بن أبي معيط إذ قال: هو مجنون، وقد اكتفى القرآن في إبطال كونه مجنونًا بمجرد النفي دون استدلال عليه؛ لأن مجرد التأمل في حال النبي ﷺ كافٍ

في تحقق انتفاء ذلك الوصف عنه، فلا يحتاج في إبطال السطافه به إلى أكثر من الإخبار بنفيه؛ لأن دليله المشاهدة، وهو دليل كالشمس في رابعة النهار.

ولسيْسَ يَسصِحُّ في الأَذْهانِ شَيء

إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دَلِيلِ

الخلاصة:

- القرآن الكريم كتاب معجز في هديه، ونظمه
 وأسلوبه وأحكامه وتشريعاته، فكيف يكون ذلك من
 كلام مجنون كها يدعي هؤلاء.
- إذا سلَّمنا _جدلًا_بها يـدعي هـؤلاء، فلِـمَ
 عجزوا عن الإتيان ببعض من هذا القرآن؟!.
- عاش النبي را الله الشركين أربعين عامًا
 وكانوا يلقبونه أمينا، صادقًا، راجح العقل، فكيف
 يُصاب فجأة بالجنون؟ وكيف يَهْزِي بهذا الكلام؟!

الشبهة السادسة والستون

دعوى أن محمدًا ﷺ وأصحابه يستحلُّون القتال في الأشهر الحُرُم (*) ®

مضمون الشبهة:

عاب المشركون على رسول الله ﷺ والمسلمين القتال في السهر الحرام، وقالوا مستنكرين: أحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه

^(*) الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (البقرة/ ٢١٧).

[®] في "انتهاك الصحابة حرمة الأشهر الحُرُم!" طالع: الشبهة الثالثة عشرة، من الجزء الثالث (التاريخ الإسلامي١).

المال وأسروا فيه الرجال.

وجوه إبطال الشبهة:

الصد عن سبيل الله والمسجد الحرام إثم أعظم وأكبر عند الله من القتال في الأشهر الحرم، والنبي المؤمنون معه أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم.

المسلمون لم يبدءوا العدوان، وإنها رَدُّوا عدوان المعتدين، وما حدث من قتال فهو خطأ في التأويل أو التقدير.

٣) ذهب جمهور العلماء إلى أن النهي عن القتال في الأشهر الحرم قد نُسخ، وعلى فرض أنه لم يُنسخ فإن القتال لرد العدوان واجب حتى ولو كان في الأشهر الحرم.

التفصيل:

أولا. الصدُّ عن سبيل الله والمسجد الحرام أعظم إثمًا من القتال في الأشهر الحرم:

تلك مقولة ظالمة يُطلقها المشركون كي يُعَمُّوا على الناس ما ارتكبوه من كبائر وموبقات، حين صدوا المسلمين عن المسجد الحرام، وكفروا بالله على وأخرجوا النبي على من البلد الحرام، وقد ردّ الله عليهم مقولتهم هذه مبيِّنا عِظمَ ما ارتكبوه، فقال تعالى: ﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ مَن الْقَبْرِ اللهَ وَكُمْرُ مِن الْقَبْرِ اللهَ وَكُمْرُ مِن الْقَبْرِ اللهِ وَكُمْرُ مِن الْقَبْلِ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ مَن الْقَبْلِ ﴾ وصَدَّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَحَدُمُ وَالْفِتَى نَهُ أَحْبَرُ مِنَ الْقَبْلِ ﴾ أهله و والمؤرام والله وا

والسائلون هنا هم المؤمنون، ويحتمل أن يكونوا من المشركين، وأيًّا ما كان السائل فإن الجواب قد جاء حاسمًا، فأمر الله نبيّه أن يقول لهم: إن القتال في الشهر

الحرام إثمه كبير وذنبه عظيم، ولكن يا معشر قريش الدين نَعَيْتُم علينا القتال في الأشهر الحرام، وما تستعظمون علينا أننا قاتلنا في الشهر الحرام، وما فعلتموه أنتم من الصدّ عن سبيل الله لَين أراد الإسلام واضطهاد كم المسلمين وفتنتهم عن دينهم حيث تقتلون من يسلم، وتؤذونه في نفسه وأهله وماله وتمنعونه من المحرة إلى النبي وما فعلتموه من الكفر بالله والله علتموه من الكفر بالله الحرين فعلتموه من إخراج النبي والمؤمنين من المهاجرين من البلد الحرام، والمسجد الحرام، كما قال الله الحرين الله الحرام، والمسجد الحرام، كما قال الله الحرام، والمسجد الحرام، كما قال الله الحرام، والمسجد الحرام، كما قال الله المرام، كل واحدة من هذه الجرائم التي ارتكبتموها هي أعظم إثم وأكبر جرمًا وأقبح ذنبًا عند الله تبارك وتعالى من القتال في الشهر الحرام، فكيف بها وقد اجتمعت؟!

جاء في "التحرير والتنوير": وقوله: ﴿ وَصَدُّ عَن سَيِلِ اللّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَارِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ الْكَبُرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (البقرة: ٢١٧) إنحاء على المشركين وإظهار لظلمهم بعد أن بكَّتهم بتقرير حرمة الأشهر الحرم الدال على أن ما وقع من أهل السَّريّة من قتل رجل فيه كان عن خطأ في الشهر، أو ظن سقوط الحرمة بالنسبة لقتال العدو، فإن المشركين استعظموا فعلا واستنكروه وهم يأتون ما هو المشركين استعظموا فعلا واستنكروه وهم يأتون ما هو أفظع منه، ذلك أن تحريم القتال في الشهر الحرام ليس لذات الأشهر، لأن الزمان لا حرمة له في ذاته وإنها حرمته تحصل بجعل الله إياه ذا حرمة، فحرمته تبع لحوادث تحصل فيه، وحرمة الأشهر الحرم لمراعاة تأمين سبيل الحج والعمرة ومقدماتها ولواحقها فيها، فلا

جرم أن الذين استعظموا حصول القتل في الشهر الحرام واستباحوا حرمات ذاتيَّة بصد المسلمين، وكفروا بالله الذي جعل الكعبة حرامًا وحَرَّم لأجل حجها الأشهر الحرم، وأخرجوا أهل الحرم منه، وآذوهم لأخرياء بالتحميق والمذمة؛ لأن هاته الأشياء المذكورة كلها محرَّمة لذاتها لا تبعًا لغيرها. وقد قال الحسن كلها محرَّمة لذاتها لا تبعًا لغيرها. وقد قال الحسن البصري لرجل من أهل العراق جاء يسأله عن دم البعوض إذا أصاب الثوب هل ينجسه، وكان ذلك عقب مقتل الحسين بن علي - رضي الله عنها -: "عجبًا لكم يا أهل العراق! تستحلُّون دم الحسين وتسألون عن دم البعوض"؟! ويحق التمثل هنا بقول الفرزدق:

أَتَغَضَبُ إِنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا

جِهارًا ولم تَغْضَبُ لقَتْلِ ابن خاذِمِ والمعنى أن الصدَّ وما عطف عليه من أفعال المشركين أكبر إثمًا عند الله من إشم القتال في الشهر الحرام (۱).

وسبب نزول هذه الآية أن النبي الشي كان قد بعث رَهْطًا في سرية عليهم عبد الله بن جحش، وكتب له كتابًا، فلقوا ابن الحَضْرَمِي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المسلمون: إنها للمسلمين: قتلتم في الأشهر الحرم، فقال المسلمون: إنها قتلناه في جمادى، وقُتل في أول ليلة من رجب، فأنزل الله الآية يعير أهل مكة، مُبيّنًا أن القتال في الشهر الحرام لا يحلّ، وما صنعه هؤلاء المشركون أكبر من القتل في الشهر الحرام عين كفروا بالله كان وصدُّوا محمدًا المشهر الحرام حين كفروا بالله كان وصدُّوا محمدًا

وهذا خطاب من الله للمؤمنين يُعْلمهم فيه أن أولئك المشركين لا هم لهم إلا منع الإسلام من الأرض، وإذًا فترك قتالهم هو الذي يُبيد الحق وأهله، وانتظار إيهانهم بمجرد الدعوة طمعٌ في غير مطمع، والقتال في الشهر الحرام أهون من الفتنة عن الإسلام لو لم يحتفَّ بها غيرها من الآثام والموبقات، فكيف وقد قارنها الصدعن سبيل الله والكفر به، والصدعن المسجد الحرام، وإخراج أهله منه، والاعتداء بالقتال والاستمرار عليه (٢)؟!

إذًا فالشبهة السابقة التي أثارها المشركون مردودة عليهم؛ فإن المسلمين جميعًا _وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد على عمد حمد الأشهر الفتال فيها حدثًا كبيرًا الحرم وعدم القتال فيها، واعتبار القتال فيها حدثًا كبيرًا وإثمًا عظيمًا.

۱. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج۲،
 ۲. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج۲، ص۳۱۸، ۳۲۸،
 ۳۲۸، ص۳۲۸، ۳۲۹،

ثانيًا. المسلمون لم يبدءوا العدوان:

ماذا يفعل المسلمون إذا ما بادرهم المشركون بالقتال والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض، والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام وإخراجهم منه، وهم أهله وأولى به من غيرهم؟!

إنه لا بد من رد العدوان وحماية الأموال، والأعراض، والأنفس، ومنع المتجبّرين من الفساد في الأرض والظلم، وحماية بيوت العبادة وإرساء القيم النبيلة، التي تحمي العدل والحق، وهذه الحقوق لا تقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم التي أبيح فيها القتال لمن ظُلِم من المسلمين ومن فُتنوا في دينهم وأخرجوا من ديارهم ظلمًا وعدوانًا، وفي حديث جابر بسند صحيح "أن رسول الله لله لم يكن يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى"(1).

وفي ذلك الموقف يقول عبد الله بن جحش الله وهو الذي عايشه وعاناه:

تَعُدُّونَ قَـ ثُلًا فِي الْحَـرام عَظِيمَـةً

وأَغْظَمُ منه لو يَرَى الرُّشْـدَ راشِـدُ صُــدُودُكم عــــَّا يقــولُ مُحَمَّــدُّ

وكُفْ رِّ بـ واللهُ راءِ وشـاهِدُ وإخْراجُكُم من مَسْجِدِ الله أَهْلَـهُ

لِــتَكَّلا يُــرَى اللهِ في البَيْــتِ ســاجِدُ

ا. إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنها (١٤٦٢٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (١١/ ٣١) برقم (٤٢٦١)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

فإنَّا وإنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ

وأَرْجَفَ بالإسلامِ بـاغٍ وحاسِـدُ سَقَيْنا من ابنِ الحضرمي رِماحَنـا

بِنَّخْلَـةً لَّـا أَوْقَـدَ الْحَـرْبَ واقِـدُ دَمًا وابِـنُ عبـدِ الله عُـنْهانُ بَيْنَنا

يُنازِعُهُ عُلَّ من القَلَّ عَلَى هذا الحادث قائلًا:
ويعلق صاحب "الظلال" على هذا الحادث قائلًا:
إن المسلمين لم يبدءوا القتال، ولم يبدءوا العدوان، إنها هم المشركون، هم الذين وقع منهم الصدُّ عن سبيل الله، والكفر به وبالمسجد الحرام، لقد صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبيل الله، ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون، ولقد كفروا بالمسجد الحرام، انتهكوا حرمته؛ فآذوا المسلمين فيه، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عامًا قبل الهجرة. وأخرجوا أهله منه وهو الحرم الذي جعله الله آمنًا، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته.

وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام، وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل، وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام، ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات الذين يتخذون منها ستارًا حين يريدون، وينتهكون قداستها حين يريدون، وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنسى وجدوهم، لأنهم عادون باغون أشرار، لا يرقبون حرمة، ولا يتحرجون أمام قداسة، وكان على المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف

من الحرمات التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة. لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل، وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه، لتشويه موقف الجماعة المسلمة، وإظهارها بمظهر المعتدي، وهم المعتدون ابتداء، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء.

إن الإسلام منهج واقعي للحياة، لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، إنه يواجه الحياة البشرية - كما هي - بعوائقها وجواذبها وملابساتها الواقعية، يواجهها ليقودها قيادة واقعية إلى السير وإلى الارتقاء في آن واحد. يواجهها بحلول عملية تكافئ واقعياتها، ولا ترفرف في خيال حالم، ورؤى مجنحة: لا تجدي على واقع الحياة شيئًا!

هـؤلاء قـوم طغاة بغاة معتدون لا يقيمون للمقدسات وزنّا، ولا يتحرجون أمام الحرمات، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق ودين وعقيدة. يقفون دون الحق فيصدون الناس عنه، ويفتنون المؤمنين ويؤذونهم أشد الإيـذاء، ويخرجونهم من البلد الحرام الذي يأمن فيه كل حي حتى الهوام! ثم بعد ذلك كله يتسترّون وراء الشهر الحرام ويقيمون الدنيا ويقعدونها باسم الحرمات والمقدسات، ويرفعون أصواتهم: انظروا ها هو ذا محمد ومن معه ينتهكون حرمة الشهر الحرام!

فكيف يواجههم الإسلام؟ يواجههم بحلول مثالية نظرية طائرة؟ إنه إن يفعل يجرِّد المسلمين الأخيار من السلاح، بينها خصومهم البغاة الأشرار يستخدمون كل سلاح، ولا يتورعون عن سلاح! كلا إن الإسلام لا

يصنع هذا؛ لأنه يريد مواجهة الواقع، لدفعه ورفعه. يريد أن يزيل البغي والشر، وأن يقلّم أظافر الباطل والضلال، ويريد أن يسلم الأرض للقوة الخيرة، ويسلم القيادة للجهاعة الطيبة، ومن ثم لا يجعل الحرمات متاريس يقف خلفها المفسدون البغاة الطغاة ليرموا الطيبين الصالحين البناة، وهم في مأمن من رد الهجات ومن نبل الرماة!

إن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات، ويشدِّد في هذا المبدأ ويصونه، ولكنه لا يسمح بأن تُتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات، ويؤذون الطيبين، ويقتلون المومنين، ويفتنون المؤمنين، ويرتكبون كل منكر وهم في منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التي يجب أن تصان!

وهو يمضي في هذا المبدأ على اطراد.. إنه يحرم الغيبة.. ولكن لا غيبة لفاسق.. فالفاسق الذي يشتهر بفسقه لا حرمة له يعفُّ عنها الذين يكتوون بفسقه، وهو يحرم الجهر بالسوء من القول، ولكنه يستثني وإلا من ظُير كالنساء: ١٤٨) فله أن يجهر في حق ظالمه بالسوء من القول؛ لأنه حق؛ ولأن السكوت عن الجهر به يُطمع الظالم في الاحتماء بالمبدأ الكريم الذي لا يستحقه! ومع هذا يبقى الإسلام في مستواه الرفيع لا يتدنى إلى مستوى الأشرار البغاة. ولا إلى أسلحتهم الخبيشة ووسائلهم الخسيسة، إنه فقط يدفع الجماعة المسلمة إلى الضرب على أيديهم، وإلى قتالهم وقتلهم، وإلى تطهير جو الحياة منهم.. هكذا جهرة وفي وضح النهار.

وحين تكون القيادة في الأيدي النظيفة الطيبة المؤمنة المستقيمة، وحين يتطهر وجه الأرض ممن ينتهكون

الحرمات ويدوسون المقدسات.. حينئذ تُصان للمقدسات حرمتها كاملة كها أرادها الله.

هذا هو الإسلام.. صريحًا واضحًا قويًّا دامغًا، لا يلف ولا يدور؛ ولا يدع الفرصة كذلك لمن يريد أن يلف من حوله وأن يدور. وهذا هو القرآن يقف بالمسلمين على أرض صلبة، لا تتأرجح فيها أقدامهم، وهم يمضون في سبيل الله، لتطهير الأرض من الشر والفساد، ولا يدع ضهائرهم قلقة متحرجة تأكلها الهواجس وتؤذيها الوساوس.. هذا شر وفساد وبغي وباطل.. فلا حرمة له إذن، ولا يجوز أن يتترس بالحرمات، ليضرب من ورائها الحرمات! وعلى المسلمين أن يمضوا في طريقهم في يقين وثقة؛ في سلام مع ضهائرهم، وفي سلام من الله (۱).

ثَالثًا. حكم القتال في الأشهر الحرم:

هذا، وقد اختلف أهل العلم في مسألة نسخ النهي عن القتال في الأشهر الحُرُم، وجمهور أهل العلم على أن النهي منسوخ، ورأوا جواز القتال في الأشهر الحُرُم، وبعض أهل العلم قال: إنه مُحكم لم يُنسَخ، وقال هذا الفريق: إن القتال على قسمين: قتال ابتداء، وهذا لا يجوز في الأشهر الحُرُم، وقتال الدَّفع، وهذا جائز، وقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على جوازه في الأشهر الحُرُم وفي غيرها.

يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور: "والآية دليل على تحريم القتال في الأشهر الحُرم وتقرير لما لتلك الأشهر من الحرمة التي جعلها الله لها منذ زمن قديم،

لعله من عهد إبراهيم الطِّين فإن حرمة الزمان تقتضي ترك الإثم في مُدَّته.

وهذه الأشهر هي زمن للحج ومقدماته وخواتمه وللعمرة كذلك، فلو لم يحرم القتال في خلالها لتعطل الحج والعمرة؛ ولذلك أقرَّها الإسلام أيام كان في بلاد العرب مشركون لفائدة المسلمين وفائدة الحج، قال المحرب مشركون لفائدة المسلمين وفائدة الحج، قال المحرَّم وَيَنْما لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ المَّحَرَامَ فِينَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ المَاندة: ٩٧).

وأما نسخه فبقوله ﴿ بَرَآءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى اللّهِ مَن اللّهُ مِن المُشْرِكِينَ ﴿ فَسِيحُواْ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ الشّهُرِ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ عَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُعْزِي الْكَفِرِينَ وَاللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُعْزِي الْكَفِرِينَ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجْ الْأَحْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِئَ يُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ, فَإِن تُبْتُمُ فَهُو خَيْرُ أَنَّ اللّهَ بَرِئَ يُ مِن الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ, فَإِن تُبْتُمُ فَهُو خَيْرُ لَكُمْ عَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَرَشِيرِ لَكُمْ عَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَرَشُولِهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَرَسُولُهُ مَن اللّهُ وَرَسُولُهُ عَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَرَسُولُهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ مَن اللّهُ مَن اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللل

أ. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٦، ٢٢٧.

فَأَرْتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُ الْمُنْقِينَ الْ فَإِذَا السَلَخَ الْأَشْهُرُ لَلْحُرُمُ فَأَقْنُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُمُوهُمْ وَخُدُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَخُدُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَخُدُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلُ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلُوةَ وَءَاتُوا الزَّكُوةَ فَخُدُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ عَفُورٌ رَحِيمُ اللّهِ اللّهِ اللّه المول العهد عَفُورٌ رَحِيمُ الله والله العهد المسلمون المشركين على الهدنة، وهو العهد الدي عاهد المسلمون المشركين على الهدنة، وهو العهد الواقع في صلح الحديبية؛ لأنه لم يكن عهدًا مؤقتًا بزمن الواقع في صلح الحديبية؛ لأنه لم يكن عهدًا مؤقتًا بزمن معين ولا بالأبد، ولأن المشركين نكثوا أيانهم كما في الآية الأخرى: ﴿ أَلَانُقُلُونَ فَوَمًا نَكُثُوا أَيْمَانَهُمُ مُنَا اللّهُ الْمُعَالِي ﴿ وَالنّونِهُ التَونِهُ الْتَوْمَانُ الْمُعَالِي اللّهُ الللّهُ

ثم إن الله تعالى أجّلهم أجلًا وهو انقضاء الأشهر الحرم من ذلك العام وهو عام تسعة من الهجرة في حجة أبي بكر الصديق بالناس؛ لأن تلك الآية نزلت في شهر شوال وقد خرج المشركون للحج فقال لهم: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشَهُرٍ ﴾، فآخرها آخر المحرم من عام عشرة من الهجرة، ثم قال: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ ٱلْأَشَهُرُ لَكُرُمُ ﴾ وأي: تلك الأشهر الأربعة ﴿ فَأَقْنُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَبَدَتُمُوهُم ﴾، فنسخ تحريم القتال في الأشهر الحرم؛ وبَكن المشركين جمع معرف بلام الجنس وهو من صيغ لأن المشركين جمع معرف بلام الجنس وهو من صيغ العموم وعموم الأشخاص يستلزم عموم الأزمنة والأمكنة على التحقيق، ولذلك قاتل النبي الله ثقيفًا في شهر ذي القعدة عقب فتح مكة.

وأغزى أبا عامر إلى أوْطاسَ في الشهر الحرام، وقد أجمع المسلمون على مشروعية الغزو في جميع أشهر السنة يغزون أهل الكتاب وهم أولى بالحرمة في الأشهر الحرم من المشركين.

فإن قلت: إذا نُسخ تحريم القتال في الأشهر الحُرم، فما معنى قول النبي و خطبة الوداع: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحُرْمَة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا"(١)، فإن التشبيه يقتضي تقرير حُرمة الأشهر، قلت: إن تحريم القتال فيها تبع لتعظيمها وحرمتها وتنزيهها عن وقوع الجرائم والمظالم فيها فالجريمة فيها تعد أعظم منها لوكانت في غيرها، والقتال الظلم محرَّم في كل وقت، والقتال لأجل الحق عبادة فنُسخ تحريم القتال فيها لذلك، وبقيت حرمة الأشهر بالنسبة لبقية الجرائم.

وأحسن من هذا أن الآية قرَّرت حُرْمَة القتال في الأشهر الحرم؛ لحكمة تأمين سُبُل الحج والعمرة؛ إذ العمرة أكثرها في رجب، ولذلك قال: ﴿ قِتَالُّ فِيهِ العمرة أكثرها في رجب، ولذلك قال: ﴿ قِتَالُ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢١٧)، واستمر ذلك إلى أن أبطل النبي الحجّ على المشركين في عام حجة أبي بكر بالناس؛ إذ قد صارت مكة بيد المسلمين ودخل في الإسلام قريش ومعظم قبائل العرب والبقية مُنعوا من زيارة مكة، وأن ذلك كان يقتضي إبطال تحريم القتال في الأشهر الحرم؛ لأن تحريمه فيها لأجل تأمين سبيل الحج والعمرة، وقد تعطل ذلك بالنسبة للمشركين ولم يبق الحج إلا للمسلمين وهم لا قتال بينهم، إذ قتال الظلم محرم في كل زمان، وقتال الحج، فتسميته نسخًا تسامح، وإنها هو شاغل مثل الحج، فتسميته نسخًا تسامح، وإنها هو انتهاء مورد الحكم، ومثل هذا التسامح في الأسهاء

ا. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٦٢٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص (٣١٨٠)، واللفظ له.

معروف في كلام المتقدمين، ثم أسلم جميع المشركين قبل حجة الوداع، وذكر النبي على حرمة الأشهر الحرم في خطبته، وقد تعطل حينتذ العمل بحرمة القتال في الأشهر الحرم، إذ لم يبق مشرك يقصد الحج. فمعنى نسخ تحريم القتال في الأشهر الحرم أن الحاجة إليه قد انقضت كما انتهى مصرف المؤلّفة قلوبهم من مصارف الزكاة بالإجماع لانقراضهم (1).

الخلاصة:

- الصدّ عن سبيل الله والمسجد الحرام وإخراج المسلمين من ديارهم وفتنتهم عن دينهم بالأذى والقتل من قِبَل المشركين إثم أعظم وأكبر عند الله من القتال في الأشهر الحرم.
- المسلمون لم يبدءوا العدوان، وإنها رَدُّوا عدوان المعتدين، والنبي الله والمؤمنون معه أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم، وما حدث من قتال فهو خطأ في التأويل على أن هذا ضمن سلسلة رد العدوان بين المسلمين والمشركين أو خطأ في التقدير على أن اليوم آخر أيام جمادى.
- جمهور أهل العلم على أن النهي عن القتال في الأشهر الحرم منسوخ، وبعضهم قال: إنه محكم ولم ينسخ، ولكن اتفق الجميع على وجوب القتال لرد العدوان في الأشهر الحرم أو في غيرها.

AGE SE

ادعاء أن النبي ﷺ أُذُنُّ يصدِّق كل ما يقال له (*)

مضمون الشبهة:

يدَّعي المنافقون أن النبي الله أُذُنَّ، أي: كل مَن قال له شيئًا صدَّقه، وكل من حدّثه صدّقه، فإذا ما جاءوه وحلفوا له صدَّقهم دون تمييز بين الصدق والكذب، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤَذُونَ النَّيِّيَ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنَّ ﴾ (التوبة: ٦١).

وجها إبطال الشبهة:

 كان النبي الله يعامل المنافقين بأحكام الشريعة وآدابها التي يعامل بها عامة المسلمين، كما أمره ربه بمعاملة الناس على ما يظهر منهم.

الرسول الشيافة أذن خير؛ أي: يؤمن بها يوحي إليه
 ربه من أخبار المنافقين وغيرهم، ويصدِّق ما يقوله
 المؤمنون الصادقون، ولا يفضح أمر المنافقين الكاذبين.

التفصيل:

أولا. معاملة النبي ﷺ للمنافقين كانت على ظاهر أحوالهم:

هذا ضَرْبٌ من دلائل نفاق أولئك المنافقين وآثاره، وهو إيذاء رسول الله بالطَّعن في أخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة. وهم هنا يقولون عن رسول الله بن أذن، أي: من حدّثه شيئًا صدَّقه، وقولهم "أُذُن" هو من تسمية الشخص باسم الجارحة للمبالغة في وصفها

الشبهة السابعة والستون

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (التوبة/ ٦١).

الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (التوبة/ ٦١).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٢، ج٢، ص٣٢٦: ٣٢٨.

بوظيفتها، وهو كثرة السمع لما يقال وتصديقه كأنه كله أذن سامعة؛ كقولهم للجاسوس: عين، ويطلق على لازمه وهو عدم الدقة في التمييز بين ما يسمع، وتصديق ما يُعقل وما لا يُعقل، فيراد به الذم، وهو من أكبر عيوب الملوك والأمراء والرؤساء؛ لما يترتب عليه من قبول الغش والكذب والنميمة، وتقريب المنافقين وإبعاد الناصحين.

قال أبو السعود: "إنها قالوه - أي قولهم هذا - لأنه الله كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا، ويَصْفَح عنهم حلمًا وكرمًا، فحملوه على سلامة القلب، وقالوا ما قالوا، ولقد كان الله يعامل المنافقين بأحكام الشريعة وآدابها التي يعامل بها عامة المسلمين، كها أمره الله الله بناء المعاملة على الظواهر، فظن أولئك أنه يصدق كل ما يقال له.

ولقد لقن الله الله ويُؤمِن لِلمُؤمِنِينَ وَرَحَمَةً لَكُرِ لَكَمُؤمِنِينَ وَرَحَمَةً لِللَّهِينَ ءَامَنُواْ مِنكُو الله اللهِ وَيُؤمِن لِلمُؤمِنِينَ وَرَحَمَةً لِللَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُو اللهِ اللهِ وَيُؤمِن لِلمُؤمِنِينَ وَرَحَمَةً اللَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُو اللهِ اللهِ اللهِ أَذُن خير، لا كها تزعمون، فهو لا يقبل مما يسمعه إلا الحق وما وافق السرع، وما فيه للمصلحة، والخير للخلق، وليس بأذن في غير ذلك كساع الباطل، والكذب والغيبة والنميمة والجدل والمراء، فهو لا يلقي سمعه لشيء من ذلك، وإذا سمعه من غير أن يستمع إليه لا يقبله، ولا يصدق ما لا يجوز تصديقه شرعًا أو عقلًا، كها هو شأن من يوصفون بهذا الوصف من الملوك والرغهاء فيستعين المتملِّقون وأصحاب الأهواء به على السعاية والوشاية عنهم وأصحاب الأهواء به على السعاية والوشاية عنهم لإبعاد الناصحين المخلصين عنهم، وحملهم على من

يبغون إيذاءه(١).

وفي قوله: ﴿ أُذُنُ خَيْرِ لَكُمْ ﴾ دليل على أن خيرية الرسول ﷺ قد شملت الجميع، فلم يقل: أذن خير للمؤمنين، فقد تعدت هذه الخيرية المؤمنين إلى المنافقين وإلى الكفار، فكان رسول الله ﷺ لا يفضح منافقًا، إلا إذا فضح الله المنافق بقرآن نزل من السهاء.

ورد القرآن هنا من باب أسلوب الحكيم، فهو في أوله يوافقهم على قولهم هو أذن، ثم يُتْبِعه ما ينقضه عليهم حتى ينقض على رءوسهم، ولا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه؛ لأنه في الأول إطماع لهم بالموافقة، ثم كرَّ على طمعهم بالحسم وأعقبهم في تنقصه باليأس منه، ولا شيء أقطع من الإطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه (٣).

۱. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، مج۱۰، ص۲۱۵: ۱۸ و بتصرف یسیر.

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ج٩. ص٥٢٤٨، ٥٧٤٩ بتصرف.

التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج٦، ص ٢١٠.

ثانيًا. بيان معنى كونه ﷺ أذن خير:

لقد فسّر الله على المراد من "أذن الخير" بأفضل الخير وأعلاه، فقال على المراد من "أذن الخير" بألمو ويؤمن للمؤمنين للمؤمنين النوبة: ٢١)، فهو يصدق بالله على، وما يوحيه إليه من خبركم وخبر غيركم، ويومن للمؤمنين الصادقين، وهذا يتضمن أنه لا يومن لهولاء المنافقين إيان تسليم وائتهان، ولا يصدقهم في أخبارهم وإن أكدوها بالأيهان الغليظة، كها ظن من قال منهم: ﴿هُو أَذُنُ ﴾ النوبة: ٢١) اغترارًا بلُطْفِه على وأدبه؛ إذ كان لا يواجه أحدًا بها يكره، وبمعاملته إياهم كها يعامل أمثالهم من عامة أصحابه.

وأما كونه أذن خير لهم مع هذا، فهو معاملته لهم بالحلم وما يقتضيه حكم الشرع من العمل بالظواهر، ومنها قبول المعاذير، ولو كان يعاملهم بمقتضى ما يسمع عنهم - كما يقتضيه استعمال كلمة أذن - لما سلموا من عقابه؛ لأن أخبار السوء عنهم كثيرة بكثرة أعمالهم السوء فيهم، لو كان يقبل أخبار الشر لقبلها من المؤمنين الصادقين فيهم ولعاقبهم عليها.

الخلاصة:

- كان النبي الذن خير، لا يقبل مما يسمعه إلا
 الحق وما وافق الشرع، وما فيه الخير والمصلحة للحق،
 فلم يلق سمعه لشيء من الغيبة والنميمة والجدل.

33 EX

الشبهة الثامنة والستون

دعوى أن الله ﷺ هجر نَبِيَّه ﷺ وقلاه (**)

مضمون الشبهة :

لما أبطأ جبريل التلك عن رسول الله الله الله الله الله الله الوحي أيامًا، زعم المشركون أن ربّ محمد قلاه وأبغضه وتركه، وقالوا: لو كان أمره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء!

وجوه إبطال الشبهة:

- ١) القسم على نفي هجر الله ﷺ.
 - ٢) دلائل محبة الله لنبيه ﷺ.
 - ٣) موجبات شكر النعمة.

التفصيل:

أولا. القسم على نفي كون الله ﷺ قلى نبيه ﷺ:

يردُّ الله على المشركين زعمهم أن ربّ محمد قلاه

۱. تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱۰، ص۸۱۸، ۱۹۹ بتصرف یسیر.

^(*) الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الضحي/ ٣: ٥).

وهجره، بأن أقسم سبحانه بالضَّحَى وما جعل فيه من الضياء، وبالليل إذا سكن فأظلم، على أنه على أنه الترك حبيبه ولا أبغضه، قال الله الشَّحَى الله وَالشَّحَى الله وَالشَّحَى الله وَالشَّحَى الله وَالشَّحَى الله وَالشَّحَى الله وَالشَّحَى الله وَالشَحَى الله وَالشَحَى الله وَالشَحَى الله وَالشَحَى الله وَالشَحَى الله وَالشَّحَى الله والشَحى الشَحَى الشَحَمَى الشَحَى الشَحَى الشَحَمَى الشَحَمَى الشَحَالَ الشَحَالَ الشَحَى الشَحَمَى الشَحَمَى الشَحَى الشَحَمَى الشَحَمَمَ الشَحَمَى الشَحَمَى الشَحَمَمَا الشَحَمَى الشَحَمَمَ الشَحَمَ السَحَمَمَ الشَحَمَمَ

فهذا قسم بهذين الآنين الرائقين الموحيين. يربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس. ويوحي إلى القلب البشري بالحياة الشاعرة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل الحي، المتعاطف مع كل حي. فيعيش ذلك القلب في أنس من هذا الوجود، غير موحش ولا غريب فيه فريد.. وفي هذه السورة بالذات يكون لهذا الأنس وقعه. فظل الأنس هو المراد مده. وكأنها يوحي الله لرسوله شخ منذ مطلع السورة أن ربه أفاض من حوله الأنس في هذا الوجود، وأنه من ثَمَّ غير مجفوّ فيه ولا فريد!

وبعد هذا الإيحاء الكوني يجيء التوكيد المباشر: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿ ﴾ (الضحى)؛ أي: ما تركك ربك ولا جفاك كها زعم من يريدون إيذاء روحك وإيجاع قلبك وإقلاق خاطرك، وهو ربك وأنت عبده المنسوب إليه، المضاف إلى ربوبيته، وهو راعيك وكافلك (١).

وجاء القسم لتأكيد الخبر ردًّا على زعم المشركين أن الوحي انقطع عن النبي على حين رأوه لم يقم الليل بالقرآن بضع ليال. فالتأكيد منصبٌ على التعريض المعرض به لإبطال دعوى المشركين. فالتأكيد تعريض بالمشركين، وأما رسول الله على فلا يتردد في وقوع ما يخبره الله بوقوعه.

ومناسبة القسم ب: ﴿ وَٱلضَّحَىٰ اللهِ وَٱلْتَلِ إِذَا سَجَىٰ اللهِ أَن الضحى وقتُ انبثاق نور الشمس، فهو إيهاء إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به، وأن الليل وقت قيام النبي ﷺ بالقرآن، وهو الوقت الذي كان يَسمع فيه المشركون قراءتَه من بيوتهم القريبة من بيته أو من المسجد الحرام.

واحتباس الوحي عن النبي ﷺ وقع مرتين:

أولاهما: قبل نزول سورة المدثر أو المزمل، أي بعد نزول سورتين من القرآن أو ثلاث على الخلاف في الأسبق من سورتي المزمل والمدثر، وتلك الفترة هي التي خشي رسول الله المانية أن يكون قد انقطع عنه الوحي، وهي التي رأى عقبها جبريل على كرسي بين السهاء والأرض، وقد قيل: إن مدة انقطاع الوحي في الفترة الأولى كانت أربعين يومًا، ولم يشعر بها المشركون لأنها كانت في مبدأ نزول الوحي قبل أن يشيع الحديث بينهم فيه، وقبل أن يقوم النبي بينالقرآن ليلًا.

وثانيتهما: فترة بعد نزول نحو من ثمانِ سور؛ أي: السور التي نزلت بعد الفترة الأولى، فتكون بعد تجمع عشر سور، وبذلك تكون هذه السورة حادية عشرة،

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٦، ص٣٩٢٦، ٣٩٢٧.

فيتوافق ذلك مع عددها في ترتيب نزول السور.

والاختلاف في سبب نزول هذه السورة يدل على عدم وضوحه للرواة، فالذي نظنه أن احتباس الوحي في هذه المرة كان لمدة نحو من اثني عشر يومًا، وأنه ما كان إلا للرفق بالنبي كل تستجم نفسه، وتعتاد قوته تحمم أعباء الوحي؛ إذ كانت الفترة الأولى أربعين يومًا، ثم كانت الثانية اثني عشر يومًا أو نحوها، فيكون نزول سورة الضحى هو النزول الثالث، وفي المرة الثالثة يحصل الارتياض في الأمور الشاقة؛ ولذلك يكثر الأمر بتكرر بعض الأعمال ثلاثًا، وبهذا الوجه يجمع بين غتلف الأخبار في سبب نزول هذه السورة وسبب نزول سورة المدثر (۱).

ثانيًا. محبَّة الله لنبيه:

ثم بيَّن الله لنبيه برهان ذلك الحب، وعلامته، وما اختصه به من الخصائص والكرامات التي هي دلائل ذلك الحب لا كما يدعي هؤلاء المبغضون، فقال الحجي فَرَرُّ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَى الله وَلَسَوْفَ يُعُطِيكَ رَبُّكَ فَرَرُّ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَى الله وَلَسَوْفَ يُعُطِيكَ رَبُّكَ فَرَرُّ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَى الله وَلَسَوْفَ يُعُطِيكَ رَبُّك فَرَرُّ فَكَ الله وَلَى الله وَلَسَوْفَ يُعُطِيكَ رَبُّك فَرَرُ فَكَ الله وَلَى الله وَلَى الله وَلَى الله وَلَى الله وَلَى الله وَلَى الله وَلَا الله وَلَى الله وسوف يعطيك ربك في الدنيا الفلاح، وفي الآخرة وسوف يعطيك ربك في الدنيا الفلاح، وفي الآخرة الثواب، والحوض والمقام المحمود.

وما غاض معين فضله وفيض عطائه. فإن لك عنده في الآخرة من الحسنى خيرًا مما يعطيك منها في الدنيا: ﴿ وَلَلْاَخِرَةُ خَيْرٌ لِّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿ الضمى الفهو الخير أُولًا وَأَخِيرًا.. وإنه ليدخر لك ما يرضيك من التوفيق

٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٦، ص٣٩٢٧.

في دعوتك، وإزاحة العقبات من طريقك، وغلبة منهجك، وظهور حقك.. وهي الأمور التي كانت تشغل باله وهو يواجه العناد والتكذيب والأذى والكيد.. والشهاتة (٢).

وقوله: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَى ﴿ الضحى الضحى عطف على جملة: ﴿ وَالضَّحَى ﴿ الضحى الضحى المنتدأ به ، والجملة معطوفة على الجمل الابتدائية ، وليست معطوفة على جملة جواب القسم ، بل هي ابتدائية ، فلما نُفي القِلى بشّر بأن آخرته خير من أولاه ، وأن عاقبته أحسن من بدأته ، وأن الله خاتم له بأفضل مما قد أعطاه في الدنيا وفي الآخرة .

وما في تعريف ﴿ وَلَلْآخِرَةُ ﴾ و﴿ الأُولَى ﴾ من التعميم يجعل معنى هذه الجملة في معنى التذييل السامل لاستمرار الوحي وغير ذلك من الخير. والآخرة: مؤنث الآخرة: مؤنث الآخرة وعلى لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة كما غلب لفظ الأولى على حياة الناس التي قبل انخرام هذا العالم، فيجوز أن يكون المراد هنا من كلا اللفظين كلا معنييه، فيفيد أن الحياة الآخرة خير له من هذه الحياة العاجلة تبشيرًا له بالخيرات الأبدية، ويفيد أن حالاته تجري على الانتقال من حالة إلى أحسن منها، فيكون تأنيث الوصفين جاريًا على حالتي التغليب وحالتي التوصيف، ويكون التأنيث في هذا المعنى الثاني لراعاة معنى الحالة.

ويُومِئ ذلك إلى أن عودة نزول الوحي عليه هذه المرة خير من العودة التي سبقت، أي تكفل الله بأن لا

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١٥، ج٣٠، ص٣٩٤: ٣٩٦ بتصرف.

ينقطع عنه نرول الوحي من بعد، فاللام في: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ ﴾ و ﴿ الْأُولَى ﴾ لام الجنس، أي كُلّ آجل أمره هو خير من عاجله في هذه الدنيا وفي الأخرى.

وقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعَطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَى ﴿ ﴾ (الضحى) هو كذلك عطف على جملة القسم كلها وحرف الاستقبال؛ لإفادة أن هذا العطاء الموعود به مستمر لا ينقطع كما في قوله ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسَتَغَفِرُ لَكُمُ رَبِّ ﴾ ينقطع كما في قوله ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسَتَغَفِرُ لَكُمُ رَبِّ ﴾ (الليل).

وحذف المفعول الثاني لـ ﴿ يُعَطِيكَ ﴾ ليعمَّ كل ما يرجوه ﷺ من خير لنفسه ولأمته، فكان مفاد هذه الجملة تعميم العطاء كما أفادت الجملة قبلها تعميم الأزمنة. وجِيء بفاء التعقيب في ﴿ فَتَرَضَى ﴾ لإفادة كون العطاء عاجل النفع، بحيث يحصل به رضى المعطى عند العطاء، فلا يترقَّب أن يحصل نفعه بعد تربص. وتعريف ﴿ رَبُّكَ ﴾ بالإضافة دون اسم الله العَلَم لما يؤذن به لفظ "رب" من الرأفة واللطف، وللتوسل إلى ضمير المخاطب؛ لما في ذلك من الإشعار

وهو وعد واسع الشمول لما أعطيه النبي الشمول النصر والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة، ودخول الناس في الدين أفواجًا وما فتح على الخلفاء الراشدين ومَن بعدهم من أقطار الأرض شرقًا وغربًا (٢).

فهل بعد هذه المنن العظيمة والنعم الجزيلة يُعقَل أن يبغض الله حبيبه، لقد كذب المشركون فيها زعموا؛ ولذا ختم الله حديثه إلى نبيه بقوله: ﴿ وَأَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثُ الله حديثه إلى نبيه بقوله: ﴿ وَأَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثُ الله حديثه إلى نبيه بقوله: ﴿ وَأَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثُ الله حديثه إلى نبيه بقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَاوَىٰ الله وقوله الله الله عَلَيْكُ فَا فَاوَىٰ الله الله عَلَيْكُ فَا فَا المَا الله عَلَيْكُ فَا الوعد؛ (الضحى) استئناف مَسُوق مَساق الدليل على تحقُّق الوعد؛

بعنايته برسوله وتشريفه بإضافة "رب" إلى ضميره.

محيح: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٨٢) برقم
 محيح: أخرجه الطبراني في السلسلة الصحيحة (٢٧٩٠).
 ٣٠٥، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٩٠).

أي: هو وعد جارٍ على سنن ما سبق من عناية الله بك من مبدأ نشأتك ولطفه في السدائد باطراد، بحيث لا يحتمل أن يكون ذلك من قبيل الصُّدَف؛ لأن شأن الصدف ألَّا تتكرر، فقد علم أن اطراد ذلك مراد لله تعالى.

والمقصود من هذا إيقاع اليقين في قلوب المشركين بأن ما وعده الله به محقق الوقوع قياسًا على ما ذكره به من ملازمة لطفه به فيها مضى، وهم لا يجهلون ذلك، عسى أن يقلعوا عن العناد ويُسرعوا إلى الإيهان، وإلا فإن ذلك مساءة تبقى في نفوسهم وأشباح رعب تخالج خواطرهم. ويحصل مع هذا المقصود امتنان على النبي وتقوية لاطمئنان نفسه بوعد الله تعالى إياه.

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِهُا فَكَاوَىٰ ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِهُا فَكَاوَىٰ ﴿ الصحى استفهام تقريري، والإيواء: كفاية الحاجة مجازًا أو استعارة، فالمعنى: أنشأك على كال الإدراك والاستقامة وكنتَ على تربية كاملة، مع أن شأن الأيتام أن ينشئوا على نقائص؛ لأنهم لا يجدون من يُعنَى بتهذيبهم وتعهم لا أحوالهم الخُلقية، فكان تكوين نفسه الزكية على الكمال خيرًا من تربية الأبوين. والضَّلال: عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى

والضَّلال: عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك السائر طريقًا آخر يبلغ إلى غير المقصود أم وقف حائرًا لا يعرف أي طريق يسلك، وهو المقصود هنا لأن المعنى: أنك كنت في حيرة من حال أهل الشرك من قومك فأراكه الله غير محمود وكرَّهه إليك ولا تدري ماذا تتبع من الحق، فإن الله لما أنشأ رسوله على ما أراد من إعداده لتلقي الرسالة في الإبان، أهْمَه أن ما عليه قومه من الشرك خطأ، وألقى

في نفسه طلب الوصول إلى الحق؛ ليتهيأ بذلك لقبول الرسالة عن الله تعالى.

وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل؛ فإن الأنبياء معصومون من الإِشراك قبل النبوءة باتفاق علمائنا، وإنها اختلفوا في عصمتهم من نوع الننوب الفواحش التي لا تختلف الشرائع في كونها فواحش، وبقطع النظر عن التنافي بين اعتبار الفعل فاحشة وبَيْن الخلوّعن وجود شريعة قبل النبوءة، فإن المحققين من أصحابنا نزهوهم عن ذلك، والمعتزلة منعوا ذلك بناء على اعتبار دليل العقل كافيًا في قبح الفواحش عَلَى إرسال كلامهم في ضابط دلالة العقل.

ولم يختلف أصحابنا أن نبينا ﷺ لم يصدر منه ما ينافي أصول الدين قبل رسالته ولم يزل علماؤنا يجعلون ما تواتر من حال استقامته ونزاهته عن الرذائل قبل نبوءته دليلًا من جملة الأدلة على رسالته، بل قد شافة القرآن به المشركين بقوله: ﴿ فَقَدُ لَيَئْتُ فِيصِكُمْ عُمُرًا مِن قَبَلِهِ المُسْركين بقوله: ﴿ فَقَدُ لَيَئْتُ فِيصِكُمْ عُمُرًا مِن قَبَلِهِ المُسْركين بقوله: ﴿ فَقَدُ لَيَئْتُ فِيصِكُمْ عُمُرًا مِن قَبَلِهِ المُسْركين بقوله: ﴿ أَمُ لَمُ يَعْرِفُوا النبي ﷺ فيها أنكر عليهم من مساوي المشركين أفحموا النبي ﷺ فيها أنكر عليهم من مساوي أعمالهم بأن يقولوا فقد كنت تفعل ذلك معنا(١).

ثالثًا. موجبات شكر النعمة:

وقد جُعل الشكر هنا مناسبًا للنعمة المشكور عليها وإنها اعتبر تقدير: إذا أردت الشكر؛ لأن شكر النعمة تنساق إليه النفوس بدافع المروءة في عرف الناس، وصُدِّر الكلام في سورة الضحى بـ "أما" التفصيلية؛

١. المرجع السابق، ص٩٩٩ وما بعدها.

لأنه تفصيل لمجمل الشكر على النعمة.

وقد قُوبِلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل بثلاثة أعمال تقابلها، فيجوز أن يكون هـذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب. وذلك ما درج عليه الطيبي، ويجري على تفسير سفيان بن عيينة ﴿ ٱلسَّآبِلَ ﴾ (الضحى: ١٠) بالسائل عن الدين والهدي، فقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا نَقْهُرُ ۞ ﴾ (الضحى) مقابل لقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَنَاوَىٰ ١٠ ١ ١ (الضحى الامحالة؛ أي: فكما آواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليُّتم، فكن أنت مُكرمًا للأيتام رفيقًا بهم، فجمع ذلك في النهي عن قهره؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يقهرون الأيتام؛ ولأنه إذا نهى عن قهر اليتيم مع كثرة الأسباب لقهره؛ لأن القهر قد يصدر من جراء القلق من مطالب حاجاته، فإن فلتات اللسان سريعة الحصول كما قَالَ ﷺ: ﴿ فَلَا نَقُلُ لَمُنَمَّا أُفِّ ﴾ (الإسراء: ٢٣)، وقال: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱلْبَغَاآة رَحْمَةِ مِّن زَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلَا مَّيْسُورًا ۞ ۞ (الإسراء).

وليس المراد بنعمة ربك نعمة خاصة وإنها أريد الجنس فيفيد عمومًا في المقام الخطابي؛ أي: حدث ما أنعم الله به عليك من النعم، فحصل في ذلك الأمر شكر نِعمة الإغناء، وحصل الأمر بشكر جميع النعم لتكون الجملة تذييلًا جامعًا.

ويقول الشيخ سيد قطب: "ويمضي سياق السورة يذكر الرسول الشيخ ما كان من شأن ربه معه منذ أول الطريق. ليستحضر في خاطره جميل صنع ربه به، ومودته له، وفيضه عليه، ويستمتع باستعادة مواقع الرحمة والود والإيناس الإلهي. وهو متاع فائق

تحييه الذكرى على هذا النحو البديع: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيــمًا فَنَاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلًا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآبِلًا فَأَغْنَىٰ ۞ ﴾ (الضحى).

انظر في واقع حالك، وماضي حياتك.. هل ودعك ربك؟ وهل قلاك حتى قبل أن يعهد إليك بهذا الأمر؟ ألم تحط يتمك رعايته؟ ألم تدرك حيرتك هدايته؟ ألم يغمر فقرك عطاؤه؟

لقد ولدت يتيًا فآواك إليه، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبي طالب وهو على غير دينك! ولقد كنت فقيرًا فأغنى الله نفسك بالقناعة، كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك خديجة _ رضي الله عنها _عن أن تحس الفقر، أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء!

ثم لقد نشأت في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد، منحرفة السلوك والأوضاع، فلم تطمئن روحك إليها. ولكنك لم تكن تجد لك طريقًا واضحًا مطمئنًا. لا فيها عند الجاهلية ولا فيها عند أتباع موسى وعيسى الذين حرفوا وبدلوا وانحرفوا.. ثم هداك الله بالأمر الذي أوحى به إليك، وبالمنهج الذي يصلك به.

والهداية من حيرة العقيدة وضلال الشعاب فيها هي المنة الكبرى، التي لا تعدلها منة؛ وهي الراحة والطمأنينة من القلق الذي لا يعدله قلق؛ ومن التعب الذي لا يعدله تعب، ولعلها كانت بسبب مماكان رسول الله على يعانيه في هذه الفترة من انقطاع الوحي وشهاتة المشركين ووحشة الحبيب من الحبيب، فجاءت هذه تذكره وتطمئنه إلى أن ربه لن يتركه بلا وحي في التيه، وهو لم يتركه من قبل في الحيرة والتيه!

وبمناسبة ما ذكره ربه بإيوائه من اليتم، وهدايته من

الحيرة وإغنائه من العيلة.. يوجهه ويوجه المسلمين من ورائه إلى رعاية كل يتيم، وإلى كفاية كل سائل، وإلى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه، وفي أولها: الهداية إلى هذا الدين: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرُ اللهِ وَأَمَّا السَّابِلَ فَلَا نَتْهَرُ اللهِ وَأَمَّا السَّابِلَ فَلَا نَتْهَرُ اللهِ وَأَمَّا السَّابِلَ فَلَا لَنْهَرُ اللهِ وَأَمَّا السَّابِلَ فَلَا لَنْهُرُ اللهِ وَأَمَّا السَّابِلَ فَلَا لَنْهُرُ اللهِ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثُ اللهِ (الضحى).

وهذه التوجيهات إلى إكرام اليتيم والنهي عن قهره وكسر خاطره وإذلاله، وإلى إغناء السائل مع الرفق به والكرامة، كانت كها ذكرنا مرارًا من أهم إيحاءات الواقع في البيئة الجاحدة المتكالبة، التي لا ترعى حق ضعيف، غير قادر على حماية حقه بسيفه! حيث رفع الإسلام هذه البيئة بشرعة الله إلى الحق والعدل والتقوى، والوقوف عند حدود الله الذي يحرس حدوده ويغار عليها ويغضب للاعتداء على حقوق عباده الضعاف الذين لا يملكون سيفا يذودون به عن هذه الحقوق.

وأما التحدث بنعمة الله وبخاصة نعمة الهدى والإيهان فهو صورة من صور الشكر للمنعم. يكملها البر بعباده، وهو المظهر العملي للشكر، والحديث الصامت النافع الكريم (1).

الخلاصة:

- زعم المشركون أن رب محمد هم هجره وقلاه
 باطل، وجاءت سورة الضحى وفيها إبطال قول
 المشركين.
- جاءت سورة الضحى مبشرة للنبي ﷺ بأن
 الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة

والأولى. وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه. وذلك يغيظ المشركين.

• ذكّره الله بها حفّه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوّته وفي وقت اكتهاله، وأمره بالشكر على تلك النعم بها يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بها هو أهله.

AGE:

الشبهة التاسعة والستون

دعوى أن النسخ يبين افتراء الرسول ﷺ ઋ

مضمون الشبهة :

اتهم المشركون رسول الله ﷺ بالافتراء ويستدلون على ذلك بوقوع النسخ في الأحكام، ويقولون لرسول الله ﷺ: إنها أنت كذَّاب تفتري علينا، قال ﷺ: ﴿ وَإِذَا بَدُلْنَا عَالِيَةٌ مَصَاكات عَالِيةٌ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُك فَالُوا إِنْهَا أَنت مُفْتَمٍ ﴾ (النحل: ١٠١).

وجوه إبطال الشبهة:

- النسخ من عند الله ﷺ، ولا علاقة للرسول ﷺ
 بهذا الأمر غير التبليغ.
- ٢) النسخ فيه مصلحة للعباد، ولـه حِكَم كثيرة ومقاصد جلية.
- ۳) القرآن كله _ ناسخه ومنسوخه _ من عند الله
 نزل به جبريل النائلة هدى وبشرى وتثبيتًا للمؤمنين.

أ في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٦، ص٣٩٢٧، ٣٩٢٨.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (النحل/ ١٠١). القرير الله التي المراكبة التي المراكبة التراكبة الترا

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (النحل/ ١٠٢، البقرة/

التفصيل:

أولا. النسخ من عند الله وما على الرسول إلا البلاغ:

هذه الشبهة من تقولات المشركين عن القرآن الكريم، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: "كان إذا نزلت آية فيها شدّة، ثم نزلت آية ألين منها، يقول كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه، اليوم يأمر بأمر وغدًا ينهى عنه، وإنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه".

وحكاية طعنهم في النبي بسيعة قصر الموصوف على الصفة، فجعلوه لا صفة له إلا الافتراء، وهو قصر إضافي، أي لست بمرسل من الله. وهذا من مجازفتهم وسرعتهم في الحكم الجائر فلم يقتصروا على أن تبديله افتراء، بل جعلوا الرسول مقصورًا على كونه مفتريًا لإفادة أن القرآن الوارد مقصور على كونه افتراء.

وأصل الافتراء: الاختراع، وغَلَب على اختراع الخبر، أي اختلاقه، فساوَى الكذب في المعنى، ولذلك قد يطلق وحده كما هنا، وقد يطلق مقترنًا بالكذب كقوله على ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ كقوله على الرجاعًا به إلى أصل الاختراع (١٠).

وهذه الشبهة أثارها اليهود كها ورد في سورة البقرة، ورد الله عليهم بقوله: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ عِنَى مِنْهَ اَنَّ الله عَلَيهم بقوله: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِها نَأْتِ عِنْمَ مِنْهُ أَوْ مِثْلِهِ كُأَ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُ الله تَعْلَمْ أَنَ الله عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ قَدِيرُ الله عَلَمْ أَنَ الله مُلكُ المستمنوتِ وَٱلأَرْضُ وَمَا لَكُمُ مُلكُ المستمنوتِ وَٱلأَرْضُ وَمَا لَكُمُ مِنْ دُونِ الله مِن وَلِي وَلا نَصِيرٍ الله الله الله عَلَىٰ أنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فأوضح الله عَلَىٰ أنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد،

﴿ بَلِّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٠٠ ﴾ (النحل ٢٦).

وهو المتصرّف في خلقه بها يشاء، ولا علاقة لرسول الله بهذا الأمر، وإنها هو مبلّغ عن الله أحكامه وآياته، والله هو الذي يبدِّل بعضها هو الذي يبدِّل بعضها ببعض، ولذا قال على هنا في الرد على المشركين: ﴿ وَاللهُ أَعَلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ (النحل: ١٠١)، فهو على المشركين: ﴿ وَاللهُ بالناسخ والمنسوخ، ويعلم ما يصلح الناس في وقت وما يصلحهم في الوقت الآخر، ويعلم المناسب لهم والأليّق بهم والمحقق لمصلحتهم في كل وقت، كالطبيب الذي يراعي أحوال مريضه، ولله المثل الأعلى.

ثانيًا. مقاصد النسخ ومراعاته مصالح العباد:

إن المسركين لا يدركون وظيفة هذا الكتاب، لا يدركون أنه جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني، وبناء أمة تقود هذا المجتمع، وأنه الرسالة الأخيرة التي ليست بعدها من السهاء رسالة، وأن الله الذي خلق البشر عليم بها يصلح لهم من المبادئ والشرائع؛ فإذا بدّل آية انتهى أجلها واستنفدت أغراضها، ليأتي بآية أخرى أصلح للحالة الجديدة التي صارت إليها الأمة، وأصلح للبقاء بعد ذلك الدهر الطويل الذي لا يعلمه إلا هو، فالشأن له، ومثل آيات هذا الكتاب كمثل الدواء تعطي للمريض منه جرعات حتى يشفى، ثم ينصح بأطعمة أخرى تصلح للبنية في الظروف العادية. إن المشركين لا يدركون شيئًا من هذا كله، ومن ثم لم يدركوا حكمة تبديل آية مكان آية في حياة الرسول و فحسبوها افتراء منه، وهو الصادق الأمين الذي لم يعهدوا عليه كذبًا قط

ويوضح الشيخ الطاهر ابن عاشور مناسبة ورود

٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص٢١٩٤.

۱. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مـج٧،
 ج١٤، ص٢٨١: ٢٨٣ بتصرف.

هذه الآية في سورة النحل مُبَيِّنًا معنى التبديل المراد في قوله على: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا عَالَيَةٌ مَكَاتَ عَالَيَةٌ وَاللَّهُ الْعَلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلَ أَكْثَرُهُمُ لَا أَعْلَمُونَ لِنَا عَلَمُونَ النحل). إذ يبين أن هذه الآية استمرَّ الكلام فيها على شأن القرآن وتنزيهه عما يوسوسه الكلام في الصدّ عن متابعته.

وجاء في عقب ذلك بشاهد يجمع ما جاء به القرآن الكريم، وذلك آية ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَنِ بَ الكريم، وذلك آية ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَنِ بَ النحول: ٩٠)، فلما استقر ما يقتضي تقرّر فضل القرآن في النفوس نبّه على نفاسته ويمنه بقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسَتَعِدُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيَطُنِ الرَّحِيمِ ﴿ النحل النحل)، لا جرم مَن اختلاقهم على القرآن مَن اختلاقهم على القرآن اختلاقا محوّها بالسبهات، كاختلاقهم السابق الذي المتب المنبهات، كاختلاقهم السابق الذي أشير إليه بقوله ﷺ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَاۤ أَنزَلَ رَبُكُمْ فَالُواْ النحل).

ذلك الاختلاق هو تعمّدهم التّمويه فيها يـأتي مـن

آيات القرآن مخالفًا لآيات أخرى لاختلاف المقتضى والمقام. والمغايرة باللين والشدّة، أو بالتعميم والتخصيص، ونحو ذلك مما يتبع اختلاف اختلاف المقامات واختلاف الأغراض واختلاف الأحوال التي يتعلّق بها، فيتّخذون من ظاهر ذلك دون وضعه مواضعه وحمله محامله معامز يتشدّقون بها في نواديهم، يجعلون ذلك اضطرابًا من القول ويزعمونه شاهدًا باقتداء قائله في إحدى المقالتين أو كلتيهها.

وبعض ذلك ناشئ عن قصور مداركهم عن إدراك مرامي القرآن وسمو معانيه، وبعضه ناشئ عن تعمّد للتجاهل تعلّقًا بظواهر الكلام يلبّسون بذلك على ضعفاء الإدراك من أتباعهم؛ ولذلك قال الله في بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الله (النحل)، أي ومنهم من يعلمون ولكنهم يكابرون.

التلاوة فلم يرد من الآثار ما يقتضي وقوعه في مكّة فمن فسّر به الآية كما نقل عن مجاهد فهو مشكل.

وكذلك قوله الله : ﴿ وَاصْبِرَ عَلَىٰ مَا يَعُولُونَ وَاهْجُرَهُمْ هُمُ الله وَكَذَلِكُ قُولُهُ الله وَكَذَلِكُ الله الله الله الله الله وتهديدهم زعموا أنه انتقض كلامه وبدا له ما لم يكن يبدو له من قبل. وكذلك قوله الله في وَلَا يَكُن يُفْعَلُ فِي وَلَا يِكُنْ ﴾ (الاحقاف: ٩)، مع آيات وصف عذاب المشركين وثواب المؤمنين.

وكذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ الْمَرَىٰ ﴾ (الإسراء: ١٥) مع قوله ﷺ: ﴿ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارِهُمْ كَامِلَةُ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ اللَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِعَيْرِ عَلَمِ النحل: ٢٥)، ومن هذا ما يبدو من تخالف بادئ علم الأمر، كقوله بعد ذكر خلق الأرض: ﴿ ثُمَّ السَّوَىٰ إِلَى الشَمَاءِ ﴾ (السل: ١١) مع قوله ﷺ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ

دَحَنها آن ﴾ (النازعات)، فيحسبونه تناقيضًا مع الغفلة عن محمل ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ من جعل "بعد" بمعنى "مع" وهو استعمال كثير، فهم يتوهمون التناقض مع جهلهم أو تجاهلهم بالوَحدات الثماني المقرّرة في المنطق.

فالتبديل في قول الله الله الله الله و التعويض ببدل، والتعويض لا يقتضي إبطال المعوض، بل يقتضي أن يجعل شيء عوضًا عن شيء. وقد يبدو للسامع أن مثل لفظ المعوض بفتح الواو جعل عوضًا عن مثل لفظ العوض بالكسر في آيات مختلفة باختلاف الأغراض من تبشير وإنذار، أو ترغيب وترهيب، أو إجمال وبيان، فيجعله الطاعنون اضطرابًا؛ لأن مثله قد كان بُدّل ولا يتأملون في اختلاف الأغراض.

وجملة ﴿ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ ﴾ معترضة بين شرط "إذا" وجوابها، والمقصود منها تعليم المسلمين، لا الردّ على المشركين؛ لأنهم لو علموا أن الله هو المنزل للقرآن لارتفع البهتان. والمعنى: أنه أعلم بها ينزل من آية بدل آية، فهو أعلم بمكان الأولى ومكان الثانية ومحمل كلتيها، وكل عنده بمقدار وعلى اعتبار.

وقوله: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ النحل الله الله القائلين ذلك لا يفهمون وضع الكلام مواضعه وحمثله محامله، وفهم من الحكم على أكثرهم بعدم العلم أن قليلًا منهم يعلمون أن ذلك ليس افتراء، ولكنهم يقولون ذلك تلبيسًا وبهتانًا ولا يعلمون أن التنزيل من عند الله لا ينافي إبطال بعض الأحكام إذا اختلفت المصالح أو روعى الرّفق (۱).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مـج٧،
 ج١، ص٠٢٨: ٢٨٤ بتصرف.

ثَالثًا. القرآن ناسخه ومنسوخه من عند الله ﷺ:

بيَّن القرآن الكريم أن جبريل الطِّيِّلا نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه من الله ﷺ بالحق والصدق والعدل؛ ليُثبِّتَ الذين آمنوا بها فيه من الحجج والآيات، فيصدقوا بها أنزل أولًا وثانيًا، وتخبت لـه قلـوبهم ويكـون ذلـك لهم هدى وبشارة ورحمة. ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (النحل: ١٠٢)، فما يمكن أن يكون افتراء، وقد نزله ﴿ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ جبريــل الطِّيلا: ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ لا من عندك ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ لا يتلبس به الباطل ﴿ لِيُثَيِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الموصولة قلوبهم بالله، فهي تدرك أنه من عند الله، فتثبت على الحق وتطمئن إلى الصدق ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ أَنَّ ﴾ (النعل) بها يهديهم إلى الطريق المستقيم، وبها يبشرهم بالنصر (١). جاء في تفسير "التحريـر والتنـوير": وقولـه: ﴿ قُلِّ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن زَّيِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَٱلَّذِينَ ءَا مَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ اللَّهُ (النحل).

جواب عن قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَمٍ ﴾ (النحل: ١٠١) فلذلك فضّل فعل ﴿ قُلُ ﴾ لوقوعه في المحاورة؛ أي: قل لهم: لسْتَ بمُفْتَر ولا القرآن بافتراء، بل نزَّله روح القدس من الله. وفي أمره بأن يقول لهم ذلك شدٌّ لعزمه؛ لكيلا يكون تجاوزهم الحدّ في البهتان صارفًا إيّاه عن كاورتهم. فبعد أن أبطل الله دعواهم عليه أنه مفتر بطريقة النقض أمر رسوله ﷺ أن يبيّن لهم ماهية القرآن. وهذه نكتة الالتفات في قوله ﷺ: ﴿مِن رَّبِكَ ﴾ الجاري على خلاف مقتضى ظاهر حكاية المقول المأمور

بأن يقوله؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقول: من ربي، فوقع الالتفات إلى الخطاب تأنيسًا للنبي رسيسًا للنبوي الله توغّل الكلام معه في طريقة الخطاب.

واختير اسم الربّ لما فيه من معنى العناية والتدبير. و ﴿ الْقُدُسِ ﴾: الطُهر، و ﴿ الْقُدُسِ ﴾: الطُهر، وهو هنا مراد به معنياه الحقيقي والمجازي الذي هو الفضل وجلالة القدر. وإضافة الروح إلى القدس من إضافة الموصوف إلى الصّفة؛ كقولهم: حاتم الجود، وزيد الخير. والمراد: حاتم الجواد، وزيد الخير. فالمعنى: الملك المقدس.

وذكرت علّة من علل إنزال القرآن على الوصف المذكور، أي تبديل آية مكان آية، بأن في ذلك تثبيتًا للذين آمنُوا إذ يفهمون محمل كل آية ويهتدون بذلك وتكون آيات البشرى بشارة لهم وآيات الإنذار محمولة على أهل الكفر.

وفي تعلّق الموصولِ وصلته بفعل التثبيت إيماء إلى أن حصول ذلك لهم بسبب إيمانهم، فيفيد تعريضًا بأن غير المؤمنين تقصر مداركهم عن إدراك ذلك الحق فيختلط عليهم الفهم ويزدادون كفرًا ويضلّون ويكونُ نذارة لهم. والمراد بالمسلمين الذين آمنوا، فكان مقتضى

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٤.

الظاهر أن يقال: وهدى وبشرى لهم، فعدل إلى الإظهار لزيادة مدحهم بوصف آخر شريف(١).

الخلاصة:

- النسخ من عند الله تعالى، يمحو ما يشاء ويثبت
 وعنده أم الكتاب، والنبي ﷺ ما عليه إلا البلاغ المبين.
- للنسخ حِكَم عديدة، ولكن المشركين لا يعلمون، ويجادلون بالباطل عنادًا وكفرًا.
- القرآن الكريم جميعه _ ناسخه ومنسوخه _ من
 عند الله ﷺ مزل به أمين الـوحي جبريـل السيلا هـدى
 وبشرى وتثبيتًا وشفاءً للمؤمنين.

AND DES

الشبهة السبعون

إنكار إنزال الكتب من السماء ، وإنكار الوحي والرسالة ^{(*)®}

مضمون الشبهة:

أنكر مشركو قريش إنزال كتاب من السهاء على الرسول ، وزعموا أن الله لم ينزّل على بشر شيئًا، وانتهوا من ذلك إلى تكذيب رسل الله وإنكار الوحي والرسالة، قال ن : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشْرِ مِن شَيْعٍ ﴾ (الإنعام: ٩١).

وجها إبطال الشبهة:

- هؤلاء المشركون لم يقدروا الله حق قدره؛ لأنهم لما أنكروا إنزاله كتبًا من السهاء، أنكروا شأنًا عظيهًا من شئونه، وهو هداية الناس بواسطة الرسل.
- إذا كان مشركو قريش واليهود يعترفون بإنزال التوارة من السهاء على موسى الكيلة فلم ينكرون نزول القرآن على محمد الله ؟

التفصيل:

أولا. هؤلاء الشركون لم يقدروا الله حق قدره بإنكارهم إنزاله كتبًا من السماء على أحد من البشر:

قائلو هذه المقولة هم مشركو مكة، ذلك أن المشركين لمّا استشعروا نهوض الحجّة عليهم في نزول القرآن بأنّه ليس بِدعًا عمّا نزل على الرّسل، توغّلوا في المكابرة والجحود فقالوا: ﴿ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرِ مِن شَيَع ﴾ (الأنعام: ٩١)، وتجاهلوا ما كانوا يقولونه عن إبراهيم، وما يعلمونه من رسالة موسى العَنظ وكتابه (٢).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مـج٧،
 ج١٤، ص٢٨٤، ٢٨٥.

^(*) الآية التي وردت فيها الشبهة: (الأنعام/ ٩١).

الآية التي ورد فيها الرد على الشبهة: (الأنعام/ ٩١).

[®] في "الدلائل على صحة الموحي الإلهي في الإسلام" طالع: الشبهة العشرين، من الجزء السابع (الإيهان والتدين).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج٤.
 ج٧، ص٣٦١ بتصرف.

أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرِ مِّن شَيَّةً قُلَّ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَنَبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِـ،

مُوسَىٰ نُورًا وَهُدَى لِلنَّاسِ تَجَعَلُونَهُ، قَرَاطِيسَ تُبَدُونَهَا وَتُحْفُونَ

كَثِيرًا ﴾ (الأنمام: ٩١)، أي: قل يا محمد لهـؤلاء المنكـرين

الإنزال شيء من الكتب من عند الله على في جواب

سلبهم العام بإثبات قـضية جزئيـة موجبـة: ﴿ مَنْ أَنزَلَ

ٱلْكِتَنَبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِـ مُوسَىٰ ﴾، وهو التـوراة التـي قـد

علمتم أن الله قد أنزلها على موسى نورًا وهدى للناس،

أي ليُستضاء بها في كشف المشكلات ويُهتَدى بها من

ظُلَم الشبهات، والخطاب هنا إن كان مُوجَّهًا إلى اليهود

كما يقول جمهور المفسرين _فلا إشكال، وإن كان

موجهًا إلى مشركي قريش فمعلوم ما كان بين قريش

ويهود المدينة من التعارف، وتسليم قريش أنهم أهل

كتاب، وأنهم أعلم منهم لأجله، مما يوجب اعترافهم

وقوله ﷺ: ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾

الخطاب هنا لليه ود، والمعنى: أي تجعلون جملتها

قراطيس أي: قطعًا تكتبونها من الكتاب الأصل الذي

بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون

وتقولون هذا من عند الله، وكان الحبر من أحبارهم، إذا

استُفْتِي في مسألةٍ له هوًى في إظهار حكم الله فيها كتب

ذلك الحكم في قرطاس، فأظهره للمستفتي ولخصومه،

بحقيقة التوارة، وأنها منزلة من لدنه تعالى ٢٠).

﴿ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَى بَشَرِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٩١)، وهم بذلك قد جاءوا إفكًا وأنكروا ما هو معلوم بالتواتر.

وقد ردّ الله عليهم أولًا بأنَّ مُنْكري الوحي، وإنـزال الكتب على الرسل، ما عرفوا الله حق معرفته، ولا وصفوه بها يجب وصفه به، ولا عرفوا فضله على البشر، ولا آمنوا بهذا النوع من قدرته، وهو إفاضة ما شاء من علمه بها يصلح به أمر الناس من الهدى والشرع على من شاء من البشر بواسطة الملائكة، أو بتكليمه إياهم بدون واسطة، إذْ قالوا: إنه ما أنزل شيئًا ما على أحد منهم، قال من في المناه المناه على أحد منهم،

وهذا دليل على أن إرسال الرسل وإنزال الكتب من شئونه سبحانه ومتعلق صفاته في النوع البشري، فإنها من مقتضى الحكمة والرحمة، فمن عرفه ولل بصفات الكهال، ونظر في الآيات البينات في أنفس البشر والآفاق فعلم منها أنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء صنعه، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، مستعدًّا للعروج إلى أعلى عليين، والهبوط إلى أسفل سافلين، من عرف الله بها ذكرنا من الصفات، وعرف البشر بها أجملنا من الأحوال والمميزات، عَلِم عِلْمَ اليقين أن إرسالَ الرسل وإنزال الكتب من آثار تلك الصفات التي هي مصادر النظام ومظاهر الكهال (۱).

ثانيًا. اعتراف مشركي مكة واليهود بإنزال التوارة على موسى الني من السماء:

ويخفون كثيرًا من أحكام الكتاب وأخباره، إذا كان لهم هوى في إخفائها، وذلك أن الكتاب كان بأيديهم ولم يكن في أيدي العامة من نسخه شيء (٣).
وبعد أن أمر الله رسوله أن يسألهم ذلك السؤال،

٢. محاسن التأويل، القاسمي، مرجع سابق، ج٤، ص٤٣٤.

٣. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج٧، ص٦١٧.

تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۷، ص۲۱۲، ۲۱۳ بتصرف.

لَقَّنه الجواب الذي كان يجب أن يجيبوا به: ﴿ قُلِ اللّهُ ثُمَّ فَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿ الْأَنسَامِ)؛ أي: قسل يأيها الرسول: الله أنزله - أي كتاب موسى - ثم دعهم بعد بيان الحق مؤيّدًا بالحجج والدلائل في باطلهم يخوضون ويلعبون، فإنها عليك البلاغ وعلينا الحساب.

الخلاصة:

- المشركون الذين ينكرون الـوحي لم يعرفوا الله حق معرفته؛ لأنهم ينكرون شأنًا من شـئونه ﷺ، وهـو إرسال الرسل، وإنزال الكتب لهداية الناس.
- لقد كان مشركو مكة نتيجة تعاملهم مع يهود يشرب يعلمون أن التوارة منزلة من عند الله تعالى على موسى الطيخ وعلى الرغم من هذا فإن استكبارهم وعنادهم وتكذيبهم للنبي شخ دفعهم إلى إنكار إنزال أي كتاب من السهاء على أحد من البشر، ولقد أثبت القرآن الكريم تناقض أقوالهم وبطلان زعمهم.

AND DEC

الشبهة الحادية والسبعون

زعم اليهود أن سبب عدم إيمانهم بالنبي ﷺ هو كون قلوبهم غُلْفًا (*)

مضمون الشبهة:

زعم بعض اليهود أن سبب عدم إيهانهــم بــالنبي ﷺ

وجها إبطال الشبهة:

- ١) ما يدعيه اليهود هـو مجـردعـذر واو، يريـدبـه اليهود التملُّص من الإيهان بدعوة محمد ﷺ بعد أن تبيّن لمم دلائل صدقه.

التفصيل:

أولا. ما يدعيه اليهود هو مجرد عذر واهٍ لا دليل عليه:

هذا تعلّل واه من تعللات اليه ود المتكررة، وأحد الدعاوى التي كان يدّعيها اليه ود في العصر النبوي، وهو قولهم للنبي ين في فكُوبُنا غُلْفُ ، والغلف: جمع أغلف، وهو الذي جُعل له غلاف، ومنه قيل للقلب الذي لا يعي ولا يفهم: قلب أغلف، كأنه حُجب عن الفهم بالغلاف. ومعنى قولهم: يا محمد، إننا لا نعقل قولك ولا نفهمه؛ لأن قلوبنا مغطاة بأغطية حسية مانعة من نفوذ ما جئت به فيها، ومقصدهم من ذلك التهكم من نفوذ ما جئت به فيها، ومقصدهم حتى لا يعيد عليهم منه ين وقطع طمعه في إسلامهم حتى لا يعيد عليهم الدعوة بعد ال

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (البقرة/ ٨٨، النساء/ ١٥٥، فصلت/ ٥).

الآيات التي ورد فيها الرد على الـشبهة: (البقـرة/ ٨٨، النـساء/ ١٥٥، فصلت/ ٦).

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مج١، ج١، ص٩٩٥. التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٤.

من شنشنتهم وسوء اعتذارهم عن الإيهان بها جاء به الرسول على والاهتداء بكتابه بعد تقرير الدعوة، وإقامة الحجة وبيان المحجة، وهو كقول المشركين: ﴿ قُلُوبُنَا فِي الحَجّة مِمّا تَدّعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقُرُ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِك جَمَابُ ﴾ (نصلت: ٥).

ثانيًا. خَلَق الله اليهود كسائر العقلاء:

وقوله: ﴿ بَلُ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (البقرة: ٨٨) تسجيل عليهم وفضح لهم بأنهم صمموا على الكفر، والتمسك بدينهم من غير التفات لحجة النبي ﷺ، فلما صمموا على ذلك عاقبهم الله باللعن والإبعاد عن الرحمة والخير، فحرمهم التوفيق والتبصر في دلائل صدق الرسول، فاللعنة حصلت لهم عقابًا على التصميم على الكفر وعلى الإعراض عن الحق، وفي ذلك ردُّ لما أوهموه من أن قلوبهم خُلقت بعيدة عن الفهم؛ لأن الله خلقهم كسائر العقلاء مستطيعين لإدراك الحق لو توجهوا إليه بالنظر وترك المكابرة (١).

إن ما وصفوا به قلوبهم من أنها غلف لا تفهم الحق بطبعها، ليس هو الحق الواقع، بل كان كفرهم الشديد وما له من الأثر القبيح في أخلاقهم وأعمالهم - سببًا في الطبع على قلوبهم، فأبعدهم الله على من رحمته بسبب

جمودهم على ذلك الكفر التقليدي ولوازمه، وعدم نظرهم في شيء آخر نظر استدلال واعتبار، ولا يتأملون تأمل الإخلاص والاستبصار، والنظر والتأمل إنها هو من الأمور الممكنة التي ينالها كسبهم، ويصل إليها اختيارهم، ولكنهم لا يختارون إلا ما ألفوا وتعودوا.

هذا هو معنى اللعن، وقد ذكرت معه علته ليُعلم أنه جرى على سنة الله على في الأسباب والمسببات، وأن الله لم يظلمهم بهذا، وإنها ظلموا أنفسهم بالكفر الذي يستتبع الكفر، والعصيان الذي يجرُّ إلى التهادي في العصيان، كما هي السنة في أخلاق الإنسان؛ لهذا لم يؤمنوا إلا قليلًا، وإنها العلة في الإيهان باعتبار ما يؤمن به من أصول الدين وأحكام الشريعة، والنسبة إلى اليقين في الإيهان، وتحكيمه في الفكر والوجدان.

ولقد كان اليهود يؤمنون بالشريعة في الجملة، وكها تعطيه ظواهر الألفاظ، ولكنهم لم يلبسوها مفصلة تفصيلًا، ولم يفقهوا حكمها وأسرارها، فلم يكن لها سلطان على قلوبهم، ولم تكن هي المحركة لإرادتهم في أعهاهم، وإنها كان يحركها الهوى، فالإيهان إنها كان عندهم قولًا باللسان، ورسهًا يلوح في الخيال تكذبه الأعهال، وهذا هو الإيهان الذي لا قيمة له عند الله كال وقد يكون المقصود بقلة الإيهان هنا هو أنه لا يؤمن بالنبي وما جاء به إلا قليل منهم؛ كابن سلام، وفي هذا من دقة القرآن ما لا يُعهد في كلام الناس (٢).

الخلاصة:

إن ما يدعيه اليهود من أن على قلوبهم أغطية

التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، مجا،
 ج۱، ص٠٠٦٠.

تفسیر المنار، محمد رشید رضا، مرجع سابق، ج۱، ص۳۷۹، ۳۸۰ بتصرف.

تمنعهم من الإيمان بدعوة محمد رسي الله هو مجرد زعم لا أساس له، يريدون بذلك قطع طمع النبي في في إسلامهم حتى لا يعيد عليهم الدعوة بعد.

• لقد بيَّن الله كذب اليه ود وعنادهم، وبيَّن أن السبب الحقيقي في إعراضهم عن دعوة محمد الله لم يكن وجود أغطية على قلوبهم تمنع من وصول الحق إليها _ كما يدّعون _، وإنها هو إصرارهم على الكفر وإعراضهم عن الحق؛ لهذا عاقبهم الله باللعن والطرد من رحمته.

KY Kalek

الشبهة الثانية والسبعون

استنكار اختصاص الرسول ﷺ بإنزال الذِّكرِ عليه من بين النَّاس ^(*)

مضمون الشبهة :

يستبعد المشركون تخصيص النبي الله بإنزال القرآن عليه من بينهم، ويقولون: هلا كان إنزال هذا القرآن عليه من بينهم، وهكذا قال هذه المقولة أقوام الرسل علي رجل عظيم، وهكذا قال هذه المقولة أقوام الرسل لرسلهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِنَ الْقَرْيَايِّ عَظِيمٍ الله ﴿ (الزحرف)، وقال: ﴿ أَمَّ يَحُسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَنْهُمُ اللهُ مِن فَضَلِهِ عَ ﴿ (النساء: ٤٥).

وجها إبطال الشبهة:

١) استبعاد اختصاص الرسول ﷺ بإنزال الـذكر

عليه منشؤه الحسد والاستكبار والجهل وقصور الفهم. ٢) الله عجل هـو الـذي يـصطفي الرسـل ويقـسم الأمور بين عباده كها قسم حظوظهم في الدنيا.

التفصيل:

أولا. استبعاد اختصاص الرسول ﷺ بالرسالة، منشؤه الحسد والاستكبار من المشركين:

هذه مقالة طالما قالها أهل التكذيب والضلال من الأقوام السالفة الذين أُرسل إليهم الرسل، فقوم ثمود قالوا عن نبيهم صالح الطيخ: ﴿ أَءُلَقِى الذِّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا فَلُوا عَن نبيهم صالح الطيخ: ﴿ أَءُلَقِى الذِّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ (متمركو مكة قالوا عن رسول الله: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكُرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ (ص: ٨)، وقالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِن القريتينِ عَظِيمٍ الله (الزحرف). وأيضًا فقد حسد اليهود النبي على عا رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه أنه من العرب وليس من بني إسرائيل.

وهذه المقالة التي قالها هؤلاء مليئة بالحسد من عند أنفسهم، وهي تدل على عنادهم واستكبارهم، وهي مُحرِجَةٌ عن أصل القضية والحق الذي جاء به محمد، فمقولتهم هذه هي حيلة العاجز المفلس، وقد ردّ الله عليهم في مواطن عديدة هذه الشبهة الواهية.

فمن ذلك بيان أن قصدهم ليس المراد به الطعن في اختصاص الرسول بالرسالة، ولكن شكُّهم في أصل الرسالة عن الله وإنكارهم لها، فقال على عقب قولهم الباطل: ﴿ بَلَ هُمْ فِي شَكِ مِن ذِكْرِى ﴾ (ص: ٨)، فقصدهم الشك في أن الله يوحي إلى أحد بالرسالة، وهو كمعنى قوله على: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَ الظّلِمِينَ بِعَايَنتِ

^(*) الآيات التي وردت فيها الشبهة: (النساء/ ٥٤، الزخرف/ ٣١، ص/ ٨، القمر/ ٢٥).

الآيات التي ورد فيها الرد على الشبهة: (النساء/ ٥٣: ٥٥، الحج/ ٧٦، ٥٥، الزخرف/ ٣٢، الأنعام/ ١٢٤، ص/ ٨).

ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿ الْأَنعَامِ ﴾ (الأنعام).

ومن ردّ الله عليهم أيضًا أن يوضح أن مقالتهم هذه تُنبئ عن مدارك عقول الجهلة الذين يقيسون الأمور بمقاييس قصور أفهامهم ويحسبون أن أسباب الأثرة في العادات هي أسبابها في الحقائق؛ لأنهم يريدون أن يقولوا: إن فيهم من هو أحق من الرسول بالرسالة، وأنَّ هناك مَن يتميَّز عنه بالعظمة كما حكى الله عنهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِن الْقُوام أمرين هما: فجعلوا عماد التأهل لسيادة الأقوام أمرين هما:

١. عظمة المُسَوَّد.

٧. عظمة قريته، يعنون بذلك مكة والطائف، فنظروا إلى سعة المال التي هي من مقومات وصف السُّؤُدُد، تمامًا كها قال الله عن بني إسرائيل الذين اعترضوا على جعل طالوت ملكًا عليهم: ﴿ أَنَّ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحَنُ أَحَقُ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَكَ لَهُ ٱلْمُلْكِ عَلَيْنَا وَنَحَنُ الْحَقُ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَكَ مَن الْمَالِ ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

ثانيًا. الله ﷺ يـصطفي الرسل ويقسم الأمور بين عباده:

ردَّ القرآن الكريم على بني إسرائيل في شأن طالوت فقال: ﴿ قَالَ إِنَّ اللّهَ اَصَطَفَنهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسَطَةً فَقَال: ﴿ قَالَ إِنَّ اللّهَ اَصَطَفَنهُ عَلَيْكُمْ مَن يَشَكَآءُ ﴾ فِي الْعِلْمِ وَالْعِسْمِ وَاللّه هو الذي يختار رسله وأنبياءه ويختص من شاء بالرسالة والنبوة، وليس لأهل العقول مها بلغت بهم من الفطنة والاختيار أن يطّلعوا على خفايا الأمور فيصطفوا للمقامات العالية من قد تخفى عنهم نقائصهم؛ ولهذا قال عَلَى: ﴿ يَعَلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا عَلَى عَمُومُ عَلَمُ مَا بَيْنَ اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَن عموم علمه بالأشياء عَلَى اللهِ عَن عموم علمه بالأشياء عَلَى اللهِ عَن عموم علمه بالأشياء عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَن عموم علمه بالأشياء عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَن عموم علمه بالأشياء عَلَى اللهُ الله

ثم ضرب الله مثلاً من حياتهم الدنيا وقياسًا شاهدًا يقيسون هذا الأمر عليه، وهو أن الله قسم بين الناس معيشتهم فكانوا على نحو ما هيّا الله لهم من نظام الحياة، فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء وفقراء، فسخر بعضهم لبعض في أشغالهم على حساب دواعي حاجة الحياة، ورفع بذلك بعضهم فوق بعض، وجعل بعضهم محتاجًا إلى بعض ومسخّرًا له، فإذا كانوا بهذه المثابة في تدبير معيشة الدنيا، فكذلك الحال في إقامة بعضهم دون بعض للتبليغ، فإن ذلك أعظم شئون البشر، فهذا وجه الاستدلال لو كانوا يعقلون ويفهمون المرمر، قال عَلَى: ﴿ خَنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم فِي ٱلْحَيَوةِ الدُنيا وَرَفَعنَا بَعْضَهُم فَوق بعض درَجَنتِ لِيَسَتَّحُدُ بَعْضُهُم فَوق بعض الدُنيا وقيقه مؤن الله ردَّه عليهم بقوله: الدُنيا وَرَفَعنَا بَعْضَهُم فَوق بَعْضِ دَرَجَنتِ لِيَسَتَّحِذَ بَعْضُهُم بقوله: الزخرف: ٣٢)، وذيّل الله ردَّه عليهم بقوله: وَرَحَمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مُتَا يَجْمَعُونَ الله والزخرف، وهذا

ردٌ ثانٍ، فإن المال الذي جعلوه عهاد الاصطفاء للرسالة هو أقلُّ من رحمة الله، فهي خير مما يجمعون من المال والعظمة والسيادة، ذلك الذي جعلوه سبب التفضيل، فإن المال شيء جمعه صاحبه لنفسه، فيلا يكون مثل اصطفاء الله العبد ليرسله إلى الناس، فالمال والغنى لاحظ لهما عند الله وكله فإن الله أعطى كل شيء خلقه، وجعل للأشياء مقاديرها، فكثيرًا ما يكون المال للكافرين ومن لا خلاق لهم من الخير، فتعين أن المال سلك النظم الاجتهاعية، وشَتَّان بينها وبين مواهب النفس الزكية والسرائر الطيبة، إذ مواهب النفوس الطيبة مصادرها لنفع أصحابها ونفع الأمة، أما المال فمصدره في الغالب لإرضاء الشهوات والتطاول.

ويُبيِّنُ الله لهم في موطن آخر أن اعتراضهم على نبوة محمد الله الله عن الحسد والعناد والكبر، وهم لا نصيب لهم من الملك، ولو كان لهم منه شيء لم يعطوا أحدًا منه لبخلهم وحسدهم، فهل هم أولى بالنبوة محن أرسله الله؟ أم لهم نصيب من الملك فيمنعوا الحقوق؟ أم أنهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فيسخطوا بذلك على قضاء الله ولا يرضوا بقسمته؟ وهذا من سوء أدبهم؛ كما قال القائل:

أَلَا قُلْ لِسمَنْ ظَلَّ لِي حَاسِدًا

أَسَدُرِي على مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ أَسَاأْتَ على الله في حُكْمِهِ

إذا أنت لَمْ تَسرْضَ لِي مَا وَهَبْ وَلَدُا قَالَ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى مَا عَالَمُهُمُ اللهُ مِن

فَضْلِهِ ۚ فَقَدُ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَهِيمَ ٱلْكِنْبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَهُم مُلكًا عَظِيمًا ﴿ فَ فَينَهُم مَّنَ ءَامَنَ بِهِ ، وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿ ﴿ السَاء ﴾ (الساء).

الخلاصة:

- حكى القرآن لونًا من ألوان حسد المشركين وعنادهم حين قال: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلا نُزِلَ هَلَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿ الزعرف)، فقد قال هؤلاء المشركون ذلك على سبيل العناد والحسد، فهم لجهلهم وانطهاس بصائرهم استكثروا أن ينزل هذا القرآن على محمد ﷺ الذي _ وإن كان في القمة من الشرف والسمو بين قومه _ لم يكن أكثرهم مالا وسلطانًا، وهم يريدون أن تكون النبوة في زعيم من زعائهم، أو رئيس من رؤسائهم، وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنها تستدعي عظيم النفس، بالتخلي عن الرذائل الدنية، والتحلي بالكهالات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية.
- الله يختار لرحمته ورسالته من يشاء ويصطفيهم لذلك، هذا الاصطفاء لا علاقة بينه وبين عرض الحياة الدنيا، ولا صلة له بقيم هذه الحياة، فهذه القيم عند الله ليست هي مقياس المفاضلة، ومن ثم يشترك فيها الأبرار والفجار، وينالها الصالحون والطالحون، بينها يختصُ الله على برحمته المختارين.

المصادروالراجع

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى إبراهيم الإبراهيمي، دار عمار، الأردن، ط٢، ١٩٩٦م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
 - التحرير الإسلامي للمرأة، د. محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د. ت.
- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
 - تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، د. ت.
 - التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١،
 ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
 - الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، الحسيني معدِّي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
 - ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، د. عبد المحسن المطيري، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة.
 - عقيدة أهل السنة والجماعة، د. أحمد فريد، مكتبة فياض، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
 - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
 - القضاء والقدر، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
 - القيامة الكبرى، د. عمر سليان الأشقر، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
 - الكشاف، الزنخشري، الدار العالمية، بيروت، د. ت.
 - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١١٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- محاسن التأويل، القاسمي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م.
 - المرأة المسلمة، وهبي سليمان غاوجي، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
 - المرأة والولاية، د. طه الدسوقي حبيشي، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
 - المناظرة الكبرى، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.
- الهجهات المغرضة على التاريخ الإسلامي، محمد ياسين مظهر صديقي، ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم، رابطة الجامعات الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
 - وظيفة الدين في الحياة، د. محمد الزحيلي، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط٢، ١٩٩٩م.
 - ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، مجلة حراء، العدد ٦، السنة الثانية، يناير ـ مارس ٢٠٠٧م.

200 Exes

يعقسفو

بيان الإسلام

الردعلى الافتراءات والشبهات

القسم الأول: القرآن

المجلد الأول ج ١ الشبهات التي تولَّى القرآن الردَّ عليها

> إعداد نخبة من كبار العلماء



العنوان: موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات القسم الأول: القرآن المجلد الأول (ج١)

إعداد: نخبة من كبار العلماء

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

جميع الحقوق محفوظة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

الترقيم الدولي: 4-4434-14-977 رقم الإيداع: 2011/17886 الطبعة الأولى: يناير 2012

تليفون؛ 33472864 - 33466434 02 هاكسس؛ 33462576 02

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com E-mail: publishing@nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -المهندسين - الجيزة